حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

(٨٢٦-٩٢٦ هـ)

تحقيق

السيد الشريف

أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني

الجزء الرابع

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

إسطنبول

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

الجزء الرابع

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر

المركز الرئيسي إسطنبول

Algeylani Center Of Scientific Research

00902125117340-00905334866610

مدير التوزيع:

السيد فائق جيلاني: 00905379603434

حلب - سورية

مكتبة إسطنبولي: 00963933316794

القاهرة - مصر

هاتف: 00201111087778

Markaz al-Jilani Asia Tenggara

(Zawiyah Arraudhah)

- Jl. Tebet Barat VIII No.50, RT.9/RW.4, Tebet Bar., Kec. Tebet, Kota Jakarta Selatan, Daerah Khusus Ibukota Jakarta 12810

Tel: 006287788058845

أندونيسيا

Markaz al-Jilani Indonesia

- Pondok Pesantren Al-Falak Pagentongan-Bogor

KH Hakim Agus 00628128424608

Fachry 006282123580111

Markaz al-Jilani Indonesia

- Pondok Pesantren manbaus sholihin 61151
- Suci manyar Gresik Jatim Indonesia Post Code

Tel: 0062313958575

Handphone: 006285330046338

بيروت - لبنان

مركز الجيلاني - روضة الكتاب العربي

هاتف: 0096181932019

ISBN: 978-605-2058-12-1(tk)

978-605-2058-16-9(4.c)

من ذخائر التراث الإسلامي يطبع لأول مرة

الطبعة الأولى

1441هـ - 2020م

حاشية فتح الجليل

ببيان

خفي أنوار التنزيل

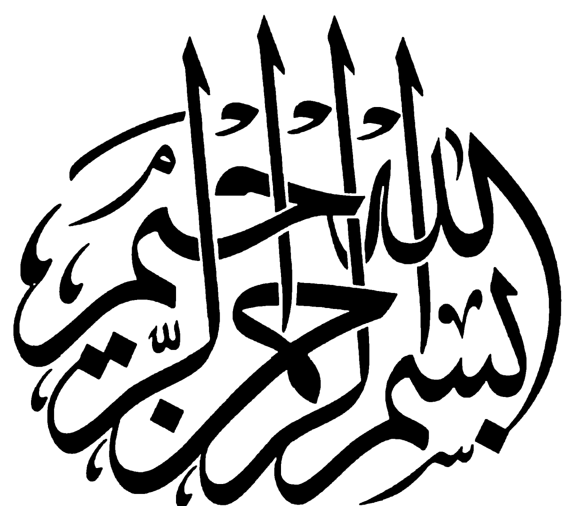
حاشية الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي

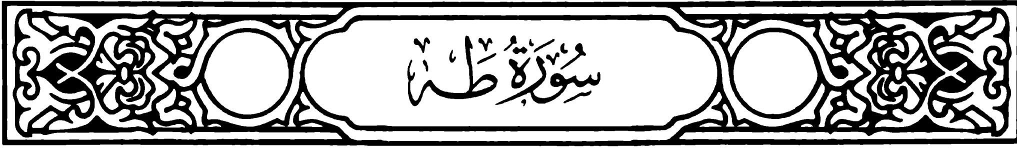
لشيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري الشافعي
رحمه الله تعالى
(٨٢٦-٩٢٦هـ)

تحقيق
السيد الشريف
أ. د. محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني الكيلاني

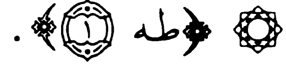
الجزء الرابع

مركز جيلاني للبحوث العلمية والطبع والنشر
إسطنبول





(٢٠) مكية، وهي مائة أربع وثلاثون آية



﴿طه ۞﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ ﴿طه﴾ فَخَّمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الأصل. وفخّم الطاء وحده أبو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه، وأمالهما الباقون. وهما من أسماء الحروف. وقيل معناه: يا رجل! على لغة «عك»، فإن صح؛ فلعل أصله: يا هذا! فتصرفوا فيه بالقلب، والاختصار. والاستشهاد بقوله:

إِنَّ السفاهَةَ طَه في خَلائِقِكُمْ   لَا قَدَّسَ اللَّهُ أَخْلاقَ المَلَاعِين

قوله: [فخّمها] صوابه: «فخّمهما» بالتثنية كما في «الكشاف»[(١)] [وابن كثير..] إلخ، وافقهم أبو جعفر [وفخم الطاء وحده]؛ أي: دون الياء [أبو عمرو]؛ أي: ونافع في المشهور عنه [وقيل: معنا يا رجل في لغة عَكّ] وهو بتشديد الكاف: ابن عدنان أخو معد[(٢)] [فإن صحَّ فلعلّه: «يا هذا..»] إلى آخره. قال الزمخشري: ولعل «عَكّا» تصرفوا في «يا هذا» كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا: «يا طا» واختصروا هذا فاقتصروا على هاء[(٣)] [والاستشهاد]؛ أي: واستشهادهم على أن معنى: «طه»: «يا رجل». [بقوله:

إن السفاهة طه في خلائقكم   لا قدس اللّه أخلاق الملاعين

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥١].

(٢) قال في القاموس: «ابن عُذْثَان» بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد وليسَ ابنَ «عدنان» أخا مَعَدّ، ووهم الجوهري. القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٥/ ١٢٥].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥١].

﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾.

ضعيف لجواز أن يكون قسماً كقوله: «**حم لا ينصرون**»، وقرئ: (طه) على أنه أمر للرسول ﷺ بأن يطأ الأرض بقدميه، فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، وأن أصله: (طأ) فقلبت همزته هاء، أو قلبت في (يطأ) ألفاً كقوله: (لا هَنَاكِ المرتَعُ). ثم بنى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت، وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل (طه): (طأها) والألف مبدلة من الهمزة، والهاء كناية الأرض. لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف، وكذا التفسير: بـ(يا رجل) أو اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما.

۝٢ - ۝٣ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ خبر (طه) إن جعلته مبتدأ

[**ضعيف الجواز أن يكون**]؛ أي: «طه» في البيت [**قسماً كقوله: «حم لا ينصرون»**] روى أبو داود[1] والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ قال ليلة الخندق: «**إن بتّم الليلة فقولوا حم؛ أي: والله لا ينصرون**»[2] و«السفاهة»: تقال لخفة الحلم ولضده وللجهل والخلائق جمع خليقة وهي الطبيعة والمعنى: أن السفاهة كائنة في طبائعكم [**فإنه كان يقوم..**] إلخ رواه البيهقي[3] وغيره [**كقوله**]؛ أي: كما قلبت الهمزة ألفاً في «هَنَاك» من قوله: [**لا هَنَاك المرتع**][4] إذ أصله «هَنَأك» بالهمز [**ثم بنى عليه**]؛ أي: على «يطأ» [**الأمر**]؛ أي: وهو «طأ» [**لكن يرد ذلك كَتْبُهما**]؛ أي: الطاء والهاء [**وكذا التفسير**]؛ أي: تفسير «طه» [**بـ«يا رجل»**]؛ أي: يرده ذلك [**أو اكتفى بشطري الكلمتين**] عطف على «أمر للرسول»؛ أي: وقرئ «طه» على أنه أمر للرسول أو على أنه اكتفى بشطري الكلمتين اللتين هما طاء وهاء؛ لأنهما من أسماء الحروف المبسوطة فأسقطت الألف من كل منهما فقيل: «طه». [**أن جعلته**]؛ أي: «طه».

---

(١) سنن أبي داود [٢/٣٨/ برقم: ٢٥٩٧]. (٢) سنن الترمذي [٤/١٩٧/ برقم: ١٦٨٢].
(٣) شعب الإيمان، البيهقي [٢/١٨٦/ برقم: ١٤٩٧].
(٤) أصله بيت للفرزدق:
وَمَضَت لِمَسْلَمَةَ الرِّكَابِ مودَّعا ... فارْعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المرتعُ
العين، الفراهيدي [٧/ ١٧٣].

على أنه مؤوَّل بالسورة أو (الْقُرْآنَ). والقرآن فيه واقع موقع العائد، وجوابه: إن جعلته مقسماً به ومنادى له؛ إن جعلته نداء، واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ، أو طائفة من الحروف محكية. والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلّغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق. والشقاء شائع بمعنى: التعب، ومنه: (أشقى من رائض المهر!)، وسيد القوم أشقاهم. ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد. وقيل: ردٌّ وتكذيب للكفرة؛ فإنهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به. ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ لكن تذكيراً. وانتصابها على الاستثناء المنقطع، ولا يجوز أن يكون بدلاً من محل (لِتَشْقى) لاختلاف الجنسين، ولا مفعولاً له لـ(أَنْزَلْنا)، فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علّتين. وقيل: هو

[**إن كانت جملته**]؛ أي: «طه» [**إن كانت فعلية**]؛ أي: بتقدير كونه فعل أمر كما قدمه [**أو اسمية بإضمار مبتدأ**]؛ أي: أو خبر كما مرّ أول الكتاب [**أو طائفة**] عطف على «فعلية» بمعنى: أو كان مجموع «طه» طائفة [**من الحروف المحكية**]؛ أي: فلا محل لها من الإعراب فقوله: «جملتُهُ» مستعمل في معنييه الاصطلاحي واللغوي [**أو بكثرة الرياضة**] عطف على «بفرط تأسفك» [**ومنه أشقى من رائض المهر**] قيل: يريد أن معالجة المهارة شقاوة لما فيها من التعب(١) [**لاختلاف الجنسين**]؛ أي: جنس الشقاوة والتذكرة إذ التذكرة ليست نفس الشقاوة ولا بعضها ولا مشتملة عليها بخلاف جعله استثناءً منقطعاً؛ لأن اختلاف الجنسية شرط فيه إما تحقيقاً: نحو: «ما جاء القوم إلا حماراً»، أو تقديراً: نحو: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٨، ٥٩].

[**ولا مفعولاً له**] إلخ تبع فيه أبا البقاء، وردَّ بأنه مبني على منه تعدد العلل، والتحقيق جوازه في غير العقلية كما هنا؛ لأنها علامات ولا مانع من اجتماع علامات على شيء واحد كما في أسباب الحدث، ومنعه في العقلية اللزوم المحال

---

(١) انظر: مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري [١/١٤٨].

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

مصدر في موقع الحال من (الكاف) أو (القرآن)، أو المفعول له على أن (لِتَشْقى) متعلق بمحذوف هو صفة القرآن؛ أي: ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه إلا تذكرة. ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ لمن في قلبه خشية ورِقّة تتأثر بالإنذار، أو لمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه؛ فإنه المنتفع به.

﴿٤﴾ ﴿تَنزِيلًا﴾ نصب بإضمار فعله أو بـ(يخْشى)، أو على المدح أو البدل من (تَذْكِرَةً) إن جعل حالاً، وإن جعل مفعولاً له لفظاً أو معنى فلا؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه. ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ مع ما بعده إلى قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] تفخيم لشأن المنزِّل بغرض تعظيم المنزَّل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل، فبدأ بخلق الأرض والسمٰوات التي هي أصول العالم، وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السمٰوات العلى، وهو جمع: (العليا) تأنيث (الأعلى)، ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات، وتدبير أمرها بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير، وأنزل منه الأسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال:

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته، ولما

منه كالجمع بين النقيضين فإن الشيء بإسناده إلى كل منها يستغنى عن الباقي فيلزم أن يكون مستغنياً عن كل منها وغير مستغن عنه[1] **[لأن الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه]** إذ يصير المعنى: ما أنزلنا القرآن إلا للتنزيل أو لتنزيل سورة كذا وهو ممتنع وقوله: «أو نوعه» مزيد على «الكشاف» **[بغرض]** الباء سببية ولو عبر باللام كان أوضح

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/ ١١٣].

۞ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

كانت القدرة تابعة للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور وخفياتها على سواء فقال:

۝٧ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾؛ أي: وإن تجهر بذكر الله ودعائه؛ فاعلم أنه غني عن جهرك فإنه يعلم السر وأخفى منه، وهو ضمير النفس. وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيما ليس لإعلام الله؛ بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها، ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار، ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الألوهية بيَّن أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال:

۝٨ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ و(مَنْ) في (مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ) صلة لـ(تَنْزِيلاً) أو صفة (لَهُ). والانتقال من التكلم إلى الغيبة؛ للتفنن في الكلام، وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن، ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام، والتنبيه على أنه واجب الإيمان به، والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه. ويجوز

وعبارة «الكشاف»[1] لنسبته؛ أي: المنزل إلى من هذه أفعاله وصفاته **[والخُوار]**؛ أي: الصياح.

[والانتقال من التكلم]؛ أي: في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ **[إلى الغيبية]**؛ أي: في قوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ إلى آخره. **[وتفخيم «المنزَّل» من وجهين...]** إلى آخره. أحدهما: إسناد إنزاله إلى الضمير في «أنزلنا» والثاني: بنسبة «الإنزال» إلى المختص بالصفات المذكورة[2] **[والتنبيه]** عطف على «التفنن»

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٣].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٦/ ١٦٥].

۞ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾.

أن يكون (أنزلنا) حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه. وقرئ: (الرَّحْمٰنِ) على الجر صفة لـ(من خلق)؛ فيكون: (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) خبر محذوف، وكذا إن رفع (الرَّحْمَنُ) على المدح دون الابتداء، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً. و(الثرى): الطبقة الترابية من الأرض وهي آخر طبقاتها، و(الْحُسْنى): تأنيث الأحسن. وفضل أسماء الله تعالى على سائر الأسماء في الحسن لدلالتها على معانٍ هي أشرف المعاني وأفضلها.

۝٩ ـ ۝١٠ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ قفّى تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة، وتبليغ الرسالة، والصبر على مقاساة الشدائد؛ فإن هذه السورة من أوائل ما نزل. ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ ظرف للـ(الحَدِيثُ) لأنه حدث أو مفعول لـ(أذكر). قيل: إنه استأذن شعيباً عليه الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه، وخرج بأهله فلما وافى وادي طوى ـ وفيه الطور ـ ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة ـ وكانت ليلة الجمعة ـ وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته؛ إذ رأى من جانب الطور ناراً ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أقيموا مكانكم. وقرأ حمزة: (لأهله امكثوا هنا)، وفي (القصص)

[ويجوز أن يكون خبراً ثانياً]؛ أي: للمبتدأ المحذوف **[وهي آخر طبقاتها؛ يعني: طبقات آخر الأرضين وعبارة «الكشاف»: ما تحت الثرى ما تحت سبع الأرضين عن محمد بن كعب وعن السدي: هو الصخر التي تحت الأرض السابعة]**[(١)].

[أعباء النبوة] هو بفتح الهمزة جمع «عِبىء» بالكسر وهو الحمل؛ قاله الجوهري[(٢)] **[لأنه حدث]**؛ أي: مصدر بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ [طه: ١٠] بخلافه في: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] فإنه بمعنى الخبر

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٤].

(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ١٤٤].

۞ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.

بضم الهاء في الوصل، والباقون بكسرها فيه. ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا﴾ أبصرتها إبصاراً لا شبهة فيه. وقيل: الإيناس إبصار ما يؤنس به. ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة من النار، وقيل: جمرة. ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ هادياً يدلني على الطريق أو يهديني أبواب الدين؛ فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعنّ لهم. ولما كان حصولهما مترتباً بني الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس؛ فإنه كان محققاً ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه. ومعنى الاستعلاء في (عَلَى النَّارِ): أن أهلها مشرفون عليها، أو مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في: مررت بزيد؛ إنه لصوق بمكان يقرب منه.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أتى النار وجد ناراً بيضاء تتقد في شجرة خضراء. ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي: بـ(أني) وكسره الباقون بإضمار القول، أو إجراء النداء مجراه. وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق. قيل: إنه لما نودي قال: من المتكلم؟! قال: إني أنا الله، فوسوس إليه إبليس: لعلك تسمع كلام شيطان! فقال: أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء! وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقياً روحانياً، ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه، وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص

[**مائلة إليها**]؛ أي: إلى أبواب الدين [**ولما كان حصولهما**]؛ أي: القبس والهادي [**ومعنى الاستعلاء..**] إلى آخره. تقدير معناه في الآية: «أو أَجِدُ ذَوي هدى مشرفينَ على النار» [**وهي**]؛ أي: حالته التي سمع فيها كلام ربه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء.

۞ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾.

بعضو وجهة. ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أمره بذلك؛ لأن الحفوة تواضع وأدب؛ ولذلك طاف السلف حافين. وقيل: لنجاسة نعليه؛ فإنهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ. وقيل معناه: فرّغ قلبك من الأهل والمال. ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ تعليل للأمر باحترام البقعة. والمقدس يحتمل المعنيين. ﴿طُوًى﴾ عطف بيان للـ(الوادي) ونوَّنَه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان. وقيل: هو كـ(ثِنًى) من: (الطيّ) مصدر لـ(نُودِيَ) أو (الْمُقَدَّسِ)؛ أي: نودي نداءين أو قدس مرتين.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ اصطفيتك للنبوة. وقرأ حمزة: (وأَنَّا اخترناك). ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ للذي يوحى إليك، أو للوحي. و(اللام) تحتمل التعلق بكل من الفعلين. ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ بدل مما يوحى، دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمر بالعبادة التي هي كمال العمل. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ خصّها بالذكر وأفردها بالأمر؛ للعلة التي أناط بها إقامتها، وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره. وقيل: (لِذِكْرِي) لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالثناء، أو لِذِكْرِي خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذِكْر غيري. وقيل: لأوقات ذكري؛ وهي مواقيت الصلاة، أو لذكر

[لأن الحفوة] هي مرادفة «للحفاء» بالمد: وهي المشي بلا نعل وخف[1] **[والمقدس يحتمل المعنيين]** هما الاحترام والتخلي من النجاسة **[وقيل: هو]**؛ أي: طوي بمعنى مرتين **[كشيء من الطي..]** إلى آخره. **[واللام يحتمل التعليق]** وفي نسخة التعليق **[بكل من الفعلين]**؛ أي: على طريق التنازع من حيث المعنى:

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٢/١٩٢].

۞ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

صلاتي. لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها إذا ذكرها؛ إن الله تعالى يقول:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾».

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ كائنة لا محالة. ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أريد إخفاء وقتها، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية، ولولا ما في الأخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به، أو أكاد أظهرها من: (أخفاه) إذا سلب خفاءه، ويؤيده القراءة بالفتح من: (خفاه) إذا أظهره. ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ متعلق بـ(آتِيَةٌ) أو بـ(أُخْفِيها) على المعنى الأخير. ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ عن تصديق الساعة، أو عن الصلاة. ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهى الكافر أن يصد موسى عنها، والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم: لا أرينك ها هنا! تنبيهاً على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها، وأنه ينبغي أن يكون راسخاً في دينه؛ فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها. ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ فتهلك بالانصداد بصده.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ استفهام يتضمن استيقاظاً لما يريه فيها من

[**«من نام عن صلاة..»**] إلى آخره. رواه الشيخان(١) [**ويؤيده القراءة بالفتح**]؛ أي: بفتح الهمزة [**من حفاه إذا أظهره**] أو معنى خفيت الشيء أظهرته فقط ومعنى أخفيته: كتمته وأظهرته [**على المعنى الأخير**]؛ أي: وهو «أكاد أظهرها» [**عن تصديق الساعة**]؛ أي: عن التصديق بها.

[**كقوله: لا أرينّك ههنا**] هو نظير الآية في أنه نهى نفسه أن يرى المخاطب،

---

(١) صحيح البخاري [١/ ٢١٥/ برقم: ٥٧٢]، صحيح مسلم [١/ ٤٧١/ برقم: ٦٨٠].

العجائب. ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال من معنى الإشارة، وقيل: صلة (تِلْكَ). ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه. ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وقرئ: (عَصَيَّ) على لغة هذيل. ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها إذا أعييت، أو وقفت على رأس القطيع. ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي، وقرئ: (أُهِشُّ) وكلاهما من: (هش الخبز يهش) إذا انكسر لهشاشته، وقرئ بالسين من: (الهسّ) وهو زجر الغنم؛ أي: أنحى عليها زاجراً لها. ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ حاجات أُخَر مثل: أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته، وعرض الزندين على شعبتيها، وألقى

والمراد: نهي المخاطب عن حضوره له؛ لأن لا يراه هو فالرؤية مسببة عن الحضور، كما أن صد الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين، فذكر المسبب في الموضعين ليدل على السّبب كأنه قيل: فكن شديد النفس حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه. وزاد «الكشاف»(١) في الآية أنه ذكر السبب ليدل على المسبب حيث قال: إن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب.

[**وقيل: صلة تلك**]؛ أي: متعلق بها لما في اسم الإشارة من معنى الفعل، أو محذوف بجعل اسم الإشارة موصولاً على ما عليه الكوفيون كأنه قيل: «ما التي بيمينك» [**يا موسى تكرير**]؛ أي: مع ذكره قيل في قوله: «**نودي يا موسى**» وبعد في مواضع كـ«**ألقِها يا موسى**» [**وقُرئ «عَصَيَّ»**(٢) **على لغة هذيل**] زاد «الكشاف» أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة، وقُرئ أيضاً: «عصايِ» بكسر الياء لالتقاء الساكنين و«عصايْ» بسكونها(٣) [**وقرئ: «أهِش»**]؛ أي: بكسر الهاء [**أنحى**] بمهملة؛ أي: أقبل [**مثل أَنْ كان**] بفتح «أنْ» مخففة أو مصدرية.

[**الزَندين**] بفتح الزاي تثنية زند وزندة والزند: العود الأعلى الذي يقدح به النار،

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/٥٨].

(٢) قرأ بها الجحدري وابن أبي إسحاق. انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/١٢٥].

(٣) الكشاف، الزمخشري [٣/٥٩].

۞ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

عليها الكساء واستظل به، وإذا قصر الرشاء وصله بها، وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها، وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها؛ حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أُخْرَى خارقة للعادة مثل: أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع، وتصيران دلواً عند الاستقاء، وتطول بطول البئر، وتحارب عنه إذا ظهر عدو، وينبع الماء بركزها، وينضب بنزعها، وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها؛ على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة، أحدثها الله فيها لأجله؛ وليست من خواصها. فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلاً ومجملاً على معنى: أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قيل: لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا، ثم تورمت وعظمت؛ فلذلك سماها جانّاً تارة نظراً إلى المبدأ، وثعباناً مرة باعتبار المنتهى، وحَيَّة أُخْرَى باعتبار الاسم الذي يعمّ الحالين. وقيل: كانت في ضخامة الثعبان، وجلادة الجان؛ ولذلك قال: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]. ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر؛ خاف وهرب منها. ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة، وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة، وانتصابها على نزع الخافض،

والزندة السفلى فيها ثقب فإذا اجتمعا قيل: «زندان» ولم يقل «زندتان» [إذا رآها] هو ما بعده شرط جوابه قوله بعد: «علم أن ذلك آيات باهرة» [بنضُب] بضم الضاد؛ أي: بغور [مفصلاً]؛ أي: بقوله: «**أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي**» [ومجملاً]؛ أي: بقوله: «**ولي فيها مآرب أُخْرَى**» [وانتصابها على نزع الخافض]؛ أي: «**إلى سيرتها**»

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

أو على أن (أعاد) منقول من: (عاده) بمعنى: عاد إليه، أو على الظرف؛ أي: سنعيدها في طريقتها، أو على تقدير فعلها؛ أي: سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى، فتنتفع بها ما كنت تنتفعه قبل. قيل: لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بِلَحْيَيْهَا.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد، يقال: لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر؛ استعارة من جناحي الطائر، سميا بذلك؛ لأنه يجنحهما عند الطيران. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ كأنها مشعة. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من غير عاهة وقبح. كنّى به عن البرص كما كنّى بالسوأة عن العورة؛ لأن الطباع تعافه وتنفر عنه. ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ معجزة ثانية، وهي حال من ضمير: (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ) أو من ضميرها، أو مفعول بإضمار (خذ) أو

[**أو على أنَّ أعاد منقول مِنْ عاده**]؛ أي: فيتعدى إلى مفعولين بواسطة الهمزة [**أو على الظرف؛ أي: «سنعيدها»**] «في»، وفي نسخة: «على» [**طريقتها**]؛ أي: حالها الأُولى[١]، وردَّ ذلك بأن «سيرتها» إنما تكون ظرفاً لو كان مبهماً وهنا ليس مبهماً [**أو على تقدير فعلها**] وهو تسير كما بينه في قوله [**أي: سنعيدها..**] إلخ، وجوز بعضهم انتصابها على البدل منها «سنُعيدها» بدل اشتمال؛ لأن السيرة الصفة؛ أي: سنعيدها صفتها وشكلها وبه حصل في انتصابها خمسة أوجه[٢] [**واضمم يدك**]؛ أي: اليمنى [**إلى جنبك**]؛ أي: الأيسر [**تحت العضد**]؛ أي: في الإبط [**لأنه يجنحهما**]؛ أي: يميلهما.

[**من غير عابة**]؛ أي: عيب ولا حاجة لزيادة التاء، في الصحاح: العيب والعيبة والعاب بمعنى، تقول: «عاب المتاع»: إذا صار ذا عيب، و(عبته أنا) يتعدى، ولا يتعدى[٣] [**كبيضاء**]؛ أي: فإنها حال من ضمير «يخرج» [**أو من ضميرها**]؛ أي:

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٦/ ١٧٢].

(٢) انظر: اللباب، ابن عادل [١٣/ ٢١٦]. (٣) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٨٤].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾.

(دونك). ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ متعلق بهذا المضمر، أو بما دل عليه (آية)، أو القصة التي دللنا بها، أو فعلنا ذلك لِنُرِيَكَ. و(الْكُبْرى) صفة (آياتِنَا) أو مفعول (نريك) و(مِنْ آياتِنَا) حال منها. ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة. ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ عصى وتكبر.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم؛ سأله أن يشرح صدره، ويفسح قلبه؛ لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه. والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الأمر له بإحداث الأسباب ورفع الموانع، وفائدة (لي) إبهام المشروح والميسر أولاً، ثم رفعه بذكر الصدر والأمر تأكيداً ومبالغة. ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ فإنما يحسن التبليغ من البليغ، وكان في لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه، وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ بلحيته ونتفها، فغضب وأمر بقتله! فقالت آسية: إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت، فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة ووضعها في فيه. ولعل تبييض يده كان لذلك. وقيل: احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ، ثم لما دعاه قال: إلى أي ربٍّ تدعوني؟! قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه! واختلف في زوال

ضمير «بيضاء» [**بهذا المضمر**] هو: خذ أو دونك [**و«الكبرى» صفة آياتنا**]؛ أي: والمفعول الثاني «لنري من آياتنا» [**أو مفعول «نريك»**]؛ أي: مفعوله الثاني [**و«من آياتنا» حال منها**]؛ أي: من «الكبرى» [**وفائدة «لي»**]؛ أي: في الموضعين [**أولا**] متعلق بإيهام الأمرين [**وكأن في لسانه رُتَّة**] هي بضم الراء وبالتاء المثناة العجمة في الكلام قاله الجوهري[1] وغيره.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٢٩].

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾.

العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ [طه: ٣٦] ومن لم يقل؛ احتج بقوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقاً؛ بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكّرها، وجعل (يفقهوا) جواب الأمر، و(من لساني) يحتمل أن يكون صفة (عقدة) وأن يكون صلة (احلل).

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي﴾ يعينني على ما كلفتني به، واشتقاق الوزير إما من: (الوِزْر) لأنه يحمل الثقل عن أميره، أو من: (الوَزَر) وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، ومنه: (الموازرة) وقيل: أصله (أزير) من: (الأزر) بمعنى: القوة، (فعيل)؛ بمعنى: (مفاعل) كـ(العشير والجليس) قلبت همزته واواً كقلبها في (موازر). ومفعولاً (اجعل): (وَزِيراً)، و(هارُونَ) قدم ثانيهما للعناية به، و(لِي) صلة أو حال، أو (لِي وَزِيراً) و(هارُونَ) عطف بيان للـ(وزير)، أو (وَزِيراً مِنْ أَهْلِي) و(لِي) تبيين كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. و(أَخِي) على الوجوه بدل من (هارُونَ) أو مبتدأ خبره: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ على لفظ الأمر. وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الأمر.

[إما من الوِزر]؛ أي: بكسر الواو وسكون الزاي [أو من الوَزر]؛ أي: بفتحها [يعتصم برأيه]؛ أي: يمتنع برأيه من مخالفته [قلبت همزتها]؛ أي: همزة «أزير» وأنثه باعتبار المعنى [أو لي وزيراً] عطف على «وزيراً» و«هارون» [وهارون عطف على بيان للوزير] ردَّ بأن «وزيراً» نكرة، و«هارون» معرفة فلا يكون «عطف بيان» بل «بدل» [أو ﴿وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾] عطف على «وزيراً وهارون» أيضاً وعليه فـ«هارون» بدل لا عطف

۞ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده. ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً بأحوالنا، وأن التعاون مما يصلحنا، وأن هارون نعم المعين لي فيما أمرتني به.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: مسؤولك، فعل بمعنى: مفعول كـ(الخبز والأكل) بمعنى: (المخبوز والمأكول). ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾؛ أي: أنعمنا عليك في وقت آخر. ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ بإلهام، أو في منام، أو على لسان نبي في وقتها، أو ملك. لا على وجه النبوة. كما أوحي إلى مريم. ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ ما لا يعلم إلا بالوحي، أو مما ينبغي أن يوحين ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به.

﴿٣٩﴾ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ بـ: أن اقذفيه، أو أي: اقذفيه لأن الوحي بمعنى: القول. ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ والقذف يقال للإلقاء وللوضع؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦] وكذلك الرمي؛ كقوله: (غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ يَافِعاً). ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ لما كان إلقاء البحر

بيان على ما عرفت[1] [ولا يُبخل به] بضم الياء وفتح الخاء [بـ«أن اقذفيه» أو أي: «اقذفيه»] بيَّن أن «أنْ» تفسير على كل من التقديرين بقرينة قوله [لأن الوحي..] إلى آخره.

[غلام رماه الله بالحسن يافعاً] قال «الكشاف»[2]؛ أي: حصل فيه الحسن

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٢/ ١٢٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٤].

إياه إلى الساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به؛ جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك، وأخرج الجواب مخرج الأمر. والأولى أن تجعل الضمائر كلها لـ(موسى) مراعاة للنظم، فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل، وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ جواب (فَلْيُلْقِهِ) وتكرير (عَدُوٌّ) للمبالغة، أو لأن الأول باعتبار الواقع، والثاني باعتبار المتوقع. قيل: إنها جعلت في التابوت قطناً، ووضعته فيه ثم قبرته، وألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر؛ فدفعه الماء إليه، فأداه إلى بركة في البستان، وكان فرعون جالساً على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم، فأمر به فأخرج ففتح؛ فإذا هو صبي ـ أصبح الناس وجهاً ـ فأحبه حبّاً شديداً كما قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾؛ أي: محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك؛ فلذلك أحبك فرعون! ويجوز أن يتعلق (مِنِّي) بـ(أَلْقَيْتُ)؛ أي: أحببتك؛ ومن أحبّه الله أحبته القلوب. وظاهر اللفظ: أن اليم ألقاه بساحله ـ وهو شاطئه ـ؛ لأن الماء يسحله فالتقط منه. لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ لتربّى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك. والعطف على علة مضمرة مثل: ليتعطف عليك، أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك. وقرئ: (ولتصنع) بكسر اللام وسكونها، والجزم على أنه أمر (وَلِتَصْنَعَ) بالنصب وفتح التاء؛ أي: وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري.

ووضعه فيه انتهى واليافع المرتفع [مطيع] صفة لذو تمييز وكذا قوله [أمره بذلك] وعبارة «الكشاف»[1] كأنه ذو تمييز أمر بذلك [ثم قيّرَتْهُ]؛ أي: طَلَتْهُ بالقَار؛ أي: «الزّفت» [وكان يَشرع] بفتح الياء؛ أي: «يسيل» [فدفعه الماء إليه]؛ أي: إلى «بستان فرعون» [فأدّاه]؛ أي: أوصله [بسحله]؛ أي: أوصله بحره [فُوَّهة النهر] بفتح الواو

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٤].

۞ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ ظرف لـ(أَلْقَيْتُ) أو (لِتُصْنَعَ) أو بدل من: (إِذْ أَوْحَيْنا) على أن المراد بها وقت متسع. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ وذلك لأنه كان لا يقبل ثدي المراضع، فجاءت أخته «مريم» متفحصة خبره؛ فصادفتهم يطلبون له مرضعة يَقْبَل ثديها! فقالت: (هَلْ أَدُلُّكُمْ) فجاءت بأمه فَقَبِلَ ثديها. ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ وفاءً بقولنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧] ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك. ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ هي بفراقك، أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي. ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ غمِّ قتله خوفاً من عقاب الله تعالى، واقتصاص فرعون؛ بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى «مدين». ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ وابتليناك ابتلاء، أو أنواعاً من الابتلاء؛ على أنه جمع: (فِتْن) أو (فِتْنَة) على ترك الاعتداد ـ بالتاء كـ(حُجُوز وبُدُور) في (حُجْزَة وبَدْرَة) ـ فخلّصناك مرة بعد أُخْرَى؛ وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الأُلّاف، والمشي راجلاً على حذر، وفقد الزاد، وأجر نفسه، إلى غير ذلك. أو لهُ ولما سبق ذكره. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين، و«مدين» على ثمان مراحل من مصر. ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر. أو على مقدار

المشددة؛ أي: ساحل النهر [**على أن المراد بها وقت متسع**] جواب ما يقال: كيف يصح القول والوقتان مختلفان؟ فإجابته: بأن يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل: «لقيت فلاناً سنة كذا!» فتقول: «وأنا لقيته إذْ ذاك» وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها.

[**أوله: وَلِمَا سبقَ ذِكْرُه**] عطف على «لِمَا نَالَهُ».

۞ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

من السنّ يوحى فيه إلى الأنبياء. ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ واصطفيتك لمحبتي؛ مَثَّلَهُ فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه. ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾ بمعجزاتي. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ ولا تفترا ولا تقصرا، وقرئ: (تِنِيَا) بكسر التاء. ﴿فِى ذِكْرِى﴾ لا تنسياني حيثما تقلبتما. وقيل: في تبليغ ذكري والدعاء إليّ.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أمر به أولاً موسى وحده، وههنا إياه وأخاه فلا تكرير. قيل: أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى، وقيل: سمع بمقبله فاستقبله. ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ مثل ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩] فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة؛ حذراً أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما، أو احتراماً لما له من حق التربية عليك. وقيل: كنياه وكان له ثلاث كنى: أبو العباس، وأبو الوليد، وأبو مرّة. وقيل: عِدَاهُ شباباً لا يهرم بعده، وملكاً لا يزول إلا بالموت. ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ متعلق بـ(اذْهَبا) أو (قولا)؛ أي: باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما؛ فإن الراجي مجتهد والآيس متكلف. والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة

[مثله فيما خوَّله..] إلى آخره. أشار به إلى أنَّ «اصطفيتك لنفسي» استعارة تمثيلية إذ لا يصحُّ إجراؤه على ظاهره لاستغنائه تعالى عن ذلك [وقيل: عِدَاه] بكسر العين أمْرٌ مِنَ الوعد [أنه يثمر] عبارة «الكشاف»[1] أن يثمر عمله

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٧].

۞ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

وقطع المعذرة، وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق، والخشية للمتوهم، ولذلك قدم الأول؛ أي: إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر؛ فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أن يعجل علينا بالعقوبة، ولا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة، من: (فرط) إذا تقدم، ومنه: (الفارط)، وفرس فرط؛ يسبق الخيل. وقرئ: (يُفَرِّط) من أفرطته إذا حملته على العجلة؛ أي: نخاف أن يحمله حامل من استكبار، أو خوف على الملك، أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب، و(يَفْرُط) من الإفراط في الأذية. ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أو أن يزداد طغياناً فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته، وقساوته. وإطلاقه من حسن الأدب. ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بالحفظ والنصر. ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل؛ فأحدث في كل ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما. ويجوز أن لا يقدر شيء؛ على معنى: إنني حافظكما سامعاً ومبصراً. والحافظ إذا كان قادراً سميعاً بصيراً تمّ الحفظ.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أطلقهم.

[وقرئ «يُفْرَط»]؛ أي: بالبناء للمفعول[(١)] ولهذا عقبه «الكشاف»[(٢)] بقوله: «من أفرطه غيره» لا بقوله: «فرطته» كما فعل المصنف [ويُفرِط]؛ أي: وقرئ «يفرط»

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٤٠]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٧].

۞ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان؛ فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم، ويتعبونهم في العمل، ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام. وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان، ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة، وإنما وحَّد (الآية) وكان معه آيتان؛ لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة الحجة وتعددها، وكذلك قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ [الأعراف: ١٠٥]، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠]. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين، أو السلامة في الدارين لهم. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل. ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه؛ لأن التهديد في أول الأمر أهم وأنجع، وبالواقع أليق.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ أن بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به. ولعله حذف لدلالة الحال عليه؛ فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة، وإنما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء! لأنه الأصل وهارون وزيره وتابعه، أو لأنه عرف أن له رتة ولأخيه فصاحة، فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]. ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الأنواع ﴿خَلْقَهُۥ﴾ صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له، أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه

بالبناء للفاعل[1] [وشكله] في نسخة: «مشكلة» والأَوْلى ما في «الكشاف»[2] وهو

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٣/٢٥٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/٦٨].

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

ويرتفقون به؛ فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه. وقيل: أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجاً. وقرئ: (خَلَقَهُ) صفة للمضاف إليه، أو المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفاً؛ أي: أعطى كل مخلوق ما يصلحه. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما أُعْطِي، وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله اختياراً أو طبعاً، وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها، ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى، وأن جميع ما عداه مفتقر إليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله؛ ولذلك بهت الذي كفر، وأفحم عن الدخل عليه فلم ير إِلَّا صَرْفَ الكلام عنه.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة. ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾؛ أي: هو غيب لا يعلمه إلا هو، وإنما أنا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به. ﴿فِي كِتَٰبٍۖ﴾ مثبت في اللوح المحفوظ، ويجوز أن يكون تمثيلاً لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم، وقيده بالكتبة؛ ويؤيده: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ و(الضلال): أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه، والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك، وهما محالان على العالم بالذات. ويجوز أن يكون سؤاله دخلاً على إحاطة قدرة الله بالأشياء كلها، وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة؛ بأن ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها،

المعروف [لأنه المقصود بيانه] الأَوْلى «لأنّ».

[ثم عرَّفه]؛ أي: عَرَّفَ اللهُ الحيوانَ الكائنَ من المخلوق [اختياراً] كما في الآدمي [أو طبعاً] كما في البهيمة.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

والقرون الخالية مع كثرتهم، وتمادي مدتهم، وتباعد أطرافهم، كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم؟! فيكون معنى الجواب: أن علمه تعالى محيط بذلك كله، وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى.

﴿٥٣﴾ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ مرفوع صفة لـ(رَبِّي) أو خبر لمحذوف، أو منصوب على المدح. وقرأ الكوفيون ـ هنا وفي الزخرف ـ: (مَهْداً)؛ أي: كالمهد تتمدونها، وهو مصدر سمي به، والباقون: (مِهَاداً) وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع: (مهد) ولم يختلفوا في الذي في «النبأ». ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً بين الجبال والأودية والبراري؛ تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ عدل به عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة، وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته، وعلى هذا نظائره كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ [النمل: ٦٠] الآية. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض. ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾ بيان أو صفة لـ(أزواجاً) وكذلك: ﴿شَتَّىٰ﴾ ويحتمل أن يكون صفة لـ(نَباتٍ) فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع، وهو جمع: (شتيت) كمريض ومرضى؛ أي: متفرقات في الصور والأغراض، والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال:

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ وهو حال من ضمير (فَأَخْرَجْنا) على إرادة القول؛ أي: أخرجنا أصناف النبات قائلين: كُلُوا وَارْعَوْا. والمعنى:

۞ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾.

معديها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل، وارتكاب القبائح! جمع: (نهية). ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم، وأول مواد أبدانكم. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت وتفكيك الأجزاء. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ بتأويل أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الأرواح إليها.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ بصّرناه إياها أو عرفناه صحتها. ﴿كُلَّهَا﴾ تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد، على أن المراد بآياتنا؛ آيات معهودة وهي: الآيات التسع المختصة بموسى، أو أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أراه آياته، وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات ﴿فَكَذَّبَ﴾ موسى من فرط عناده. ﴿وَأَبَىٰ﴾ الإيمان والطاعة لعتوه. ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ أرض مصر. ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ هذا تعلل وتحيّر، ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه؛ فإن الساحر لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

﴿٥٨﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ مثل سحرك. ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعداً لقوله: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان، وانتصاب: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ بفعل دل عليه المصدر لا به لأنه موصوف، أو بأنه بدل من (مَوْعِداً) على تقدير (مكان) مضاف إليه، وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله:

[لا به]؛ أي: لا بالمصدر؛ لأنه وصف وهو رد على «الكشاف» حيث جوّز نصبه به [أو أنه بدل] عطف على «فعل» والمعنى: انتصابه بـ«فعل» أو بأنه بدل [على تقدير مكان مضاف إليه]؛ أي: إلى «موعداً» بمعنى أو مكان موعد

۞ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من حيث المعنى؛ فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم، أو بإضمار مثل: مكان موعدكم مكان يوم الزينة، كما هو على الأول، أو وعدكم وعد يوم الزينة، وقرئ: (يومَ) بالنصب، وهو ظاهر في أن المراد بهما المصدر، ومعنى (سُوىً): منتصفاً يستوي مسافته إلينا وإليك وهو في النعت كقولهم: (قوم عدي في الشذوذ)، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم، وقيل: في (يَوْمُ الزِّينَةِ) يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم عيد كان لهم في كل عام، وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار. ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ عطف على (اليَوْمُ) أو (الزِّينَةِ)، وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون، والياء على أن فيه ضمير (اليَوْمُ) أو ضمير (فِرْعَوْنُ) على أن الخطاب لقومه.

﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ ما يكاد به؛ يعني: السحرة

[أو بإضمار مثل مكان موعدكم] هو وما بعده عطف على قوله: «من حيث المعنى»[1] [كما هو]؛ أي: المكان مضمر [على الأول]؛ أي: موعد بتقدير البدلية منه.. إلى آخره. [في أن المراد بهما]؛ أي: بالموعدين [منتصفاً] عبارة «الكشاف»[2]: متصفاً. وكلٌّ صحيح، قال: وقُرئ «سويٌّ» وسوي بالكسر والضم ومنوناً وغير منون [وهو في النعت كقولهم: قوم عدا في السدود] إذ جمع «فعول» لم يأت على «فعل» إلا في هذين كما في الصحاح إذ قياسه «أفعال» فيقال: «قوم أسواء وأعداء» [على الخطاب]؛ أي: في موعدكم [لقومه] دونه.

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٦/ ١٨٤].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٧٣].

۞ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾.

وآلاتهم. ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بأن تدعوا آياته سحراً ﴿فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ﴾ فيهلككم ويستأصلكم، وبه قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من: (الإسحات) وهو لغة نجد وتميم، و(السحت) لغة الحجاز. ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ كما خاب فرعون، فإنه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه! فقال بعضهم: ليس هذا من كلام السحرة! ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ بأن موسى إن غلبنا اتبعنا، أو تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى، وتشاوروا في السّر. وقيل: الضمير لـ(فرعون وقومه) وقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ تفسير لـ(أَسَرُّوا النَّجْوى) كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذراً أن يغلبا فيتبعهما الناس، و(هذانِ) اسم (إنْ) على لغة «بلحرث بن كعب» فإنهم جعلوا الألف للتثنية، وأعربوا المثنى تقديراً. وقيل: اسمها ضمير الشأن المحذوف و(هذانِ لَساحِرانِ) خبرها. وقيل: (إنْ) بمعنى (نعم) وما بعدها مبتدأ وخبر، وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ. وقيل: أصله: إنه هذان لهما ساحران؛ فحذف الضمير وفيه أن المؤكد باللام لا يليق به الحذف، وقرأ أبو عمرو: (أن هذين) وهو ظاهر، وابن كثير وحفص: (إنْ هذانِ) على أنها هي المخففة و(اللام) هي الفارقة، أو النافية، و(اللام) بمعنى (إلا). ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم﴾ بالاستيلاء عليها. ﴿بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار؛ مذهبهما وإعلاء دينهما لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر: ٢٦]. وقيل: أرادوا أهل طريقتكم وهُم بنو إسرائيل؛ فإنهم كانوا أرباب عِلْم فيما بينهم لقول موسى: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: ٤٧]. وقيل:

۞ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى
إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾﴾.

(الطريقة): اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث إنهم قدوة لغيرهم.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ فأزمعوه واجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلف عنه واحد منكم. وقرأ أبو عمرو: (فَاجْمَعُوا) ويعضده قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه: ٦٠] والضمير في (قالُوا) إن كان للـ(السحرة) فهو قول بعضهم لبعض. ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ مُصْطَفِّيْنَ؛ لأنه أهيب في صدور الرائين. قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل عصا، وأقبلوا عليه إقبالة واحدة. ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾؛ أي: بعد ما أتوا مراعاة للأدب و(أَنْ) بما بعده منصوب بفعل مضمر، أو مرفوع بخبرية محذوف؛ أي: اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا.

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم، وإسعافاً إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في شقهم، وتغيير النظم إلى وجهٍ أبلغ؛ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفذوا أقصى وسعهم، ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه. ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾؛ أي: فألقوا فإذا حبالهم وعصيهم. وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضاً ظرفية تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة تضاف إليها؛ لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى: فألقوا ففاجأ

[والضمير في «قالوا» إنْ كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض] سكت عن قسيمه، وكأنه وإن كان «لهم ولفرعون» فهو قولهم لأنفسهم **[ولأن يبرزوا ما معهم]** عطف على مقابله أدب بأدب، والمعنى: «بمقابله أدب بأدب ولأن يبرزوا» **[والجملة ابتدائية]** أُلحق

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾.

موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم؛ وذلك بأنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت، فخيل إليه أنها تتحرك. وقرأ ابن عامر وروح: (تُخَيِّلُ) بالتاء على إسناده إلى ضمير (الحبال والعصي)، وإبدال (أنها تَسْعى) منه بدل الاشتمال، وقرئ: (يُخِيِّلُ) بالياء على إسناده إلى (الله)، و(تَخَيَّلُ) بمعنى تتخيل.

۝٦٧ ـ ۝٦٩ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجِبِلّة البشرية، أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه. ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ ما توهمت. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ تعليل للنهي، وتقرير لغلبته مؤكداً بالاستئناف، وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر، ولفظ (العلو) الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل. ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ أبهمه. ولم يقل: عصاك! تحقيراً لها؛ أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم، وألق العويدة التي في يدك، أو تعظيماً لها؛ أي: لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها؛ فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثراً فألقه. ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى، وأصله (تتلقف) فحذفت إحدى التاءين، وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبب.

بها الفعلية إذا سبقها، قد تقول: «خرجتُ فإذا قد ضرب زيد عمروا» وإنما أُلحقت بها لشبهها بها في دخول واو الحال، تقول: «جاء زيد وقد ضحك» كما تقول: «جاء زيد وهو ضاحك» ولا تقول: «جاء زيد وضحك» إلا في الضرورة[1] **[وحرف التحقيق]** هو «أنَّ» **[وتاء المضارعة يحتمل التأنيث]** على إسناد الفعل إلى «العصا».

[والخطاب على إسناد الفعل إلى المسبِّب] بكسر الباء، وهو «موسى» ولو

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٦/١٨٨].

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.

وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال أو الاستئناف، وحفص بالجزم والتخفيف على أنه من: (لقفته) بمعنى: تلقفته. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوٓاْ﴾ أن الذي زوّروا وافتعلوا ﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ وقرئ بالنصب على أن (ما) كافة وهو مفعول (صنعوا). وقرأ حمزة والكسائي: (سحر) بمعنى: ذي سحر، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة، أو بإضافة (الكيد) إلى (السحر) للبيان كقولهم: عِلْمُ فِقه. وإنما وحَّد الساحر؛ لأن المراد به الجنس المطلق؛ ولذلك قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: هذا الجنس، وتنكير الأول لتنكير المضاف كقول العجاج:

يَوْمَ تَرَى النُّفُوسُ مَا أَعَدَّتْ فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَما قَدْ مَدَّتْ

كأنه قيل: إنما صنعوا كيد سحري. ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ حيث كان وأين أقبل.

﴿٧٠﴾ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي: فألقى فتلقفت، فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر؛ وإنما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته، فألقاهم ذلك على وجوههم؛ سجّداً لله توبة عما صنعوا، وإعتاباً وتعظيماً لما رأوا. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هارون لكبر سنّه، أو لروي الآية، أو لأن فرعون ربّى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى، أو قدم ذكره لربما

قال: «إلى السبب» كان أوضح [**وقرأ ابن عامر**]؛ أي: من طريق ابن ذكوان [**كقول العجاج**:

يوم ترى النفوس ما أَعَدَّتِ ....]

أي: جعلته عدة [**في سَعْي دنياً طالما**] «ما» كافة أو مصدرية [**أمدت**][١]؛ أي: وقد أُمْهِلَت النفوس في جمع دنياها وتهيئة أسبابها، ونَكَّر «دُنيا» لتنكير «السعي»؛ إذ لو عَرَّفها صار «السعي» معرفة والمراد تنكيره والمراد في السعي ما [**وأعتابا**]؛ أي:

---

(١) انظر: شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي، أبو علي القيسي المقرئ [ص١٤٤].

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾.

توهم أن المراد فرعون، وذكر هارون على الاستتباع. روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها.

﴿٧١﴾ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾؛ أي: لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع. وقرأ قنبل وحفص: (آمنم له) ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ في الإيمان له ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ لعظيمكم في فنّكم وأعلمكم به، أو لأستاذكم. ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم. ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، و(من) ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو، وهي مع المجرور بها في حيّز النصب على الحال؛ أي: لأقطعنها مختلفات وقرئ: (لأَقْطَعَنَّ) (ولأَصْلُبَنَّ) بالتخفيف. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ شبّه تمكن المصلوب بالجذع؛ بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يريد نفسه وموسى لقوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ و(اللام) مع (الإيمان) في كتاب الله لغير الله! أراد به توضيع موسى والهزء به؛ فإنه لم يكن من التعذيب في شيء. وقيل: رب موسى الذي آمنوا به. ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ وأدوم عقاباً.

﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ موسى به، ويجوز أن يكون الضمير فيه لـ(ما). ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الواضحات.

لفرعون بسجودهم [**واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله**] كقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] [**ويجوز أن يكون الضمير فيه**]؛ أي: في «جاءنا» [لـ«ما»]؛

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطف على (ما جاءنا) أو قسم. ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ ما أنت قاضيه؛ أي: صانعه أو حاكم به. ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ إنما تصنع ما تهواه، أو تحكم بما تراه في هذه الدنيا ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده. وقرئ: (تُقْضَى هذهِ الحياةُ الدنيا) كقولك: صِيْمَ يومُ الجمعة. ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ من معارضة المعجزة. روي: أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً! فوجدوه تحرسه العصا! فقالوا: ما هذا بسحر! فإن الساحر إذا نام بطل سحره! فأبى إلا أن يعارضوه. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ جزاء، أو خير ثواباً، وأبقى عقاباً.

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ بأن يموت على كفره وعصيانه. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح. ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة مهنأة. ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الدنيا. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ المنازل الرفيعة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من (الدرجات) ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

أي: في قوله: «على ما جاءنا» **[وقُرئ: «إنما تُقْضَى هذه الحيوة»]**؛ أي: بالبناء للمفعول(١) كما نظره بقوله: «كقولك صيم يوم الجمعة»، وجعله الزمخشري توجيها لهذه القراءة حيث قال: ووجهها أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقولك في: «صمت يوم الجمعة» «صيم يوم الجمعة»(٢).

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/٢٦].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/٧٨].

۞ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال، والعامل فيها معنى الإشارة أو الاستقرار. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من أدناس الكفر والمعاصي. والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة، وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾؛ أي: من مصر ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ فاجعل لهم، من قولهم: (ضرب له في ماله سهماً) أو فاتّخذ؛ من: (ضرب اللبن) إذا عمله. ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يابساً؛ مصدر وصف به يقال: (يبس يُبْساً ويَبَساً) كـ(سقم سُقْماً وسَقَماً)، ولذلك وصف به المؤنث فقيل: شاة يبس؛ للتي جفَّ لبنُها، وقرئ: (يَبْسَا) وهو إما مخفف منه، أو وصف على فعل كـ(صعب) أو جمع: يابس كـ(صحب) وصف به الواحد مبالغة كقوله:

كَأَنَّ قُتُودَ رَحْلِي حِينَ ضَمَّتْ حَوَالِبَ غُرزاً وِمِعاً جِيَاعاً

أو لتعدده معنى فإنه جعل لكل سبط منهم طريقاً. ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾

[والآيات الثلاث] هي من قوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] إلى قوله: ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦] [كقوله:

كأن قتودَ رحلي حينَ ضَمَّتْ حَوَالبَ غُرَّزاً ومِعاً جياعا](١)

«القتود»: جمع: قتاد وهو خشب الرحل، و«حوالب»: مفعول «ضمت» وهو جمع حالب والمراد: المحلوبة، و«غُرَّزا»: بتقديم الراء على الزاي جمع غارز وهي الناقة التي قلّ لبنها وهو صفة حوالب، و«مِعاً»: بكسر الميم المصران، وهو عطف على حوالب: و«جياعاً» صفة «مِعاً» وفيه الشاهد: حيث وصف فيه الواحد بالجمع، فجعل «المِعَا» لفرط جوعه كجماعة جياع، وخبر كان قوله: «على وحشية» في ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قوله بعد هذا البيت:

---

(١) البيت للقُطامي. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٧/ ١٢٣].

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾.

حال من المأمور؛ أي: آمنا من أن يدرككم العدو، أو صفة ثانية والعائد محذوف، وقرأ حمزة: (لا تخف) على أنه جواب الأمر. ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ استئناف؛ أي: وأنت لا تخشى، أو عطف عليه والألف فيه للإطلاق كقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] أو حال بالواو والمعنى: ولا تخشى الغرق.

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وذلك أن موسى خرج بهم أول الليل فأُخْبِرَ فرعون بذلك فقصّ أثرهم. والمعنى: فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده؛ فحذف المفعول الثاني. وقيل: (فَأَتْبَعَهُمْ) بمعنى: (فاتّبعهم) ويؤيده القراءة به و(الباء) للتعدية، وقيل: (الباء) مزيدة، والمعنى: فاتّبعهم جنوده وذادهم

على وحشية خِذْلٍ خَلُوجٍ[١] وكان لها فَتَى طِفْلٍ فضاعا
فَكَرَّتْ تَتّبِعُهُ فصادَفَتْهُ على دَمِهِ ومصرعِهِ السِّبَاعا[٢]

و«الخذل»: تخلف الظبي مثلاً عن القطيع، و«الخَلُوج»: مِنَ النُّوق التي اختلج عنها ولدها فقَلّ لذلك لبنُها، والمعنى: أنه شبه حالة قتود رَحله حين شدت على ناقته المصرّة[٣] بحالة شدها على وحشية فَقَدَت ولدها فالتشبيه مركب **[أو صفة ثانية]** بالنسبة لـ«يَبَساً»؛ أي: أو ثالثة بالنسبة لـ«في البحر» و«يَبَساً» **[والعائد محذوف]** تقديره فيه **[أو عطف عليه]**؛ أي: على «لا تخف» في قراءة حمزة **[والألف للإطلاق]** أما على قراءة غيره فهو عطف على «لا تخاف» والألف أصلية.

[وذادهم] بذال معجمة ثم مهملة بينهما ألف؛ أي: ساقهم

---

(١) **ناقة خَلُوج**: إذا جُذِبَ عنها ولدها بذبح أو موت. إصلاح المنطق، ابن السكيت [ص٧٧].
(٢) الكتاب، سيبويه [١/ ٢٨٤].
(٣) **المصرَّة**: التي قلَّ لبنها من المعز خاصة. المزهر في علوم اللغة، السيوطي [١/ ٣٤١].

۞ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ۝٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ۝٨٢﴾.

خلفهم. ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ الضمير لـ(جنوده) أو (له ولهم)، وفيه مبالغة ووجازة؛ أي: غشيهم ما سمعت قصته، ولا يعرف كنهه إلا الله. وقرئ (فَغَشَّاهُم ما غَشَّاهُم)؛ أي: غطاهم ما غطاهم، والفاعل هو الله تعالى، أو ما غشاهم، أو فرعون؛ لأنه الذي ورَّطهم للهلاك. ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: أضلهم في الدين، وما هداهم، وهو تهكُّم به في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] أو أضلهم في البحر وما نجا.

۝٨٠ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون؛ على إضمار (قلنا)، أو للذين منهم في عهد النبي ﷺ بما فعل بآبائهم. ﴿قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون وقومه. ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ بمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه. وإنما عدَّ المواعدة إليهم وهي لموسى، أو له وللسبعين المختارين؛ للملابسة. ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾؛ يعني: في التيه.

۝٨١ ـ ۝٨٢ ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ لذائذه أو حلالاته، وقرأ حمزة والكسائي: (أَنْجَيْتُكُم) (وَوَاعَدْتُكُم) و(ما رَزَقْتُكم) على التاء.

[وهو تهكم به في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]] يُوضّح التهكم أن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ من باب التلميح، وهو أن يشار في أثناء الكلام إلى قصة أو شعر أو مثل من غير ذكره[1] فإن مجيء «ما هدى» إشارة إلى ادعاء اللعين إرشاد القوم في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ هو كمن ادعى دعوى وبالغ فيها فإذا حان وقتها ولم يأت بها قيل له: «ما أتيت بما ادعيت» تهكما.

---

(١) مختصر المعاني، التفتازاني [٢٩٥].

۞ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾.

وقرئ: (ووعدتُكُم) (ووَعَدْنَاكم)، والأيمن بالجر على الجوار مثل: جحر ضب خرب. ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه؛ كالسرف، والبطر، والمنع عن المستحق. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ فيلزمكم عذابي، ويجب لكم من حِلَّ الدَّيْن إذا وجب أداؤه. ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ فقد تردى وهلك، وقيل: وقع في الهاوية، وقرأ الكسائي: (يَحِلُّ) و(يَحْلُلُ) بالضم من: (حَلَّ يحل) إذا نزل. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ عن الشرك. ﴿وَءَامَنَ﴾ بما يجب الإيمان به. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ ثم استقام على الهدى المذكور.

٨٣ ـ ٨٤ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها؛ من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظم عليهم؛ فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾؛ أي: ما تقدمتهم إلا بخطأ

[**وقُرئ «ووعدتكم» «ووعدناكم»**] الأولى: شاذة، والثانية: قرأ بها أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب كما عرف من كلامه في «البقرة»[1] [**و«الأيمن» بالجر على الجوار**] أو على أنه نعت «للطور» لما فيه من اليمن أو لكونه على يمين من يستقبل الجبل [**وإيهام التعظيم عليهم**]؛ أي: تعظيم نفسه عليهم [**فلذلك**]؛ أي: فلكون ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ سؤالاً عن سبب العجلة وإنكاراً لها [**أجاب موسى عن الأمرين**] هما السؤال عن سببها وإنكارها في نفسها[2] [**وقدم جواب الإنكار**]؛ أي: بقوله: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٤] ثم أجاب عن الآخر بقوله: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ١٧٠].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٣٣].

۞ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾.

يسيرة لا يعتد بها عادة، وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضاً. ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك، والوفاء بعهدك توجب مرضاتك.

﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم؛ وهم الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف، ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفاً. ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ باتخاذ العجل والدعاء إلى عبادته، وقرئ: (وَأَضَلُّهُمْ)؛ أي: أشدهم ضلالاً؛ لأنه كان ضالاً مضلاً، وإن صح أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين، وقالوا: قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل. وإن هذا الخطاب كان له عند مقدمه؛ إذ ليس في الآية ما يدل عليه، كان ذلك إخباراً من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته؛ فإن أصل وقوع

[**وإن صحَّ أنهم أقاموا على الدين بعد ذهابه..**] إلى آخره. شرط جوابه [**كان ذلك اختياراً..**] إلى آخره. والغرض منه الجواب عن ما يقال: كيف التوفيق بين هذا الدال على أن الإضلال بعد مقدم موسى وبين قوله لموسى عند مقدمه: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥] الدال على أنه قبله؟ فأجاب بأنه تعالى أخبر عن الفتنة المرتقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته في التعبير عن المستقبل بالماضي(١) كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] وأجيب أيضاً بأن السامري شرع في تدبير الأمر لما غاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان بدأ الفتنة موجوداً ثم رجع موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين، وقوله: «إذ ليس في الآية ما يدل

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٢/ ٨٧].

۞ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته، و(السَّامِرِيُّ) منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: (السامرة). وقيل: كان علجاً من «كرمان». وقيل: من أهل «باجرماء» واسمه «موسى بن ظفر» وكان منافقاً. ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة ﴿غَضْبَـٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ حزيناً بما فعلوا ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وبأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾؛ أي: الزمان، يعني: زمان مفارقته لهم. ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ يجب عليكم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادة ما هو مثل في الغباوة. ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله، والقيام على ما أمرتكم به، وقيل: هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف فيه؛ أي: فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين، وهو لا يناسب الترتيب على الترديد، ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٩﴾ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ بأن ملكنا أمرنا؛ إذ لو

عليه؛ أي: على أن الخطاب كان موجوداً عند مقدمه لجواز تأخره عنه».

[**وقيل: كان علجاً**] قال ابن الأثير: العلج القوي الضخم والعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم(١) [**وقيل: من أهل بَاجَرْما**] هي قرية من قرى الموصل(٢) [**وهو**]؛ أي: التفسير الثاني [**لا يناسب للترتيب**]؛ أي: ترتيبه [**على الترديد**] المذكور قبله [**ولا على الشق الذي يليه**]؛ أي: وهو ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [طه: ٨٦] [**ولا جوابهم له**]؛ أي: وهو قوله: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا﴾ إلى آخره.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/ ٣٩٥].

(٢) **باجَرْما**: بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة، من أعمال البَليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة. معجم البلدان، ياقوت الحموي [١/ ٢١٨].

خُلِّيْنَا وأمرُنا، ولم يسوّل لنا السامري لما أخلفناه. وقرأ نافع وعاصم: (بِمَلْكِنا) بالفتح وحمزة والكسائي بالضم، وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر: ملكت الشيء. ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ حُمّلنا أحمالاً من حلى القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس. وقيل: استعاروا لعيد كان لهم، ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به، وقيل: هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه. ولعلهم سموها أوزاراً؛ لأنها آثام، فإن الغنائم لم تكن تحل بعد، أو لأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي. ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾؛ أي: في النار. ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾؛ أي: ما كان معه منها. روي: أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري: إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حُلِيّ القوم وهو حرام عليكم، فالرأي أن نحفر حفيرة، ونسجر فيها ناراً، ونقذف كل ما معنا فيها، ففعلوا. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وروح: (حَمَلْنا) بالفتح والتخفيف. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ من تلك الحلي المذابة. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت العجل. ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ يعني: السامري ومن افتتن به أول ما رآه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾؛ أي: فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور، أو فنسي السامري؛ أي: ترك ما كان عليه من إظهار الإيمان. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أفلا يعلمون ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أنه لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً. وقرئ: (يَرْجِعَ) بالنصب، وفيه ضعف لأن (أن) الناصبة لا

[**مخافة أن يعلموا به**]؛ أي: بالخروج [**وقيل: هي ما ألقاه البحر**]؛ أي: من حليهم [**وقرأ أبو عمرو**] إلى قوله: «حَمَلْنا» بالفتح والتخفيف؛ أي: وقرأ الباقون بالضم وكسر الميم المشددة إلا أبا جعفر فخفف الميم[(١)] [**ومن افتتن به**]؛ أي: بالعجل [**أول ما رآه**] متعلق بـ«افتتن».

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٤٧].

۞ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾.

تقع بعد أفعال اليقين! ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولا يقدر على إنفاعهم وإضرارهم.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى، أو قول السامري؛ كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادرَ تحذيرهم. ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا غيره ﴿فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ في الثبات على الدين ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ﴾ على العجل وعبادته ﴿عَٰكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول.

﴿٩٢﴾ - ﴿٩٤﴾ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾؛ أي: قال له موسى حين رجع: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به، أو أن تأتي عقبي وتلحقني. و(لا) مزيدة كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه. ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ خص الأمَّ استعطافاً وترقيقاً، وقيل: لأنه كان أخاه من الأم، والجمهور على أنهما كانا من أب وأم. ﴿تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾؛ أي: بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله. وكان عليه الصلاة والسلام حديداً خشناً متصلباً في كل شيء؛ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل! ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ

[كأنه]؛ أي: هارون [**أول ما وقع عليه**]؛ أي: على العجل [**وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول**]؛ أي: وهو قوله: من قبل رجوع موسى.

۞ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾.

بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ حين قلت: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة لهم إلى أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك.

﴿٩٥﴾ - ﴿٩٦﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ﴾؛ أي: ثم أقبل عليه، وقال له منكراً: ما خطبك! أي: ما طلبك له وما الذي حملك عليه. وهو مصدر؛ (خطب الشيء) إذا طلبه. ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب؛ أي: علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له؛ وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني لا يمس أثره شيئاً إلا أحياه، أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل جاءك على فرس الحياة. وقيل: إنما عرفه لأن أمّه ألقته حين ولدته خوفاً من فرعون! وكان جبريل يغذوه حتى استقل. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ من تربة موطئه، و(القبضة): المرّة من القبض فأطلق على المقبوض؛ كضرب الأمير، وقرئ بالصاد، والأول: للأخذ بجميع الكف، والثاني: للأخذ بأطراف الأصابع، ونحوهما: الخضم والقضم.

[**ولم ترقب**]؛ أي: تنتظر [**قولي**] فيما رأيته في ذلك [**في حفظ الدهماء**]؛ أي: الجماعة الكثيرة [**لا تمس أثره**]؛ أي: أثر جبريل؛ أي: أثر دابته وهو التراب [**إنما عرف**]؛ أي: عرف السامري جبريل [**لأن أمه**]؛ أي: أم السامري [**وكان جبريل يغذوه**]؛ أي: «يغذيه» كما في نسخة؛ بجعل كف نفسه في فيه فيرتضع منه العسل واللبن كما قاله ابن عادل(١).

[**ونحوهما الخضم**(٢) **والقضم**] والخاء بجميع الفم، والقاف بمقدّمه

(١) اللباب، ابن عادل [١٣/ ٣٧٠].

(٢) **الخضم**: هو الأكل بجميع الفم. الصحاح، الجوهري [٧/ ٢١٥].

۞ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾.

والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام، ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل، أو أراد أن ينبه على الوقت؛ وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في الحلي المذاب، أو في جوف العجل حتى حَيِيَ. ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ زَيَّنَتْهُ وحَسَّنته لي.

﴿٩٧﴾ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ عقوبة على ما فعلت. ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ﴾ خوفاً من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى ومن مسك؛ فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريداً وحيداً كالوحش النافر! وقرئ: (لَا مَسَاسِ) كـ(فَجَارِ) وهو عَلَمٌ للمسّة. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ في الآخرة. ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥۖ﴾ لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا. وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام؛ أي: لن تخلف الواعد إياه وسيأتيك لا محالة، فحذف المفعول الأول؛ لأن المقصود هو الموعد، ويجوز أن يكون من: (أخلفت الموعد) إذا وجدته خلفاً، وقرئ بالنون على حكاية قول الله. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ﴾ ظللت على عبادته مقيماً. فحذف اللام الأولى تخفيفاً، وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها. ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾؛ أي: بالنار؛ ويؤيده قراءة: (لَنُحَرِّقَنَّهُ)، أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق؛ إذ برد بالمبرد، ويعضده قراءة: (لَنَحْرُقَنَّهُ). ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ ثم لنذرينه رماداً، أو مبروداً، وقرئ: بضم السين. ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ فلا يصادف منه شيء، والمقصود من ذلك زيادة عقوبته، وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر.

[ومن مَسك] بفتح الميم عطف على «مفعول فيأخذك» [لن يخلفك الله]؛ أي: «لن يخلفكه الله»، وتفسيره جاز على قراءة من فتح اللام، وسيأتي تفسيره على قراءة من

۞ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ المستحق لعبادتكم. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة. ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل ما يصح أن يعلم؛ لا العجل الذي يصاغ ويحرق؛ وإن كان حياً في نفسه، كان مثلاً في الغباوة، وقرئ: (وَسَّعَ) فيكون انتصاب (عِلْماً) على المفعولية؛ لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهورة، لكنه فاعل في المعنى؛ فلما عدي الفعل بالتضعيف إلى المفعولين صار مفعولاً.

﴿٩٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الاقتصاص؛ يعني: اقتصاص قصة موسى. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من أخبار الأمور الماضية، والأمم الدارجة؛ تبصرة لك، وزيادة في علمك، وتكثيراً لمعجزاتك، وتنبيهاً وتذكيراً للمستبصرين من أمتك. ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص والأخبار، حقيقاً بالتفكر والاعتبار، والتنكير فيه للتعظيم. وقيل: ذِكْراً جميلاً، وصيتاً عظيماً بين الناس.

﴿١٠٠﴾ ـ ﴿١٠١﴾ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل: عن الله تعالى. ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه؛ سماها (وِزْراً) تشبيهاً في ثقلها على المعاقب، وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره؛ أو إثماً عظيماً. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ في الوزر أو في حمله. والجمع فيه والتوحيد في أعرض للحمل على المعنى واللفظ. ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾؛ أي: بئس

كسرها [فادحة] بالدال المهملة؛ أي: ثقيلة [ويفدح] بأنها؛ أي: بثقل [ويُنقض] بضم الياء فالعطف للتفسير [أو إثماً] عطف على عقوبة [على المعنى واللفظ]؛ أي: في

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

لهم؛ ففيه ضمير مبهم يفسره (حِمْلاً)، والمخصوص بالذم محذوف؛ أي: ساء حملاً وزرهم، واللام في (لَهُمْ) للبيان كما في (هَيْتَ لَكَ) ولو جعلت (ساءَ) بمعنى: (أحزن)، والضمير الذي فيه للـ(الوزر) أشكل أمر (اللام) ونصب (حِمْلاً) ولم يفد مزيد معنى.

﴿١٠٢﴾ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ وقرأ أبو عمرو بالنون على إسناد (النفخ) إلى الآمر به تعظيماً له أو للنافخ. وقرئ بالياء المفتوحة على أن فيه ضمير (الله)، أو ضمير (إسرافيل) وإن لم يجر ذكره؛ لأنه المشهور بذلك، وقرئ: (فِي الصُّوَر) وهو جمع: (صورة) وقد سبق بيان ذلك. ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ وقرئ: (ويحشر المجرمون) ﴿زُرْقًا﴾ زرق العيون؛ وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب؛ لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق العين؛ ولذلك قالوا في صفة العدو: أسود الكيد، أصهب السبال، أزرق العين. أو عمياً؛ فإن حدقة الأعمى تزراق.

﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٤﴾ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول. و(الخفت): خفض الصوت وإخفاؤه. ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها، أو لاستطالتهم مدة الآخرة، أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا أنهم

من [أصهب السبال] «الصهبة»: الشقرة في الشعر وهي حمرة يعلوها سواد قاله ابن الأثير[1] ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾؛ أي: من الأيام، وقيل: من الليالي، وقيل: من

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١٢٩/٣].

۞ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾.

استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات، أو في القبر لقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [غافر: ٤٦] إلى آخر الآيات. ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مدة لبثهم. ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أعدلهم رأياً أو عملاً. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ استرجاح لقول من يكون أشد ثقالاً منهم.

﴿١٠٥﴾ ـ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ عن حال أمرها، وقد سَأل عنها رجل من ثقيف. ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيذر مقارها، أو الأرض، وإضمارها من غير ذكر لدلالة (الْجِبالِ) عليها كقوله: ﴿تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ [النحل: ٦١]. ﴿قَاعًا﴾ خالياً ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوياً؛ كأن أجزاءها على صف واحد. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ اعوجاجاً ولا نتوّاً إن تأملت فيها بالقياس الهندسي. وثلاثتها أحوال مترتبة؛ فالأولان باعتبار الإحساس، والثالث باعتبار المقياس؛ ولذلك ذكر (العِوَج) بالكسر وهو يخص

الساعات [**أو في القبر**] عطف على «في الدنيا» [**استرجاع**]؛ أي: ترجيع منه تعالى [**لقول من يكون أشد تقالّا**] هو من القلة، يقال: تقالّ القوم الشيء؛ أي: استقلوه؛ أي: عدوه قليلاً [**أو تأملت عنها بالقياس الهندسي**] أشار إلى نفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون؛ لأن الهندسي يطلع فيها على ما لا يطلع غيره وقد أشار «الكشاف»(١) إلى بسط بعض ذلك.

[**وثلاثتها**]؛ أي: وهي «قاعاً» و«صفصفاً» ولا «يرى».. إلى آخره. [**ولذلك**]؛ أي: ولكون الثالث باعتبار القياس الذي هو من المعاني، أو قريب منها [**ذكر العوج بالكسر..**] إلى آخره. وفي ذلك إشارة إلى جواب ما يقال: قد قالوا: إن العوج

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٨٩].

۞ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾.

بالمعاني، و(الأمت): وهو النتوء اليسير، وقيل: (لا ترى) استئناف مبين للحالين.

﴿١٠٨﴾ - ﴿١٠٩﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ نسفت؛ على إضافة (اليوم) إلى (وقت النسف)، ويجوز أن يكون بدلاً ثانياً من (يوم القيامة). ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ داعي الله إلى المحشر، قيل: هو إسرافيل يدعو الناس قائماً على صخرة بيت المقدس، فيقبلون من كل أوب إلى صوبه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه. ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ خفضت لمهابته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً، ومنه: (الهميس) لصوت أخفاف الإبل. وقد فسر (الهمس): بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر. ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ الاستثناء من الشفاعة؛ أي: إلا شفاعة من أذن له، أو من أعم المفاعيل؛ أي: إلا من أذن في أن يشفع له فإن الشفاعة تنفعه، فـ(مَنْ) على الأول: مرفوع على البدلية، وعلى الثاني: منصوب على المفعولية. و(أَذِنَ) يحتمل أن يكون من: (الإذن) ومن:

بالكسر في المعاني وبالفتح في الأعيان، والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين؟ فأجاب آخذاً من كلام «الكشاف»[1] وغيره بما حاصله: إن اختيار الكسر حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج والأمت عنها أبلغ ما يكون [مبين للحالين] وهما «قاعاً» و«صفصفاً» [من كل أوب]؛ أي: ناحية [أو من أعم المفاعيل] المراد به المفعول العام؛ أي: لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له [فـ«من» على الأول: مرفوع بالبدلية]؛ أي: وواقع على الشافع.

[وعلى الثاني: منصوب على المفعولية]؛ أي: وواقع على المفعول له [أو من

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/٨٨].

۞ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

(الأذن). ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة، أو رضي لأجله قول الشافع في شأنه، أو قوله لأجله وفي شأنه.

﴿١١٠﴾ ـ ﴿١١١﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما تقدمهم من الأحوال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما بعدهم مما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ ولا يحيط علمهم بمعلوماته، وقيل: بذاته، وقيل: الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما؛ فإنهم لم يعلموا جميع ذلك، ولا تفصيل ما علموا منه. ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ ذلت وخضعت له خضوع العناة، وهم الأساري في يد الملك القهار. وظاهرها يقتضي العموم، ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين؛ فتكون (اللام) بدل الإضافة ويؤيده: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم.

﴿١١٢﴾ ـ ﴿١١٣﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعض الطاعات. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إذ الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا كسراً منه بنقصان أو جزاء ظلم وهضم؛ لأنه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه، وقرئ: (فلا يَخَفْ) على

الأذن]؛ أي: وهو الاستماع [أو رضي لأجله]؛ أي: المشفوع له [قول الشافع في شأنه]؛ أي: في شفاعته [لأجله]؛ أي: الشافع[1] [وقيل: الضمير]؛ أي: في «به» [لأحد الموصولين] وهو «ما» [واللام]؛ أي: في الوجود.

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان [٦/ ٢٠٤].

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾.

النهي. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على: (كذلك نقصّ)؛ أي: مثل ذلك الإنزال، أو مثل إنزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد. ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ كله على هذه الوتيرة. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ مكررين فيه آيات الوعيد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي فتصير التقوى لهم مَلَكة. ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ عظة، واعتباراً حين يسمعونها فتثبطهم عنها. ولهذه النكتة أسند التقوى إليهم، والإحداث إلى القرآن.

﴿١١٤﴾ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم. ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ النافذ أمره ونهيه، الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده. ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في ملكوته يستحقه لذاته، أو الثابت في ذاته وصفاته ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة؛ حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد. وقيل: نهي عن تبليغ ما كان مجملاً قبل أن يأتي بيانه. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾؛ أي: سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال؛ فإن ما أوحى إليك تناله لا محالة.

﴿١١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ولقد أمرناه، يقال: تقدم الملك إليه، وأوعز إليه، وعزم عليه، وعهد إليه؛ إذا أمره، واللام جواب قسم محذوف وإنما عطف قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣] للدلالة على أن

[على هذه الوتيرة]؛ أي: الطريقة [فتثبيطهم]؛ أي: تمنعهم الذكرى [عنها]؛ أي: عن المعاصي [ولهذه النكتة]؛ أي: وهي كون الذكرى تمنعهم عن المعاصي بحيث تصير التقوى لهم ملكة [على سبيل الاستطراد] متعلق بـ«نهي عن الاستعجال» [وأوعز إليه] بزاي؛ أي: أمره كما فسره مع بقية المتعاطفات بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥ﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

أساس بني آدم على العصيان وعِرْقُهم راسخ في النسيان. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذا الزمان. ﴿فَنَسِىَ﴾ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه، أو ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة. ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ تصميم رأي وثباتاً على الأمر؛ إذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره، ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرب الأمور ويذوق شريها وأريها.

وعن النبي ﷺ: «**لو وُزِنَت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه**». وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾. وقيل: عزماً على الذنب؛ لأنه أخطأ ولم يتعمده. و(نَجِدْ) وإن كان من الوجود الّذي بمعنى العلم فـ(لَهُ عَزْماً) مفعولاه، وإن كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من (عزماً) أو متعلق بـ(نجد).

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٧﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ مقدّر بـ(اذكر)؛ أي: اذكر حاله في ذلك الوقت؛ ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات. ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ قد سبق القول فيه. ﴿أَبَىٰ﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود؛ وهو الاستكبار، وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل (السجود) المدلول عليه بقوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ لأن المعنى أظهر الإباءة عن المطاوعة. ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ فلا يكونن

[وتذوق شريها وأريها] «الشَّرْي»: الحنظل، والأَرْي العسل **[بحلم آدم]** هو بكسر الحاء الأناة والتثبت في الأمور. قاله ابن الأثير[1].

[لا يقدر له مفعول..]. . . . إلى آخره؛ أي: فلا يقال إلى السجود

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١/ ٤٧٤].

۞ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾.

سبباً لإخراجكما، والمراد: نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما. ﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد إشراكهما في الخروج؛ اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث إنه قيم عليها، ومحافظة على الفواصل. أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش، وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله:

﴿١١٨﴾ ـ ﴿١١٩﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية، وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري، والكسوة والسكن مستغنياً عن اكتسابها، والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها؛ ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها، والعاطف وإن ناب عن (أن) لكنه ناب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق؛ فلا يمتنع دخوله

[وأقطاب الكفاف] فسرها بقوله: «التي هي..» إلى آخره. فالقطب في الأصل ملاك الشيء ومداره. قال الجوهري: والقطب كوكب بين الجدي والفرقدين يدور عليه الفلك، وفلان قطب بني فلان؛ أي: سيدهم الذي يدور عليه أمرهم[1] **[بذكر نقائضها]** تنازعه بيان وتذكير [لتطرق]؛ أي: الذكر **[سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها]** إيضاحه قول «الكشاف»: ليتطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها[2].

[والعاطف وإن ناب عن «أنَّ» لكنه ناب من حيث أنه عامل..] إلى آخره. جواب ما يقال: العطف في حكم تكرير العامل، فلو عطف «أنك لا تظمأ» على «أنَّ لك» لزم دخول «إذ» على «أنَّ» وهو ممتنع إذ لا يقال: «إذ أنَّ زيداً منطلق»؟ فأجاب: بأنَّ «الواو» تنوب مناب «أنَّ» من حيث العمل لا من حيث مفادها وهو

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٩٣].

۞ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

على (أن) امتناع دخول (إن) عليه. وقرأ نافع وأبو بكر: (وَإِنَّكَ لَا تَظْمَؤُا) بكسر الهمزة والباقون بفتحها.

﴿١٢٠﴾ ـ ﴿١٢٢﴾ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فانتهى إليه وسوسته. ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً. فأضافها إلى الخلد؛ أي: الخلود لأنها سببه بزعمه. ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ لا يزول ولا يضعف. ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ بأكل الشجرة. ﴿فَغَوَىٰ﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة، أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو. وقرئ: (فَغَوِي) من: (غَوِي الفصيل) إذا أتخم من اللبن. وفي النعي عليه بالعصيان والغواية ـ مع صغر زلته ـ تعظيم للزلة، وزجر بليغ لأولاده عنها. ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها؛ من: (أجبى إلى كذا فاجتبيته) مثل: جليت على العروس فاجتليتها. وأصل معنى الكلمة الجمع. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فقبل توبته لما تاب. ﴿وَهَدَىٰ﴾ إلى الثبات على التوبة، والتشبث بأسباب العصمة.

التحقيق. وإنما يمتنع ذلك لو قصد التحقيق، وأجيب أيضاً: بأن «الواو» لعطف مجموع الجملة على مجموع الجملة قبلها لا لعطف «أنَّ» على «إنَّ»[١].

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٥٣].

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ
ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا
وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿١٢٣﴾ - ﴿١٢٤﴾ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الخطاب لآدم وحواء، أو له ولإبليس ولما كانا أصليَّ الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب، أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب ورسول. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (ضيقاً) مصدر، وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقرئ: (ضنكى) كـ(سكرى). وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر، ويوسع ببركة الإيمان كما قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعراف: ٩٦] الآيات، وقيل: هو الضريع والزقوم في النار، وقيل: عذاب القبر ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف، وبالجزم عطفاً على محل: (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) لأنه جواب الشرط. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أعمى البصر، أو القلب ويؤيد الأول.

﴿١٢٥﴾ - ﴿١٢٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ وقد أمالهما

[أو لاختلال حال كل من النوعين] هما آدم وحواء [ويؤيد الأول]؛ أي: وهو أن الخطاب لآدم وحواء.

۞ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾.

حمزة والكسائي؛ لأن الألف منقلبة من الياء، وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية، ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال: ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ واضحة نيرة. ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل تركك إياها. ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ تترك في العمى والعذاب. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات. ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ بل كذب بها وخالفها. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ وهو الحشر على العمى، وقيل: عذاب النار؛ أي: وللنّارُ بعد ذلك ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ من ضنك العيش، أو منه ومن العمى. ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله، أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها.

﴿١٢٨﴾ - ﴿١٢٩﴾ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ مسند إلى (الله) أو (الرسول) أو ما دل عليه. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾؛ أي: إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها. والفعل على الأولين معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ

[**أي: مثل ذلك فعلت**]؛ أي: مثل هذا الأعمال الذي فعلنا بك فعلت أنت بنفسك فيكون كذلك نصباً على المصدر [**أو الجملة بمضمونها**] عطف على «الله» ويفارق ما قبله بأن ما قبله هو مدلول الجملة، وأما هو فالجملة نفسها بمضمونها؛ أي: أولم يهد لهم هذا الكلام بمضمونه وفي نسخ: «والجملة بمضمونها» بالواو، والأُولى أَقْعَد، والفعل على الأولين هما إسناد الفعل إلى الله أو إلى الرسول[1] [**متعلق**]؛ أي: جمع فيه بين التثنية والجمع الذي هو مضمون المقصود أو أمر عطف

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٣/ ٤١٧].

۞ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾.

مِن رَّبِّكَ﴾ وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة. ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازماً لهؤلاء الكفرة. وهو مصدر وصف به، أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم: لزاز خصم. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عطف على (كلمة)؛ أي: ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم، أو لعذابهم؛ وهو يوم القيامة، أو يوم بدر لكان العذاب لزاماً. والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب. ويجوز عطفه على المستكن في (كان)؛ أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له.

﴿١٣٠﴾ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وصلِّ وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه، أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص؛ حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بأنه المولى للنعم كلها. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ يعني: الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾؛ يعني: الظهر والعصر؛ لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده. ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ ومن ساعاته؛ جمع: (إنا) بالكسر والقصر، أو (أناء) بالفتح والمد. ﴿فَسَبِّحْ﴾؛ يعني:

على «تكرير» أو «بالتطوع»، بـ«كم» وكأنه لتشبيه كم الخبرية بـ«كم» الاستفهامية وإلا فهي في الآية خبرية، أو بناء على أنَّ «كَم» في الآية استفهامية لكن اعترض بأنها إنما هي خبرية، ويؤيده جعله لها مع مدلولها فاعل «يهد» ولو كانت استفهامية لما صح ذلك؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[1] [والفصل]؛ أي: بين المتعاطفين بقوله: «لكان لزاماً» [لازمين له]؛ يعني: لكافر هذه الأمة وتبع في له «الكشاف»[2] والأولى لهم.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٥٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٩٦].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾.

المغرب والعشاء. وإنما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل؛ فإن القلب فيه أجمع، والنفس أميل إلى الاستراحة، فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]. ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص، ومجيئه بلفظ الجمع؛ لأمن الإلباس كقوله: (ظهراهما مِثْل ظُهُورِ التِرْسَيْنِ) أو أمر بصلاة الظهر؛ فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر. وجمعه باعتبار النصفين أو لأن (النهار) جنس، أو بالتطوع في أجزاء النهار. ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ متعلق بـ(سَبِّحْ)؛ أي: سبح في هذه الأوقات طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضي نفسك. وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول؛ أي: يرضيك ربك.

﴿١٣١﴾ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾؛ أي: نظر عينيك ﴿فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ استحساناً له وتمنياً أن يكون لك مثله. ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ وأصنافاً من الكفرة. ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (به) والمفعول (منهم)؛ أي: إلى

[وإنما قدم زمان الليل]؛ أي: على العامل فيه عكس ما فعله قيل في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه: ١٣٠] **[أحمز]**؛ أي: أمتن وأقوى **[ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الإلباس]** كما جاء أيضاً بلفظ التثنية في قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] **[كقوله: ظهراهما مثل ظهور الترسين]** جميع فيه بين التثنية والجمع الذي هو المقصور **[أو أمر]** عطف على «تكرير» **[أو بالتطوع]** عطف على قوله: «بصلاة الظهر» **[حالاً من الضمير]**؛ أي: في «به» راعى لفظ ما مرَّ فأفرد[1]،

---

(١) في نسخة [ز ـ ج] زيادة: ([ودونه]؛ أي: وبدون تقدير مضاف [كأنهم جعلوا نفس الزهرة مبالغة بالفتح]؛ أي: بفتح الهاء).

۞ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم أو ناساً منهم. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ منصوب بمحذوف دل عليه (مَتَّعْنا) أو (بِهِ) على تضمينه معنى: أعطينا، أو بالبدل من محل (بِهِ) أو من (أَزْواجاً) بتقدير مضاف ودونه، أو بالذم وهي الزينة والبهجة. وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كـ(الجهرة في الجهرة)، أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم، بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ وما ادّخر لك في الآخرة، أو ما رزقك من الهدى والنبوة. ﴿خَيْرٌ﴾ مما منحهم في الدنيا. ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ فإنه لا ينقطع.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ أمره بأن يأمر أهل بيته، أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أُمِرَ بها؛ ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم، ولا يهتموا بأمر المعيشة، ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة. ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ وداوم عليها. ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾؛ أي: أن ترزق نفسك ولا أهلك. ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم ففرغ بالك لأمّ الآخرة. ﴿وَالْعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة. ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لذوي التقوى. روي: «أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية».

ومعناها: آخِرِيّ فجمع[١] [**بعضهم**] بالنصب بين به أن «مِنْ» للتبعيض، وأنها مع مدخولها مفعول «مَتَّعْنا» وعطف عليه قوله: [**وناساً منهم**] عطف تفسير [**بتقدير مضاف**]؛ أي: ذوي زهرة الحياة الدنيا [**على خصاصتهم**]؛ أي: فقرهم.

[«**روي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهله ضُرٌّ أمرهم بالصلاة..**»] رواه الطبراني[٢]

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٦١].

(٢) المعجم الأوسط، الطبراني [١/ ٢٧٢/ برقم: ٨٨٦].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ بآية تدل على صدقه في ادّعاء النبوة، أو بآية مقترحة إنكاراً لما جاء به من الآيات، أو للاعتداد به تعنتاً وعناداً فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها؛ لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدّعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة، ولا شك أن العلم أصل العمل، وأعلى منه قدراً، وأبقى أثراً؛ فكذا ما كان من هذا القبيل. ونبّههم أيضاً على وجه أبين من وجوه إعجاز المختصة بهذا الباب فقال: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية؛ فإن اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أُميّ لم يرها، ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بيّن. وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث أنه معجز، وتلك ليست كذلك. بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها. قرأ نافع وأبو عمرو وحفص: (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ) بالتاء والباقون بالياء. وقرئ (الصُّحْف) بالتخفيف.

﴿١٣٤﴾ ـ ﴿١٣٥﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل محمّد، أو

والبيهقي[1] وغيرهما **[فإن اشتمالها]**؛ أي: البينة **[على زبدة ما فيها]**؛ أي: الصحف **[من أن الآتي لها]**؛ أي: بالبينة **[لم يرها]**؛ أي: الصحف **[إعجاز]** خبر إن في قوله: فإن اشتمالها.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٣/ ١٥٣/ برقم: ٣١٨٠].

البينة والتذكير؛ لأنها في معنى البرهان، أو المراد بها القرآن. ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا. ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بدخول النار يوم القيامة، وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما. ﴿قُلْ كُلٌّ﴾؛ أي: كل واحد منا ومنكم. ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم. ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وقرئ: (فتمتعوا). ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم، وقرئ: (السَّوَاء)؛ أي: الوسط الجيد و(السُّوءَى) و(السّوء)؛ أي: الشر، و(السُّوَيّ) هو تصغيره. ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضلالة و(مَنْ) في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء، ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى؛ لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل، على أن (العلم)؛ بمعنى: المعرفة، أو على (أصحاب) أو على (الصراط) على أن المراد به النبي عليه الصلاة والسّلام.

وعنه عليه الصلاة والسّلام: «**من قرأ (طه) أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار**».

[**وقد قُرئ**]؛ أي: كُلٌّ مِنَ (نَذِلَّ) و(نَخْزَى) [**وهو تصغيره**]؛ أي: تصغير السوء. [«**من قرأ طه..**»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٣٥٦/ برقم: ٧٩٣].

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

(٢١) مكية، وآيها مائة واثنتا عشرة آية

۞ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ - ۝٢ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ بالإضافة إلى ما مضى، أو عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧] وقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] أو لأن كل ما هو آت قريب؛ وإنما البعيد ما انقرض ومضى. و(اللام) صلة لـ(اقْتَرَبَ)، أو تأكيد للإضافة، وأصله: اقترب حساب الناس، ثم اقترب للناس الحساب، ثم اقترب للناس حسابهم، وخص (الناس) بالكفار لتقييدهم بقوله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: في غفلة عن الحساب، مُعْرِضُونَ عن التفكر فيه؛ وهما خبران للضمير. ويجوز أن يكون الظرف حالاً من المستكن في (مُعْرِضُونَ). ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ ينبههم عن سِنَةِ الغفلة والجهالة. ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ صفة لـ(ذِكْرٍ) أو صلة لـ(يَأْتِيهِمْ). ﴿مُّحْدَثٍ﴾ تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا، وقرئ

قوله: **[أو تأكيد الإضافة وأصله اقترب حساب الناس..]** إلى آخره. حاصله: أن أصله «اقترب حساب الناس» فقدم المضاف إليه وعرف الحساب بإضافته إلى الناس تعريف الجنس ليفيد ضرباً من الإبهام والتبيين، وذلك تأكيد، ولما كان الحساب لا يتعداهم وفي ذكرهم تكرار جيء بضميرهم ليعود إليهم فيحصل تأكيد آخر، ولا يخفى ما في ذلك من التكليف **[وخص الناس بالكفار]**؛ يعني: وخصهم

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾.

بالرفع حملاً على المحل. ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون به ويستسخرون منه؛ لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور، والتفكر في العواقب. و(هُمْ يَلْعَبُونَ) حال من (الواو) وكذلك:

۝٣ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْۗ﴾؛ أي: استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه. ويجوز أن يكون من (واو) (يَلْعَبُونَ) وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ بالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها. ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدل من (واو) (وَأَسَرُّوا) للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به. أو فاعل له والواو لعلامة الجمع، أو مبتدأ والجملة المتقدمة خبره، وأصله: وهؤلاء أسروا النجوى؛ فوضع الموصول موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنه ظلم، أو منصوب على الذم. ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ بأمره في موضع النصب بدلاً من (النَّجْوَى)، أو مفعولاً لقول مقدر؛ كأنهم استدلوا بكونه بشراً على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، واستلزموا منه أن ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره، وإنما أسروا به تشاوراً في استنباط ما يهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة.

ابن عباس وغيره بالكفار[1] [**بالرفع حملاً على المحل**]؛ أي: محل من ذكر لأن «مِنْ» زائدة.

[**بالغوا في إخفائها..**] إلى آخره. فسر به ليكون جواب ما يقال النجوى لا يكون إلا خفية فكيف قال: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ [**بأسره في موضع النصب**] إيضاحه قول «الكشاف»: هذا الكلام كله في محل النصب [**فأنكروا حضوره**]؛ أي: حضورهم

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٠٢].

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جهراً كان أو سراً فضلاً عما أسروا به فهو آكد من قوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [الأنبياء: ٣] في المبالغة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (قالَ) بالإخبار عن الرسول. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون. ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ إضراب لهم عن قولهم: (هو سحر) إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام افتراه، ثم إلى أنه قول شاعر. والظاهر أن (بَلْ) الأولى لتمام حكاية والإبتداء بأُخْرَى، أو للإضراب عن تحاورهم في شأن الرسول ﷺ وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاولهم في أمر القرآن، والثانية والثالثة: لإضرابهم عن كونه أباطيل خيلت إليه وخلطت عليه، إلى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه، ثم إلى أنه كلام شعري يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها. ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلاً لأقوالهم

السحر عنده ﷺ إيضاحه قول «الكشاف»[1]: فلذلك قالوا على سبيل الإنكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر [**بأسره في موضع النصب**] إيضاحه قول «الكشاف» هذا الكلام كلّه في محل [**فهو**]؛ أي: بعلم القول [**آكد من**] يعلم السر في [**قوله**: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ [الفرقان: ٦]] لشموله الجهر منطوقاً [**ولذلك**]؛ أي: ولكونه آكد [**اختير ههنا**] دون ذلك؛ لأنه أبلغ في بيان الاطلاع على نجواهم [**وليطابق**]؛ أي: يعلم القول.

[**قوله**: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾] دون أن يعلم السِّرَّ إذِ النَّجوى السِّرُّ، فالمعنى:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٠٢].

۞ ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾.

في درج الفساد؛ لأن كونه شعراً أبعد من كونه مفترى لأنه مشحون بالحقائق والحكم، وليس فيه ما يناسب قول الشعراء، وهو من كونه أحلاماً لأنه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع، والمفتري لا يكون كذلك بخلاف الأحلام؛ ولأنهم جربوا رسول الله ﷺ نيفاً وأربعين سنة وما سمعوا منه كذباً قط! وهو أبعد من كونه سحراً؛ لأنه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق. ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: كما أرسل به الأولون مثل: اليد البيضاء، والعصا، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى. وصحة التشبيه من حيث أن الإرسال يتضمن الإتيان بالآية.

۝٦ - ۝٧ ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ لو جئتهم بها وهم أعتى منهم. وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم؛ إذ لو أتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جواب لقولهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] فأمرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال

وأسروا السر ويعلم القول يشمل الجهر والسِّرَّ وسِرَّ السِّرَّ بخلاف يعلم السر[١] [**أبعد**]؛ أي: أفسد [**وهو**]؛ أي: كونه مفتري [**من كونه أحلاماً**] متعلق بـ«أبعد» مقدراً ويدل في المواضع الثلاثة للانتقال من غرض إلى آخر [**أي: كما أرسل به**] الأولى بها [**وصحة التشبيه**]؛ أي: في قوله: «**كما أرسل الأولون**» [**وهم**]؛ أي: قريش [**أعتى منهم**]؛ أي: من المندمين الذين جاءهم ما اقترحوه ولم يؤمنوا وكونهم أعني منهم مفاد من دخول همزة الإنكار على جملة اسمية «لانكسار»

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٢/ ١٢٢].

۞ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

الرسل المتقدمة؛ ليزول عنهم الشبهة. والإحالة عليهم، إما للإلزام؛ فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبي ﷺ ويثقون بقولهم، أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفاراً. وقرأ حفص: (نُوحِي) بالنون.

﴿٨﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ نفي لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقاً؛ لأنهم كانوا أبشاراً مثلهم. وقيل: جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ تأكيد وتقرير له؛ فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء وتوحيد الجسد لا إرادة الجنس، أو لأنه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف، أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون؛ فلذلك لا يطلق على الماء والهواء، ومنه الجساد للزعفران. وقيل: جسم ذو تركيب؛ لأن أصله لجمع الشيء واشتداده. ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾؛ أي: في الوعد. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾؛ يعني: المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة، وكمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته؛ ولذلك

[**والإحالة إليهم**] بمعنى عليهم؛ أي: على أهل الكتاب [**إما للإلزام**]؛ أي: لإلزام قريش بأن الرسل تكون رجالاً [**يوجب العلم**]؛ أي: بأنهم يكونون رجالاً [**لما اعتقد أنها**]؛ أي: الرسالة [**عن الرسل**] متعلق بـ«نفي» [**وقيل: جواب..**] إلى آخره. مقابل لقوله: نفى.. إلى آخره. [**وتوحيد الجسد لإرادة الجنس**] كأنه قيل: ذوي صرف من الأجساد[1] [**أو على حذف المضاف**]؛ أي: ذوي جسد [**ولذلك**]؛ أي: ولكون الجسد جسماً ذا لون [**لا يطلق على الماء والهواء**] في الماء مبني على أنه

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٧١].

۞ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

حميت العرب من عذاب الاستئصال. ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكفر والمعاصي. ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش كِتاباً؛ يعني: القرآن. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صيتكم كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أو موعظتكم، أو ما تطلبون به حسنَ الذِّكْر من مكارم الأخلاق. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون.

﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ واردة عن غضب عظيم؛ لأن (القصم): كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف (الفصم). ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ صفة لـ(أهلها) وصفت بها لما أقيمت مقامه. ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاك أهلها. ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ مكانهم ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ فلما أدركوا شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس. والضمير للـ(الأهل) المحذوف. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم، أو مشبهين بهم من فرط إسراعهم. ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ على إرادة القول؛ أي: قيل لهم استهزاء: لا تركضوا! إما بلسان الحال أو المقال. والقائل مَلَك، أو مَنْ ثَمَّ من المؤمنين. ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التنعم والتلذذ، و(الإتراف): إبطار النعمة. ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ التي كانت لكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ غداً عن أعمالكم، أو تعذبون؛ فإن السؤال من

لا لون وإنما يتلون بلون ظرفه أو مقابله؛ لأنه جسم شفاف، لكن قال الإمام الرازي: بل له لون ويُرى ومع ذلك لا يحجب عن رؤية ما وراءه[١] [صيتكم] قال الجوهري: «الصيت»: الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح وياؤه منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها[٢].

[أو ما يطلبون به..] إلى آخره. عطف على «صيت» [وإبطار النعمة]؛ أي:

---

(١) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٣١/٨٨]. (٢) الصحاح، الجوهري [٤/٣٨].

۞ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

مقدمات العذاب، أو تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة؛ فلذلك لم ينفعهم. وقيل: إن أهل «حَضْور» من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه، فسلط الله عليهم «بختنصر»، فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء! فندموا وقالوا ذلك. ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ فما زالوا يرددون ذلك. وإنما سماه دعوى؛ لأن المولول كأنه يدعو الويل ويقول: يا ويل تعال فهذا أوانك! وكلٌّ من: (تِلْكَ) و(دَعْواهُمْ) يحتمل الاسمية والخبرية. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود؛ ولذلك لم يجمع. ﴿خَٰمِدِينَ﴾ ميتين من: (خمدت النار) وهو مع (حَصِيداً) منزلة المفعول الثاني كقولك: (جعلته حلواً حامضاً) إذ المعنى: وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود، أو صفة له، أو حال من ضميره.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ وإنما خلقناها

الطغيان بها [**ولذلك لم ينفعهم**]؛ أي: قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [**وقيل: إن أهل حَضَور**] بفتح الحاء والضاد المعجمة [**يا لثارات الأنبياء**][1] بفتح اللام وبمثلثة وهمزة ساكنة؛ أي: يا لأهل ثاراتهم؛ أي: المطالبة بدمهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه [**وكل من تلك ودعواهم يحتمل الإسمية والخبرية**]؛ أي: يحتمل أن يكون اسم «زالت» أو خبرها [**ولذلك**]؛ أي: ولكون «حصيداً» على «فعيل» بمعنى: «مفعول» [**لم يُجمع**]؛ لأنه يستوي فيه الجمع وغيره [**أو صفة له**]؛ أي: أو «خامدين» صفة لـ«حصيداً».

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري [١/ ٣٢٧].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

مشحونة بضروب البدائع؛ تبصرة للنظار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد؛ فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال. ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يتلهى به ويلعب. ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من جهة قدرتنا، أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة؛ كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها، وتسوية الفرش وتزيينها. وقيل: (اللهو): (الولد) بلغة اليمن، وقيل: (الزوجة)؛ والمراد به الرد على النصارى. ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك؛ ويدل على جواب الجواب المتقدم. وقيل: (إنْ) نافية، والجملة كالنتيجة للشرطية.

﴿١٨﴾ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو، وتنزيه لذاته عن اللعب؛ أي: بل من شأننا أن نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيمحقه، وإنما استعار لذلك (القذف): وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى، و(الدمغ): الذي هو كسر الدماغ؛ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح؛ تصويراً لإبطاله به ومبالغة فيه، وقرئ: (فَيَدْمَغَهُ) بالنصب كقوله:

[**أن يتسلقوا**] أن يتسوروا [**الجواب المتقدم**] هو قوله: ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ﴾ [**والجملة**] وهي ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [**كالنتيجة للشرطية**]؛ أي: وهي: ﴿لَوْ أَرَدْنَا﴾... إلى آخره. [**وإنما استعار لذلك**] هي لدحض الباطل بالحق وإذهابه [**القذف**] مفعول «استعار» [**والدمغ**] عطف عليه [**بحيث يشق**]؛ أي: «كسر الدماغ» [**تصويراً**] تعليل لقوله: «استعار» ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذكر أن أصل استعمالها في الأجسام ثم استعير القذف لدحض الباطل بالحق والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسّي والمستعار له عقلي.

[**فيدمغه بالنصب**]؛ أي: بأن مضمرة وإنْ لم يسبقه نفي ولا طلب [**كقوله**]؛

۞ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على (الحقّ). ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ هالك، و(الزهوق): ذهاب الروح؛ وذكره لترشيح المجاز. ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ مما تصفونه به مما لا يجوز عليه، وهو في موضع الحال و(ما) مصدرية أو موصولة أو موصوفة.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾؛ يعني: الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك، وهو معطوف على (مَنْ فِي السَّماواتِ) وإفراده للتعظيم، أو لأنه أعم منه من وجه، أو المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ في السماء والأرض، أو مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتعظمون عنها. ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ولا يعيون منها، وإنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور؛ تنبيهاً على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ولا يستحسرون. ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائماً. ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾

أي: قول المغيرة ابن حبناء[1] التميمي:

[سأتركُ منزلي لبني تميمٍ وألحقُ بالحجاز فأستريحا][2]

أي: فأن أستريح **[ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق]**؛ أي: أنْ يقال: بل نقذف بأنْ يحقَّ الحقُّ فيدمغ الباطل **[لترشيح المجاز]**؛ أي: في إطلاق القذف على دحض الحق **[متعال عن التبوّء في السماء والأرض]**؛ أي: عن

---

(١) في نسخة [الأصل]: (حسر) وفي نسخة [ز]: (حسن) وفي نسخة [ج]: (حنين) وفي نسخة [ب]: (حين) ولعل الصواب ما أثبتناه والله أعلم.

(٢) الكتاب، سيبويه [٣/ ٣٩].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

حال من (الواو) في (يُسَبِّحُونَ) وهو استئناف أو حال من ضمير قبله.

(٢١) - (٢٣) ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ بل اتخذوا؛ والهمزة لإنكار اتخاذهم. ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفة لـ(آلهة) أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء، وفائدتها التحقير دون التخصيص. ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ الموتى، وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الإلٰهية، فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات، والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم، وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ غير الله، وصف بـ(إِلَّا) لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها؛ ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه. والمراد ملازمته لكونها مطلقاً، أو

اتحادهما بخلاله [**أو حال من ضمير قبله**]؛ أي: من ضمير «يستكبرون» أو «يستحسرون» [**وفائدتها**]؛ أي: الأرض؛ أي: ذكرها [**وإن لم يصرحوا به**]؛ أي: بإنشارهم الموتى [**لعدم شمول ما قبلها لما بعدها**]؛ أي: لكونه نكرة في مقام الإيجاب كما يأتي بيانه [**ودلالته**]؛ أي: الاستثناء وهو بالجر عطف على شمول [**على ملازمة الفساد**] متعلق بدلالته.

[**لكون الآلهة**] متعلق بملازمة [**فيهما**]؛ أي: في السماوات والأرض [**دونه**]؛ أي: دون الله؛ أي: وصف بإلّا عند تعذّر الاستثناء لعدم الشمول المذكور وهو ظاهر ولعدم دلالة الاستثناء على ملازمة الفساد لوجود آلهة فيهما غير الله إذ الاستثناء إنما يدل على ضد ذلك إذ المعنى عليه لو كان فيهما الله لفسدتا وهو فاسد[١] وإليه أشار بقوله: [**والمراد**]؛ أي: من الآية شيئان أحدهما: [**ملازمته**]؛ أي: الفساد [**لكونها**]؛ أي: الآلهة؛ أي: لوجودها [**مطلقاً**]؛ أي: عن التقييد بكونها مع الله [**أو**

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٢/ ١٣٠].

۞ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

معه حملاً لها على غير كما استثنى بغير حملاً عليها، ولا يجوز الرفع على البدل؛ لأنه متفرع على الاستثناء، ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب. ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع؛ فإنها إن توافقت في المراد تطاردت عليه القدر، وإن تخالفت فيه تعاوقت عنه. ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ﴾ المحيط بجميع الأجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد. ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ لعظمته، وقوة سلطانه، وتفرده بالألوهية، والسلطنة الذاتية. ﴿وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ لأنهم مملوكون مستعبدون والضمير للـ(الآلِهَةُ) أو للعباد.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ﴾ كرره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم، أو ضماً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل؛ على معنى: أَوَجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة، لما وجدوا فيهم من خواص

معه] وثانيهما: انتفاؤه لوجوده تعالى وحده [**حملاً بها**] تعليل لقوله: «وصف بإلا» [**ولا يجوز الرفع على البدل؛ لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب**]؛ أي: وهو هنا موجب؛ لأن «لو» وإن كانت بمعنى النفي فالنفي المعنوي كما قال «ابن الحاجب» ليس كاللفظي، ألا ترى أنك تقول: «أتى القوم إلا زيدَ» بالنصب فقط، ولو كان المعنى كما في اللفظ لجاز «أتى القوم إلا زيدٌ» بالرفع[1]، وكان المختار فامتنع أن يكون بدلاً ولأنه لو كان بدلاً لكان المعنى: «لو كان فيهما الله لفسدتا»، وهو فاسد كما مرَّ [**فإنها**]؛ أي: الآلهة [**تطاردت عليه القدر**]؛ أي: تتابعت

---

(١) شرح الشافية، الاسترابادي [٢/ ١٣٠].

الألوهية؟! أو وجدوا في الكتب الإلٰهية الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر؟! ويعضد ذلك أنه رتب على الأول: ما يدل على فساده عقلاً، وعلى الثاني: ما يدل على فساده نقلاً. ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ذلك، إما من العقل أو من النقل؛ فإنه لا يصح القول بما لا دليل عليه، كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلاً ونقلاً. ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد، والنهي عن الإشراك. والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل، وإنزال الكتب؛ صح الاستدلال فيه بالنقل و﴿مَن مَّعِىَ﴾ أمته و﴿مَن قَبْلِى﴾ الأمم المتقدمة، وإضافة (الذِكْرُ) إليهم لأنه عظتهم. وقرئ بالتنوين والإعمال، وبه وبـ(مِنْ) الجارة على أن (مع) اسم هو ظرف كـ(قبل، وبعد، وشبههما). وبعدمها. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ ولا يميزون بينه وبين الباطل، وقرئ: (الحقُّ) بالرفع على أنه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب. ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك!

عليه بأن تبعت كل منها الأُخْرَى **[ويعضد ذلك]**؛ أي: الضم المذكور **[أنه رتب على الأول]**؛ أي: وهو ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً﴾ **[ما يدل على فساده]**؛ أي: الاتخاذ **[عقلاً]**؛ أي: وهو ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ إلخ. **[وعلى الثاني]**؛ أي: وهو ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ **[ما يدل على فساده نقلاً]**؛ أي: وهو ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾.. إلخ.

[وقُرئ بالتنوين والإعمال][1]؛ أي: وإعمال «ذكر» في «من معي» **[وبه]**؛ أي: وقُرئ بالتنوين.

[ومن الجارَّة] ووجه إدخال الجارّ على «مع» لكونه غريباً بقوله: **[على أن مع اسم..]** إلى آخره. **[وبِعَدَمِها]**؛ أي: وقرء بعدم «مِنْ» الجارّة.

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمٰن، العكبري [٢/ ١٣٢].

۞ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا
يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ
مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ تعميم بعد تخصيص فإن (ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: (نُوحِي إِلَيْهِ) بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء. ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن ذلك. ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ بل هم عباد؛ من حيث أنهم مخلوقون وليسوا بالأولاد. ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ مقربون؛ وفيه تنبيه على مدحض القوم، وقرئ بالتشديد. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين، وأصله لا يسبق قولهم قوله؛ فنسب السبق إليه وإليهم، وجعل القول محله وأداته؛ تنبيهاً على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله. وأنيبت (اللام) على الإضافة اختصاراً وتجافياً عن تكرير الضمير، وقرئ: (لَا يَسْبُقُونَهُ) بالضم من: (سابقته فسبقته أسبقه). ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ لا يعملون قط ما لم يأمرهم به.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لا تخفى عليه خافية مما

[**تعميم بعد تخصيص..**] إلى آخره. بيانه ظاهر من كلامه وقال الزمخشري وغيره بدله وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد[1] [**على مدحض القوم**]؛ أي: مكان زلقهم وغلطهم [**وأنيبت اللام**]؛ أي: في بالقول [**عن الإضافة**]؛ أي: بأن

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١١٢].

﴿٣٠﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

قدموا وأخروا. وهو كالعلة لما قبله، والتمهيد لما بعده؛ فإنهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أن يشفع له مهابة منه. ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ عظمته ومهابته. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون. وأصل (الخشية): خوف مع تعظيم؛ ولذلك خص بها العلماء. و(الإشفاق): خوف مع اعتناء؛ فإن عدي بـ(من) فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدي بـ(على) فبالعكس. ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة أو من الخلائق. ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يريد به نفي النبوة، وادعاء ذلك عن الملائكة، وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من ظلم بالإشراك وادعاء الربوبية.

﴿٣٠﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أو لم يعلموا. وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ذات رتق أو مرتوقتين؛ وهو الضم والالتحام؛ أي: كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة. ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بالتنويع والتمييز، أو كانت السمٰوات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، وكانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أو أقاليم. وقيل: كانَتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج. وقيل: كانَتا رَتْقاً لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات؛ فيكون المراد بـ(السَّماواتِ) سماء الدنيا؛ وجمعها باعتبار الآفاق، أو السَّماواتِ بأسرارها على أن لها مدخلاً

يقال بقولهم [وقيل كانتا] وفي نسخة: «كانت» والأُوْلى أنسب بقوله بحيث لا فرجة بينهما، والفرق بين هذا القول والقول الأول أن الرّتق فيه بانضمامهما خاصة وفي الأول باتحادهما حقيقة[1].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٢/١٣٨].

۞ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ما في الأمطار. والكفرة وإن لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظراً؛ فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر واجب ابتداء أو بوسط، أو استفساراً من العلماء ومطالعة للكتب، وإنما قال: ﴿كَانَتَا﴾ ولم يقل: (كنَّ) لأن المراد جماعة السمٰوات وجماعة الأرض. وقرئ: (رَتَقاً) بالفتح على تقدير: شيئاً رتقاً؛ أي: مرتوقاً كـ(الرفض) بمعنى (المرفوض). ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] وذلك لأنه من أعظم مواده، أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه، أو صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه. وقرئ: (حَيّاً) على أنه صفة (كُلَّ) أو مفعول ثان، والظرف لغو و(الشيء) مخصوص بالحيوان. ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ ثابتات؛ من: (رسا الشيء) إذا ثبت. ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ كراهة أن تميل بهم وتضطرب، وقيل: لأن لا تميد؛ فحذف لا لأمن الإلباس. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ في الأرض أو الرواسي. ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ مسالك واسعة؛ وإنما قدم (فجاجاً) وهو وصف له ليصير حالاً فيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك، أو ليبدل منها ﴿سُبُلًا﴾ فيدل ضمناً على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ عن الوقوع بقدرته، أو الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئته، أو استراق السمع بالشهب.

[مسالك واسعة] فسّر «سُبُلاً» بمسالك و«فجاجاً» بواسعة بقرينة قوله [وإنما قدم فجاجاً]؛ أي: على سبلاً [وهو]؛ أي: فجاجاً [وصف له]؛ أي: لسبلاً

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته، وكمال قدرته، وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكرين.

﴿٣٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بيان لبعض تلك الآيات. ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾؛ أي: كل واحد منهما، والتنوين بدل من المضاف إليه؛ والمراد بـ(الفلك) الجنس كقولهم: كَسَاهُمُ الأميرُ حُلَّةً. ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسرعون على سطح الفلك إسراع السابح على سطح الماء. وهو خبر (كُلٌّ) والجملة حال من (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)، وجاز إنفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما، وإنما جمع باعتبار المطالع وجعل الضمير (واو العقلاء) لأن السباحة فعلهم.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ نزلت حين قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] وفي معناه قوله:

[عن آياتها أحوالها]؛ أي: عن أحوالها وإيضاحه قول «الكشاف»: أي: عن ما وضع الله فيها من الأدلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة[1] **[أي: وكل واحد منهما]**؛ أي: من الشمس والقمر، وفي نسخة: «منها»؛ أي: من الليل والنهار والشمس والقمر ويؤيدها ظاهر يسبحون بالجمع **[وفي معناه قوله]**؛ أي: قول فَروة ابن مُسَيْك المُرّادي الصحابي.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/١١٦].

۞ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾.

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

و(الفاء) لتعلق الشرط بما قبله، و(الهمزة) لإنكاره بعد ما تقرر ذلك.

﴿٣٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها، وهو برهان على ما أنكروه. ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر. ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ بالبلايا والنعم. ﴿فِتْنَةًۖ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر، وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة والابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ما يتخذونك. إِلَّا هُزُواً إلا مهزوءاً به ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: بسوء؛ وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالتوحيد، أو بإرشاد الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن. ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ منكرون؛ فهم أحق أن يهزأ بهم. وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر. ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ كأنه خلق منه لفرط استعجاله، وقلة تأنيه كقولك: خلق زيد من الكرم؛ جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع، وهو منه

[والفاء]؛ أي: في ﴿أَفَإِيْن﴾ [لتعلق الشرط بما قبله]؛ أي: لترتيب عليه [والهمزة لإنكاره]؛ أي: لإنكار الشرط؛ أي: مع جوابه؛ بل لإنكار جوابه فقط [بعد ما تقرر ذلك]؛ أي: نفى الخلود الشامل لهم ولغيرهم [تصويراً] تعليل لقوله: «وفيه أيماء..» إلخ [لما سبق]؛ أي: من قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾... إلخ [ولحيلولة الصلة]؛ أي: وهي ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [بينه]؛ أي: بين الضمير الأول [وبين الخبر]؛ أي: وهو

۞ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

مبالغة في لزومه له؛ ولذلك قيل: إنه على القلب. ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد. روي: أنها نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب. ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ نقماتي في الدنيا كوقعة بدر، وفي الآخرة عذاب النار. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالإتيان بها، والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وقت وعد العذاب أو القيامة. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنون النبي ﷺ وأصحابه ﵃. ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ محذوف الجواب و(حِينَ) مفعول (يَعْلَمُ)؛ أي: لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها، ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا. ويجوز أن يترك مفعول (يَعْلَمُ) ويضمر لـ(حين) فعل بمعنى: لو كان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون؛

﴿كَٰفِرُونَ﴾ **[ولذلك قيل أنه على القلب]**؛ أي: والأصل خلق العجل من الإنسان كما قُرئ به شاذاً[١] **[يعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون]** الجملة كما قال الطيبي مستأنفة، كأنه لما قيل: لو وجد منهم علم لما استعجلوا، اتجه لسائل أن يقول: فحين لم يحصل لهم العلم الآن فمتى يحصل لهم العلم؟ فقيل: يعلمون حين لا يقدرون أنْ يدفعوا النار عن أنفسهم.

---

(١) أي: «خلق العجل من الإنسان» وهي قراءة ابن مسعود. انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٨٩/١٣].

۞ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وإنما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك.
﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ العدة، أو النار، أو الساعة. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة مصدر أو حال. وقرئ بفتح الغين. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فتغلبهم أو تحيرهم. وقرئ الفعلان بالياء والضمير للـ(الوَعْدُ) أو (الحِينَ) وكذا في قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ لأن (الوعد) بمعنى: النار، أو العدة. و(الحين) بمعنى: الساعة، ويجوز أن يكون للـ(النَّارَ) أو للـ(البَغْتَةً). ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون. وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وعد له بأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا؛ يعني: جزاءه. ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستهزئين: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم. ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من بأسه إن أراد بكم، وفي لفظ (الرَّحْمٰنِ) تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة، وأن اندفاعه بمهلته. ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ لا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه، حتى إذا كلؤا منه عرفوا الكالئ، وصلحوا للسؤال عنه.

[وإنما وضع الظاهر]؛ أي: وهو الذين كفروا [وقُرئ الفعلان] هما «تأتيهم» و«تبهتهم» [والضمير]؛ أي: المستتر في الفعلين على القراءة بالياء[1] [بمعنى جزاؤه]؛ أي: جزاء ما فعلوا [حتى إذ أُكلِؤا]؛ أي: حفظوا [منه]؛ أي: من الرحمٰن [عرفوا الكالئ..] الى آخره. والمراد: أنهم لا يخطرونه ببالهم إذ كلأهم

---

(١) قرأ الأعمش: «يأتيهم» و«يبهتهم». انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ١١٩].

۞ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا، أو من عذاب يكون من عندنا. والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب، فإنه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد، وعن المعتقد لنقيضه أبعد. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ استئناف بإبطال ما اعتقدوه؛ فإن من لا يقدر على نصر نفسه، ولا يصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره. ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الأعمار، أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك، وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم، فحسبوا أن لا يزالوا كذلك، وأنه بسبب ما هم عليه؛ ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الكفرة. ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بتسليط المسلمين عليها، وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدي المسلمين. ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ رسول الله والمؤمنين.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ بما أوحي إلي ﴿وَلَا يَسْمَعُ

فلا يعرفونه ولا يصلحون للسؤال عنه[1] [ببيان] متعلق بإضراب.

(١) عبارة ([حتى إذ أكلؤ]؛ أي: حفظوا [منه]؛ أي: من الرحمٰن [عرفوا الكالئ] الى آخره والمراد: أنهم لا يخطرونه ببالهم إذ كلأهم فلا يعريفونه ولا يصلحون للسؤال عنه) من نسخة [ز - ج - ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

۞ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وقرأ ابن عامر: (ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ) على خطاب النبي ﷺ، وقرئ بالياء على أن فيه ضميره، وإنما سماهم (الصُّمَّ) ووضعه موضع ضميرهم؛ للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون. ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ منصوب بـ(يَسْمَعُ) أو بـ(الدُّعاءَ) والتقييد به؛ لأن الكلام في الإنذار، أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ أدنى شيء، وفيه مبالغات ذكر المسّ، وما في النفحة من معنى القلة؛ فإنّ أصل (النفح): هبوب رائحة الشيء، والبناء الدال على المرّة. ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ من الذي ينذرون به. ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل، واعترفوا عليها بالظلم.

﴿٤٧﴾ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ العدل توزن بها صحائف الأعمال. وقيل: وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل، وإفراد (الْقِسْطَ) لأنه مصدر وصف به للمبالغة. ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لجزاء يوم القيامة أو لأهله، أو فيه كقولك: (جئت لخمس خلون من الشهر). ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من حقها، أو من الظلم. ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة، ورفع نافع (مِثْقالُ) على (كانَ) التامة. ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها، وقرئ: (آتينا) بمعنى: جازينا بها؛ من: (الإيتاء) فإنه قريب من (أعطينا)، أو من:

[**على خطاب النبي**]؛ أي: ونصب «الصمَّ» [**على أن فيه ضميره**]؛ أي: ضمير النبي [**والتقييد به**]؛ أي: بوقت الإنذار.

[**يوزن بها صحائف الأعمال**] زاد «صحائف» جواباً لما يقال: كيف يوزن الأعمال مع أنها أعراض؟ وأجيب أيضاً: بأن كفة الحسنات يجعل فيها جواهر بيض مشرقة، وكفة

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

(المؤاتاة) فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء، وأثبنا من الثواب وجئنا. والضمير للـ(المثقال) وتأنيثه لإضافته إلى (الحبَّةِ). ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحق والباطل، ﴿وَضِيَآءً﴾ يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة، ﴿وَذِكْرًا﴾ يتعظ به المتقون، أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع. وقيل: (الْفُرْقانَ) النصر، وقيل: فلق البحر وقرئ: (ضِيَاء) بغير واو؛ على أنه حال من (الْفُرْقانَ). ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ صفة لِلْـ(الْمُتَّقِينَ) أو مدح لهم منصوب، أو مرفوع. ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول. ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. وفي تصدير الضمير، وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض. ﴿وَهَـٰذَا ذِكْرٌ﴾؛ يعني: القرآن ﴿مُّبَارَكٌ﴾ كثيرٌ خيرُه ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ على محمد. ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ؟!

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته؛ ليدل على أنه رشد مثله وأن له شأنا. وقرئ: (رَشَدَهُ) وهو لغة.

السيئات يجعل فيها جواهر سود مظلمة[1] [وأتينا]؛ أي: وقُرئ «وآتينا بها» [وجئنا]؛ أي: وقرئ «وجئنا بها» [والضمير]؛ أي: في «بها» [وجئنا وإضافته]؛ أي: «الرشد» لإبراهيم [ليدل على أنه رشد مثله] بإضافة رشد لمثله إذ المعنى: «ولقد آتينا إبراهيم رشداً

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٢/١٥٣].

۞ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦﴾.

﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهارون، أو محمّد. وقيل: من قبل استنبائه أو بلوغه؛ حيث قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ﴾ [الأنعام: ٧٩] ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه، أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال. وفيه إشارة إلى أن فعله ﷻ باختيار وحكمة، وأنه عالم بالجزئيات. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ متعلق بـ(آتَيْنا) أو بـ(رُشْدَهُ) أو بمحذوف؛ أي: اذكر من أوقات رشده وقت قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ تحقير لشأنها، وتوبيخ على إجلالها؛ فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع. و(اللام) للاختصاص لا للتعدية؛ فإن تعدية العكوف بـ(على). والمعنى: أنتم فاعلون العكوف لها. ويجوز أن يؤول بـ(على) أو يضمن العكوف معنى العبادة. ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فقلدناهم. وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها، وحملهم عليها.

۝٥٤ ـ ۝٥٦ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ منخرطين في سلك ضلال لا يخفى على عاقل! لعدم استناد الفريقين إلى دليل. والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق. ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليله إياهم ظنوا أن ما قاله؛ إنما قاله على وجه الملاعبة، فقالوا: أَبِجِدٍّ تقوله أم تلعب به؟! ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادّعاه؛ و(هنّ) لـ(السمٰوات والأرض)، أو لـ(التماثيل)، وهو أدخل في

يليق بمثله وبحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمٰن» [وقيل: من قبل استثنائه]؛ أي: استثناء إبراهيم [واللام]؛ أي: في قوله: «لها» [وهن]؛ أي: في قوله: «فطرهن».

۞ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

تضليلهم وإلزام الحجة عليهم. ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾؛ أي: المذكور من التوحيد. ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه؛ فإن الشاهد: من تحقق الشيء وحققه.

﴿٥٧﴾ ـ ﴿٥٨﴾ ﴿وَتَاللَّهِ﴾ وقرئ: بالباء، وهي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وفيها تعجب. ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ لأجتهدن في كسرها، ولفظ (الكيد) وما في التاء من التعجب؛ لصعوبة الأمر، وتوقفه على نوع من الحيل. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا﴾ عنها. ﴿مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدكم. ولعله قال ذلك سراً. ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قطاعاً، فعال بمعنى مفعول؛ كالحطام من: (الجذ) وهو القطع. وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة. أو جمع: (جذيذ) كـ(خفاف وخفيف). وقرئ بالفتح، و(جُذُذاً) جمع: جذيذ و(جُذَذَا) جمع: (جُذَّة). ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ للأصنام؛ كَسَرَ غيرَه واستبقاه، وجعل الفأس على عنقه. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه؛ لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فيحجُّهم، أو أنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن كاسرها؛ إذ

[**والتاء مبدل من الواو والمبدلة فيها**]؛ أي: من الباء [**وفيها**]؛ أي: التاء [**بعجب**] عبارة «الكشاف»(١) وفي التاء زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتّيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره [**وجذذاً**]؛ أي: وقُرئ (جُذُذاً) بضمتين [**وجُذَذاً**]؛ أي: وقرئ أيضاً «جُذَذاً» بضم الجيم وفتح الذال [**جمع جُذّة**] بضم الجيم وتشديد الذال(٢).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٢٣].

(٢) **جُذَاذَاتُ الفضّة**: قِطَعُها. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٣/ ٣٢٨].

۞ ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم بذلك! أو إلى (الله)؛ أي: يَرْجِعُونَ إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿٦١﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ حين رجعوا. ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بجرأته على الآلهة؛ الحقيقة: بالإعظام، أو بإفراطه في حطمها، أو بتوريط نفسه للهلاك. ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يعيبهم؛ فلعله فعله. ويذكر ثاني مفعولي (سمع)، أو صفة لـ(فتًى) مصححة؛ لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في نسبة الذِّكرِ إليه. ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ خبر محذوف أي: هو إبراهيم. ويجوز أن يرفع بالفعل لأن المراد به الاسم. ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب. ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ بفعله، أو قوله، أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿٦٢﴾ ـ ﴿٦٣﴾ ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ حين أحضروه. ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ أسند الفعل إليه تجوزاً؛ لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه، أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت، على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق: أأنت كتبت هذا؟! فقلت: بل كتبته أنت! أو حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه، وقيل: إنه في المعنى متعلق بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ وما بينهما اعتراض، أو إلى ضمير (فتًى)

[لأن المراد]؛ أي: بإبراهيم [الاسم] لا المسمى [أو تقريراً] عطف على «تجوزاً» [أو إلى ضمير «فتى»] عطف على «إليه» في قوله: «أسند الفعل إليه»

۞ ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

أو (إِبْراهِيمُ)، وقوله: ﴿كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ مبتدأ وخبر؛ ولذلك وقف على فعله. وما روي: أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لإبراهيم ثلاث كذبات**». تسمية للمعاريض كذباً لما شابهت صورتها صورته.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وراجعوا عقولهم. ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بهذا السؤال، أو بعبادة من لا ينطق ولا يضر، ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]. ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة، شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه. وقرئ: (نُكِّسُواْ) بالتشديد، و(نَكَسُوا)؛ أي: نكسوا أنفسهم. ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على إرادة القول.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾ إنكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر؛ فإنه ينافي الألوهية. ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ تضجر منه على إصرارهم بالباطل البين، و(أُفٍّ) صوت المتضجر، ومعناه: قبحاً ونتناً. واللام لبيان المتأفف له. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ قُبْحَ صنيعكم. ﴿قَالُواْ﴾ أخذوا في المضارّة لما عجزوا عن المحاجة. ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فإن النار أهول ما يعاقب به. ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ بالانتقام لها. ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ إن كنتم ناصريها نصراً مؤزراً، والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه «هينون» خسف به الأرض وقيل: «نمروذ».

[وهو على إرادة القول]؛ أي: نكسوا قائلين: والله لقد علمت.

۞ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿٦٩﴾ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ ذات برد وسلام؛ أي: ابردي برداً غير ضار! وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة، وإقامة: (كُونِي ذات برد) مقام: (ابردي)، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: نصب (سَلاماً) بفعله؛ أي: وسلمنا سلاماً عليه. روي: أنهم بنوا حظيرة بـ«كوثى»، وجمعوا فيها ناراً عظيمة، ثم وضعوه في المنجنيق ـ مغلولاً ـ فرموا به فيها! فقال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا! فقال: فسل ربك! فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي! فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة، ولم يحترق منه إلا وثاقه؛ فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال: إني مقرب إلى إلٰهك! فذبح أربعة آلاف بقرة وكفَّ عن إبراهيم! ـ وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة ـ. وانقلاب النار هواء طيباً ليس ببدع؛ غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته. وقيل: كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل، ويشعر به قوله: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على إبراهيم.

﴿٧٠﴾ ـ ﴿٧١﴾ ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ مكراً في إضراره. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهاناً قاطعاً على أنهم على الباطل، وإبراهيم على الحق، وموجباً لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: من العراق إلى الشام. وبركاته العامة: أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين

[وكان]؛ أي: إبراهيم عليه السلام [بكوثى] بضم الكاف بمثلثة قال ابن الأثير: هي كوثى العراق وهي سرة السواد وبها ولد إبراهيم الخليل عليه السلام[1] [كما يرى في السمندل] وهو

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١٢/٩].

۞ ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين ﴿٧٢﴾ وجعلناهم أيمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿٧٣﴾﴾.

شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية. وقيل: كثرة النعم والخصب الغالب. روي: أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما مسيرة يوم وليلة.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة﴾ عطية؛ فهي حال منهما. أو ولد ولد، أو زيادة على ما سأل؛ وهو إسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة. ﴿وكلا﴾؛ يعني: الأربعة. ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم للصلاح، وحملناهم عليه فصاروا كاملين. ﴿وجعلناهم أيمة﴾ يقتدى بهم. ﴿يهدون﴾ الناس إلى الحق. ﴿بأمرنا﴾ لهم بذلك، وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين. ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم، وأصله: أن تفعل الخيرات، ثم فعلا الخيرات، ثم (فِعْلَ الْخَيْراتِ) وكذلك قوله: ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل، وحذفت تاء الإقامة المعوّضة من إحدى الألفين؛ لقيام المضاف إليه مقامها. ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ موحدين مخلصين في العبادة؛ ولذلك قدم الصلة.

طير يرمي نفسه في النار ولا تؤذيه **[وقيل: كثرة النعم]** مقابل لقوله: إن أكثر الأنبياء بعثوا فيه **[أو زيادة على ما سأل]**؛ أي: ما سأله وهو إسحاق **[فيختص]**؛ أي: الحال الذي هو نافلة **[يعني: الأربعة]** هم: إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب.

[المعوضة من إحدى الألفين]؛ أي: الألف المنقلبة عن الواو أو الألف التي بعدها إذ أصل «إقامة» «إقواماً» قلبت الواو ألفاً ثم حذفت إحدى الألفين[١]

---

(١) المنصف، ابن جني [١/ ٢٩١].

۞ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ
ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٥﴾ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة، أو نبوة، أو فصلاً بين الخصوم. ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قرية «سدوم». ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾؛ يعني: اللواطة، وصفها بصفة أهلها، أو أسندها إليها ـ على حذف المضاف وإقامتها مقامه ـ ويدل عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ فإنه كالتعليل له. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في أهل رحمتنا، أو جنتنا. ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحسنى.

﴿٧٦﴾ ـ ﴿٧٧﴾ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ إذ دعا الله على قومه بالهلاك. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل المذكورين. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الطوفان، أو أذى قومه، و(الكرب): الغم الشديد. ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ مطاوع (انتصر)؛ أي: جعلناه منتصراً. ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لاجتماع الأمرين؛ تكذيب الحق والانهماك في الشر. ولعلهما لم يجتمعا في قوم إلا وأهلكهم الله تعالى.

﴿٧٨﴾ ـ ﴿٧٩﴾ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ في الزرع، وقيل:

[ونوحاً] عطف على لوطاً فيكون مشتركاً معه في عامله الذي هو «آتينا» المفسر «بآتينا» الظاهر وكذلك داود ومن بعده ويجوز أن يكون كلاً منها منصوباً بـ«أذكر»

في كرم تدلت عناقيده. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً. ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالمين. ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ الضمير للـ(الحكومة) أو للـ(الفتوى)، وقرئ: (فأفهمناها). روي: أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـ: غير هذا أرفق بهما! فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان، ثم يترادان. ولعلهما قالا اجتهاداً، والأول: نظير قول أبي حنيفة في العبد الجاني، والثاني: مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة في العبد المغصوب إذا أبق. وحكمه في شرعنا عند الشافعي: وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلاً، وهكذا قضى النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته فقال: «**على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل الماشية حفظها بالليل**». وعند أبي حنيفة: لا ضمان إلَّا أن يكون معها حافظ؛ لقوله ﷺ: «**جرح العجماء جبار**». ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لا يقدح فيه. وقيل: على أن كل مجتهد مصيب، وهو مخالف لمفهوم قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ لإظهار

مُقَدَّرا [**ولعلهما قالا**] اجتهاداً الذي في «الكشاف»[١] أنهما حكماً بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان، وقيل: بالاجتهاد فجاء اجتهاد سليمان أشبه بالصواب [«**وكذا قضى النبي ﷺ..**»] رواه أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] وغيرهما [«**جرح العجماء جبار..**»]؛ أي: هدر رواه الشيخان[٤] وغيرهما.

[**وهو مخالف مفهوم قوله**: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾] مراده ففهمناها سليمان كما صرح به

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٢٩].
(٢) سنن أبي داود [٢/ ٣٢٠/ برقم: ٣٥٦٩].
(٣) سنن ابن ماجه [٢/ ٧٨١/ برقم: ٢٣٣٢].
(٤) صحيح البخاري [٢/ ٥٤٥/ برقم: ١٤٢٨]، صحيح مسلم [٣/ ١٣٣٤/ برقم: ١٧١٠].

۞ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

ما تفضل عليه في صغره. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقدسن الله معه؛ إما بلسان الحال، أو بصوت يتمثل له، أو بخلق الله فيها الكلام. وقيل: يسرن معه من: (السباحة)؛ وهو حال أو استئناف لبيان وجه التسخير. و(مَعَ) متعلقة به بـ(سَخَّرْنا) أو (يسبحن) ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطف على (الْجِبالَ) أو مفعول معه. وقرئ بالرفع على الابتداء، أو العطف على الضمير ـ على ضعف ـ. ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ لأمثاله؛ فليس ببدع منا، وإن كان عجباً عندكم.

﴿٨٠﴾ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ عمل الدرع، وهو في الأصل: اللباس قال:

البِسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إمَّا نعيمَها وإمَّا بؤسَها

قيل: كانت صفائح فحلقها وسردها. ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ(علم) أو صفة لـ(لَبُوسٍ) ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ بدل منه بدل الاشتمال؛ بإعادة الجار، والضمير لـ(داود) أو لـ(لَبُوسٍ) وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء

في «الكشاف»[١] **[ما يفضل]**؛ أي: ما يفضل به الله تعالى **[أو تصوت]**؛ أي: من غيرها عبارة «الكشاف»[٢] أو بأن يسبّح من رآها تسير بتسيير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به **[يتمثل]**؛ أي: الصوت **[له]** أو لداود **[قال]**؛ أي: الشاعر:

[اِلْبِسْ لكلِّ حالةٍ لَبُوسَها ....]

تمامه:

.... **إما نعيمَها وإما بُؤسَها**[٣]

أي: أعدد لكل زمان ما يصلح له **[والضمير]**؛ أي: المستتر في ليحصنكم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٢٩]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٣٠].
(٣) إصلاح المنطق، ابن السكيت [ص٣٣٣].

۞ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

لـ(الصنعة) أو لـ(لَبُوسٍ) على تأويل (الدرع). وفي قراءة أبي بكر ورويس بالنون (لله) ﷻ ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ ذلك. أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع.

﴿٨١﴾ ـ ﴿٨٢﴾ ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وسخرنا له. ولعل (اللام) فيه دون الأول؛ لأن الخارق فيه عائد إلى (سليمان) نافع له. وفي الأول أمر يظهر في الجبال والطير مع (داود) وبالإضافة إليه. ﴿عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب من حيث أنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] وكانت رخاء في نفسها طيبة. وقيل: كانت رخاء تارة وعاصفة أُخرَى حسب إرادته. ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بمشيئته حال ثانية، أو بدل من الأولى، أو حال من ضميرها. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ إلى الشام رواحاً بعد ما سارت به منه بكرة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحكمة. ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحار ويخرجون نفائسها، و(مَنَ) عطف على (الرِّيحَ) أو مبتدأ خبره ما قبله، وهي نكرة موصوفة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ويتجاوزون ذلك إلى أعمال أُخَر كبناء المدن والقصور، واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣]. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أن يزيغوا عن أمره، أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم.

[دون الأول]؛ أي: داود [أو حال من ضميرها]؛ أي: متداخلة [ومن]؛ أي: في قوله: ﴿مَن يَغُوصُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] [وهي نكرة موصوفة]؛ أي: أو موصولة

۞ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿٨٤﴾ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ بأني مسني الضر، وقرئ بالكسر على إضمار القول، أو تضمين النداء معناه. (والضَّرُّ) بالفتح شائع في كل ضرر، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفاً في السؤال، وكان رومياً من ولد «عيص بن إسحاق» استنبأه الله، وكثر أهله وماله؛ فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله، والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة، أو سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات. روي: أن امرأته «ما خير بنت ميشا بن يوسف»، أو «رحمة بنت افراثيم بن يوسف» قالت له يوماً: لو دعوت الله فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة! فقال: أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي! ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ بالشفاء من مرضه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ بأن ولد له ضعف ما كان، أو أحيي ولده وولد له منهم نوافل. ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ رحمة على أيوب، وتذكرة لغيره من العابدين؛ ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب، أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم بالإحسان ولا ننساهم.

﴿٨٥﴾ ـ ﴿٨٦﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾؛ يعني: إلياس، وقيل: يوشع، وقيل: زكريا؛ سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى، أو تكفل

[عن عرض المطلوب]؛ أي: عن التصريح به [باستهلاك أولاده بهدم بيت عظيم]؛

۞ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

أمته، أو له ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم، و(الكفل) يجيء بمعنى: النصيب، والكفالة، والضعف. ﴿كُلٌّ﴾ كل هؤلاء. ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على مشاق التكاليف وشدائد النوائب. ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾؛ يعني: النبوّة، أو نعمة الآخرة. ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء؛ فإن صلاحهم معصوم عن كدر الفساد.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٨﴾ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه لما برم بطول دعوتهم، وشدة شكيمتهم، وتمادي إصرارهم؛ مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر. وقيل: وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم، ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك. وهو من بناء المغالبة للمبالغة، أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ: (مُغْضَباً). ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ لن نضيق عليه، أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر. ويعضده أنه قرئ مثقلاً، أو لن

أي: بهدمه عليهم [**وشدائد النوب**] هي جمع نائبة [**لمّا بَرِمَ**] بكسر الراء؛ أي: سَئِمَ [**قبل أن يؤمر**]؛ أي: بالمهاجرة [**فلم يأتهم**]؛ أي: العذاب [**لميعادهم**]؛ أي: للوقت الذي وعدهم بإتيانه فيه إنْ لم يتوبوا [**بتوبتهم**] الباء سببية متعلقة بـ«يأت» [**ولم يعرف الحال**]؛ أي: أنهم تابوا.

[**وقُرئ مغضباً**] بفتح الضاد كذا نقله «الكشاف»(١) عن أشرف(٢) ونقل عنه أبو

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٣٢].

(٢) في نسخة [ز]: (آل شرف) وفي نسخة [ج]: (أبي شرف) وفي نسخة [ب]: (ابن شرف) ولعل الصواب: (أبو شرف كما في الكشاف) الكشاف [٣/ ١٣٢].

نعمل فيه قدرتنا. وقيل: هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا، أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسمي ظناً للمبالغة. وقرئ بالياء. وقرأ يعقوب على البناء للمفعول، وقرئ به مثقلاً. ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة، أو ظلمات: بطن الحوت والبحر والليل. ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ بأنه لَّا إلٰه إِلَّا أَنتَ ﴿ٱلْقَوْمُ﴾ من أن يعجزك شيء ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة. وعن النبي ﷺ: «**ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له**». ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه. وقيل: ثلاثة أيام. والغمّ غَمّ الالتقام، وقيل: غَمّ الخطيئة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص. وفي الإمام: (نُجّيْ) ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية؛ فإنها تخفى مع حروف الفم، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله (نُنَجِّي) فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في (تَظاهَرُونَ)، وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى، ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في (تتجافى) لخوف اللبس. وقيل: هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر، وسكّن آخره تخفيفاً؛ ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور، والماضي لا يسكن آخره.

حيان أنه قرأ «مغاضَباً» بفتح الضاد وألف قبلها [**أو خطرة**] عطف على «تمثيل» [**«عن النبي ﷺ: ما من مكروب..»**] إلخ رواه الترمذي[١] والحاكم وصححه[٢] [**بتشديد الجيم**]؛ أي: وبنون واحدة [**أسند إلى ضمير المصدر**]؛ أي: وهو النَّجاء

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٥٢٩/ برقم: ٣٥٠٥].

(٢) مستدرك الحاكم [١/ ٦٨٤/ برقم: ١٨٦٢].

۞ ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠) وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (٩١) إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ (٩٢)﴾.

---

(٨٩) - (٩٠) ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ وحيداً بلا ولد يرثني. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به. ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾؛ أي: أصلحناها للولادة بعد عقرها، أو لـ(زكَرِيَّا) بتحسين خلقها وكانت حردة. ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ يعني: المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء عليهم السلام. ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يبادرون إلى أبواب الخير. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة، أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية. ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ مخبتين أو دائبين الوجل. والمعنى: أنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال.

(٩١) - (٩٢) ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الحلال والحرام؛ يعني: مريم. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في عيسى عليه الصلاة والسلام فيها؛ أي: أحييناه في جوفها، وقيل: فعلنا النفخ فيها. ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ من الروح الذي هو بأمرنا وحده، أو من جهة روحنا يعني: جبريل.

[وكانت حردة] بمهملة وراء مكسورة؛ أي: سريعة الغضب **[في عيسى فيها]** جعل «النفخ» في عيسى و(فيها) حال؛ أي: في عيسى كائناً فيها، وهذا كقول الزَّامِرِ: «نفخت في بيت فلان»؛ أي: نفخت في المزمار في بيته[1] **[بأمرنا وحده]**؛ أي: من غير واسطة جبريل.

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٣٤].

۞ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ﴾؛ أي: قصتهما، أو حالهما، ولذلك وحد قوله: ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى. ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ ملة التوحيد والإسلام ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها. ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ غير مختلفة فيما بين الأنبياء، ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع. وقرئ: (أُمَتَكُمْ) بالنصب على البدل و(أُمَّةٌ) بالرفع على الخبر، وقرئتا بالرفع عن أنهما خبران. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ لا إله لكم غيري. ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ لا غير.

﴿٩٣﴾ ـ ﴿٩٤﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ صرفه إلى الغيبة التفاتاً لينعى على الذين تفرقوا في الدين، وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم. ﴿كُلٌّ﴾ من الفرق المتحزبة. ﴿إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ فنجازيهم. ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ بالله ورسله. ﴿فَلَا كُفۡرَانَ﴾ فلا تضييع. ﴿لِسَعۡيِهِۦ﴾ استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه. ونفي الجنس للمبالغة. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ لسعيه. ﴿كَٰتِبُونَ﴾ مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما.

﴿٩٥﴾ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾ وممتنع على أهلها غير متصور منهم.

[**مُوَزَّعة**] بفتح الواو وتشديد الزاي [**تقبيح فعلهم**] متعلق هو وما بعده بـ«ينبغي» [**استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه**]؛ أي: لأن الشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، وهذا في حقه تعالى محال فشبه معاملته مع مَنْ أطاعه بثناء مَنْ قد أحسن إليه غيره وأولاه مِنْ معروفه ثم استعمل لجانب المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به من لفظ الشكر، وفي عكسه الكفران

۞ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

وقرئ: (حِرْمَ) بكسر الحاء وإسكان الراء، وقرئ: (حَرِمَ). ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ حكمنا بإهلاكها أو وجدناها هالكة. ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ رجوعهم إلى التوبة، أو الحياة. و(لا) صلة، أو عدم رجوعهم للجزاء؛ وهو مبتدأ خبره حرام، أو فاعل له سادّ مسدّ خبره، أو دليل عليه وتقديره: توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم، أو لأنهم لَا يَرْجِعُونَ ولا ينيبون، وَ(حَرامٌ) خبر محذوف؛ أي: وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة، ويؤيده القراءة بالكسر. وقيل: حَرامٌ عزم وموجب عليهم أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ.

﴿٩٦﴾ - ﴿٩٧﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ متعلق بـ(حَرامٌ) أو بمحذوف دل الكلام عليه، أو بـ(لَا يَرْجِعُونَ)؛ أي: يستمر الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة وظهور أماراتها: وهو فتح سد

[وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بكسر الحاء وإسكان الراء][1] موافق للواقع وللكشاف، وساقط من نسخ **[ولا صلة]**؛ أي: زائدة **[أو لأنهم لا يرجعون]** عطف في المعنى على «رجوعهم إلى التوبة» وتقدير أنَّهم لا يرجعون لأنَّهم لا يرجعون، والحاصل: أنَّ جملة ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إما مبتدأ، أو ساد مسدّ الخبر، أو دال عليه، أو تعليل لما قدره بعد من قوله وحرام عليها ذاك.

[ولا يُنيبُون] من الإنابة وهي الرجوع إلى الله بالتوبة فهو عطف تفسير **[وهو المذكور في الآية المتقدمة]**؛ أي: وهو العمل الصالح والسعي غير المكفور **[متعلق بـ«حرام»، أو بمحذوف دل عليه الكلام، أو بـ«لا يرجعون»]** هو مع قوله **[أي: يعتمر..]**

(١) إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ٢٩٣].

۞ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

يأجوج ومأجوج، وهي (حتى) التي يحكى الكلام بعدها، والمحكي هي الجملة الشرطية. وقرأ ابن عامر ويعقوب: (فُتِّحَتْ) بالتشدد. ﴿وَهُم﴾؛ يعني: يأجوج ومأجوج، أو الناس كلهم. ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز من الأرض، وقرئ: (جَدَثٍ) وهو القبر. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون من: (نسلان الذئب)، وقرئ بضم السين. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القيامة. ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جواب الشرط و(إذا) للمفاجأة تسد مسد (الفاء الجزائية) كقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] فإذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، والضمير للقصة أو مبهم يفسره (الأبصار). ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ مقدر بالقول، واقع موقع الحال من الموصول. ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ لم نعلم أنه حق. ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ لأنفسنا بالإخلال بالنظر، وعدم الاعتداد بالنذر.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الأوثان وإبليس وأعوانه؛ لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم، لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعري: قد خصمتك ورب الكعبة؟ أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى عبدوا المسيح، وبنو مليح عبدوا الملائكة! فقال عليه الصلاة والسّلام: «**بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك!**» فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية

إلى آخره. لف نشر مرتب [و«حتى» **هي التي يحكى الكلام بعدها**]؛ أي: هي الابتدائية لا الجارة ولا العاطفة [**من نَسَلان الذئب**]؛ أي: إسراعه في عَدْوِهِ، يقال: «نسل في العدو»: ينسل نسلاً ونسلانا إذا سرع[1] [**والاعتداد**] عطف على «النظر» [**بالنذر**]؛ أي: الرسل المنذرين [**فأنزل الله**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٤/٢٨٦].

۞ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

[الأنبياء: ١٠١]. وعلى هذا يعم الخطاب ويكون (مَا) مؤولاً بـ(من) أو بما يعمه، ويدل عليه ما روي أن ابن الزبعري قال: هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله؟ فقال عليه الصلاة والسّلام: «**بل لكل مَنْ عُبِدَ مِنْ دون الله**». ويكون قوله: (إِنَّ الَّذِينَ) بياناً للتجوز، أو التخصيص تأخر عن الخطاب. ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ما يرمي به إليها، وتهيج به من: (حصبه يحصبه) إذا رماه بالحصباء، وقرئ بسكون الصاد وصفاً بالمصدر. ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ استئناف أو بدل من (حَصَبُ جَهنَّمَ) و(اللام) معوضة من (على) للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لأجلها.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ لأن المؤاخذ بالعذاب لا يكون إلٰهاً. ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا خلاص لهم عنها. ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين، وتنفس شديد، وهو من إضافة فعل البعض إلى الكل للتغلب إن أريد بـ(مَا تَعْبُدُونَ) الأصنام. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ من الهول وشدة العذاب. وقيل: لَا يَسْمَعُونَ ما يسرهم.

﴿١٠١﴾ - ﴿١٠٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الخصلة الحسنى وهي السعادة، أو التوفيق بالطاعة، أو البشرى بالجنة. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لأنهم يرفعون إلى أعلى عليين. روي: أن علياً كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة

الآية [الأنبياء: ١٠١]]؛ يعني: عزيراً والمسيح والملائكة عليهم السلام [أو بما يعمه]؛ أي: يعم «مِنْ» [فعل البعض] وهم المخاطبون [إلى الكل] وهم المخاطبون والأصنام.

۞ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ١٠٤﴾.

والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمٰن بن عوف وابن الجراح، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ وهو بدل من (مُبْعَدُونَ) أو حال من ضميره سيق للمبالغة في إبعادهم عنها، والحسيس صوت يحس به. ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ دائمون في غاية التنعم، وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به. ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ النفخة الأخيرة لقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] أو الانصراف إلى النار، أو حين يطبق على النار، أو يذبح الموت. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم مهنئين لهم. ﴿هَـٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ يوم ثوابكم. وهو مقدر بالقول. ﴿ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

١٠٤ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ مقدر بـ(اذكر) أو ظرف (لَا يَحْزُنُهُمُ)، أو (تَتَلَقَّاهُمُ) أو حال مقدرة من العائد المحذوف من (تُوعَدُونَ)، والمراد بالطي ضد النشر، أو المحو؛ من قولك: اطو عني هذا الحديث. وذلك لأنها نشرت مظلة لبني آدم فإذا انتقلوا قوضت عنهم، وقرئ بالياء، والتاء، والبناء للمفعول. ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ طَيّاً كَطَيِّ الطومار لأجل الكتابة، أو لما يكتب أو كتب فيه، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع؛ أي: للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه. وقيل: (السجل): ملك يطوي كتب

[أو حين نطبق على النار]؛ أي: حين نطبق النار على أهلها **[قوضت عنهم]** من «قوضت البناء»: نقضته من غير هدم قاله الجوهري[1] **[وقُرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول]**؛ أي: مع رفع «السماء» والقارئ بالتاء والبناء للمفعول أبو جعفر **[كَطَيِّ الطومار]**؛ أي:

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٥٥].

۞ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

الأعمال إذا رفعت إليه، أو كاتب كان لرسول الله ﷺ. وقرئ: (السِّجْل) كالدلو و(السُّجُل) كالعتُلّ وهما لغتان فيه. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ أي: نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه؛ في كونهما إيجاداً عن العدم، أو جمعاً بين الأجزاء المتبددة. والمقصود: بيان صحة الإعادة بالقياس على الإبداء لشمول الإمكان الذاتي المصحح للمقدورية. وتناول القدرة القديمة لهما على السواء، و(ما) كافة، أو مصدرية، و(أول) مفعول لـ(بَدَأْنا) أو لفعل يفسره (نُعِيدُهُ) أو موصولة، والكاف متعلقة بمحذوف يفسره (نعِيدُهُ)؛ أي: نعيد مثل الذي بدأنا، و(أول خلق) ظرف لـ(بَدَأْنا) أو حال من ضمير الموصول المحذوف. ﴿وَعْدًا﴾ مقدر بفعله تأكيداً لـ(نُعِيدُهُ) أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة. ﴿عَلَيْنَا﴾؛ أي: علينا إنجازه. ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك لا محالة.

﴿١٠٥﴾ ـ ﴿١٠٦﴾ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ كتاب داود. ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾؛ أي: التوراة، وقيل: المراد بـ(الزَّبُورِ) جنس الكتب المنزل وبـ(الذِّكْرِ) اللوح المحفوظ. ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾؛ أي: أرض الجنة، أو الأرض المقدسة. ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾؛ يعني: عامة المؤمنين أو الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها، أو أمة محمّد ﷺ. ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾؛ أي: فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لَبَلَاغًا﴾ لكفاية أو لسبب بلوغ إلى البغية. ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ همهم العبادة دون العادة.

﴿١٠٧﴾ ـ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ لأن ما بعثت به سبب لإسعادهم، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم، وقيل: كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد. وذلك لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد، فالأولى: لقصر الحكم على الشيء، والثانية: على العكس. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة، وقد عرفت أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع.

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿١١١﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن التوحيد. ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾؛ أي: أعلمتكم ما أمرت به، أو حربي لكم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ مستوين في الإعلام به، أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به، أو في المعاداة، أو إيذانا على سواء. وقيل: أعلمتكم أني على سَواءٍ؛ أي: عدل واستقامة رأيٍ بالبرهان النير. ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ وما أدري. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من غلبة المسلمين، أو الحشر لكنه كائن لا محالة. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه. ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ وما أدري لعل تأخير عذابكم استدراج لكم، وزيادة في افتتانكم، أو امتحان لينظر كيف تعملون. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وتمتع إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته.

﴿١١٢﴾ ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى

الصحيفة [لأنه]؛ أي: تعيده [فالأولى: لقصر الحكم على الشيء] كقولك: «إنما يقوم زيد» [والثانية على العكس] كقولك: «إنما زيد قائم» [أو حربي] عطف على «ما أمرت به» [أو إيذاناً على سواء] عطف على «مُسْتَوِيْنَ في الإعلام به» [من الإحَن]؛ أي: الأضْغان فقوله: [والأحقاد] عطف تفسير.

لاستعجال العذاب والتشديد عليهم، وقرأ حفص: (قالَ) على حكاية قول رسول الله ﷺ. وقرئ: (رَبُّ) بالضم و(ربي احكم) على بناء التفضيل و(أَحْكَمُ) من الأحكام. ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ كثير الرحمة على خلقه. ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة. ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الحال بأن الشوكة تكون لهم، وأن راية الإسلام تخفق أياماً ثم تسكن، وأن الموعد به لو كان حقاً لنزل بهم؛ فأجاب الله دعوة رسوله ﷺ فخيب أمانيهم ونصر رسوله ﷺ عليهم، وقرئ بالياء.

وعن النبي ﷺ: «**من قرأ (اقترب) حاسبه الله حساباً يسيراً، وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن**».

[**وربِّي احكم**]؛ أي: وقُرئ «وربي احكم» [**واحكم**]؛ أي: وقُرئ واحكم [«**وعن النبي ﷺ من قرأ اقترب..**»] إلى آخره. موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٣٧٢/ برقم: ٨٠٨].

سُورَةُ الحَجِّ

(٢٢) مكية، إلا ست آيات من: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى: ﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]،
وآيها ثمان وسبعون آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ
تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) - (٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي، أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير (في) أو إضافة المصدر إلى الظرف؛ على إجرائه مجرى المفعول به. وقيل: هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها. ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم، ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى، فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى. ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ تصوير لهولها، والضمير للـ(الزَلْزَلَة)، و(يَوْمَ) منتصب بـ(تَذْهَلُ)، وقرئ: (تُذْهِلُ) و(تَذْهَلُ) مجهولاً ومعروفاً؛ أي: تذهلها الزلزلة، و(الذهول): الذهاب عن الأمر بدهشة. والمقصود: الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه، و(مَا) موصولة أو مصدرية. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ جنينها. ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ كأنهم سكارى. ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ على الحقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم،

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾.

وقرئ: (تُرِي) من أريتك قائماً، أو رأيتك قائماً بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل، وتأنيثه على تأويل الجماعة، وإفراده بعد جمعه لأن الزلزلة يراها الجميع، وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره. وقرأ حمزة والكسائي: (سَكْرَى) كـ(عطشى) إجراء للسكر مجرى العلل.

٣ ـ ٤ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ نزلت في النضر بن الحرث، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا بعث بعد الموت هي تعمه وأضرابه. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في المجادلة، أو في عامة أحواله. ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ متجرد للفساد وأصله العري. ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ على الشيطان. ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه، والضمير للشأن. ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ خبر لـ(من) أو جواب له، والمعنى: كتب عليه إضلال من يتولاه لأنه جبل عليه. وقرئ بالفتح على تقدير: فشأنه أنه يضله لا على العطف؛ فإنه يكون بعد تمام

قوله: [وقرئ «تُرى»] بضم التاء مع كسر الراء أو فتحها [من أريك قائماً] على أن الفعل متعد إلى ثلاث [أو رأيتك قائماً] على أن الفعل متعد على اثنين قيل: والرؤية فيهما بمعنى الظرف [بنصب «الناس»] راجع إلى الأول [ورفعه] راجع إلى الثاني، والفعل في قراءة ضم التاء وكسر الراء مسند إلى الزلزلة أو الساعة [وتأنيثه]؛ أي: ترى الناس في قراءة الرفع [وإفراده]؛ أي: في ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ [بعد جمعه]؛ أي: في ترونها [إجراء للسكر مجرى العلل]؛ أي: كالمرض والجرح والصرع بل هو منها في الجملة إذ السكر علة لتغير العقل كما أن المذكورات علل لتغير الجسم(١) فوزن جمع الوصف منه على «فعلى» كوزن جمع الوصف منها عليه [وهي]؛ أي: الآية.

[وأصله العري والضمير]؛ أي: في أنه [لا على العطف فإنَّه يكون بعد تمام

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي [ص٤٠٩].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥﴾.

الكلام. وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب، أو إضمار القول، أو تضمين الكتب معناه. ﴿وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ بالحمل على ما يؤدي إليه.

٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ من إمكانه وكونه مقدوراً، وقرئ: (مِنَ البَعَث) بالتحريك كـ(الجَلَب). ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: فانظروا في بدء خلقكم؛ فإنه يزيح ريبكم فإنا خلقناكم ﴿مِّن تُرَابٖ﴾ بخلق آدم منه، أو الأغذية التي يتكون منها المنيّ. ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ مَنِيٌ من: (النطف) وهو الصب. ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ قطعة من الدم جامدة. ﴿ثُمَّ مِن

الكلام]؛ أي: والكلام لا يتم؛ لأنَّ «أَنَّ» الأولى لم يستوف خبرها وردَّ كغيره بهذا على الزمخشري في تجويزه للعطف(١) **[أو لتضمين «الكتب» معناه]**؛ أي: معنى القول **[أي: فانظروا في بدء خلقكم فإنه يزيح ريبكم]** يريد أن قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾(٢) جزاء ﴿إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾ وشرط الجزاء أن يكون مسبباً عن الشرط فلا بد من التأويل فيقال: «كونكم في ريب من البعث سبب للتنبيه على النظر المؤدي إلى مزيل الريب» وهو: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [الحج: ٥] الآية **[إذ خلق آدم منه]** في نسخة: «بخلق آدم منه».

[أو الأغذية] عطف على ضمير «منه» والتقدير بخلق آدم من التراب أو بخلق

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٤٤].

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم [٥/ ٧٧].

﴿مُّضْغَةٍ﴾ قطعة من اللحم؛ وهي في الأصل قدر ما يمضغ. ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ مسواة لا نقص فيها ولا عيب، وغير مسواة. أو تامة وساقطة. أو مصورة وغير مصورة. ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا، وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرّة قبلها أُخْرَى، وأن من قدر على تغييره وتصويره أولاً قدر على ذلك ثانياً، وحذف المفعول إيماء إلى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر. ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أن نقرّه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه أربع سنين، وقرئ: (ونقرَّ) بالنصب وكذا قوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ عطفاً على (نبيِّن) كأن خلقهم مدرجاً لغرضين تبيين القدرة، وتقريرهم في الأرحام؛ حتى يولدوا وينشئوا ويبلغوا حد التكليف. وقرئا بالياء رفعاً ونصباً، و(يقرّ) بالياء و(نَقُرُّ) من: (قررت الماء) إذا صببته، و(طِفْلاً) حال أجريت على تأويل كل واحد، أو للدلالة على الجنس، أو لأنه في الأصل مصدر. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ كمالكم في القوة والعقل؛ جمع: (شدة) كـ(الأنعم) جمع: (نعمة) كأنها شدة في الأمور. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله. وقرئ: (يَتَوَفَّى)؛ أي: يتوفاه الله تعالى.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وهو الهرم والخرف، وقرئ بسكون الميم. ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ليعود كهيئته الأولى في أوان

ذريته من الأغذية [**أو تامة وساقطة**]؛ أي: بأن يكون ولداً تامّاً أو سقطاً [**وأدناه..**] إلخ، سكت عن غالبه وهو بعد تسعة أشهر لغرضين؛ أي: بالنسبة إلينا لا إليه تعالى؛ لأنه منزه عن ذلك وقرء؛ أي: «نقر»(١) [**ويُقرأ بالياء**]؛ أي: وقُرئ بقراءة بالياء مضمومة والقاف مفتوحة(٢) [**ونَقُرُّ**]؛ أي: وقرئ «ونَقُرُّ» بفتح النون وضم القاف

---

(١) عبارة (لغرضين؛ أي: بالنسبة إلينا لا إليه تعالى؛ لأنه منزه عن ذلك وقرء؛ أي: نقر) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].
(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٤٦/١٣]، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١١/١٢].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾.

الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم؛ فينسى ما علمه وينكر ما عرفه. والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة؛ فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماداً. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات. ﴿وَرَبَتْ﴾ وانتفخت، وقرئ: (وَرَبَأَت)؛ أي: ارتفعت. ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسنٍ رائق. وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة.

۝٦ - ۝٧ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة، وإحياء الأرض بعد موتها، وهو مبتدأ خبره: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء. ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة. ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء، فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات

[وهذه]؛ أي: دلالة و«ترى الأرض..» إلخ [**دلالة ثالثة**]؛ أي: على إمكان البعث كما أن الدلالتين الأوليين عليه في قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ إلخ لتضمنه بيان خلق الانسان في أطوار، وبيان ما يعتريه فيها من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة التي ذكرها، وفي نسخة: «ثانية» بدل «ثالثة» وهي الموافقة لكلام «الكشاف»[1] حيث اقتصر على الأولى والآخرة.

[كررها]؛ أي: الدلالة الثالثة بتكرير محلها باللفظ تارة وبالمعنى أُخرَى

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٤٥].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

لزم اقتداره على إحياء كلها. ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

﴿٨﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تكرير للتأكيد، ولما نيط به من الدلالة بقوله: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ على أنه لا سند له من استدلال أو وحي، أو الأول في المقلدين وهذا في المقلدين، والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الـ(هُدىً) والـ (كِتاب) عليه. ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ متكبراً، وثَنْيُ العِطْف كناية عن التكبر كَلَيِّ الجِيْدِ، أو معرضاً عن الحق استخفافاً به. وقرئ بفتح العين أي: مانع تعطفه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ علة للجدال، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال، وأنه من حيث مؤداه كالغرض له. ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهو ما أصابه يوم بدر. ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ المحروق وهو النار. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ على الالتفات، أو إرادة القول؛ أي: يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب؛ بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم المبالغة لكثرة العبيد.

[كَلَيِّ الجِيْد] هو بكسر الجيم وسكون الياء العنق [أو معرضاً] عطف على «متكبراً» [وأنه]؛ أي: الضلال [من حيث مؤداه]؛ أي: مؤدى الجدال والإعراض به [كالغرض له]؛ أي: للمجادل أو للمعرض بالجدال فقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾... إلخ، جواب ما يقال: لم يكن غرضه من جداله الضلال عن سبيل الله! فكيف علل به؟

۞ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على طرف من الدين لَا ثَبَاتَ له فيه كالذي يكون على طرف الجيش، فإن أحسَّ بظفرٍ قَرَّ وإلا فَرّ. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ روي: أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة؛ فكان أحدهم إذا صح بدنه، ونتجت فرسه مهراً سرياً، وولدت امرأته غلاماً سوياً، وكثر ماله وماشيته! قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً ـ واطمأن ـ؛ وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شراً ـ وانقلب ـ. وعن أبي سعيد: أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالإسلام؛ فأتى النبي ﷺ فقال: أقلني! فقال: «**إن الإسلام لا يُقَال**»، فنزلت. ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد، وقرئ: (خاسراً) بالنصب على الحال، والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير؛ تنصيصاً على خسرانه، أو على أنه خبر محذوف. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ إذ لا خسر مثله.

﴿١٢﴾ ـ ﴿١٣﴾ ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ يعبد جماداً لا يضر بنفسه ولا ينفع. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ [الحج: ١٢]

وما قبله جواب ما يقال: لم يكن مهتدياً حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال [**والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر**]؛ أي: وهو «خاسر»(١) [**موضع الضمير**]؛ أي: الذي كان مستكناً في انقلب على قراءة «خسر».

[**لا يضر بنفسه ولا ينفع**] أشار بذكر نفسه إلى الجمع بين نفي الضرر والنفع

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري [٢/ ٣٦٥].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾.

عن المقصد. مستعار من: ضلال من أبعد في التيه ضالاً. ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ بكونه معبوداً؛ لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى. و(اللام) معلقة لـ(يَدْعُوا) من حيث إنه بمعنى: يزعم، والزعم: قول مع اعتقاد، أو داخلة على الجملة الواقعة مقولاً؛ إجراء له مجرى «يقول»؛ أي: يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به، أو مستأنفة على أن (يدعو) تكرير للأول، و(من) مبتدأ خبره ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ الناصر. ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ الصاحب.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من إثابة الموحد الصالح، وعقاب المشرك الطالح لا دافع له ولا مانع. ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ كلام فيه اختصار والمعنى: أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه. وقيل: المراد بالنصر الرزق والضمير لـ(من). ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ فليستقص في إزالة غيظه، أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظاً، أو المبالغ جزعاً حتى يمد حَبْلاً إلى سماء بيته فيختنق؛ من: (قطع) إذا اختنق؛

لمعبودهم هنا وإثباتهما في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ وحاصله: أنه لا ضرر له ولا نفع بنفسه، وله ذلك بسبب معبوديته أما في الضرر فظاهر وأما في النفع فبزعمهم [كلام فيه اختصار..] إلى آخره. قد بيَّن الاختصار بما قاله، وعليه فالنصير باق على بابه والضمير يرجع إلى الرسول ﷺ وإن لم يصرح بذكره؛ لأن في قوله:

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. وقيل: فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا، ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها، فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه. وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر: (لِيَقْطَعَ) بكسر اللام. ﴿فَلْيَنظُرْ﴾ فليتصور في نفسه. ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ فعله ذلك؛ وسماه على الأول (كيداً) لأنه منتهى ما يقدر عليه. ﴿مَا يَغِيظُ﴾ غيظه، أو الذي يغيظه من نصر الله. وقيل: نزلت في قوم مسلمين استبطأوا نصر الله؛ لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أنزلنا القرآن كله. ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ ولأن الله يهدي به، أو يثبت على الهدى. ﴿مَن يُرِيدُ﴾ هدايته أو إثباته أنزله كذلك مبيناً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟﴾ [الإسراء: ١٠٧] إيماء إليه؛ لأن الإيمان إنما يتم بالله ورسوله **[مجاريه]**؛ أي: مجاري النفس.

[وسماه على الأول]؛ أي: وهو أن المراد سماء البيت(١) **[غيظهُ أو الذي يغيظه]**؛ يعني: أن «ما» في «يغيظه» مصدرية أو موصله **[أو لأنَّ الله يهدي به]** تعليل لقوله بعد: «أنزله كذلك مبيّناً» بيَّن بذلك أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ في محل نصب، أو جر على حذف حرف الجر، والحرف متعلق بمحذوف وهو «أنزله» المقدر، وهذا أحد أقوال ثلاثة، ثانيها: أنه في محل نصب عطف على مفعول «أنزلناه»؛ أي: وأنزلنا أن الله يهدي، وثالثها: أنه في محل رفع خبر مبتدأ محذوف؛

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٤/ ١٣٤].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾.

بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ بالحكومة بينهم وإظهار المحق منهم على المبطل، أو الجزاء؛ فيجازي كُلّاً ما يليق به، ويدخله المحل المعد له. وإنما أدخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ عالم به مراقب لأحواله.

﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يتسخر لقدرته ولا يتأنى عن تدبيره، أو يدل بذلته على عظمة مُدَبِّره. ومن يجوز أن يعم أولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ إفراداً لها بالذكر لشهرتها، واستبعاد ذلك منها. وقرئ: (والدَّوابُ) بالتخفيف كراهة التضعيف، أو الجمع بين الساكنين. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ﴾ عطف عليها إن جوّز إعمال اللفظ الواحد في كل

أي: «والأمر أن الله يهدي من يريد»(١) **[أو إنما دخلت «أنَّ» على كل واحد من طرفي الجملة]** يريد به ما عبر عنه «الكشاف» بقوله: وأدخلت أن على كل واحد من جزئي الجملة(٢).

[إفراداً] بكسر الهمزة خبر «يكون» **[لها]**؛ أي: للمذكورات من «مس»(٣) وما بعدها **[عطف عليها]**؛ أي: على من **[إنْ جوَّز إعمالَ اللفظ..]** إلخ، هو ما عليه

---

(١) هذا الكلام: (بيَّن بذلك أن قوله تعالى: (إن الله يهدي) في محل نصب أو جر على حذف حرف الجر والحرف متعلق بمحذوف وهو أنزله المقدر وهذا أحد أقوال ثلاثة، ثانيها: أنه في محل نصب عطف على مفعول أنزلناه؛ أي: وأنزلنا أن الله يهدي، وثالثها: أنه في محل رفع خبر مبتدأ محذوف؛ أي: والأمر أن الله يهدي من يريد) من نسخة [ز - ج - ب] ساقط من نسخة [الأصل].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٤٩].

(٣) كأنها «الشمس». والله أعلم.

۞ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾.

واحد من مفهوميه، وإسناده باعتبار أحدهما إلى أمر وباعتبار الآخر إلى آخر؛ فإن تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند إليهم، أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو: حق له الثواب، أو فاعل فعل مضمر؛ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ بكفره وإبائه عن الطاعة، ويجوز أن يجعل: (وكثير) تكريراً للأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب؛ أن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفاً بما بعده. وقرئ: (حَقُّ) بالضم و(حَقّاً) بإضمار فعله. ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ يكرمه بالسعادة، وقرئ بالفتح بمعنى الإكرام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإكرام والإهانة.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾؛ أي: فوجان مختصمان. ولذلك قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ حملاً على المعنى، ولو عكس لجاز. والمراد بها المؤمنون والكافرون. ﴿فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ في دينه، أو في ذاته وصفاته. وقيل: تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبيّنا قبل نبيكم! وقال المؤمنون: نحن أحق بالله! آمنا بمحمد ونبيكم، وبما أَنزلَ الله مِن كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبيّنا ثم كفرتم به حسداً! فنزلت. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فصلٌ لخصومتهم، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [الحج: ١٧]. ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ قدرت لهم على

الشافعي رضي الله عنه واللفظ هنا «السجود» وقد استعمل في معنييه وهما الانقياد المعتاد بإسناده إلى من يضع الجبهة على الأرض المفاد بإسناده إلى «كثير من الناس» **[فإن تخصيص الكثير]**؛ أي: وهو قوله: **«كثير من الناس» [يدل على خصوص المعنى]**؛ أي: وهو السجود بالجبهة **[خبر قسيمه]**؛ أي: وهو كثير في قوله: **«وكثير حق عليه العذاب» [أي: فوجان]**؛ أي: جماعتان **[ولو عكس جاز]**؛ أي: بأن يقال هؤلاء

﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

مقادير جثثهم، وقرئ بالتخفيف. ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ نيران تحيط بهم إحاطة الثياب. ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ حال من الضمير في (لَهُمْ) أو خبر ثان، و(الحميم): الماء الحار. ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾؛ أي: يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم؛ فتذاب به أحشاؤهم كما تذاب به جلودهم. والجملة حال من (الْحَمِيمُ) أو من ضميرهم. وقرئ بالتشديد للتكثير.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة، وحقيقتها ما يقمع به؛ أي: يكف بعنف. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ من النار. ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ من غمومها بدل من (الهاء) بإعادة الجار. ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾؛ أي: فخرجوا أعيدوا؛ لأن الإعادة لا تكون إلا بعد الخروج، وقيل: يضربهم لهيب النار فيرفعهم إلى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها. ﴿وَذُوقُواْ﴾؛ أي: وقيل لهم: ذُوقُواْ ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: النار البالغة في الإحراق.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ غيّر الأسلوب فيه، وأسند الإدخال إلى الله تعالى،

خصوم اختصما[١] [وقُرئ بالتشديد]؛ أي: بتشديد الهاء المقتضى بفتح الصاد[٢].

[غير الأسلوب فيه]؛ أي: حيث لم يقل: «والذين آمنوا» عطفاً على «الذين

(١) عبارة [ولو عكس جاز]؛ أي: بأن يقال هؤلاء خصوم أختصما) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٢) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [ص٤٧٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وأكده بإن إحماداً لحال المؤمنين وتعظيماً لشأنهم. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ من: (حليت المرأة) إذا ألبستها الحلي، وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ صفة مفعول محذوف و(أَساوِرَ) جمع: (أسورة) وهو جمع: (سوار). ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ بيان له. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف عليها لا على (ذَهَبٍ) لأنه لم يعهد السوار منه إلا أن يراد المرصعة به، ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محلها، أو إضمار الناصب مثل: (ويؤتون)، وروى حفص بهمزتين، وترك أبو بكر والسوسي عن أبي عمرو الهمزة الأولى، وقرئ: (لُؤْلُواً) بقلب الثانية واواً و(لُوْلِيَا) بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء، و(لِيْلِيَا) بقلبهما ياءين و(لُوْلٍ) كـ(أَدْلٍ). ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غيّر أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة، أو للمحافظة على هيئة الفواصل. ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] أو كلمة التوحيد. ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة، أو الحق أو المستحق لذاته الحمد؛ وهو الله تعالى، وصراطه الإسلام.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يريد به حالاً ولا

كفروا» [وقرئ بالتخفيف]؛ أي: بإسكان الحاء وفتح اللام [﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ صفة مفعول محذوف]؛ أي: حُلِيّاً من أساور و«من» زائدة أو تبعيضية [وروى حفص بهمزتين] وافقه بقية القراء غير السوسي وأبي بكر وإنما خصه بالذكر لمقابلته برفيقه أبي بكر[1] [و«لول» كـ«أَدْلٍ»]؛ أي: في إعلاله من قلب الواو ياء ثم حذف الياء معوضاً عنها التنوين [غير أسلوب الكلام فيه]؛ أي: حيث قال قبل: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ٣٠٠].

۞ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.

استقبالاً؛ وإنما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم: فلان يعطي ويمنع؛ ولذلك حسن عطفه على الماضي. وقيل: هو حال من فاعل (كَفَرُوا) وخبر (إِنَّ) محذوف دل عليه آخر الآية؛ أي: معذبون. ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عطف على اسم الله، وأوَّلَهُ الحنفية بمكة، واستشهدوا بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: المقيم والطارئ، على عدم جواز بيع دورها وإجارتها، وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠] وشراء عمر رضي الله عنه دار السجن فيها من غير نكير، و(سَواءً) خبر مقدم والجملة مفعول ثان لـ(جَعَلْناهُ) إن جعل لِلـ(النَّاسِ) حالاً من الهاء، وإلا فحال من المستكن فيه، ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال. و(الْعاكِفُ) مرتفع به، وقرئ: (العاكِفِ) بالجر على أنه بدل من (الناس). ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول، وقرئ بالفتح من: (الورود). ﴿بِإِلْحَادٍۭ﴾ عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾ بغير حق. وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأول؛ بإعادة الجار أو صلة له؛ أي: ملحداً بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب لـ(مَنْ).

﴿٢٦﴾ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أي: واذكر إذ عينـاه وجعلناه له مباءة. وقيل: اللام زائدة ومكان ظرف؛ أي: وإذ أنزلناه فيه.

﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] [وإلا]؛ أي: وإن لم يجعل الجملة مفعولاً ثانياً [فَحَالٌ]؛ أي: فهي حال [من المستكن فيه]؛ أي: في «للناس» بجعله مفعولاً ثانياً لـ«جعلنا» وجعل غيره على هذا أن الجملة حال من الموصول أو من عائده.

[﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾] «مِنْ» تبعيضية أو زائدة [مباءةً]؛ أي: مرجعاً [وقيل: اللام زائدة]؛ أي: في المفعول به وضُعِّف بأنها إنما تزاد فيه بعد تأخر العامل أو

۞ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

قيل: رفع البيت إلى السماء، وانطمس أيام الطوفان؛ فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنست ما حوله؛ فبناه على أسه القديم. ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (أَنْ) مفسرة لـ(بَوَّأْنا) من حيث إنه تضمن معنى تعبدنا؛ لأن التبوئة من أجل العبادة، أو مصدرية موصولة بالنهي؛ أي: فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي، وطهر بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه. ولعله عبَّر عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك، كيف وقد اجتمعت، وقرئ: (يُشْرِكْ) بالياء.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ ناد فيهم وقرئ: (وَآذِن). ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بدعوة الحج والأمر به. روي: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ صعد «أبا قبيس» فقال: «**يا أيها الناس حجوا بيت ربكم**»، فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحجّ. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة. جمع: (راجل) كقائم وقيام، وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة و(رُجَالى) كـ(عُجَالى). ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي: وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله. ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ(ضامِرٍ) محمولة على معناه، أو استئناف فيكون الضمير للـ(النَّاسِ)، وقرئ: (يأتون) صفة للرجال والركبان. ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد، وقرئ: (مَعِيْق) يقال: بئر بعيدة العمق والمعق؛ بمعنىً.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ ليحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية، وتنكيرها لأن المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة. ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾.

عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها. وقيل: كنى بالذكر عن النحر؛ لأن ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيهاً على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة، وقيل: أيام النحر. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضاً على التقرب، وتنبيهاً على مقتضى الذكر. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من لحومها. أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه، أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم، وهذا في المتطوع به دون الواجب. ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ الذي أصابه بؤس؛ أي: شدة. ﴿الْفَقِيرَ﴾ المحتاج. والأمر فيه للوجوب وقد قيل: به في الأول.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم؛ بقص الشارب، والأظفار، ونتف الإبط، والاستحداد عند الإحلال. ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ما ينذرون من البر في حجهم، وقيل: مواجب الحج. وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء. ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الركن الذي به تمام التحلل؛ فإنه قرينة قضاء التفث، وقيل: طواف الوداع. وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيها ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، أو المعتق من تسلط الجبابرة؛ فكم من جبار رسا إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى. وأما الحَجَّاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه. ﴿ذَلِكَ﴾ خبر محذوف؛ أي: الأمر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه، أو الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف. وقيل: الكعبة والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ فالتعظيم خَيْرٌ لَهُ. ﴿عِندَ

۞ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

رَبِّهِۦ﴾ ثواباً. ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ إلا المتلو عليكم تحريمه، وهو ما حرم منها لعارض: كالميتة وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله؛ فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة. ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس؛ وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها. ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ تعميم بعد تخصيص؛ فإن عبادة الأوثان رأس الزور، كأنه لما حثّ على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر، والسوائب، وتعظيم الأوثان، والإفتراء على الله بأنه حكم بذلك. وقيل: شهادة الزور لما روي أنه عليه السلام قال: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى** ـ ثلاثاً ـ؛ وتلا هذه الآية». و(الزُّورِ) من: (الزَّور) وهو الإنحراف، كما أن (الإفك) من: (الأَفك) وهو الصرف، فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ وهما حالان من (الواو). ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر. ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ فإن الأهواء الرديئة توزع أفكاره، وقرأ نافع وحده (فتَخَطَّفُهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء. ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد؛ فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة،

كونه فرعا [«روي أنه عليه السلام **قال: عدلت شهادة زور**..»] إلى آخره. رواه أبو داود[1] والترمذي[2] [**طوح به**] الباء زائدة للتأكيد قال الجوهري: طوحه؛ أي: توهه وذهب

(١) سنن أبي داود [٢/٣٢٩/ برقم: ٣٥٩٩]. (٢) سنن الترمذي [٤/٥٤٧/ برقم: ٢٢٩٩].

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾.

و(أو) للتخيير كما في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلاً، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد. ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى: ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه أحد الهلاكين. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ دين الله، أو فرائض الحج، ومواضع نسكه، أو الهدايا؛ لأنها من معالم الحج، وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حساناً سماناً غالية الأثمان. روي: أنه عليه الصلاة والسّلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفهِ برة من ذهب. وأن عمر رضي الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار. ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فإن تعظيمها منه من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، والعائد إلى (مِن) وذَكَر (القلوب) لأنها منشأ التقوى والفجور، أو الآمرة بهما.

﴿٣٣﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛

به ههنا وههنا[1] [واو للتخيير]؛ أي: بين التشبيه المشرك بالأول أو بالثاني [ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة] بأن يؤخذ الخلاصة من كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه [﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]] «ذلك» خبر محذوف كما قدّم نظيره في ذلك: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] [«روي أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة..»] إلى آخره. رواه البزار في «مسنده»[2].

[فحذفت هذه المضافات والعائد إلى «من»]؛ أي: وهو ذوي وإن كان أحد المضافات فهو من عطف ما دخل في الشيء عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] قيل: إنما يحتاج إلى هذه المضمرات إذا جعلت «مِنْ» للتبعيض، فإن جعلت للابتداء لم يحتج إلى إضمار أفعال ولا ذوي؛ إذ

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٣٢].

(٢) مسند البزار [١/ ١٢٣/ برقم: ٦١٧].

۞ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

أي: لكم فيها منافع: درها، ونسلها، وصوفها، وظهرها إلى أن تنحر، ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت؛ أي: ما يليه من الحرم، و(ثُمَّ) تحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة؛ أي: لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها. وهو على الأولين إما متصل بحديث (الْأَنْعامِ) والضمير فيه لها، أو المراد على الأول: لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت، ثم محلها منتهية إلى البيت العتيق الذي ترفع إليه الأعمال، أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة. وعلى الثاني: لَكُمْ فِيها مَنافِعُ التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة، ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولكل أهل دين. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ متعبداً أو قرباناً يتقربون به إلى الله، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر؛ أي: موضع نسك. ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ دون غيره، ويجعلوا نسيكتهم لوجهه. علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند ذبحها، وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعماً. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أخلصوا التقرب، أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المتواضعين، أو المخلصين؛ فإن الإخبات صفتهم. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من الكلف والمصائب. ﴿وَٱلْمُقِيمِى

المعنى: «فإنَّ تعظيمها ناشئ مِنْ تقوى القلوب» [درها] بدال مهملة؛ أي: لبنها [وهو]؛ أي: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [على الأولين]؛ أي: من تفسير «شعائر» وهما دين الله

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها، وقرئ: (والمقيمينَ الصلاة) على الأصل. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

﴿٣٦﴾ ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع: (بدنة) كـ(خشب وخشبة)، وأصله الضم وقد قرئ به؛ وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من: (بدن بدانة) ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في أجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام: «**البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة**» تناول اسم البدنة لها شرعاً؛ بل الحديث يمنع ذلك، وانتصابه بفعل يفسره. ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ. ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ منافع دينية ودنيوية. ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بأن تقولوا عند ذبحها: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللَّهُمَّ منك وإليك. ﴿صَوَافَّ﴾ قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرئ: (صَوَافِنْ) من: (صَفَنَ الفرس) إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث، وقرئ: (صوافِنًا) بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف و(صَوَافِي)؛ أي: خوالص لوجه الله، و(صَوَافٍ) على لغة من يسكن الياء مطلقاً كقولهم:

[**«البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة..»**] رواه أبو داود[1] [**بل الحديث يمنع ذلك**]؛ أي: بتناولها لها؛ لأن العطف يقتضي التغاير.

[**وعلى طرف سُنْبُك الرابعة**] «السُنْبُك»: ـ بضم السين والباء ـ طرف مقدم الحافر قاله الجوهري وغيره[2] [**وصوافنا**]؛ أي: وقُرئ «صوافنا» [**لقولهم**]:

---

(١) سنن أبي داود [٢/١٠٨/ برقم: ٢٨٠٩].

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده [٣/ ٢٢٠].

۞ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾.

أعط القوس باريها. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض، وهو كناية عن الموت. ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة، ويؤيده قراءة: (القَنِع)، أو السائل من: (قنعت إليه قنوعاً) إذا خضعت له في السؤال. ﴿وَٱلْمُعْتَرَّۚ﴾ والمعترض بالسؤال، وقرئ: (والمعتري) يقال: عَرَّهُ وعَرَاهُ واعتَرَّهُ واعترَاه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قياماً. ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها، وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لبانها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص.

٣٧ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ لن يصيب رضاه، ولن يقع منه موقع القبول. ﴿لُحُومُهَا﴾ المتصدق بها. ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء. ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمره تعالى، والتقرب إليه، والإخلاص له. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله، فَهَمَّ به المسلمون، فنزلت. ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرره تذكيراً للنعمة، وتعليلاً له بقوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره، فتوحدوه بالكبرياء. وقيل: هو التكبير عند الإحلال أو الذبح. ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ﴾ أرشدكم إلى طريق تسخيرها، وكيفية التقرب بها،

....أعط القوس باريها]

أوله:

يا باريَ القوس بَرْياً لستَ تُحسنُها   لا تُفْسِدَنْها وأعطِ القوسَ باريها(١)

---

(١) إسفار الفصيح، أبو سهل الهروي [١/٣٥٦].

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

و(ما) تحتمل المصدرية والخبرية و(عَلى) متعلقة بـ(تُكَبِّرُوا) لتضمنه معنى الشكر. ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ غائلة المشركين، وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون: (يُدافِعُ)؛ أي: يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله. ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم.

﴿٣٩﴾ ﴿أُذِنَ﴾ رُخِّصَ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو (الله). (لِلَّذِينَ يُقاتِلُونَ) المشركين. والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء؛ أي: للذين يقاتِلُهم المشركون. ﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ بسبب أنهم ظلموا؛ وهم أصحاب رسول الله ﷺ كان المشركون يؤذونهم، وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه! فيقول لهم: «**اصبروا فإني لم أومر بالقتال**»؛ حتى هاجرَ؛ فأنزلت. وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ وعدٌ لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم.

﴿٤٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾؛ يعني: مكة. ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ بغير

وكان القياس أن يقول كقوله بإفراد الضمير [**والمأذون فيه محذوف**]؛ أي: في «القتال» [**لدلالته**]؛ أي: لدلالة «يقاتلون» [﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ﴾] مجرور نعت للذين

۞ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾.

موجب استحقوه به. ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ على طريقة قول النابغة:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكتائب

وقيل: منقطع. ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين. ﴿لَّهُدِّمَتۡ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل، وقرأ نافع: (دِفَاع) وقرأ نافع: (ولَهُدِمَتْ) بالتخفيف. ﴿صَوَٰمِعُ﴾ صوامع الرهبانية. ﴿وَبِيَعٌ﴾ بيع النصارى. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس اليهود، سميت بها؛ لأنها يُصَلّى فيها، وقيل: أصلها: (صلوتا) بالعبرانية؛ فعرِّبَت. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ مساجد المسلمين. ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ صفة للأربع أو لـ(مساجد) خصت بها تفضيلاً. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ من ينصر دينه، وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب، وأكاسرة العجم، وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصرهم. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يمانعه شيء.

٤١ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ وصف للذين أخرجوا، وهو ثناء قبل بلاء، وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين. وقيل: بدل ممن ينصره. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ فإن مرجعها إلى حكمه، وفيه تأكيد لما وعده.

يقاتلون، أو بدل منه، أو منصوب على المدح، أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف [وهو ثناء قبل بلاء] نقله «الكشاف»[1] عن عثمان رضي الله عنه، وزاد: يريد أن الله قد أثنى عليهم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٦٢].

۞ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ تسلية له عليه الصلاة والسّلام بأن قومه إن كذبوه فهو ليس بأوحديٍّ في التكذيب، فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه. ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ غيّر فيه النظم، وبنى الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل، ولم يكذبوه وإنما كذبه القبط. ولأن تكذيبه كان أشنع، وآياته كانت أعظم وأشيع. ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً.

﴿٤٥﴾ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بإهلاك أهلها. وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: أهلها. ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقاً بـ(خاوِيَةٌ). ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر؛ أي: هي خالية وهي على عروشها؛ أي: مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها، والجملة معطوفة على (أَهْلَكْناها) لا على (وَهِيَ ظالِمَةٌ) فإنها حال، والإهلاك ليس حال خوائها، فلا محل لها إن نصبت (كأي) بمقدر

قبل أن يحدثوا من الخبر ما أحدثوا [**فيكون الجار متعلقاً بـ«خاوية»**] تفريع على القولين قبله [**والجملة**]؛ أي: وهي «فهي خاوية» [**فإنها**]؛ أي: «وهي ظالمة» [**فلا محل لها**]؛ أي: الجملة «فهي خاوية» إن نصبت «كأين»؛ لأنها معطوفة على جملة «أهلكتُها» كما مرّ، وهي مُفَسِّرَة لا محل لها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

يفسره (أَهْلَكْناها) وإن رفعته بالإبتداء فمحلها الرفع. ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على (قَرْيَةٍ)؛ أي: وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها، وقرئ بالتخفيف من: (أعطله) بمعنى: عطله. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مرفوع، أو مجصص أخليناه عن ساكنيه، وذلك يقوي أن معنى ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ خالية مع بقاء عروشها، وقيل: المراد بـ(بِئْرٍ): بئر في سفح جبل بحضرموت، وبـ(قصر) قصر مشرف على قُلَّتِه؛ كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله وعطّلهما.

﴿٤٦﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حثٌّ لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا، وهم وإن كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك. ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال. ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم. ﴿فَإِنَّهَا﴾ الضمير للقصة، أو مبهم يفسره الأبصار. وفي (تَعْمَى) راجع إليه، والظاهر أقيم مقامه. ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن الاعتبار؛ أي: ليس الخلل في مشاعرهم؛ وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد. وذكر

[وإن رفعته]؛ أي: «كأي» **[فمحلها الرفع]** خبراً ثانياً لـ«كأي» والخبر الأول **[أهلكتها على قُلّته]**؛ أي: الجبل وهي بضم القاف وتشديد اللام رأسه قاله الجوهري[1] وغيره **[فلما قتلوه]**؛ أي: حنظلة بن صفوان **[وفي ﴿تَعْمَى﴾]**؛ أي: والضمير فيه **[راجع إليه]**؛ أي: إلى «المبهم» **[أو الظاهر]**؛ أي: وهو «الأبصار» **[أقيم مقامه]**؛ أي: مقام الضمير في «تعمى» وإن كان الظاهر مفسر «للمبهم» **[وإنما إيفت]**؛

---

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٠٥].

۞ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

(الصُّدُورِ) للتأكيد ونفي التجوز. وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر. قيل: لما نزل ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله! أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى! فنزلت: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ المتوعد به. ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما أوعدهم به ولو بعد حين؛ لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال، أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة، أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل؛ وإنما عطف الأولى بالفاء وهذه بالواو؛ لأن الأولى بدل من قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤] وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة، وأن تأخيره لعادته تعالى. ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ كما أمهلتكم. ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب. ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ وإلى حكمي مرجع الجميع.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أوضح لكم ما

أي: وأصابها آفة [وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين]؛ أي: وهما ﴿وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.

۝ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢﴾.

أنذركم به، والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين؛ لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين، وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لما بدر منهم. ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ هي الجنة والكَريمُ من كل نوع ما يجمع فضائله. ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالرد والإبطال. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق، من: (عاجزه فأعجزه وعجزه) إذا سابقه فسبقه؛ لأن كلاً من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحوق به، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (مُعْجِزِين) على أنه حال مقدرة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ النار الموقدة، وقيل: اسم دركة.

۝٥٢ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام؛ ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء أمته بهم؛ فالنبي أعم من الرسول، ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء؟ فقال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً**»، قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً**» وقيل: (الرسول): من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من

[**مع عموم الخطاب**]؛ أي: في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [**وذكر الفريقين**]؛ أي: في قوله بعد: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلخ [**ما يجمع**] بالبناء للمفعول أو للفاعل [**فضائله**] بالرفع أو النصب؛ أي: فضائل ذلك النفع والمراد: ما يجتمع فيه تلك الفضائل من آدمي أو غيره [**ويدل عليه أنه** عليه السلام **سئل عن الأنبياء..**] إلى آخره. رواه الإمام أحمد[1]

---

(١) مسند أحمد [٥/ ٢٦٥/ برقم: ٢٢٣٤٢].

لا كتاب له. وقيل: (الرسول): من يأتيه الملك بالوحي، و(النبي): يقال له ولمن يوحى إليه في المنام. ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ زور في نفسه ما يهواه. ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال ﷺ: «**وإنه ليغان على قلبي! فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**». ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه. ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال الناس. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم. قيل: حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت. وقيل: تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه، واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة (وَالنَّجْمِ) فأخذ يقرؤها فلما بلغ: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]

[«**إنَّه ليغان على قلبي..**»] إلى آخره. رواه مسلم(١) [**فعزاه الله بهذه الآية**]؛ أي: وهي: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ [الحج: ٥٢] الآية.

[**فنزلت عليه سورة النجم**] إلى قوله عند المحققين روى هذه القصة البزار والطبراني بسند صحيح وله طرق كثيرة تدل على صحتها، وأطنب في صحتها شيخنا حافظ عصره الشهاب ابن حجر رادّاً على من زعم أنها لا أصل لها ثم قال: وحينئذ فيتعين تأويل ما وقع فيهما مما ينكر وهو قوله: «ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق..».. إلى آخره(٢). وقد سلك العلماء في ذلك مسالك أحسنها: «أن النبي ﷺ كان يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث يسمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها». قال ابن الأثير: و«الغرانيق»: هنا الأصنام، وهي في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق يسمى به لبياضه، قال: وكانوا يزعمون أنَّ الأصنام تقربهم من الله، وتشفع لهم، فشبّهه بالطيور التي تعلو إلى السماء وترتفع(٣). كقوله؛ أي: قول حسان في حق عثمان بن عفان:

---

(١) صحيح مسلم [٤/ ٢٠٧٥/ برقم: ٢٧٠٢].

(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٩/ ٣٤/ برقم: ٨٣١٦].

(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٦/ ١].

۞ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً إلى أن قال: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لمَّا سجد في آخرها، بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد؛ ثم نبهه جبريل، فاغتم لذلك! فعزّاه الله بهذه الآية. وهو مردود عند المحققين، وإن صحَّ فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه، وقيل: تمنى قرأ كقوله:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلَّـه أَوَّلَ لَـيْـلَـةٍ   تـمـنّـيَ دَاودَ الـزبُـورَ عَـلَـى رِسْـلِ

وأمنيته قراءته، وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ. وقد ردّ أيضاً بأنه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ﴾ لأنه أيضاً يحتمله، والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم.

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ علة لتمكين الشيطان منه، وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل. ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق. ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ المشركين. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ يعني: الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم. ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين. ﴿وَلِيَعْلَمَ

[تَـمَـنَّـى كـتـابَ الـلَّـهِ أوَّلَ لـيـلِـهِ   تَـمَـنِّـيَ داودَ الـزَّبُـورَ عـلـى رِسْـلِ][1]

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [٢/ ١٢٢].

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾.

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله؛ لأنه مما جرت به عادته في الإنس من لدن آدم. ﴿فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن أو بالله. ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ بالانقياد والخشية. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فيما أشكل. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه.

﴿٥٥﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك. ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو الرسول، أو مما ألقى الشيطان في أمنيته؛ يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها؟! ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة، أو أشراطها، أو الموت. ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر؛ سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم، أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيماً، فوصف اليوم بوصفها اتساعاً، أو لأنه لا خير لهم فيه، ومنه: (الريح العقيم): لما لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً، أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه. أو يوم القيامة على أن المراد بـ(السَّاعَةُ) غيره، أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل. ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية؛ أي: يوم تزول مريتهم. ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بالمجازاة، والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات

۞ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾.

تفضل من الله تعالى، وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم؛ فلذلك قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾، ولم يقل: هم في عذاب.

﴿٥٨﴾ ـ ﴿٥٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد. ﴿أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الجنة ونعيمها، وإنما سوّى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد؛ لاستوائهما في القصد وأصل العمل. روي: أن بعض الصحابة قالوا: يا نبي الله! هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا؟ فنزلت. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإنه يرزق بغير حساب. ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنة فيها ما يحبونه. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوالهم وأحوال معادهم. ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل في العقوبة.

﴿٦٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأمر ذلك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد في الاقتصاص، وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج، أو لأنه سببه. ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ لا محالة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمنتصر

[الزَّبورَ على رِسْلِ]؛ أي: على تأنٍّ وتمهُّل [وإنما سمى الابتداء بالعقاب..] إلى آخره. أراد بالابتداء قوله: «ما عوقب به» وبالجزاء «عاقب»، وابتداء الفعل لا يسمى عقاباً؛ لأن العقاب من الغضب وهو منتف في الابتداء، وإنما سمي عقاباً للمزاوجة بينه وبين الجزاء كما في قولهم: «كما تدين تدان» فمعنى الازدواج التسوية بين الفعلين في جنس المكروه ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] [أو لأنه]؛ أي: الابتداء [سببه]؛ أي: العقاب فسمي

۞ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾.

حيث اتبع هواه في الانتقام، وأعرض عما ندب الله إليه بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة، فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر، فغيره بذلك أولى. وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

٦١ - ٦٢ ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك النصر. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ بسبب أن الله قادر على تغليب الأمور بعضها على بعض، جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة، ومن ذلك إيلاج أحد المَلَوَيْنِ في الآخر، بأن يزيد فيه ما ينقص منه، أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس، وعكس ذلك باطلاعها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب. ﴿بَصِيرٞ﴾ يرى أفعالهما فلا يهملهما. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده، فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأً لكل ما يوجد سواه عالماً بذاته وبما عداه، أو الثابت الإِلٰهية ولا يصلح لها إلا من كان قادراً عالماً. ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلٰهاً،

باسمه[١] [**حيث اتبع هواه بالانتقام وأعرض عما ندب الله إليه..**] إلى آخره؛ أي: فإعراضه عما ندب إليه نوع إساءة، فكأنه قال تعالى عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها [**أحد الملَوَين**]؛ أي: الليل والنهار الواحد مَلَى مقصور قاله الجوهري[٢].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٣/ ٥٣].
(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٣٤].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين، وقرأ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فإنه في معنى الآلهة. ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته، أو باطل الألوهية. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ على الأشياء. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر منه سلطاناً.

﴿٦٣﴾ ـ ﴿٦٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع. ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف على (أَنْزَلَ) إذ لو نصب جواباً لدل على نفي الاخضرار كما في قولك: (ألم تر أني جئتك فتكرمني). والمقصود: إثباته، وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه أو لطفه إلى كُلِّ ما جَلَّ ودَقَّ. ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ في ذاته عن كل شيء. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم. ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ عطف على (مَا) أو على اسم (أَنَّ)، وقرئ بالرفع على الابتداء. ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ حال منها أو خبر. ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من أن تقع، أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ إلا بمشيئته وذلك يوم القيامة، وفيه رد

[وقرئ]؛ أي: «يدعون» بالتحتية **[إذ لو نصب جواباً لدل على نفي الاخضرار]**؛ أي: بخلاف ما إذا وقع ووجه ذلك بأن النصب بتقدير «أَنَّ» وهو علم

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾.

لاستمساكها بذاتها؛ فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال، وفتح عليهم أبواب المنافع، ودفع عنهم أنواع المضار.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفاً. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها.

﴿٦٧﴾ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين. ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ متعبداً أو شريعة تعبدوا بها، وقيل: عيداً. ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ ينسكونه. ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ سائر أرباب الملل. ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ في أمر الدين أو النسائك؛ لأنهم بين جهال وأهل عناد، أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع، وقيل: المراد نهي الرسول ﷺ عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم؛ فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء، أو عن منازعتهم كقولك: لا يضارب بك زيد، وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم،

للاستقبال فيجعل الفعل مترقباً والرفع جزم بإثباته **[وقيل: المراد نهى الرسول]**؛ أي: في المعنى أما في اللفظ فهو نهى لهم فهو من باب: «لا أرينك ههنا»؛ أي: إذا رأوك متمسكاً بنسك أمسكوا عنك ولا ينازعنّك **[أو عن منازعتهم..]** إلى آخره. الفرق بين التفسيرين أن الأول نهى عن الكينونة على وصف يكون سبباً لمنازعتهم، وهذا نهي عن المنازعة نفسها(١)، وهو كما قال: إنما يجوز في أفعال المغالبة التي لا تكون إلا باثنتين فأكثر لأن المجادلة والمخاصمة لا يكونان إلا بذلك، فإذا قلت: «لا يجادلنّك فلان» فهو بمنزلة لا تجادلنّه، ولا يجوز هذا في قولك: «لا يضربنك

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية [٤/١٦٣].

۞ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧٠ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا
لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ۝٧١ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ
أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٧٢﴾.

وقيل: نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله! وقرئ: (فَلَا يَنْزِعُنَّكَ) على تهييج الرسول، والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من: (نازعته فنزعته إذا غلبته). ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ إلى توحيده وعبادته. ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ طريق إلى الحق سوي.

٦٨ ـ ٦٩ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة. ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها، وهو وعيد فيه رفق. ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب. ﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات. ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

٧٠ ـ ٧١ ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فلا يخفى عليه شيء. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه؛ فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إن الإحاطة به وإثباته في اللوح المحفوظ، أو الحكم بينكم. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء. ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة تدل على جواز عبادته. ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم. ﴿مِن نَّصِيرٖ﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم.

٧٢ ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات الدلالة على

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾.

العقائد الحقية والأحكام الإلهية. ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَۖ﴾ الإنكار لفرط نكيرهم للحق، وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً. وهذا منتهى الجهالة، وللإشعار بذلك وضع (الذين كفروا) موضع الضمير أو ما يقصدونه من الشر: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ يثبون ويبطشون بهم. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُۗ﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم، أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم. ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: هو النار؛ كأنه جواب سائل قال: ما هو؟ ويجوز أن يكون مبتدأ خبره: ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص، وبالجر بدلاً من (شر) فتكون الجملة استئنافاً كما إذا رفعت خبراً أو حالاً منها. ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿٧٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ بيّن لكم حال مستغربة، أو قصة رائعة؛ ولذلك سماها (مثلاً)، أو جعل لله مثل؛ أي: مثل في استحقاق العبادة. ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ للمثل، أو لشأنه؛ استماع تدبر وتفكر. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: الأصنام، وقرأ يعقوب بالياء، وقرئ به مبنياً للمفعول، والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين. ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره؛ لأن (لَنْ) بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه، و(الذباب) من: (الذب) لأنه يذب وجمعه: (أَذِبّة وذِبّان). ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾؛ أي: للـ(الخلق) هو بجوابه

فلان» وأنت تريد «لا تضربنه» بخلاف «لا يضاربنك فلان» [أو ما يقصدونه من الشر] عطف على الإنكار [فتكون الجملة]؛ أي: جملة «وعدها الله» [أو حالاً منها] عطف على استئنافاً [رائعة]؛ أي: متلقاة بالاستحسان والاستغراب [أو جعل] عطف على

۞ ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ
الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة؛ أي: لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه! فكيف إذا كانوا منفردين؟! ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ جهَّلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلٰهاً قدر على المقدورات كلها، وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء، وبيَّن ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له؛ بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل، وتعجز عن ذَبِّه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها. قيل: كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكُوى فيأكُله. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ عابد الصنم ومعبوده، أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب، أو الصنم والذباب؛ كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه، ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات.

﴿٧٤﴾ ـ ﴿٧٦﴾ ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به، وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلق الممكنات بأسرها. ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء، وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يدعون سائرهم إلى الحق، ويبلغون إليهم ما نزل عليهم؛ كأنه لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها؛ بيَّن أن له عباداً مصطفين للرسالة، يتوسل بإجابتهم

«بيْنَ» [أو الصنم والذباب]؛ أي: أو الطالب «الصنم» والمطلوب «الذباب» [كأنه]؛ أي: الصنم.

۩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾.

والاقتداء بهم إلى عبادة الله ﷻ، وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريراً للنبوة وتزييفاً لقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، والملائكة بنات الله تعالى، ونحو ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ مدرك للأشياء كلها. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ عالم بواقعها ومترقبها. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ وإليه ترجع الأمور كلها؛ لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره، وهم يسألون.

٧٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ﴾ في صلاتكم، أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونها أول الإسلام، أو صلوا وعبّر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها، أو اخضعوا لله وخروا له سجداً. ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ بسائر ما تعبدكم به. ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون؛ كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم، والآية آية سجدة عندنا؛ لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**فُضِّلَتْ سورةُ (الحَجِّ) بسجدتين! من لم يسجدهما فلا يقرأها**».

٧٨ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: لله، ومن أجله؛ أعداء دينه الظاهرة

[«**فُضِّلَتْ سورةُ الحَجِّ..**»] رواه الترمذي وضعفه[١].

---

(١) سنن الترمذي [٢/ ٤٧١/ برقم: ٥٧٨].

كأهل الزيغ، والباطنة كالهوى والنفس. وعنه عليه الصلاة والسلام: أنه رجع من غزوة تبوك فقال: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**». ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾؛ أي: جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه؛ فعكس وأضيف (الحق) إلى (الجهاد) مبالغة كقولك: هو حق عالم. وأضيف (الجهاد) إلى الضمير اتساعاً، أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول لوجه الله ومن أجله. ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اختاركم لدينه ولنصرته. وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي إليه، وفي قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾؛ أي: ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم، إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه، أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به؛ من حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم**». وقيل: ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجاً؛ بأن رخص لهم في المضايق، وفتح عليهم باب التوبة، وشرع لهم الكفارات في حقوقه، والأروش والديات في حقوق العباد. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف؛ أي: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، أو على الإغراء، أو على الاختصاص، وإنما جعله أباهم

[«**وعنه** ﷺ: **أنه رجع من غزوة تبوك..**»] رواه البيهقي وضعف إسناده(١) وقال غيره: لا أصل له [**أي: جهاداً فيه**]؛ أي: في الله [**حقّاً خالصاً لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة**]؛ يعني: أصل المعنى: وجاهدوا في الله جهاداً حقّاً، فيفيد أن هناك جهاداً واجباً، والمطلوب منهم الإتيان به فإذا عكس وأضيف الصفة إلى الموصوف بعد الإضافة إلى الله تعالى أفاد إثبات جهاد مختص بالله، والمطلوب القيام بواجبه وشرائطه على وجه التمام والكمال بقدر الوسع والطاقة [«**إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم..**»] رواه البخاري(٢).

---

(١) الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٥١٤/ برقم: ٣٩٣].
(٢) صحيح البخاري [٦/ ٢٦٥٨/ برقم: ٦٨٥٨].

لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته؛ من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية، ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة، أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ وفي القرآن، والضمير (لله) تعالى، ويدل عليه أنه قرئ: (الله سماكم)، أو لـ(إبْراهِيمَ) وتسميتهم بمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]. وقيل: (وفي هذا) تقديره: وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين. ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم. ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتماداً على عصمته، أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى. ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتبليغ الرسل إليهم. ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا به في مجامع أموركم، ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم، ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ هو؛ إذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة؛ بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الحج) أعطي من الأجر كحجة حجها، وعمرة اعتمرها؛ بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي**».

[«**من قرأ سورة الحج..**»] إلى آخره. موضوع(١).



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/٣٩٦/ برقم: ٨٢٦].

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

(٢٣) مكية، وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين، وثماني عشرة عند الكوفيين

۞ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٢) ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قد فازوا بأمانيهم، و(قد) تثبت المتوقع ـ كما أن (لما) تنفيه ـ وتدل على ثباته إذا دخلت على الماضي؛ ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم، وقرأ ورش عن نافع: (قَدْ افْلَحَ) بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها، وقرئ: (أفلحوا) على لغة: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير، و(أَفْلَحُ) اجتزاء بالضمة عن الواو و(أُفْلِحَ) على البناء للمفعول. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ خائفون من الله، متذللون له، ملزمون أبصارهم مساجدهم. روي: أنه ﷺ كان يصلي رافعاً بصره إلى السماء، فلما نزلت؛ رمى ببصره نحو مسجده. وأنه رأى رجلاً يعبث بلحيته فقال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**».

(٣) ـ (٥) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ عما لا يعنيهم من قول أو فعل.

قوله: [**على الجارِ في «البراغيث»**]؛ أي: على لغة: «أكلوني البراغيث» [**وأفلح**]؛ أي: وقُرئ «أُفلح» بالضم [**«روي أنه ﷺ: كان يصلي..»**] إلى آخره. رواه الحاكم[1] وقال: صحيح على شرط الشيخين [**«وأنه رأى رجلاً يعبث بلحيته..»**] إلى

(١) مستدرك الحاكم [٢/٤٢٦/ برقم: ٣٤٨٣].

۞ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾.

﴿مُعۡرِضُونَ﴾ لما بهم من الجد ما شغلهم عنه، وهو أبلغ من (الذين لا يلهون) من وجوه: جعل الجملة إسمية وبناء الحكم على الضمير، والتعبير عنه بالاسم، وتقديم الصلة عليه، وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل على بعدهم عنه رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً؛ فإن أصله أن يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة؛ ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية، والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه. والزكاة تقع على المعنى والعين، والمراد الأول؛ لأن الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه، أو الثاني: على تقدير مضاف. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ لا يبذلونها.

٦ - ٧ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ زوجاتهم أو سرياتهم، و(عَلى) صلة لـ(حافِظُونَ) من قولك: احفظ على عنان فرسي، أو حال؛ أي: حافظوها في كافة الأحوال إلا في حال التزوج أو التسري، أو

آخره. رواه الحكيم الترمذي بسند ضعيف[1] [والتعبير عنه]؛ أي: عن الحكم [بالاسم] وهو معرضون [وتقديم الصلة]؛ أي: وهو «عن اللغو» [عليه]؛ أي: على الاسم [والزكاة تقع على المعنى]؛ أي: وهو فعل المزكّي الذي هو التزكية [والعين]؛ أي: وهي القدر المخرج [أو الثاني] عطف على الأول [على تقدير مضاف] تقديره لأداء الزكاة.

---

(١) نوادر الأصول، الحكيم الترمذي [٢/ ١٠٢].

۞ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ
﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

بفعل دل عليه غير ملومين، وإنما قال: (ما) إجراء للمماليك مجرى غير العقلاء؛ إذ المُلْكُ أصل شائع فيه وإفراد ذلك بعد تعميم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] لأن المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً. ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ الضمير لـ(حافظون)، أو لمن دل عليه الاستثناء؛ أي: فإن بذلوها لأزواجهم أو إمائهم فإنهم غير ملومين على ذلك. ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ المستثنى. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان.

﴿٨﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق. ﴿رَٰعُونَ﴾ قائمون بحفظها وإصلاحها، وقرأ ابن كثير هنا وفي (المعارج): (لأَمَانَتِهِم) على الإفراد، ولأمن الإلباس، أو لأنها في الأصل مصدر. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها، ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر؛ ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي. وليس ذلك تكريراً لما وصفهم به أولاً؛ فإن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها! وفي تصدير الأوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامعون لهذه الصفات. ﴿هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ الأحقاء بأن يسموا وُرَّاثاً دون غيرهم. ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ بيان لما يرثونه، وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيماً لها وتأكيداً؛ وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم، وإن كان بمقتضى وعده مبالغة فيه.

[إذ الملك أمر شائع فيه]؛ أي: في غير العقلاء، ولأن المملوكات ناقصة عقل وعلم، وممتهنات، وتباع وتشترى كسائر الحيوانات [مبالغة فيه]؛ أي: في

۞ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾.

وقيل: إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوّتوها على أنفسهم؛ لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار! ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ أنَّث الضمير لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ﴾ من خلاصة سُلّت من بين الكدر. ﴿مِّن طِينٍ﴾ متعلق بمحذوف؛ لأنه صفة لـ(سُلالَةٍ) أو (من) بيانية، أو بمعنى (سُلالَةٍ) لأنها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى. و(الإنسان) آدم خلق من صفوة سُلَّت من الطين، أو الجنس؛ فإنهم خلقوا من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار. وقيل: المراد بالطين آدم؛ لأنه خلق منه والسلالة نطفته. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ﴾ ثم جعلنا نسله؛ فحذف المضاف. ﴿نُطْفَةً﴾ بأن خلقناه منها، أو ثم جعلنا السلالة نطفة. وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء. ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ مستقر حصين؛ يعني: الرحم، وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار.

استحقاقهم الفردوس قال في «الكشاف»(١): وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر [أو بمعنى سلالة] عطف على «بمحذوف»؛ أي: أو متعلق بمعنى: «سلالة» وهو مسلول كما ذكره بقوله: [لأنه في معنى مسلولة فيكون]؛ أي: «مِنْ في ﴿مِّن طِينٍ﴾ [ابتدائية كالأولى]؛ أي: كـ«مِنْ» الأولى في قوله: ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ﴾ [وتذكير الضمير]؛ أي: في جعلنا على القول بتفسيره بسلالة [وهو]؛ أي: مكين [في الأصل صفة للمستقِر] بكسر القاف؛ أي: للمستقر في الرحم [وصف به المحل]؛ أي: وهو «الرحم» [كما عبر عنه]؛ أي: عن المحل [بالقرار]؛ أي: في قوله: ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٨١].

۞ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٦﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ فصيرناها قطعة لحم. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ بأن صلَّبْناها ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ مما بقي من المضغة، أو مما أنبتنا عليها مما يصل إليها، واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات، والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة. وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما؛ اكتفاء باسم الجنس عن الجمع، وقرئ بإفراد أحدهما وجمع الآخر. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ وهو صورة البدن، أو الروح، أو القوى بنفخه فيه أو المجموع، و(ثُمَّ) لما بين الخلقين من التفاوت. واحتج به أبو حنيفة على أن من غصب بيضة أفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ؛ لأنه خلق آخر. ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فتعالى شأنه في قدرته وحكمته. ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المقدرين تقديراً فحذف المميز لدلالة (الْخالِقِينَ) عليه. ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ لصائرون إلى الموت لا محالة؛ ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل، وقد قرئ به. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للمحاسبة والمجازاة.

[وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما]؛ أي: في عظاماً والعظام **[وقرئ بإفراد احدهما وجمع الآخر]** بأن قرئ في الأول بالإفراد وفي الثاني: بالجمع أو بالعكس[(١)] **[بنفخة]** متعلق بـ«أنشأناه»؛ يعني: بنفخ الله «الروح» أو «القوى» **[فيه]**؛ أي: في «البدن» **[أو المجموع]** عطف على «صورة البدن» وما عطف عليها **[المقدرين تقديراً فحذف المميّز]** كما قدره أو خلقاً كما قدره غيره.

[ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت]؛ أي: وهو ميت **[دون اسم الفاعل]**؛ أي:

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٥٦].

۞ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سمٰوات؛ لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل، وكل ما فوقه مثله فهو طريقه. أو لأنها طرق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ عن ذلك المخلوق الذي هو السمٰوات، أو عن جميع المخلوقات. ﴿غَٰفِلِينَ﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال، وتدبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره، أو بمقدار ما علمنا من صلاحهم. ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقراً. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾ على إزالته بالإفساد، أو التصعيد، أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه. ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ كما كنا قادرين على إنزاله، وفي تنكير (ذَهابٍ) إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإيعاد به، ولذلك جعل أبلغ من قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠]. ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ بالماء. ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات. ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها. ﴿وَمِنْهَا﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها. ﴿تَأْكُلُونَ﴾ تغذياً أو ترتزقون وتحصلون معايشكم؛ من قولهم: فلان يأكل من حرفته! ويجوز أن يكون الضميران للـ(النَخِيلِ والأَعْنابِ)؛ أي: لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه: الرطب، والعنب، والتمر، والزبيب، والعصير، والدبس، وغير ذلك؛ وطعام تأكلونه.

وهو مايت فإنه للحدوث لا للثبوت [أو الكواكب]؛ أي: أو لأن السماوات طرق الكواكب [فيها]؛ أي: في السماوات [مسيرها]؛ أي: الكواكب؛ أي: سيرها

۞ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على (جَنَّاتٍ) وقرئت بالرفع على الإبتداء؛ أي: ومما أنشئ لكم به شجرة. ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة، وقيل: بفلسطين، وقد يقال له: طور سينين. ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل، وسيناء اسم بقعة أضيف إليها، أو المركب منهما علم له كـ(إمرئ القيس) ومنع صرفه للتعريف والعجمة، أو التأنيث؛ على تأويل البقعة لا للألف لأنه (فيعال) كـ(ديماس) من: (السيناء) بالمد وهو الرفعة، أو بالقصر وهو النور، أو ملحق بـ(فعلال) كـ(علباء) من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف (سَيْناءَ) على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب: فإنه (فيعال) كـ(كيسان) أو (فعلاء) كـ(صحراء) لا (فعلال) إذ ليس في كلامهم، وقرئ بالكسر والقصر. ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾؛ أي: تنبت ملتبساً بالدهن ومستصحباً له، ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لـ(تَنْبُتُ) كما في قولك: ذهبت بزيد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية: (تُنْبِتُ) وهو إما من: (أنبت) بمعنى: (نبت) كقول زهير:

رَأَيْتُ ذوي الحَاجَاتِ عِنْدَ بُيُوتِهِم   قطينا لهم حتّى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ

أو على تقدير: تُنْبِتُ زيتونها ملتبساً بالدهن. وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول، وتثمر بالدهن، وتخرج بالدهن، وتخرج الدهن،

أو محله [كقول زهير] في مدحه لسنان بن أبي حارثة وقومه:

[رأيتُ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتِهم   قَطِيناً لهم حتى إذا أَنْبَتَ البقلُ][(١)]

أي: نبت و«قطيناً» حال من ضمير الممدوحين، وهو جمع «قاطن»: أي: مقيم، وجمع قطين قطن، يقول: رأيت ذوي الحاجات عند بيوت الممدوحين مقيمين عندهم حتى إذا نبت البقل وظهر الخصب فيجتمعون [ويثمر بالدهن..] إلى آخره؛

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري [٥/١٦].

۞ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وتنبت بالدهان. ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ معطوف على (الدهن) جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر؛ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز؛ أي: يغمس فيه للائتدام، وقرئ: (وصِبَاغ) كـ(دباغ) في: (دبغ).

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها. ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من الألبان أو من العلف؛ فإن اللبن يتكون منه فـ(من) للتبعيض أو للإبتداء. وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب (نَسْقِيْكُم) بفتح النون. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فتنتفعون بأعيانها. ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام؛ فإن منها ما يحمل عليه كالإبل والبقر، وقيل: المراد الإبل؛ لأنها هي المحمول عليها عندهم، والمناسب للفلك؛ فإنها سفائن البر؛ قال ذو الرُّمَّة: (سَفِينَةُ بَرٍ تَحْتَ خَدّي زِمَامُهَا) فيكون الضمير فيه كالضمير في ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ في البر والبحر.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إلى آخر القصص؛ مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ استئناف لتعليل الأمر بالعبادة، وقرأ الكسائي: (غَيْرِهِ) بالجر على اللفظ. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم؛ برفضكم عبادته إلى عبادة غيره، وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها. ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾ الأشراف. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾

۞ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

لعوامهم. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يرسل رسولاً. ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ رسلاً. ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعنون «نوحاً»؛ أي: ما سمعنا به أنه نبي، أو ما كلمهم به؛ من الحث على عبادة الله ونفي إله غيره، أو من دعوى النبوة. وذلك إما لفرط عنادهم، أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة. ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾؛ أي: جنون ولأجله يقول ذلك ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾ لعله يفيق من جنونه.

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ بعد ما أيس من إيمانهم. ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ بإهلاكهم أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب. ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بدل تكذيبهم إياي أو بسببه. ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد. ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بالركوب أو نزول العذاب. ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾. روي أنه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته، فركب؛ ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة. وقيل: عين «وردة» من الشام، وفيه وجوه أُخر ذكرتها في (هود). ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ فادخل فيها؛ يقال: (سلك فيه وسلك غيره)، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]. ﴿مِن كُلِّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ من كل أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين، وقرأ حفص: (مِنْ كُلٍّ) بالتنوين؛ أي: من كل نوع زوجين واثنين تأكيد. ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ وأهل بيتك، أو من آمن معك.

أي: وقُرئ بذلك [أُمَّتَيِ الذَّكرِ والأُنثى] الإضافة فيه للبيان [واحدين مزدوجين] أشار

۞ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: القول من الله بإهلاكه لكفره، وإنما جيء بـ(على) لأن السابق ضار كما جيء بـ(اللام) حيث كان نافعاً في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالدعاء لهم بالإنجاء. ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي؛ ومن هذا شأنه لا يشفع له، ولا يشفع فيه! كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله.

﴿٢٨﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ كقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]. ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ في السفينة أو في الأرض. ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ يتسبب لمزيد الخير في الدارين على قراءة أبي بكر، وقرئ: (مَنْزِلاً) بمعنى: إنزالاً أو موضع إنزال. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلاً به إلى الإجابة، وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه إظهاراً لفضله، وإشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه يحيط بهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما فعل بنوح وقومه. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾

به إلى أن كُلاً من الزوجين زوجٌ، لا كما تقول العامة: إنَّ الزوجَ الاثنان [وإنما جيء بـ«على»؛ لأن السابق ضار..] إلى آخره[1]؛ أي: كما في نظائره من نحو قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] [وإنما أفرده بالأمر] حيث قال: «قل» ولم يقل: «قولوا» [فإنه]؛ أي: الله تعالى أو دعاء نوح.

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٤/١٩٨].

۞ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يستدل بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار. ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات، وَ(إِنْ) هي المخففة و(اللام) هي الفارقة.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد أو ثمود. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هو هود أو صالح، وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم؛ وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تفسير لـ(أرسلنا)؛ أي: قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لعله ذكر بالواو؛ لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول، بخلاف قول قوم نوح حيث استؤنف به، فعلى تقدير سؤال. ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب،

[**وإنما جعل «القرن»**]؛ أي: ضمير المجرور بـ«في» [**موضع الإرسال**]؛ أي: ظرفاً له فعدي الإرسال بـ«في» مع أنه في الأصل إنما يعدا بـ«إلى» كـ«بَعَثَ» و«وَجّه» وكما في آية ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥] [**ليدل على أنه**]؛ أي: الرسول [**لم يأتهم**]؛ أي: قومه المرسل إليهم [**من مكان غير مكانهم**] و«إلى» لا تدل على ذلك[١].

[**وحيث استؤنف به**]؛ أي: بكلامهم كما في قصة هود في سورتي «الأعراف» و«هود» حيث ذكر فيهما بغير فاء وواو [**فعلى تقدير سؤال**] تقديره فما قال قومه؟

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٢٣٠].

۞ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بكثرة الأموال والأولاد. ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في الصفة والحالة. ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ تقرير للمماثلة، و(ما) خبرية، والعائد إلى الثاني منصوب محذوف، أو مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه. ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ حيث أذللتم أنفسكم، و(إذاً) جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ مجردة عن اللحوم والأعصاب. ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ من الأجداث، أو من العدم تارة أُخْرَى إلى الوجود، و(أَنَّكُمْ) تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره، أو (أنكم لمخرجون) مبتدأ خبره الظرف المقدم، أو فاعل للفعل المقدر جواباً للشرط والجملة خبر الأول؛ أي: أنكم إخراجكم إذا متم، أو إنكم إذا متم وقع إخراجكم. ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفاً لدلالة خبر الثاني

فقيل له: قالوا كيت وكيت [وما]؛ أي: في قوله: ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾... إلى آخره. [**خبرية**]؛ أي: موصولة [**والعائد إلى الثاني**]؛ أي: من الموصولين [**منصوب محذوف**]؛ أي: يشربونه [**أو مجرور خلاف..**] إلى آخره؛ أي: يشربون منه [**و«إذا» جزاء للشرط**]؛ أي: واقع في جزائه كما عبر به «الكشاف»[1]، واعترض بأنه ليس واقعاً في جزائه بل واقع بين «إنَّكم» والخبر، و«إنَّكم» والخبر ليس جزاء للشرط بل جواب للقسم المحذوف، قيل: «إنَّ» الشرطية على القاعدة في أنه إذا اجتمع شرط وقسم أُجيب سابقهما، ولو كان جزاء للشرط لزمت الفاء في «إنَّكم».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٨٨].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

عليه، لا أن يكون الظرف؛ لأن اسمه جثة. ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بعد التصديق أو الصحة. ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ أو بعد ما توعدون، و(اللام) للبيان كما في (هَيْتَ لَكَ) كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل: فما له هذا الاستبعاد؟ قالوا: لِما تُوعَدُونَ. وقيل: (هَيْهاتَ) بمعنى: البعد، وهو مبتدأ خبره (لِما تُوعَدُونَ)، وقرئ بالفتح منوناً للتنكير، وبالضم منوناً على أنه جمع: (هيهة)، وغير منون تشبيهاً بـ(قبل)، وبالكسر على الوجهين، وبالسكون على لفظ الوقف وبإبدال التاء هاء.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أصله: إن الحياة إِلَّا حَياتُنا الدُّنْيا! فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً عن التكرير، وإشعاراً بأن تعينها مغن عن التصريح بها كقوله: (هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ) ومعناه: لا حياة إلا هذه الحياة؛ لأن (إِنْ) نافية دخلت على (هِيَ)

[لا أن يكون]؛ أي: خبر الأول **[الظرف لأن اسمه]**؛ أي: اسم الأول **[جثة]** والظرف زمان، والجثة لا نخبر عنها بالزمان **[قال]**؛ أي: قائل منهم، وفي نسخة: «قالوا» **[كقوله]**؛ أي: قول الشاعر:

[هي النفسُ ما حَمَّلْتَها تتحمَّلُ ....]

تمامه:

.... **وللدَّهرِ أيامٌ تجورُ وتعدِلُ**[1]

واعتُرض بأن البيت ليس كالآية؛ لأنه يصح الحياة حياتنا الدنيا، ولا يصح: «النَّفْسُ النَّفْسُ ما حملتها تتحمل»، فلا يصح أن تكون النفس الثانية مبينة للأولى،

---

(١) البيت لعلي بن الجهم. روضة العقلاء، ابن حبان [ص١٤٥]، طبقات الشعراء، ابن المعتز [ص١٤٤].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

التي في معنى الحياة الدالة على الجنس؛ فكانت مثل (لا) التي تنفي ما بعدها نفي الجنس. ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ يموت بعضنا ويولد بعض. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ بعد الموت. ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ فيما يدعيه من إرساله له، وفيما يعدنا من البعث. ﴿وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ بمصدقين.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي﴾ عليهم وانتقم لي منهم. ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بسبب تكذيبهم إياي. ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ﴾ عن زمان قليل و(ما) صلة لتوكيد معنى القلة، أو نكرة موصوفة. ﴿لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ على التكذيب إذا عاينوا العذاب. ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا. واستدل به على أن القرن قوم صالح. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ بالوجه الثابت الذي لا دافع له، أو بالعدل من الله؛ كقولك: فلان يقضي بالحق. أو بالوعد الصدق. ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله؛ كقول العرب: سال به الوادي ـ لمن هلك ـ. ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل الإخبار والدعاء، و(بعداً) مصدر: (بَعد) إذا هلك، وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها، و(اللام) لبيان من دعي عليه بالبعد. ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل.

وأجيب بأن الاستشهاد بالبيت لمجرد البيان؛ لأن الضمير في «هي النفس» للقصة، والجملة مفسرة نحو «هو الله أحد»؛ أي: القصة، وهي أن النفس ما حملتها تتحمل على أنه يصح أن يقال: «النفس النفس ما حملتها تتحمل» على طريقة:

أنا أبو النجم وشعري شعري

۞ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾؛ يعني: قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ الوقت الّذي حد لهلاكها و(مِنْ) مزيدة للاستغراق. ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ الأجل. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ متواترين واحداً بعد واحد، من: (الوتر) وهو الفرد، و(الياء) بدل من (الواو) كـ(تَوْلَج وتَيْقُور) و(الألف) للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى: المتواترة وقع حالاً، وأماله حمزة وابن عامر والكسائي. ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ إضافة الرسول مع الإرسال إلى المرسل، ومع المجيء إلى المرسل إليهم؛ لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه، والمجيء الذي هو منتهاه إليهم. ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الإهلاك. ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لم نبق منهم إلا حكايات يسمر بها؛ وهو اسم جمع للحديث، أو جمع: (أحدوثة): وهي ما يتحدث به تلهياً. ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

[كتولج][(١)] هو كناسة الوحش الذي يلج فيه؛ أي: موضع الظبي الذي يكتن فيه ويستتر قاله الجوهري[(٢)]، وأصله: (وولج) قلبت الواو تاء [وتيقور] هو الوقار قاله الجوهري[(٣)] وأصله «ويقور» قلبت الواو تاء [بمعنى]؛ أي: المعاقبة [أضاف الرسول] الصادق بالجمع [الإرسال]؛ أي: في أرسلنا [إلى المرسل] وهو «نا» في «أرسلنا» [ومع]؛ أي: وإضافة «مع» [المجيء]؛ أي: في «جاء» [إلى المرسل إليهم] وهو هنا في «رسولها» [منه]؛ أي: من الله تعالى [إليهم]؛ أي: إلى المرسل إليهم [يُسمو بها]

---

(١) **التُّلَجُ**: فرخ العقاب، وقال أبو عبيد: التَّوْلَج الكِناس. تهذيب اللغة، الأزهري [٣/٤٨٦].

(٢) الصحاح، الجوهري [٢/١٢٥]. (٣) الصحاح، الجوهري [٢/٢٨٩].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾
فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

---

(٤٥) - (٤٦) ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالآيات التسع. ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم. ويجوز أن يراد به العصا وأفرادها؛ لأنها أول المعجزات وأمها، تعلقت بها معجزات شتى: كانقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وحراستها؛ ومصيرها: شمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ورشاء ودلواً. وأن يراد به المعجزات، وبالآيات الحجج، وأن يراد بهما المعجزات؛ فإنها آيات للنبوة وحُجَّةٌ بيِّنَةٌ على ما يدعيه النبيّ. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ على الإيمان والمتابعة. ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين.

(٤٧) - (٤٩) ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ ثنى (البشر) لأنه يطلق للواحد؛ كقوله: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] كما يطلق للجمع كقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦] ولم يثنِّ المثل؛ لأنه في حكم المصدر. وهذه القصص كما نرى تشهد بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة؛ وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل؛ فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك؛ لكنها متباينة الأقدام فيهما. وكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة، يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال؛ فيدركون ما لا يدرك غيرهم، ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم. وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ

يتحدث بها **[بضربهما]**؛ أي: البحر والحجر **[بها]**؛ أي: بالعصاة **[على أحوالهم]**؛ أي: المنكرين **[في جانب النقصان أغبياء]** وهي بموحدة قبل الياء **[في ظرف الزيادة أغنياء]** هو بنون قبل الياء.

۞ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾؛ يعني: بني إسرائيل. ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ خادمون منقادون كالعباد. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق في بحر «قلزم». ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل بني إسرائيل. ولا يجوز عود الضمير إلى (فِرْعَوْنَ وقومه) لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى المعارف والأحكام.

﴿٥٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ بولادتها إياه من غير مسيس. فالآية أمر واحد مضاف إليهما، أو جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ آية؛ بأن تكلم في المهد، وظهرت منه معجزات أُخَر، وَأُمَّهُ آية بأن ولدت من غير مسيس. فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها. ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أرض بيت المقدس؛ فإنها مرتفعة، أو دمشق، أو رملة فلسطين، أو مصر؛ فإن قراها على الرُّبى. وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء، وقرئ: (رِبَاوَةٍ) بالضم والكسر. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من الأرض منبسطة. وقيل: ذات ثمار وزروع؛ فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها. ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء معين ظاهر جار، (فعيل) من: (معن الماء) إذا جرى، وأصله: الإبعاد في الشيء، أو من: (الماعون): وهو المنفعة لأنه نفاع، أو (مفعول) من: (عانه) إذا أدركه بعينه؛ لأنه لظهوره مدرك بالعيون. وصف ماءها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان.

﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة؛ لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة؛ بل على

[نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة..] إلى آخره.

تبع فيه «الكشاف»[1]، واعترض بأن هذه نزعة اعتزالية! لأنه تعالى في الأزل متكلم،

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٩٣].

۝ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

معنى: أن كلاً منهم خوطب به في زمانه، فيدخل تحته عيسى دخولاً أولياً، ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم، واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات، أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا الرسل في تناول ما رزقا. وقيل: النداء له، ولفظ الجمع للتعظيم، و(الطيبات): ما يستلذ به من المباحات. وقيل: الحلال الصافي القوام؛ فـ(الحلال): ما لا يعصى الله فيه، و(الصافي): ما لا ينسى الله فيه، و(القوام) ما يمسك النفس ويحفظ العقل. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

﴿٥٢﴾ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾؛ أي: ولأن هذِهِ؛ والمعلل به (فَاتَّقُونِ) أو (واعلموا أن هذه) وقيل: إنه معطوف على (بِما تَعْمَلُونَ) وقرأ ابن عامر بالتخفيف، والكوفيون بالكسر على الاستئناف. ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ملتكم ملة واحدة؛ أي: متحدة في الاعتقاد وأصول الشرائع، أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة. ونصب (أُمَّةً) على الحال. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ

آمرٌ، ناهٍ، ولا يشترط في الأمر وجود المأمورين بل الخطاب أزلاً على تقدير وجود المخاطبين، والمعتزلة أنكروا قدم الكلام، فحملوا الآية على خلاف ظاهرها، وأنت خبير بأن عدم اشتراط ما ذكر هو في التعليق المعنوي لا التنجيزي الذي الكلام فيه فإنه مشروط فيه ذلك كما حررناه في «شرح اللب» **[حكاية]** تعليل لقوله ابتداء كلام.

[لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة]؛ أي: آويناهما وقلنا لهما هذا؛ أي: أعلمناهما أنَّ الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحاً اقتداء بالرسل(١) **[لتقتديا بالرسل]** تعليل لذكر ذلك حكاية.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٢/١٢٨].

۞ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾ في شقِّ العصا ومخالفة الكلمة.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أدياناً مختلفة، أو: فتفرقوا وتحزبوا. و(أمرهم) منصوب بنزع الخافض أو التمييز، والضمير لما دل عليه (الأمة) من أربابها أو لها. ﴿زُبُرٗاۖ﴾ قطعاً؛ جمع: (زبور) الذي بمعنى: الفرقة؛ ويؤيده القراءة بفتح الباء؛ فإنه جمع: (زبرة) وهو حال من (أمرهم) أو من (الواو)، أو مفعول ثان لـ(تقطعوا) فإنه متضمن معنى: جعل. وقيل: كتباً؛ من: (زبرت الكتاب) فيكون مفعولاً ثانياً، أو حالاً من (أمرهم) على تقدير مثل: كتب، وقرئ بتخفيف الباء كـ(رُسْل) في (رُسُل). ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ من المتحزبين. ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ معجبون، معتقدون أنهم على الحق. ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ في جهالتهم؛ شبهها بالماء الذي يغمر القامة؛ لأنهم مغمورون فيها، أو لاعبون بها. وقرئ: في (غَمَرَاتهم). ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى أن يقتلوا، أو يموتوا.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ أن ما نعطيهم ونجعله لهم مدداً، ﴿مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾ بيان لـ(ما) وليس خبراً له؛ فإنه غير معاتب عليه، وإنما المعاب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم خبره: ﴿نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾

[**في شق العصا**]؛ أي: في مفارقة الجماعة [**بنزع الخافض**]؛ أي: في أمرهم؛ أي: شأنهم [**أو التمييز**]؛ أي: المحول عن الفاعل؛ أي: ويقطع أمرهم وهذا على مذهب الكوفيين لا على مذهب البصريين؛ لأنهم يشترطون تنكيره وأمرهم معرفة وجوز فيه وجه ثالث: أن يكون مفعولاً بجعل «تقطعوا» بمعنى «قطعوا»[(١)].

[**شبهها بالماء الذي يغمر القامة..**] إلى آخره. يريد كما قال الطيبي: أن قوله:

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [١٨/ ٤١].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

والراجع محذوف، والمعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بل هم كالبهائم؛ لا فطنة لهم، ولا شعور ليتأملوا فيه! فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير! وقرئ: (يَمُدُّهُم) على الغيبة، وكذلك (يُسَارِعُ) و(يُسْرِعُ) ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به و(يُسَارَعُ) مبنياً للمفعول.

﴿٥٧﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ من خوف عذابه. ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ حذرون. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ المنصوبة والمنزلة. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بتصديق مدلولها. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ يعطون ما أعطوه من الصدقات، وقرئ: (يأتون ما أتوا)؛ أي: يفعلون ما فعلوا من الطاعات. ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا يقبل منهم، وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ لأن مرجعهم إليه، أو من أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفي عليهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها، أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها؛ كقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤٨] فيكون

﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ استعارة شبه جهلهم بغمرة الماء إذا وقع فيها الشخص فلا يدري كيف يتخلص منها بجامع الوقوع في ورطة الهلاك، أو تمثيل شبه حالهم مع ما هم عليه من مجادلة الباطل والانغماس فيه بحال من يدخل في الماء الغامر للعب بجامع تضييع السعي بعد الكدح في العمل [**«لأنَّ مرجعهم إليه» أو «مِنْ أنَّ مرجعهم»**] بيان للمقدر قيل إنهم أهوَ «اللام» أو «مِنْ» [**الموعودة**]؛ أي: المعوذة ترتيبها [**على صالح الأعمال**]؛ أي: على الأعمال الصالحة [**بالمبادرة إليها**] متعلق بيسارعون [**فيكون**

۞ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

إثباتاً لهم ما نفي عن أضدادهم. ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ لأجلها فاعلون السبق، أو سابقون الناس إلى الطاعة، أو الثواب، أو الجنة، أو سابقونها أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا؛ كقوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

﴿٦٢﴾ ـ ﴿٦٣﴾ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ يريد به اللوح، أو صحيفة الأعمال. ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب. ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ قلوب الكفرة. ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ في غفلة غامرة لها. ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ من الذي وصف به هؤلاء، أو من كتاب الحفظة. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾ خبيثة ﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ متجاوزة لما وصفوا به، أو متخطية عما هم عليه من الشرك. ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ معتادون فعلها.

﴿٦٤﴾ ـ ﴿٦٥﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ متنعميهم. ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾؛ يعني: القتل يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم الرسول ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ أشدد وطأتك على مضر! واجعلها عليهم سنين كسِنِي يوسف!**». فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة. ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ فاجأوا الصراخ بالاستغاثة. وهو جواب الشرط، والجملة مبتدأ بعد (حتى) ويجوز أن يكون الجواب: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ﴾ فإنه مقدر بالقول؛ أي: قيل لهم: لا تَجْأَرُوا

إثباتاً لهم ما نفى عن أضدادهم] «ما» اسم يكون، و«إثباتاً» خبرها.

[**أو سابقونها؛ أي: ينالونها]**؛ أي: يبادرونها [«**اللَّهُمَّ اشدد وطأتك على مضر..**»]

۞ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الْيَوْمَ ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ تعليل للنهي؛ أي: لَا تجأروا فإنه لا ينفعكم؛ إذ لا تمنعون منا، أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا.

﴿٦٦﴾ - ﴿٦٧﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ يعني: القرآن. ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها، و(النكوص): الرجوع قهقرى. ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ الضمير للتكذيب، أو للبيت، وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره، أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي، و(الباء) متعلقة بـ(مُسْتَكْبِرِينَ) لأنه بمعنى مكذبين، أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله: ﴿سَٰمِرًا﴾؛ أي: تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه، وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كـ(العاقبة)، وقرئ: (سُمَّراً) جمع: (سامر) ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من: (الهجر) بالفتح؛ إما بمعنى القطيعة أو الهذيان؛ أي: تعرضون عن القرآن، أو تهذون في شأنه. أو (الهُجْر) بالضم؛ أي: الفُحش، ويؤيد الثاني قراءة نافع: (تُهْجِرُونَ) من: (أهجر) وقرئ: (تُهَجِّرُون) على المبالغة.

﴿٦٨﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: القرآن؛ ليعلموا أَنَّهُ الحق مِن

إلى آخره. رواه الشيخان[١] [**الضمير للبيت..**] إلى آخره. يوضحه مع زيادة قول «الكشاف»[٢] الضمير «للبيت العتيق» أو «للحرم» كانوا يقولون: لا يظهر علينا أحد؛ لأنَّا أهل الحرم، والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم يكن لهم مفخرة إلا أنهم ولاته والقائمون به [**أو اهجر بالضم**] عطف على «الهَجر» بفتح الهاء

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٧٧/ برقم: ٧٧١]، صحيح مسلم [١/ ٤٦٦/ برقم: ٦٧٥].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ١٩٦].

۞ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

ربِّهِمْ بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله. ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الرسول والكتاب، أو من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون؛ كإسماعيل وأعقابه، فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ بالأمانة، والصدق، وحسن الخلق، وكمال العلم مع عدم التعلم، إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء. ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ دعواه لأحد هذه الوجوه؛ إذ لا وجه له غيرها؛ فإن إنكار الشيء قطعاً أو ظناً إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع، أو الشخص، أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد. ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ﴾ فلا يبالون بقوله، وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأدقهم نظراً. ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه! وإنما قيد الحكم بالأكثر؛ لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق.

﴿٧١﴾ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن كان في الواقع آلهة شتى. ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ كما سبق تقريره في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقيل: لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً لذهب ما قام به العالم فلم يبق، أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ أهواءهم وانقلب شركاً لجاء الله بالقيامة، وأهلك العالم من فرط غضبه! أو لو اتبع الله أهواءهم بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي؛ لخرج عن الألوهية ولم يقدر أن يمسك السمٰوات والارض! وَهُوَ على أصل المعتزلة. ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم؛ أي: وعظهم أو صيتهم، أو الذكر الذي تمنوه بقولهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨] وقرئ: (بذكراهم). ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ لا يلتفتون إليه.

۞ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ قيل: إنه قسيم قوله: ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٨]. ﴿خَرْجًا﴾ أجراً على أداء الرسالة. ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ رزقه في الدنيا أو ثوابه في العقبى. ﴿خَيْرٌ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم، و(الخرج) بإزاء (الدخل): يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك، والخراج غالب في الضريبة على الأرض ففيه إشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ؛ ولذلك عبر به عن عطاء الله إياه، وقرأ ابن عامر: (خرجاً فخرْج) وحمزة والكسائي: (خراجاً فخراج) للمزاوجة. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تقرير لخيرية خراجه. ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له، واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة، وأزاح العلة في هذه الآيات؛ بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام، وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة.

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ عن الصراط السوي. ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ لعادلون عنه؛ فإن خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾؛ يعني: القحط. ﴿لَّلَجُّوا۟﴾ لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق، وعداوة الرسول والمؤمنين. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عن الهدى. روي: أنهم قحطوا حتى أكلوا العِلْهِز؛ فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ

[«روي: أنهم قحطوا حتى أكلوا العِلْهِز..»] إلى آخره. رواه النسائي(١) والبيهقي(٢)،

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٦/٤١٣/برقم: ١١٣٥٢].

(٢) السنن الكبرى، البيهقي [٢/٧٥/برقم: ٢٣٥٧].

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾.

فقال: أنشدك الله والرحم! ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟! قال: «**بلى**»! فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت.

٧٦ ـ ٧٧ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾؛ يعني: القتل يوم بدر. ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم، و(استكان) استفعل من: (الكون) لأن المفتقر انتقل من كون إلى كون، أو (افتعل) من: (السكون) أشبعت فتحته. وليس من عادتهم التضرع، وهو استشهاد على ما قبله. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾؛ يعني: الجوع؛ فإنه أشد من القتل والأسر. ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك.

٧٨ ـ ٨٠ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ لتحسوا بها ما نصب من الآيات. ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ لتتفكروا فيها، وتستدلوا بها إلى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية. ﴿قَلِيلٗا﴾ تشكرونها شكراً قليلاً؛ لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله، والإذعان لمانحها من غير إشراك و(ما) صلة للتأكيد. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل. ﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رداً لنسبته إلى الشمس حقيقة، أو لأمره وقضائه تعاقبهما، أو انتقاص

و«العِلْهِز»: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سِنِيِّ المجاعة قاله ابن الأثير.

[**وهو استشهاد على ما قبله**]؛ أي: وهو قوله: ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٧٥] الآية [**ومختص به..**] إلى آخره. أشار به إلى أنَّ «لام» له إما للاختصاص؛ فيكون

۞ ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

أحدهما وازدياد الآخر. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالنظر والتأمل أن الكلَّ منّا، وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها، وأن البعث من جملتها. وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين.

﴿٨١﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿بَلْ قَالُواْ﴾؛ أي: كفار مكة. ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم. ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استبعاداً ولم يتأملوا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ أيضاً تراباً فخلقوا. ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إلا أكاذيبهم التي كتبوها، جمع: (أسطورة)؛ لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك. وقيل: جمع: (أسطار)؛ جمع: (سطر).

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك! فيكون استهانة بهم، وتقريراً لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح؛ إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره؛ ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها. ﴿قُلْ﴾؛ أي: بعد ما قالوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إيجادها ثانياً، فإن بدء الخلق ليس أهون من إعادته. وقرئ: (تتذكرون) على الأصل.

ذلك ردّاً على من يقول: إنَّ الاختلاف إنما هو للشمس حقيقة، وإما للتعليل وهو المعبر عنه بقوله: أو لأمره وقضائه.. إلى آخره. [وقيل: جمع أمطار جمع مطر]

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿٨٩﴾ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فإنها أعظم من ذلك. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده؛ على ما يقتضيه لفظ السؤال. ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته، ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته. ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ملكه غاية ما يمكن وقيل: خزائنه. ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه. ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يغاث أحد ولا يمنع منه، وتعديته بـ(على) لتضمين معنى النصرة. ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة.

﴿٩٠﴾ ـ ﴿٩٢﴾ ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ من التوحيد والوعد بالنشور. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ حيث أنكروا ذلك. ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لتقدسه عن مماثلة أحد. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يساهمه في الألوهية. ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ جواب محاجتهم، وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه، واستبد به، وامتاز ملكه عن ملك الآخرين، وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء، واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده. ﴿عَٰلِمِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وقد جره ابن كثير

۞ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة. وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنه المنفرد بذلك، ولهذا رتب عليه ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالفاء.

﴿٩٣﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ إن كان لا بد من أن تريني؛ لأن (ما) و(النون) للتأكيد. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة. ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قريناً لهم في العذاب؛ وهو إما لهضم النفس، أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيّه أنه له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها؛ فأمره بهذا الدعاء. وتكرير النداء، وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به؛ فضل تضرع وجؤار. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ لكنا نؤخره علمنا بأن بعضهم، أو بعض أعقابهم يؤمنون، أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم؛ ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به. وقيل: قد أُرَاهُ: وهو قتل بدر، أو فتح مكة.

﴿٩٦﴾ - ﴿٩٨﴾ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها؛ لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين. وقيل: هي كلمة التوحيد، والسيئة الشرك. وقيل: هو الأمر بالمعروف، والسيئة المنكر؛ وهو أبلغ من أدفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ

بفتح الطاء كسبب وأسباب [وهو إما هضم النفس..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف يجوز أن يجعل الله نبيّه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾ بما يصفونك به، أو بوصفهم إياك على خلاف حالك، وأقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم. ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وساوسهم، وأصل: (الهمز): النخس، ومنه: (مهماز الرائض) شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة للدواب على المشي. والجمع للمرات، أو لتنوع الوساوس، أو لتعدد المضاف إليه. ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ يحوموا حولي في شيء من الأحوال، وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ متعلق: بـ(يَصِفُونَ)، وما بينهما اعتراض لتأكيد الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم، ويغريه على الانتقام، أو بقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠]. ﴿قَالَ﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة لما اطلع على الأمر. ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ ردوني إلى الدنيا؛ والواو لتعظيم المخاطب. وقيل: لتكرير قوله: (ارجعني) كما قيل: في (قفا وأطرقا). ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الإيمان الذي تركته؛ أي: لعلي آتي الإيمان وأعمل فيه،

معهم[1]؟ [ومنه مهماز الرائض] هو حديدة تكون في مؤخر الخفّ.

[وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل]؛ أي: النزع وتخصيص الدعاء المأمور بهذه الثلاثة آكد [لأنها أَحْرَى الأحوال بأن يخاف عليه]؛ أي: على المتعوّذ والباء متعلقة بـ«أَحْرَى» [أو بقوله] عطف على «بيصفون» [وقيل لتكرير قوله: «ارجعني»]؛ أي: في قوله: «ارجعون»؛ لأنه في معنى: «ارجعني رجعني ارجعني» [كما قيل في قفا وأطرقا]؛ أي: في أنهما بمعنى: «قِفْ قِفْ» و«اطْرِق اطْرِق»

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٣/ ١٠٢].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

وقيل: في المال أو في الدنيا. وعنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان! بل قدوماً إلى الله تعالى، وأما الكافر فيقول: رب ارجعون!**». ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ معنى قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلى آخره، و(الكلمة): الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض. ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا محالة لتسلط الحسرة عليه. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم والضمير للجماعة. ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يوم القيامة، وهو إقناط كلي عن الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا؛ وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة.

﴿١٠١﴾ - ﴿١٠٣﴾ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ لقيام الساعة. والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد أن (الصُّوَرِ) أيضاً جمع الصورة. ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة؛ بحيث يَفِرُّ

[والكلمة]؛ أي: لغة؛ لأنها المرادة هنا [﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾] هو بضم الصاد وسكون الواو إذا نفخ فيه ظهر صوت عظيم جعله الله علامة لخراب الدنيا ولإعادة الأموات.

[**والقراءة بفتح الواو**]؛ أي: مع ضم الصاد(١) [وبه]؛ أي: بفتح الواو [**وبكسر الصاد يؤيدان الصور أيضاً جمع صورة**] أتى بـ«أيضاً» لإفادة أن الصور بالنظر إلى الخط كما يكون مفرداً يكون جمعاً، وأما بالنظر إلى اللفظ لا حاجة إليه لاختلاف

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٣٧٤].

۞ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

المرء مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصاحبته وَبَنِيهِ. أو يفتخرون بها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كما يفعلون اليوم. ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ولا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه، وهو لا يناقض قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] لأنه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة، أو دخول أهل الجنة الجنة والنار النار. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ موزونات عقائده وأعماله؛ أي: فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ومن لم يكن له ما يكون له وزن، وهم الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها، وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها. ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ بدل من الصلة، أو خبر ثان لـ(أولئك).

﴿١٠٤﴾ ـ ﴿١٠٦﴾ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها، و(اللفح): كالنفح إلا أنه أشد تأثيراً. ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ من شدة الاحتراق، والكلوح: تقلص الشفتين عن الأسنان، وقرئ: (كَلِحُون). ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ على إضمار القول؛ أي: يقال لهم: أَلَمْ تَكُنْ. ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية إلى سوء العاقبة، وقرأ حمزة والكسائي: (شقاوَتنا) بالفتح كـ(السعادة)، وقرئ بالكسر كـ(الكتابة). ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الحق.

اللفظ **[أو يفتخرون بها]** عطف على «ينفعهم» **[موزونات عقائده وأعماله]** هو أحد وجهين ذكرهما في الأعراف والوجه الآخر الموازين ما يوزن به الحسنات والسيئات وهو المشهور **[بدل من الصلة]**؛ أي: من صلة الموصول **[إلا أنه]**؛ أي: اللفح **[أشد تأثيراً]** من النفخ **[تأنيب]**؛ أي: تعنيف ولوم.

۞ ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿١٠٧﴾ - ﴿١٠٨﴾ ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ من النار. ﴿فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ إلى التكذيب. ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا. ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ اسكتوا سكوت هوان في النار؛ فإنها ليست مقام سؤال؛ من: (خسأت الكلب) إذا زجرته فخسأ. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب، أو لا تكلمون رأساً. قيل: إن أهل النار يقولون ألف سنة: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ [السجدة: ١٢] فيجابون: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] فيقولون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١]، فيجابون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ [غافر: ١٢] فيقولون ألفاً: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيجابون: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيقولون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، فيجابون: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، فيقولون ألفاً: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [فاطر: ٣٧]، فيجابون: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ [فاطر: ٣٧] فيقولون ألفاً: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، فيجابون: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء.

﴿١٠٩﴾ - ﴿١١١﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الشأن. وقرئ بالفتح؛ أي: لأنه. ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡ عِبَادِي﴾؛ يعني: المؤمنين، وقيل: الصحابة وقيل: أهل الصفة. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ هزؤاً وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي (ص) بالضم، وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة، وعند الكوفيين المكسور بمعنى: (الهزء) والمضموم من: (السُّخْرَة) بمعنى: الانقياد والعبودية. ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي. ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ

۞ ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

تَضۡحَكُونَ﴾ استهزاء بهم. ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على أذاكم. ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به، وهو ثاني مفعولي: ﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾. وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافاً.

﴿١١٢﴾ ـ ﴿١١٤﴾ ﴿قَٰلَ﴾؛ أي: الله، أو الملك المأمور بسؤالهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الأمر للملك، أو لبعض رؤساء أهل النار. ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أحياء أو أمواتاً في القبور. ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ تمييز لكم. ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار، أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار، أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها؛ فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها وإحصائها. أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم. وقرئ: (العَادِيْن) بالتخفيف أي: الظَلَمة فإنهم يقولون ما نقول، و(العَادِيِّين)؛ أي: القدماء المعمرين؛ فإنهم أيضاً يستقصرون. ﴿قَٰلَ﴾ وفي قراءة الكوفيين: (قل). ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ تصديق لهم في مقالهم.

﴿١١٥﴾ ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ توبيخ على تغافلهم، و(عَبَثاً) حال بمعنى: عابثين، أو مفعول له؛ أي: لم نخلقكم تلهياً بكم؛ وإنما خلقناكم لنتعبدكم، ونجازيكم على أعمالكم؛ وهو كالدليل على البعث. ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا

[فوزَهم] بالنصب سَبَك «أنَّ» مع مدخولها بمصدر بياناً لكونه مفعولاً ثانياً لـ«جزيتهم» كما يأتي في كلامه [مخصوصين به]؛ أي: بالفوز.

۞ ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿لَا تُرۡجَعُونَ﴾ معطوف على ﴿أَنَّمَا خَلَقۡنَـٰكُمۡ﴾ أو ﴿عَبَثًا﴾، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٧﴾ ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ الذي يحق له الملك مطلقاً؛ فإن من عداه مملوك بالذات، مالك بالعرض من وجه دون وجه، وفي حال دون حال. ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإن ما عداه عبيد له. ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ الذي يحيط بالأجرام وينزل منه محكمات الأقضية والأحكام، ولذلك وصفه بالكرم، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرئ بالرفع على أنه صفة (الرب). ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعبده إفراداً أو إشراكاً. ﴿لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة أُخْرَى لـ(إلهاً) لازمة له فإن الباطل لا برهان به، جيء بها للتأكيد، وبناء الحكم عليه تنبيهاً على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلاً عما دل الدليل على خلافه، أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ﴾ فهو مجاز له مقدار ما يستحقه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ إن الشأن. وقرئ بالفتح على التعليل، أو الخبر؛ أي: حسابه عدم الفلاح. بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين، ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال:

﴿١١٨﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (المؤمنين) بَشَّرَتْهُ الملائكة بالروح**

[«من قرأ سورة المؤمنين بَشَّرَتْهُ الملائكة..»] إلى آخره. موضوع[1]

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/٤٠٨/ برقم: ٨٤٠].

والريحان، وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت». وعنه أنه قال: «**لقد أنزلت عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة**»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى ختم العشر». وروي: «أن أولها وآخرها من كنوز الجنة، من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح».

[«**لقد أنزلت علي عشر آيات..**»] إلى آخره. رواه الترمذي وغيره(١) وأنكره النسائي وغيره [«**روي أَنَّ أولها وآخرها من كنوز الجنة..**»] إلى آخره. قال شيخنا حافظ عصره: لم أجده(٢).



(١) سنن الترمذي [٥/٣٢٦/برقم: ٣١٧٣].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [١/١٦٨/برقم: ١٧٧].

سورة النور

(٢٤) مدينة، وهي أربع وستون آية

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿سُورَةٌ﴾؛ أي: هذه سورة، أو فيما أوحينا إليك سورة. ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفتها، ومن نصبها جعله مفسراً لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر (اتل) أو (دونك) نحوه ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ وفرضنا ما فيها من الأحكام، وشدده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها، أو المفروض عليهم، أو للمبالغة في إيجابها. ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتتقون المحارم، وقرئ بتخفيف الذال.

(٢) ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أو فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد، ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط إذ (اللام) بمعنى: (الّذي)، وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، وهو أحسن من نصب (سورة) لأجل الأمر و(الزان) بلا ياء، وإنما قدم (الزَّانِيَةُ) لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها

قوله: [إلا إذا قدر «اتلُ» أو «دونك» ونحوه]؛ أي: فيكون له محل وهو النصب صفة لـ«سورة» [في إيجابها]؛ أي: في طلبها الموجب [إذا اللام]؛ أي: في الزانية والزاني وعبر الزمخشري بالألف واللام، وتحرير الكلام إذا الألف واللام في ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ بمعنى: «التي والذي»؛ أي: «التي زنت» و«الذي زنا» [«والزانِ» بلا ياء]؛ أي:

للرجل وعرض نفسها عليه؛ ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها، و(الجلد): ضرب الجلد، وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن هو الرجم، وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله ﷺ: «**البِكْرُ بالبِكْرِ جلد مائة وتغريب عام**»، وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخاً مقبولاً أو مردوداً، وله في العبد ثلاثة أقوال. والإحصان: بالحرية والبلوغ والعقل والإصابة في نكاح صحيح، واعتبرت الحنفية الإسلام أيضاً وهو مردود برجمه ﷺ يهوديين، ولا يعارضه: «**من أشرك بالله فليس بمحصن**» إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه؛ ولذلك قال ﷺ: «**لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**». وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة، وقرئت بالمد على فعالة. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وحدوده، وهو من باب التهييج. ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة في التنكيل؛ فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب، و(الطائِفَةُ): فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة. وقيل: واحداً واثنان، والمراد جمع يحصل به التشهير.

وقرئ ذلك [«**البِكْرُ بالبِكْرِ**..»] إلى آخره. رواه الشيخان[1].

[**وله في العبد ثلاثة أقوال**] أصحها: أنه يغرب نصف سنة وثانيها: سنة وثالثها: لا يغرّب [«**برجمه**..»] إلخ رواه الشيخان[2] [«**مَنْ أشرك بالله**..»] إلخ رواه الدارقطني[3] [«**قال ﷺ: لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**..»] رواه

---

(١) صحيح البخاري [٦/ ٢٥١٠/ برقم: ٦٤٥١]، صحيح مسلم [٣/ ١٣١٦/ برقم: ١٦٩٠].

(٢) صحيح البخاري [٣/ ١٣٣٠/ برقم: ٣٤٣٦]، صحيح مسلم [٣/ ١٣١٧/ برقم: ١٦٩١].

(٣) سنن الدارقطني [٣/ ١٣١٧/ برقم: ١٦٩١].

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

﴿٣﴾ ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ إذ الغالب أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح، والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء؛ فإن المشاكلة علة للألفة والتضام، والمخالفة سبب للنفرة والافتراق. وكان حق المقابلة أن يقال: والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك. لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن؛ لأن الآية نزلت في ضَعَفَةِ المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن ـ على عادة الجاهلية! ـ ولذلك قدم الزاني. ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنه تشبه بالفساق، وتعرض للتهمة، وتسبب لسوء القالة والطعن في النسب، وغير ذلك من المفاسد؛ ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة. وقيل: النفي بمعنى النهي. وقد قرئ به، والحرمة على ظاهرها، والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه، أو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣١] فإنه يتناول المسافحات، ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال: «**أوله سفاح، وآخره نكاح، والحرام لا يحرم الحلال**»، وقيل: المراد بالنكاح الوطء؛ فيؤول إلى نهي الزاني عن الزنا إلا بزانية، والزانية أن يزني بها إلا زان؛ وهو فاسد.

الشيخان(١) [**ولذلك عبر عن التنزيه**]؛ أي: عن كراهة التنزيه [**بالسبب الذي ورد فيه**] وهو نكاح البغاء المتصفات بما ذُكِرَ فيهن [**سئل عن ذلك**]؛ أي: عن امرأة زنى بها رجل ثم نكحها [«**فقال: أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال..**»] رواه الدارقطني(٢) وابن حبان في الضعفاء(٣) [**وهو فاسد**]؛ لأنه يتضمن الإذن بزنا الزانية.

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٢٨٢/ برقم: ٣٢٨٨]، صحيح مسلم [٣/ ١٣١١/ برقم: ١٦٨٨].

(٢) سنن الدارقطني [٣/ ٢٦٨/ برقم: ٩١]. (٣) المجروحين، ابن حبان [٢/ ٩٩/ برقم: ٦٦٦].

۞ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾﴾.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالإحصان، وذكرهن عقيب الزواني، واعتبار أربعة شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ والقذف بغيره؛ مثل: يا فاسق! ويا شارب الخمر! يوجب التعزير كقذف غير المحصن. والإحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والإسلام والعفة عن الزنا. ولا فرق فيه بين الذكر والأنثى. وتخصيص (الْمُحْصَناتِ) لخصوص الواقعة، أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع! ولا يشترط اجتماع الشهود عند الآداء، ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافاً لأبي حنيفة. وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا؛ لضعف سببه واحتماله؛ ولذلك نقص عدده. ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾؛ أي: شهادة كانت لأنه مفتري. وقيل: شهادتهم في القذف، ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافاً لأبي حنيفة؛ فَإِنْ الأمر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جواباً للشرط، لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة، كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده. ﴿أَبَدٗاۚ﴾ ما لم يتب. وعند أبي حنيفة إلى آخر عمره. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ المحكوم بفسقهم. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾

[**لوصف المقذوفات..**] إلى آخره. اللام للبيان والمعنى: أن القذف يكون بالزنا وبغيره(١)، إما به ليوجب الجلد فمقيد بما ذكره من وصفهن بالإحصان وما عطف عليه، وإما بغيره فلا يقيد بشيء من ذلك، وموجبه التعزير لا الجلد كما ذكره بعد، والمراد باعتبار شهادة الأربعة؛ أي: بالزنا اعتبار عدمها كما يدل له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ٤] [**ولكن ضربه**]؛ أي: ضرب القذف [**جواباً للشرط**]؛

---

(١) انظر: التوقيف، المناوي [٥٧٧].

۞ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧﴾.

عن القذف. ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أعمالهم بالتدارك، ومنه الاستسلام للحد، أو الاستحلال من المقذوف. والاستثناء راجع إلى أصل الحكم؛ وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل؛ لأن من تمام التوبة الاستسلام له، أو الاستحلال، ومحل المستثنى النصب على الاستثناء. وقيل: إلى النهي؛ ومحله الجر على البدل من (هم) في (لهم). وقيل: إلى الأخيرة، ومحله النصب؛ لأنه من موجب. وقيل: منقطع متصل بما بعده. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ علة للاستثناء.

٦ - ٧ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾ نزلت في هلال بن أمية رأى رجلاً على فراشه. و(أنفسهم) بدل من (شهداء)، أو صفة لهم على أن (إلا) بمعنى (غير). ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ﴾ فالواجب شهادة أحدهم، أو فعليهم شهادة أحدهم، و(أَرْبَعُ) نصب على المصدر، وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على أنه خبر: (شهادة). ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلق بـ(شهادات) لأنها أقرب، وقيل: بشهادة لتقدمها. ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ أي: فيما رماها به من الزنا، وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت (إن) وعلق العامل عنه باللام تأكيداً. ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ﴾ والشهادة الخامسة. ﴿أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في الرمي. هذا لعان الرجل، وحكمه سقوط حد

أي: للشرط الذي تضمنه والذين يرمون المحصنات؛ لأنه في تقدير قذف المحصنات.

[كيف وحاله]؛ أي: حال القاذف [وقيل: إلى النهي] هو ونظيره بعده مقابلاً لقوله: راجع إلى أصل الحكم [وقيل: منقطع] مقابل للمتصل المتبادر من قوله: والاستثناء إذ معناه: والاستثناء متصل راجع.. إلى آخره. [وأربع نصب على المصدر]؛ أي: بشهادة فناصب المصدر مصدر مثله، كما في قوله: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

القذف عنه، وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا؛ لقوله ﷺ: «**المتلاعنان لا يجتمعان أبداً**». وتفريق الحاكم؛ فرقة طلاق ـ عند أبي حنيفة ـ، ونفي الولد أن تعرض له فيه، وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله:

﴿٨﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: الحد. ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماني به ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر، أو بالعطف على (أن تشهد)، ونصبها حفص عطفاً على (أَرْبَعَ). وقرأ نافع ويعقوب (أنْ لعنة الله) و(أنْ غضِبَ اللهُ) بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من: (غضب) ورفع الهاء من اسم (الله) والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجر الهاء. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ متروك الجواب للتعظيم؛ أي: لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة.

﴿١١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ بأبلغ ما يكون من الكذب؛ من: (الإفك): وهو الصرف؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه؛ والمراد: ما أفك به

﴿جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٢] [**وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف**] في الموضعين؛ أي: في قوله: «أنْ لعنة الله» و«أنْ غضب الله» بتخفيف النون [«**المتلاعنان لا يجتمعان أبداً..**»] رواه أبو داود(١).

[**وقرأ نافع ويعقوب «أنْ لعنة الله» و«أنْ غضب الله» بتخفيف النون فيهما..**] إلى آخره. قوله: «بتخفيف النون فيهما» مكرر وإنما أعاده ليرتب عليه ما بعده ولو اقتصر

---

(١) سنن أبي داود [١/ ٦٨٣/ برقم: ٢٢٥٠].

على عائشة ﵂. وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات، فأذّن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل فلمست صدرها؛ فإذا عقد من جرع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه، فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً، فجلست كي يرجع إليها منشد؛ وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرّس وراء الجيش فأدلج، فأصبح عند منزلها فعرفها، فأناخ راحلته فركبتها، فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به. ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ جماعة منكم؛ وهي من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة؛ يريد عبد الله بن أُبي، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم. وهي خبر (إن) وقوله: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ﴾ مستأنف، والخطاب للرسول ﷺ، وأبي بكر، وعائشة، وصفوان. و(الهاء) للإفك. ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم، وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة آية في براءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً. ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به. ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ مُعْظَمَه. وقرأ يعقوب

على ما هنا لسلم من التكرار [فإذا عقد من جَرْعِ ظَفَار] قال ابن الأثير: «الجزع»: بالفتح الخرز اليماني الواحدة جزعة[١]، و«ظِفار»: بوزن قطام مدينة لحمْيَر باليمن وروي: «أظفار» وهو جنس من الطيب لا واحد له من لفظه وقيل: واحده ظفر [فرحله]؛ أي: الهودج [على مطيّتها]؛ أي: عائشة ﵂، والمطية الناقة التي يركب مطاها؛ أي: ظهرها قاله ابن الأثير [قد عرس] «التعريس»: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة قاله ابن الأثير[٢] [فأدلج] بالتشديد؛ أي: سار آخر الليل.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١/٢٩٨].
(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٥/٢٨٩].

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

بالضم، وهو لغة فيه. ﴿مِنْهُمْ﴾ من الخائضين: وهو ابن أُبَيّ؛ فإنه بدأ به، وأذاعه؛ عداوة لرسول الله ﷺ، أو هو وحسان ومسطح؛ فإنهما شايعاه بالتصريح به. وَ(الَّذِي) بمعنى: (الذين). ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة، أو في الدنيا بأن جلدوا، وصار ابن أُبَيّ مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى أشلّ اليدين، ومسطح مكفوف البصر.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿لَّوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم. وإنما جاز الفصل بين (لَوْلا) وفعله بالظرف؛ لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه، وذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره؛ وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على أن لا يخلوا بأوله. ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كما يقول المستيقن المطلع على الحال. ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ من جملة المقول تقريراً لكونه كذباً؛ فإن ما لا حجة عليه كذب عند الله؛ أي: في حكمه، ولذلك رتب الحد عليه.

[**«لولا» هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون..**] إلى آخره. حاصله: أنَّ «لولا» للتخصيص وأنها دخلت على «ظَنَّ» وإنَّ «ظَنَّ» عامل في ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ وأن المراد بـ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ إخوانهم المعبر عنهم بقوله: «بالذين منهم» والمعنى مع مراعاة الالتفات: هلا ظننتم بإخوانكم فيما قالوه خيراً إذ سمعتموه؛ إذ ظنُّكم فيهِ شرّاً لمزٌ، وهو منهي عنه بقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] [**فإن التخصيص على أن لا يُخِلّو بأوله**]؛ أي: أول ظَنِّ الخير [**وقالوا: هذا إفك**] عطف على «ظَنَّ المؤمنون».

۞ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ (لولا) هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وَرَحْمَتُهُ في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ خضتم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ(مَسَّكُمْ) أو (أَفَضْتُمْ). ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ والمعنى: يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه! يقال: (تلقى القول) كـ(تلقفه وتلقنه)، قرئ: (تتلقونه) على الأصل و(تَلَقَّوْنَهُ) من: (لقيه) إذا لقفه، و(تِلَقَّوْنَهُ) بكسر حرف المضارعة، و(تُلْقُوْنَهُ) من إلقائه بعضهم على بعض، و(تَلِقُوْنَهُ) و(تَأْلِقُوْنَه) من: (الولق والألق) وهو الكذب، و(تَثْقَفُونه) من: (ثقفته) إذا طلبته فوجدته و(تَقَفَّوْنَه)؛ أي: تتبعونه. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾؛ أي: وتقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا مساعدة من القلوب. ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ سهلاً لا تبعة له. ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر واستجرار العذاب، فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم؛ تلقي الإفك بألسنتهم، والتحدث به من غير تحقق، واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم.

﴿١٦﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ ما ينبغي وما يصح لنا. ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه؛ فإن قذف آحاد الناس محرم شرعاً فضلاً عن تعرض

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ! ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تعجب ممن يقول ذلك؛ وأصله: أن يذكر عند كل متعجب تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثم كثر فاستعمل لكل متعجب. أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيّه فاجرة! فإن فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها! فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ لعظمة المبهوت عليه؛ فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها. ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ كراهة أن تعودوا، أو في أن تعودوا. ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء مكلفين. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع. ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال كلها. ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيّه ولا يقرره عليها.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يريدون ﴿أَن تَشِيعَ﴾ أن تنتشر ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالحد والسعير إلى غير ذلك. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مَا فِى الضمائر. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر، والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب؛ للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله:

[أنه يذكر عند كل متعجَّب] هو في الموضعين بفتح الجيم؛ أي: متعجب منه [فإن فجورها تنفير] وفي نسخة ينفر [بخلاف كفرها] فإنَّه لا ينفر ولهذا كانت امرأتا نوح ولوط كافرتين [ولا تجوز الكشخنة] هي بالشين والخاء المعجمتين الدياثة

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم. وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرّة.

﴿٢١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ بإشاعة الفاحشة، وقرئ بفتح الطاء، وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها. ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ بيان لعلة النهي عن اتباعه، و(الفحشاء): ما أفرط قبحه، و(المنكر): ما أنكره الشرع. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها ﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما طهر من دنسها. ﴿مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ آخر الدهر. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ﴾ بحمله على التوبة وقبولها. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم. ﴿عَلِيمٞ﴾ بنياتهم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا يَأۡتَلِ﴾ ولا يحلف افتعال من: الألية، أو: ولا يقصر من:

والكَشْخَان الديّوث الذي لا غيرة له[1] [وهي مستغنى عنه بذكره مرة]؛ أي: في قوله: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١] **[والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع]** عبارة «الكشاف»[2] في الثاني والمنكر ما تنكره النفوس فينفر عنه ولا ترتضيه وهي أنسب لأن الفحشاء مما يُنكره الشرع أيضاً.

(١) انظر: العين، الفراهيدي [٧/ ٢٨٩].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٢٦].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

(الألو)، ويؤيد الأول أنه قرئ: ولا (يَتَأَلَّ). وأنه نزل في أبي بكر الصديق وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد ـ وكان ابن خالته ـ وكان من فقراء المهاجرين! ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ﴾ في الدين. ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال. وفيه دليل على فضل أبي بكر رضي الله تعالى عنه وشرفه. ﴿أَن يُؤۡتُوٓاْ﴾ على أن لا يُؤْتُوا، أو في أَنْ يُؤْتُوا. وقرئ بالتاء على الالتفات. ﴿أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ صفات لموصوف واحد؛ أي: ناساً جامعين لها؛ لأن الكلام فيمن كان كذلك، أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود. ﴿وَلۡيَعۡفُواْ﴾ عما فرط منهم. ﴿وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ﴾ بالإغماض عنه. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه. روي: أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر فقال: بلى أحبّ؛ ورجّع إلى مسطح نفقته.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائف. ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ عما قذفن به. ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعناً في الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أُبَيّ. ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لما طعنوا فيهن. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ لعظم ذنوبهم، وقيل: هو حكم كل قاذف ما لم يتب، وقيل: مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ ولذلك قال

[«نزل في أبي بكر وقد حلف..»] إلى آخره. رواه الطبراني[1] **[«ولذلك قال**

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٢٣/٥٦/برقم: ١٣٤].

۞ ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

ابن عباس رضي الله عنهما: لا توبة له، ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة! ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ ظرف لما في (لهم) من معنى الاستقرار لا للـ(العذاب) لأنه موصوف. وقرأ حمزة والكسائي بالياء؛ للتقدم والفصل. ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ يعترفون بها بإنطاق الله تعالى إياها بغير اختيارهم، أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ جزاءهم المستحق. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ لمعاينتهم الأمر. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه، أو ذو الحق البين؛ أي: العادل الظاهر عدله؛ ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.

﴿٢٦﴾ ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس، وكذلك أهل الطيب؛ فيكون كالدليل على قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ يعني: أهل بيت النبي ﷺ أو الرسول وعائشة وصفوان. ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ إذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها، وقيل: (الْخَبِيثاتُ) وَ(الطَّيِّباتُ) من الأقوال، والإشارة إلى (الطيبين) والضمير في (يَقُولُونَ) للآفكين؛ أي: مبرؤون مما يقولون فيهم، أو لِلْـ(الخَبِيثِينَ) و(الْخَبِيثاتُ)؛ أي: مبرؤون من أن يقولوا مثل قولهم. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ يعني: الجنة، ولقد برأ الله أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود

ابن عباس: لا توبة له..»] رواه الطبراني[1].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٢٣/١٥٣/برقم: ١٩٨١٥].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾.

فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة؛ وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول ﷺ وإعلاء منزلته.

(٢٧) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾ التي لا تسكنونها؛ فإن الآجر والمعير أيضاً لا يدخلان إلا بإذن. ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام؛ من: (آنس الشيء) إذا أبصره؛ فإن المستأذن مستعلم للحال، مستكشف أنه هل يراد دخوله أو يؤذن له، أو من: (الاستئناس) الذي هو خلاف الاستيحاش؛ فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا له استأنس، أو تتعرفوا هل ثم إنسان من الإنس. ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ بأن تقولوا: السلام عليكم أأدخل؟ وعنه ﷺ: «**التسليم أن يقول: السلام عليكم، أأدخل؟ ـ ثلاث مرات ـ فإن أذن له دخل وإلا رجع**». ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: الاستئذان، أو التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة، أو من تحية الجاهلية! كان الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته قال: حييتم صباحاً، أو حييتم مساء، ودخل؛ فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. وروي: أن رجلاً قال للنبي عليه السلام: «**أأستأذن على أمي؟!**» قال: «**نعم!**» قال: إنها ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: «**أتحب أن تراها عريانة؟!**» قالا: لا، قال: «**فاستأذن!**». ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أنزل

[«**التسليم أن يقول: ..**»] إلى آخره. رواه ابن ماجه[1] [«**وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: استأذن على أمي؟..**»] إلى آخره. رواه الإمام مالك وغيره[2]

---

(١) سنن ابن ماجه [٢/ ١٢٢١/ برقم: ٣٧٠٧].

(٢) موطأ مالك [٢/ ٩٦٣/ برقم: ١٧٢٩]، الأدب المفرد، البخاري [١/ ٣٦٤/ برقم: ١٠٦٠].

۞ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

عليكم، أو قيل: لكم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى يأتي من يأذن لكم؛ فإن المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط؛ بل وعلى ما يخفيه الناس عادة، مع أن التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور. واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها. ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ ولا تلحوا. ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ الرجوع أطهر لكم عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة، أو أنفع لدينكم ودنياكم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه. ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالربط والخانات والحوانيت. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ استمتاع. ﴿لَّكُمْ﴾ كالاستكنان من الحرّ والبرد، وإيواء الأمتعة، والجلوس للمعاملة؛ وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيدٌ لمن دخل مدخلاً لفساد أو تطلع على عورات.

﴿٣٠﴾ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾؛ أي: ما يكون نحو محرم. ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إلّا على أزواجهم أَوْ ما ملكت أيمانهم. ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد (الغض) بحرف

[أي: ما يكون نحو محرم] أشار إلى أنَّ «مِنْ» في أبصارهم للتبعيض كما صرح به بعد إذ المراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل [ولما كان المستثنى منه..] إلى آخره.

۞ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

التبعيض، وقيل: حفظ الفروج ههنا خاصةً (سترُها). ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه إجالة أبصارهم، واستعمال سائر حواسهم، وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

﴿٣١﴾ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ بالتستر أو التحفظ عن الزنا. وتقديم (الغضّ) لأن النظر بريد الزنا. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كالحلي والثياب والأصباغ؛ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدى له. ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ

المستثنى حفظ الفروج عن الأزواج وضمر منه لحفظها مطلقاً، والمعنى: ولما كان حفظها عن الأزواج كالنادر بخلاف غض البصر أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وإيضاح ذلك قول «الكشاف»[1]: فإن قلت: كيف دخلت؛ أي: «مِنْ» في غضِّ البصر دون حفظ الفروج؟ قلت: دلالة على أَنَّ أمرَ النظر أوسع، ألا ترى أنَّ المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضائهن وأسوقهن وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات، والأجنبيّة تنظر إلى وجهها وكفيها وقدمها في إحدى الروايتين، وأما أمر الفروج فمضيق وكفاك فرقاً أن أبيح إلا ما استثني منه حظر الجماع إلا ما استثني منه. انتهى.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٣٤].

﴿مِنْهَا﴾ عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم فإن في سترها حرجاً، وقيل: المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف، أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية. والمستثنى هو الوجه والكفان؛ لأنها ليست بعورة، والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر؛ فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ ستراً لأعناقهن. وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ كرره لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له. ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ فإنهم المقصودون بالزينة، ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج بِكُرْهٍ. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَاتِهِنَّ﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن إلى مداخلتهم، وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب. ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة؛ وإنما لم يذكر الأعمام والأخوال لأنهم في معنى الإخوان، أو لأن الأحوط أن يتسترن عنهم حذراً أن يصفوهن لأبنائهم ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾؛ يعني: المؤمنات؛ فإن الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن، وللعلماء في ذلك خلاف. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يعم الإماء والعبيد، لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب؛ إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها! فقال عليه السلام: «**إنه ليس عليك بأس! إنما هو أبوك وغلامك**». وقيل: المراد بها الإماء، وعبد المرأة كالأجنبي منها. ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾؛ أي:

[﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]]؛ أي: وهي ما يبدوا من صدورهن عند فتح طوق ثيابهن وضمّنَ (يضربن) معنى (يلقين) فعداه بـ«على» [«**روي أنه عليه السلام أتى فاطمة بعبد..**»] إلى آخره. رواه أبو داود(١).

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٤٦٠/ برقم: ٤١٠٦].

۞ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون، وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل: البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء. وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال. ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع، أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة، و(الطفل) جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال؛ فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال، وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة، وأدل على المنع من رفع الصوت. ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إذ لا يكاد يخلوا أحد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات، وقيل: توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية؛ فإنه وإن جُبَّ بالإسلام لكنه يجب الندم عليه، والعزم على الكف عنه كلما يتذكر. وقرأ ابن عامر: (أيُّهُ المؤمنون)، وفي (الزخرف): (يا أيُّهُ الساحر)، وفي (الرحمٰن): (أيُّهُ الثقلان) بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقون بفتحها، ووقف أبو عمرو والكسائي عليهن بالألف، ووقف الباقون بغير الألف. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسعادة الدارين.

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السِّفَاح المخل بالنسب، المقتضي للألفة وحسن التربية، ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه، عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للأولياء والسادة، وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما. وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان

[بعد الزجر عنه]؛ أي: بغض البصر [وذلك عند طلبها]؛ أي: المولية الأولى

۝ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

به؛ إذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى، و(أيامى) مقلوب أيايم كـ(يتامى)، جمع: (أيّم) وهو العزب؛ ذكراً كان أو أنثى، بكراً كان أو ثيباً قال:

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِح وَإِنْ تَتَأَيَّمِي وَإِنْ كُنْتُ أَفْتى مِنْكُمُ أَتَأَيَّم

وتخصيص (الصَّالِحِينَ)؛ لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم، وقيل: المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه، ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ رد لما عسى أن يمنع من النكاح، والمعنى: لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة؛ فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح، أو وعد من الله بالإغناء لقوله ﷺ: «**اطلبوا الغنى في هذه الآية**». لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته. ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ وليجتهد في العفة وقمع الشهوة. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أسبابه، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان: التمكن

على ما قاله عند طلبهما؛ أي: المولية والمملوك لكن الوجوب في حقه مرجوح [قال]؛ أي: الشاعر:

[فإنْ تنكحي أَنْكِحْ وإنْ تتأيّمي وإنْ كنتُ أَفْتَى منكمُ أتأيّم]

أي: أقرب إلى الشباب منك، و«أتأيّمُ» بالرفع على قلّه جواب «وإنْ تتأيّمي» وما بينهما جملة مغترضة والمعنى: أوافقكِ في حالَتي التزوُّجِ والتأيُّمِ وإن كنتُ أقربُ

منه. ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فيجدوا ما يتزوجون به. ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَٰبَ﴾ (المكاتبة): وهو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من الكتاب؛ لأن السيد كتب على نفسه عتقه إذا أدى المال، أو لأنه مما يكتب لتأجيله، أو من: (الكتب) بمعنى الجمع؛ لأن العوض فيه يكون منجماً بنجوم بضم بعضها إلى بعض. ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة، والموصول بصلته مبتدأ خبره ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أو مفعول لمضمر هذا تفسيره، و(الفاء) لتضمن معنى الشرط، والأمر فيه للندب عند أكثر العلماء؛ لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها. واحتجاج الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف؛ لأن المطلق لا يعم، مع أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السَّلَم فيما لا يوجد عند المحل. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أمانة، وقدرة على أداء المال بالاحتراف، وقد روي مثله مرفوعاً. وقيل: صلاحاً في الدين. وقيل: مالاً، وضعفه ظاهر لفظ ومعنى، وهو شرط الأمر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز. ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئاً من أموالهم، وفي معناه حط شيء من مال الكتابة؛ وهو للوجوب عند الأكثر، ويكفي أقل ما يتمول. وعن علي رضي الله تعالى عنه: يحط الربع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الثلث، وقيل: ندب لهم إلى الإنفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا. وقيل: أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة، ويحل للمولى وإن كان غنياً؛ لأنه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري، ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة: «هو لها صدقة ولنا هدية». ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾

إلى الشباب منك [«**هو لها صدقة ولنا هدية**..»] رواه الشيخان[(١)].

---

(١) صحيح البخاري [٢/٥٤٣/ برقم: ١٤٢٢]، صحيح مسلم [٢/٧٥٦/ برقم: ١٠٧٤].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

إماءكم. ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ على الزنا، كانت لعبد الله ابن أُبَيّ ست جوار يكرههن على الزنا، وضرب عليهن الضرائب! فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ، فنزلت. ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً؛ شرط للإكراه فإنه لا يوجد دونه. وإن جعل شرطاً للنهي لم يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه. وإيثار (إن) على (إذا) لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر. ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لهنَّ، أو لهُ إن تاب، والأول أوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود: (من بعد إكراههن لهن غفور رحيم). ولا يرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة؛ لأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات، ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾؛ يعني: الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها الأحكام والحدود، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص في هذا وفي (الطلاق) بالكسر؛ لأنها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من: (بيِّن) بمعنى: (تبيّن)، أو لأنها بينت الأحكام والحدود. ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أو: ومثلاً من أمثال من قبلكم؛ أي: وقصة عجيبة مثل قصصهم، وهي قصة عائشة فإنها كقصة يوسف ومريم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ يعني: ما وعظ به في تلك الآيات، وتخصيص المتقين لأنهم المنتفعون بها وقيل: المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته.

[والصفات]؛ أي: وبالصفات الثلاث.

۞ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات؛ كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم؛ بمعنى: ذو كرم، أو على تجوز إما بمعنى: منور السمٰوات والأرض، وقد قرئ به؛ فإنه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة والأنبياء. أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم؛ لأنهم يهتدون به في الأمور. أو موجدهما؛ فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره، وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله ﷻ موجود بذاته موجد لما عداه. أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها من حيث إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على البصيرة؛ لأنها أقوى إدراكاً فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات، وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل، ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها؛ فهي إذن من سبب يفيضها عليها وهو الله ﷻ إبتداء أو بتوسط من الملائكة والأنبياء؛ ولذلك سموا أنواراً، ويقرب منه قول ابن عباس: معناه: هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون، وإضافته إليهما للدلالة

[أو الذي به تدرك أو يدرك أهلها] عطف على كيفيّة؛ أي: «النور» في الأصل إما كيفية تدركها الباصرة.. إلى آخره. أو الذي به تدرك الباصرة، أو يدرك به أهلها الأشياء، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى بدون تقدير مضاف أو تجوز.

[ثم على البصيرة]؛ أي: ثم أطلق (النور) على (البصيرة) [لأنها أقوى إدراكاً]؛ أي:

على سعة إشراقه أو لاشتمالها على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته إلى ضميره ﷻ دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة، وهي الكوة الغير النافذة. وقرأ الكسائي برواية الدوري بالإمالة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب، وقيل: المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من الزجاج. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته؛ منسوب إلى الدرء، و(فعيل) كـ(مريق) من: (الدرء) فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه؛ إلا أنه قلبت همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو والكسائي (دريء) كـ(شريب) وقد قرئ به مقلوباً. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾؛ أي: إبتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى (الزُّجاجَةُ) بحذف المضاف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (تَوَقَّدُ) بمعنى (تتوقد) وقرئ: (يُوْقَدُ) بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب. ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تقع الشمس عليها حيناً بعد حين؛ بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة، أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، أو لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل

من الباصرة [كمُرِّيق] هو العُصْفُر[1] [وقد قُرئ به مقلوباً]؛ أي: قلباً مكانياً بأن قدِّمَت الهمزة ساكنة على الراء وهي قراءة غريبة [**أي: ابتداء ثقوب المصباح**]؛ أي: ابتداء توقده [**بالمد ذنب ذُبالَتِه**]؛ أي: فتيلة المصباح [**يربها**]؛ أي: الشجرة [**لاجتماع الزيادتين**]

---

(١) المزهر، السيوطي [٢/ ٢٣]، المخصص، ابن سيده [٢/ ٣٨٠].

في وسطها وهو الشام؛ فإن زيتونه أجود الزيتون، أو لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها أو في مفيأة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً، وفي الحديث: «**لا خير في شجرة ولا نبات في مفيأة ولا خير فيهما في مضحى**». ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؛ أي: يكاد يضيء بنفسه من غير نار لِتَلألُئِهِ وَفَرْطِ وَبِيْصِهِ.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته. وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه، الأول: أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنما ولي (الكاف) المشكاة لاشتمالها عليه، وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس، أو تمثيل لما نوّر الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها، ويؤيده قراءة أُبي: «مثل نور المؤمن»، أو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الداركة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش والمعاد؛ وهي: الحساسة: التي تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس، والخيالية: التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت، والعاقلة: التي تدرك الحقائق الكلية، والمفكرة: وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم، والقوة القدسية: التي

وهما الياء والتاء [أو في]؛ أي: أولاً في [مَقْنَأة] بقاف فنون فهمزة وهي بفتح النون وضمها المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ويقال: «مَقْنَاة» بترك الهمزة[1].

[**الأول الأَوْلَى حذفه**]؛ لأنه لم يذكر مقابله بلفظ الثاني والثالث والرابع والخامس [**وإنما ولي الكاف المشكاة**]؛ أي: لا المصباح [**لاشتمالها عليه**]؛ أي: على المصباح [**فإن الحساسة**] في نسخة: فإن الحاسة [**بالحواس**]

---

(١) المحكم، ابن سيده [٣/ ٩٨].

تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء؛ المعنية بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي: (المشكاة)، و(الزجاجة)، و(المصباح)، و(الشجر)، و(الزيت)، فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشمل عليه من المعقولات، والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلٰهية، والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت؛ الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين، والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلّم، أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة، ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالتي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار؛ من حيث إن العقول تشتعل عنه، ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح، فإذا استحضرتها كانت نوراً على نور. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ لهذا النور الثاقب. ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ إدناء للمعقول من المحسوس توضيحاً وبياناً. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

متعلق بالمحسوسات [بالأشياء الخمسة] متعلق بقوله: أو تمثيل لما منح الله [والزيتونة] بالجر عطف على «الشجرة» [إدناء] بالهمزة بعد المد؛ أي: تقريباً

۞ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾.

عَلِيمٌ﴾ معقولاً كان أو محسوساً ظاهراً كان أو خفياً، وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بما قبله؛ أي: كمشكاة في بعض بيوت، أو توقد في بعض بيوت فيكون تقييد للممثل به بما يكون تحبيراً ومبالغة فيه فإن قناديل المساجد تكون أعظم، أو تمثيلاً لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد، ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة، أو بما بعده وهو يسبح، وفيها تكرير مؤكد لا بيذكر لأنه من صلة أن لا فلا يعمل فيما قبله أو بمحذوف مثل: سبحوا في بيوت، والمراد بها المساجد لأن الصفة تلائمها. وقيل: المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم. ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ بالبناء أو التعظيم. ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه. ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ ينزهونه؛ أي: يصلون له فيها بالغدوات والعشيات، والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع: (أصيل)، وقرئ: (والإيصال) وهو الدخول في الأصيل، وقرأ ابن عامر وعاصم: (يسبح) بالفتح على

[أو مبالغة] هو مع قوله: أو تمثيلاً عطف على «تقييداً» [وفيها]؛ أي: وفي قوله: «فيها» [تكرير]؛ أي: لقوله: «في بيوت» [لا بـ«يذكر»] عطف على قوله: «بما قبله».

[والتكثير للتعظيم] متعلق بالقول بأن البيوت المساجد الثلاثة؛ أي: وأتى فيها

إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه، وقرئ: تسبح بالتاء مكسوراً لتأنيث الجمع ومفتوحاً على إسناده إلى أوقات الغدو. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ لا تشغلهم معاملة رابحة. ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعارضة، أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة فإن الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء، وقيل: المراد بالتجارة الشراء؛ فإنه أصلها ومبدأها، وقيل: الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال: تَجَر في كذا؛ إذا جلبه، وفيه إيماء بأنهم تجار. ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ عوض فيه الإضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالإعلال كقوله: (وَأَخْلَفُوكَ عد الأمرِ الَّذِي وَعَدُوا)، ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ ما يجب إخراجه من المال للمستحقين. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ مع ما هم عليه من الذكر والطاعة. ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ تضطرب وتتغير من الهول، أو تتقلب أحوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر، أو

بجمع الكثرة دون جمع القلة للتعظيم [بما يدل] فاعله «يسبَح» بفتح الباء[1] [عليه]؛ أي: على الرافع لـ«رجال» وهو يسبِّح بكسرها [وقرئ بالتاء مكسوراً]؛ أي: مكسور الباء وكذا قوله: ومفتوحاً [على إسناده إلى أوقات الغدو]؛ أي: والآصال زاد «الكشاف»[2] قوله على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد بها ربُّها [أو بأفراد ما هو أهم] عطف على «بالتعميم» [من قسمي التجارة] هما البيع والشراء.

[عوض فيه الإضافة من التاء] سقوط التاء للإضافة هو مذهب الكوفيين أما البصريون فلا يسقطونها للإضافة [كقوله:

.... وأخلفوك عِداً الأمر......]

أي: عدته [الذي وعدوا] تمامه:

إنَّ الخليطَ أجدُّوا البينَ فانجردوا[3] ....

أي: مضوا وأسرعوا، والخليط بمعنى المخالط والمراد به: الجمع والبين

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/ ١١٤]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٤٨].
(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى. الصحاح، الجوهري [٣/ ٢٦١].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠)﴾.

تتقلب القلوب مع توقع النجاة وخوف الهلاك، والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلق بـ(يسبح) أو (لا تلهيهم) أو (يخافون). ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم. ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تقرير للزيادة، وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان.

(٣٩) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ والذين كفروا حالهم على ضد ذلك؛ فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب؛ وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة، فيظن أنه ماء يسرب؛ أي: يجري، و(القيعة) بمعنى: القاع، وهو الأرض الخالية عن النبات وغيره المستوية، وقيل: جمعه كـ(جار وجيرة) وقرئ: (بقيعات) كـ(ديمات في ديمة). ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾؛ أي: العطشان. وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ جاء ما توهمه ماء أو موضعه. ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ مما ظنه. ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ عقابه أو زبانيته، أو وجده محاسباً إياه. ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ استعراضاً أو مجازاة. ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب. روي: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية تعبّد في الجاهلية، والتمس الدِّين؛ فلما جاء الإسلام كفر!

(٤٠) ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ عطف على (كَسرابٍ) و(أَوْ) للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، ولكونها خالية عن نور الحق

كالظلمات المتراكمة من لجّ البحر والأمواج والسحاب، أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب، وإن كانت قبيحة فكالظلمات، أو للتقسيم باعتبار وقتين فإنها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة. ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ ذي لج؛ أي: عميق؛ منسوب إلى اللج: وهو معظم الماء. ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يغشى البحر. ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾؛ أي: أمواج مترادفة متراكمة. ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ من فوق الموج الثاني. ﴿سَحَابٌ﴾ غطى النجوم وحجب أنوارها، والجملة صفة أُخْرَى للـ(البَحْرِ). ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾؛ أي: هذه ظلمات. ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وقرأ ابن كثير: (ظُلُماتٍ) بالجر على إبدالها من الأولى، أو بإضافة الـ(سَحابُ) إليها في رواية البزي. ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ وهي أقرب ما يرى إليه. ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها كقول ذي الرمة:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكد رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

والضمائر للواقع في البحر، وإن لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها. ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ بخلاف الموفق الذي له نور على نور.

للوصل والفراق وهو المراد هنا [على إبدالها من الأولى]؛ أي: من ظلمات في قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ [أو بإضافة السحاب إليها] زاد في نسخ: «رواية البزّي» [كقوله]؛ أي: قول ذي الرِّمَّة:

[إذا غيَّرَ النَّأْيُ.............................. ....]

أي: البعد وفي نسخة: «الهجر» [المحبينَ لَمْ يَكَدْ رسيسُ الهوى]؛ أي: ثابته بمعنى الهوى الثابت [مِنْ حُبِّ ميّةَ يبرحُ][(١)]؛ أي: يزول والمعنى: لم يقرب من البراح فضلاً عن أن يبرح [والضمائر]؛ أي: الأربعة في «أَخْرَجَ..» إلخ [للواقع في البحر]؛ أي: المقدر قيل: كظلمات؛ أي: كذي ظلمات أو كأعمال ذي ظلمات

---

(١) شرح الكافية، ابن مالك [١/ ٥٥].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين، والوثاقة بالوحي أو الاستدلال. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السمٰوات والأرض، و(مَنْ) لتغليب العقلاء، أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال. ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ على الأول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر، والدليل الباهر؛ ولذلك قيدها بقوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ فإن إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو باسطة أجنحتها؛ بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره. ﴿كُلٌّ﴾ كل واحد مما ذكر أو من (الطير). ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾؛ أي: قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختياراً أو طبعاً لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق، والميل إلى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك؛ مع أنه لا يبعد أن يلهم اللهُ الطيرَ دعاء وتسبيحاً، كما ألهمها علوماً دقيقة في أسباب تعيُّشها لا تكاد تهتدي إليها العقلاء. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإنه الخالق

[أو الملائكة والثقلان] برفعهما عطف على «التغليب» أو بجرهما عطف على «تغليب» جرياً في الثقلان على لغة مَنْ أَجْرَى المثنى مجرى المقصور مطلقاً[1] **[بما يدل عليه]**؛ أي: على التنزيه متعلق «يُنَزِّهُ» وقوله: «ومِنْ..» إلخ، اعتراض **[والطير على الأول]**؛ أي: وهو جعل «مَن» للتغليب العقلاء **[تخصيص]**؛ أي: لها بالذِّكر مع دخولها في «مِنْ» أما على الثاني فليست تخصيصاً لعدم دخولها في «مِنْ» **[بما فيها]** متعلق بـ«الوقوف» وبـ«باسطة» **[أو علم كل]** عطف على «علم الله»؛ أي: وَعَلم واحد

---

(١) هي لغة بني الحارث بن كعب فإنهم يجرون المثنى وشبهه مجرى المقصور فتثبت ألفه في النصب والجرّ كما تثبت في الفتح. شرح الكافية، ابن مالك [١/ ١٨٨].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾.

لهما، وما فيهما من الذوات والصفات والأفعال من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء إلى الواجب. ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ مرجع الجميع.

﴿٤٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه. ومنه: (البضاعة المزجاة) فإنه يزجيها كل أحد. ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ بأن يكون قزعاً فيضم بعضه إلى بعض، وبهذا الاعتبار صح (بينه) إذ المعنى: بين أجزائه، وقرأ نافع برواية ورش: (يُوَلِّفُ) غير مهموز. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ متراكماً بعضه فوق بعض. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ من فتوقه؛ جمع: (خَلَل) كـ(جبال في جبل)، وقرئ: (من خَلَلِه). ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الغمام وكل ما علاك فهو سماء. ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها. ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ بيان للـ(الجبال) والمفعول محذوف؛ أي: (يُنَزِّلُ) ـ مبتدأ ـ (مِنَ السَّماءِ مِنْ جبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ) برداً، ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول، وقيل: المراد بالسماء المظلة، وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر، وليس في العقل قاطع يمنعه، والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة

مما ذكر [يزجيها كل أحد]؛ أي: يسوقها ويدفعها فلا يرضاها.

[قَزَعاً] بفتحتين؛ أي: قِطَعاً [«مِنْ بَرَد» بيان للـ(جبال)] فهي بيانية، وقيل: ابتدائية، وقيل: تبعيضية، وقيل: زائدة، وأما «مِنْ» الأولى فابتدائية اتفاقاً، والثانية ابتدائية بجعلها مع مدخولها بدل اشتمال مما قبلها، وقيل: تبعيضية، وقيل: زائدة، وقد ذكر المصنف بعض ذلك بقوله: [ويجوز أن تكون..] إلى آخره(١).

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٤/ ٤١٧].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾.

من الهواء، وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحاباً، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً، وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً، وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً. ينزل منه المطر أو الثلج؛ وكل ذلك لا بد أن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم؛ لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها، وإليها أشار بقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ والضمير للـ(البَرَدِ). ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ ضوء برقه. وقرئ بالمد بمعنى: العلو، وبإدغام الدال في السين (وبُرَقِه) بضم الباء وفتح الراء وهو جمع: (بُرْقَة) وهي المقدار من البرق كـ(الغُرْفَة)، وبضمها للاتباع. ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة، وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد للضد من الضد، وقرئ: (يُذْهِبُ) على زيادة الباء.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ بالمعاقبة بينهما، أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد، والظلمة والنور، أو بما يعم ذلك. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما تقدم ذكره. ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، ونفاذ مشيئته، وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة. ﴿وَٱللَّهُ

[وبإدغام الدال في السين] قراءة السوسي فليس شاذاً، ومثله: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا﴾ وإن لم يذكره المصنف [توكيد الضد مِنَ الضد] من حيث أن الضوء[1] المناسب للحرارة تولد من البرد المناسب للبرودة المضادة للحرارة.

---

(١) في نسخة [ب]: (الضد).

۞ ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ حيوان يدب على الأرض. وقرأ حمزة والكسائي: (خالق كل دابة) بالإضافة. ﴿مِّن مَّآءٍۖ﴾ هو جزء مادته، أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل؛ إذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة، وقيل: (مِنْ ماءٍ) متعلق بـ(دَابَّةٍ) وليس بصلة لـ(خَلَقَ). ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية، وإنما سمي الزحف مشياً على الاستعارة أو المشاكلة. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنس والطير. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ﴾ كالنَّعَم والوحش؛ ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع، وتذكير الضمير لتغليب العقلاء، والتعبير بمن عن الأصناف؛ ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة. ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر! بسيطاً ومركباً على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال! مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يشاء.

﴿٤٦﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل. ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة. ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ﴾ نزلت في بشر المنافق خاصم يهودياً فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو يدعوه إلى النبي عليه الصلاة والسّلام. وقيل: في مغيرة بن وائل خاصم علياً رضي الله عنه في أرض فأبى أن يحاكمه إلى رسول الله ﷺ. ﴿وَأَطَعْنَا﴾؛

[وتذكير الضمير]؛ أي: في «فمنهم» [ويقولون: آمنا]؛ أي: ويقول المنافقون ذلك.

۞ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

أي: وأطعناهما. ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه. ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد قولهم هذا. ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلاماً من الله بأن جميعهم وإن آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم، أو إلى الفريق منهم؛ وسلب الإيمان عنهم لتوليهم. والتعريف فيه للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم، وهم المخلصون في الإيمان والثابتون عليه. ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: ليحكم النبي ﷺ فإنه الحاكم ظاهراً والمدعو إليه، وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ فاجأ فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم، وهو شرح للتولي ومبالغة فيه.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الحكم لا عليهم. ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم، و(إلى) صلة لـ(يَأْتُوا) أو لـ(مُذْعِنِينَ) وتقديمه للاختصاص. ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر، أو ميل إلى الظلم. ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ بأن رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك! ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحكومة. ﴿بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول: ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني: إما أن يكون محققاً عندهم أو متوقعاً وكلاهما باطل؛ لأن مَنْصِبَ نبوته وفرط أمانته يمنعه! فتعين الأول، وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف، والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو إلى حكمه.

[والفصل]؛ أي: وضمير الفصل.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ على عادته تعالى في اتباع ذكر المُحِقّ المبطل، والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي، وقرئ: (قَوْلُ) بالرفع و(لِيُحْكَمَ) على البناء للمفعول، وإسناده إلى ضمير مصدره على معنى: ليفعل الحكم. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يأمرانه، أو في الفرائض والسنن. ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب. ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بقي من عمره، وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء، وحفص بسكون القاف؛ فشبه (تَقْه) بـ(كَتْف) وخفف، والهاء ساكنة في الوقف بالاتفاق. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بالنعيم المقيم.

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إنكار للامتناع عن حكمه. ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم. ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ جواب لـ(أَقْسَمُوا) على الحكاية. ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾ على الكذب. ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾؛ أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين على الطاعة النفاقية المنكرة. أو طاعةٌ مَعْرُوفَةٌ أمثل منها، أو لتكن طاعة، وقرئت بالنصب على: أطيعوا طاعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فلا يخفى عليه سرائركم. ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم. ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: على محمد ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾

[بلا ياء]؛ أي: بعد الهاء [وقالون] في قوله: «وقالون».

۞ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

من الامتثال ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ في حكمه ﴿تَهْتَدُوا۟﴾ إلى الحق ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به، وقد أدى وإنما بقي مَّا حُمِّلْتُمْ فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم.

﴿٥٥﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ خطاب للرسول والأمة، أو له ولمن معه، و(من) للبيان ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم، وهو جواب قسم مضمر تقديره: وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم. ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ يعني: بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة. وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام، وإذا ابتدأ ضم الألف، والباقون بفتحهما، وإذا ابتدءوا كسروا الألف. ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الأعداء، وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف. ﴿أَمْنًا﴾ منهم.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة وكان يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده؛ فأظهرهم على العرب كلهم، وفتح لهم بلاد الشرق والغرب. وفيه دليل على صحة النبوة بالإخبار عن الغيب على ما هو به،

[وهشام بخلاف عنه] زايد موهم لتقدم حكم قراءته وتقييد الخلاف بهشام(١)

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [٢/ ٣١٧].

۞ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

وخلافة الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالإجماع. وقيل: الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة. ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ حال من (الذين) لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد، أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن. ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ حال من (الواو)؛ أي: يعبدونني غير مشركين. ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ومن ارتد، أو كفر هذه النعمة. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ كبعد الوعد أو حصول الخلافة. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ الكاملون في فسقهم؛ حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على (أطيعوا الله) فإن الفاصل وعد على المأمور به، فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول ﷺ للتأكيد وتعليق الرحمة بها، أو بالمندرجة هي فيه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ كما علق به (الهدى). ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ لا تحسبن يا محمد الكفار

[وخلافة] عطف على النبوة [إذا لم يجتمع الموعود] وهو استخلافهم وما عطف عليه [والموعود عليه]؛ أي: وهو العمل الصالح [لغيرهم]؛ أي: لغير الخلفاء الراشدين.

[للتأكيد]؛ أي: لتأكيد وجوب الطاعة [أو بمحذوف] عطف عليه أيضاً؛ أي: مما ذكر في الطاعة أو المندرجة فيه [وتعليق الرحمة] بالجر عطف على التأكيد [بها]؛ أي: بالطاعة وهو متعلق بالرحمة [أو بالمندرجة] عطف على «بهما» [هي]؛ أي: الطاعة [فيه]؛ أي: في «وأطيعوا» [بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾] متعلق بتعليق الرحمة[1] [كما علق به الهدى]؛ أي: في قوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ﴾ [النور: ٥٤]

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٤/٤٤٣].

۞ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

معجزين لله عن إدراكهم وإهلاكهم، و(فِي الْأَرْضِ) صلة (مُعْجِزِينَ). وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لـ(محمد ﷺ)، والمعنى كما هو في القراءة في التاء أو لـ(الذين كفروا) فاعل والمعنى: ولا يحسبن الكفار في الأرض أحداً يعجز لله، فيكون (مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ) مفعوليه، أو لا يحسبونهم مُعْجِزِينَ؛ فحذف المفعول الأول لأن الفاعل والمفعولين لشيء واحد؛ فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث. وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالأول في الاحتمالات، ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل: الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار؛ لأن المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز. ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المأوى الّذي يصيرون إليه.

﴿٥٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ رجوع إلى تتمة الأحكام السالفة؛ بعد الفراغ من الإِلٰهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها، والوعد عليها والوعيد على الإعراض عنها، والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي: أن غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته، فنزلت. وقيل: أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو الأنصاري ـ وكان غلاماً ـ وقت الظهيرة

[أو الذين كفروا فاعل]؛ أي: فاعل «تحسبن» والنسخ هنا مختلفة بتقديم وتأخير وزيادة ونقص، والمعتمد منها أن قوله: «أو الذين كفروا فاعل» قبل قوله: «والمعنى وعقب صلة معجزين وفيها زيادة وهو كالأول في الاحتمالات»، بعد قوله: «وقرأ

ليدعو عمر، فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه! فقال عمر: لوددت أن الله ﷻ نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن! ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا من الأحرار؛ فعبر عن البلوغ بالاحتلام؛ لأنه أقوى دلائله. ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة، مَرَّةً. ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة. ومحله النصب بدلاً من (ثلاث مرات)، أو الرفع خبراً لمحذوف؛ أي: هي من قبل صلاة الفجر. ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾؛ أي: ثيابكم لليقظة للقيلولة. ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ بيان للـ(حين). ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف. ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾؛ أي: هي ثلاث أوقات يَخْتَلُّ فيها تَسَتُّرُكُم، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ما بعده. وأصل العورة (الخلل) ومنها (أعور المكان) و(رجل أعور). وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي: (ثَلاثَ) بالنصب بدلاً من: (ثَلاث مَرَّاتٍ). ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان، وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها؛ لأنه في الصبيان ومماليك المدخول عليه، وتلك في الأحرار البالغين. ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: هم طوافون. استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة، وفيه دليل على تعليل الأحكام، وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بعضكم طائف على بعض، أو يطوف بعضكم على بعض. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التبيين. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: الأحكام. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم.

ابن عامر وحمزة بالياء» [للقيظة]؛ أي: [للقيلولة] وفي نسخة [وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان]؛ أي: وهي آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧].

۞ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿٥٩﴾ - ﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الذين بلغوا من قبلهم في الأوقات كلها، واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته، وجوابه: أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيماً للمماليك فلا يندرجون فيهم. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرره تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل. ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه لكبرهن. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾؛ أي: الثياب الظاهرة كالجلباب، و(الفاء) فيه لأن (اللام) في الْقَواعِدُ بمعنى (اللاتي) أو لوصفها بها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] وأصل (التبرج): التكلف في إظهار ما يخفى! من قولهم: سفينة بارجة لا غطاء عليها؛ و(البرج): سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ من الوضع لأنه أبعد من

[والفاء فيه]؛ أي: مع أنه خبر المبتدأ **[أو لوصفها]**؛ أي: القواعد [به]؛ أي: باللاتي **[أن يضعن ثيابهن؛ أي: الثياب الظاهرة كالجلباب]** فوق الخمار **[لأن «اللام» في «القواعد» بمعنى «اللاتي»]** يريد أن اللام للعهد وعبارة «الكشاف»[1] يريد الزينة الخفيّة التي أرادها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ **[وأَنْ يستعففن]**

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٦٠].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

التهمة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهن للرجال. ﴿عَلِيمٌ﴾ بمقصودهن.

(٦١) ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذراً من استقذارهم، أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو وخلفهم على المنازل؛ مخافة أن لا يكون ذلك من طيب قلب، أو من إجابة من دعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم؛ فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كَلّاً عليهم. وهذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة، أو كان في أول الإسلام ثم نسخ بنحو قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقيل: نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد، وهو لا يلائم ما قبله ولا ما بعده. ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم؛ فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»، وقوله: «**إن أطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وإن ولده من كسبه**». ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ

بأن لا يضعنها بأن يلبسنها [«**أنت ومالك لأبيك..**»] رواه ابن ماجه[1] [«**إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه..**»] رواه الشيخان[2] وغيرهما

---

(١) سنن ابن ماجه [٢/٧٦٩/ برقم: ٢٢٩١].
(٢) الفتح السماوي، المناوي [٢/٨٧٦/ برقم: ٧٥٦].

بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة، أو ماشية؛ وكالة أو حفظاً. وقيل: بيوت المماليك. و(المفاتح) جمع: (مفتح): وهو ما يفتح به. وقرئ: (مفتاحه). ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أو بيوت صديقكم فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسر به، وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط. هذا كله إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة؛ ولذلك خصص هؤلاء فإنه يعتاد التبسط بينهم، أو كان ذلك في أول الإسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على أن لا قطع بسرقة مال المحرم. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ مجتمعين أو متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو؛ من كنانة كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده. أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا معه. أو في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع في القذارة والنهمة. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة. ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، ويجوز أن تكون صلة للـ(تحية) فإنه طلب الحياة، وهي من عنده تعالى. وانتصابها بالمصدر لأنها بمعنى: التسليم. ﴿مُبَـٰرَكَةً﴾ لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب. ﴿طَيِّبَةً﴾ تطيب بها نفس المستمع.

وعن أنس أنه ﷺ قال لي: «**متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك! وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك! وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين**». ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

[ويجوز أن يكون صلة لتحته]؛ أي: بخلافه على الأول فإنه صفة لها **[أن رسول ﷺ قال: «متى لقيت أحد من أمتي فسلم عليه يطل عمرك..»]** إلى آخره. رواه البيهقي بسند ضعيف(١).

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٦/ ٤٢٧/ برقم: ٨٧٥٨].

۞ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ كرره ثلاثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به، وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: الحق والخير في الأمور.

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الإيمان. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ من صميم قلوبهم. ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور، ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ: (أمر جميع). ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم، واعتباره في كمال الإيمان؛ لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق، فإن ديدنه التسلل والفرار، ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله عليه السلام بغير إذنه؛ ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فإنه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة، وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك.

﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض لهم من المهام، وفيه أيضاً مبالغة وتضييق الأمر. ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ تفويض للأمر إلى رأي الرسول عليه الصلاة والسلام، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه عليه الصلاة والسلام، ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى: فأذن لمن علمت أن له عذراً. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ بعد الإذن؛ فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لفرطات العباد. ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتيسير عليهم.

[**ولتعظيم الجُرْم**] عطف على «لأنه كالمِصْدَاق» [**وفيه أيضاً مبالغة**] لتعبيره ببعض شأنهم [**لعلمه بصدقه**]؛ أي: لعلم الرسول بصدق من يستأذنه.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض، والمساهلة في الإجابة، والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة. وقيل: لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه، ورفع الصوت به، والنداء من وراء الحجرة. ولكن بلقبه المعظم! مثل: يا نبي الله! ويا رسول الله! مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه؛ فإن دعاءه موجب، أو لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أُخْرَى فإن دعاءه مستجاب. ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ ينسلون قليلاً قليلاً من الجماعة، ونظير تسلل؛ تدرج وتدخل. ﴿لِوَاذًا﴾ ملاوذة؛ بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه؛ كأنه تابعه. وانتصابه على الحال، وقرئ بالفتح. ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته، و(عَنْ) لتضمنه معنى الإعراض، أو يصدون عن أمره دون المؤمنين؛

[**يخالفون أمره**] بيَّنَ به أنَّ «يخالف» يتعدى بنفسه، وقد يتعدى بـ«إلى» كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] وإنما عدي هنا بـ«عن» لما ذكره بقوله: [**وعن**]؛ أي: وعدّي بـ«عن» [**لتضمنه معنى الإعراض**] وهو يتعدى بـ«عن» [**أو يصدون عن أمره**] عطف على «يخالفون[1] أمره» [**دون المؤمنين**]؛ أي:

---

(١) في نسخة [ب]: (مخالفة).

۞ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ٦٤﴾.

من: (خالفه عن الأمر) إذا صدّ عنه دونه. وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه، والضمير (لله تعالى)، فإن الأمر له في الحقيقة أو للرسول فإنه المقصود بالذِّكر. ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. واستدل به على أن الأمر للوجوب؛ فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر مقتض لأحد العذابين، فإن الأمر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب.

٦٤ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والإخلاص، وإنما أكد علمه بـ(قَدْ) لتأكيد الوعيد. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء، ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً مخصوصاً بهم على طريق الالتفات. وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ﴾ من سوء الأعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ لا يخفى عليه خافية.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (النور) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي**».

فإنهم لا يصدون عنه [من]؛ أي: مأخوذ ذلك من قوله: [**خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه**]؛ أي: مجاوزاً له.

[**وحذف المفعول**]؛ أي: مفعول يخالفون المعنى يصدون والتقدير يخالفون المؤمنين [**ويجوز أن يكون الخطاب**]؛ أي: في قوله: «أنتم» [**على طريق الالتفات**]؛ أي: من الخطاب إلى الغيبة. [**من قرأ سورة النور..**] إلى آخره. موضوع[1].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٤٥٣/ برقم: ٨٩٣].

سُورَةُ الفُرْقَانِ

(٢٥) مكية، وآيها سبع وسبعون آية

۞ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

① ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ تكاثر خيره؛ من: (البركة): وهي كثرة الخير، أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله؛ فإن البركة تتضمن معنى الزيادة، وترتيبه عن إنزاله الْفُرْقانَ لما فيه من كثرة الخير، أو لدلالته على تعاليه. وقيل: (دام) من: (بروك الطير على الماء) ومنه: (البُرْكة) لدوام الماء فيها، وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل إلا لله. و(الْفُرْقانَ) مصدر فرق بين الشيئين؛ إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره، أو بين المحق والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصولاً بعضه عن بعض في الإنزال، وقرئ: (على عباده) وهُمْ رسول الله وأمته كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ [النور: ٣٤] أو الأنبياء على أن (الْفُرْقانَ) اسم جنس للكتب السماوية. ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان. ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ للجن والإنس. ﴿نَذِيرًا﴾ منذراً أو إنذاراً كـ(النكير) بمعنى: (الإنكار)، هذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم، وجعلت صلة.

قوله: [لا يتصرف فيه]؛ أي: في «تبارك»(١) [وهذه الجملة]؛ أي: جملة

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٤/ ٤٧٢].

۞ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾.

﴿٢﴾ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ﴾ بدل من الأول، أو مدح مرفوع أو منصوب. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كزعم النصارى. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كقول الثنوية. أثبت له الملك مطلقاً، ونفى ما يقوم مقامه، وما يقاومه فيه، ثم نبّه على ما يدل عليه فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته؛ كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة. ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك، والفهم، والنظر، والتدبير، واستنباط الصنائع المتنوعة، ومزاولة الأعمال المختلفة، إلى غير ذلك. أو فَقَدَّرَهُ للبقاء إلى أجل مسمى. وقد يطلق (الخلق) لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فيكون المعنى: وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما. ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ ولا

«نزّل» **[لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم]** ليصح كونها صلة للموصول؛ لأنها لا تكون إلا معلومة فنزلت هذه منزلة المعلوم **[وجعلت صلة له وقد تطابق الخلق لمجرد الإيجاد]** والإحداث **[من غير نظر إلى وجه الاشتقاق]** الذي هو «التقدير» فإنه في الوجه الأول بشقيه معتبر في الإيجاد والإحداث بخلافه في هذا وإن لزمه التقدير، إذ لا يلزم من اعتبار الشيء في شيء عدم لزومه له.

۞ ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾.

يستطيعون ﴿لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا﴾ دفع ضر ﴿وَلَا نَفۡعٗا﴾ ولا جلب نفع ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ ولا يملكون إماتة أحد وإحياءه أولاً وبعثه ثانياً! ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية؛ لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها. وفيه تنبيه على أن الإلٰه يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ كذب مصروف عن وجهه. ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلقه. ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾؛ أي: اليهود؛ فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته. وقيل: «جبر» و«يسار» و«عدّاس» وقد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ [النحل: ١٠٣]. ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا﴾ بجعل الكلام المعجز إِفْكاً مختلقاً متلقّفاً من اليهود. ﴿وَزُورٗا﴾ بنسبة ما هو بريء منه إليه. و(أتى) و(جاء) يطلقان بمعنى: (فعل) ويُعَدَّيان تَعْدِيَتُه.

٥ - ٦ ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون. ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها. وقرئ على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله: اكتتبها كاتب له؛ فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير، فصار اكتتبها إياه كاتب، ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه. ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ ليحفظها فإنه أمي، لا يقدر أن يكرر من الكتاب. أو لتكتب. ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾؛ لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته، وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقبلة، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار، فكيف تجعلونه أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ! ﴿إِنَّهُۥ

[وبنى الفعل للضمير] الذي هو إياه [فاستتر فيه] مرفوعاً بعد أن كان بارزاً[1]

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (نادراً).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾.

﴿كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها، واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً.

﴿٧﴾ ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾ ما لهذا الذي يزعم الرسالة؛ وفيه استهانة وتهكم! ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، والمعنى: إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا، وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات؛ فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية، وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك.

﴿٨﴾ ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش. ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ هذا على سبيل التنزل؛ أي: إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بِرَيْعِهِ! وقرأ حمزة والكسائي بالنون، والضمير للكفار. ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع (الظَّالِمُونَ) موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ ما تتبعون. ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحر فغلب على عقله. وقيل: ذا سَحْرٍ؛ وهو الرئة؛ أي: بشراً لا ملكاً.

منصوباً [كما للدهاقين] جمع دهقان وهو كبير القرية ورئيسها [وقيل: ذا سَحْر] بفتح السين [وهو الرئة]؛ أي: التي في الجوف، والهمز فيه بدل من الياء المعوض عنها

۞ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾
تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل
لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم
مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة. ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي، والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى القدح في نبوتك، أو إلى الرشد والهدى. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ مما قالوا لكن أخّره إلى الآخرة؛ لأنه خير وأبقى. ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بدل من (خَيْراً). ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ عطف على محل الجزاء، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع؛ لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وَإِنَّ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لا غائبٌ مالِي ولا حَرِمُ

ويجوز أن يكون استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة، وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام

[فخبطوا خبط عشواء] هو بالهمز قال الجوهري[(1)]: «ركب فلان العشواء»: إذا خبط أمره على غير بصيرة، وفلان خابط خبط عشواء **[وقُرئ بالنصب على أنه جواب بالواو]** نحو «إنْ تأتني آتك وأحسن إليك» [﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ [الفرقان: ١١]] قال في «الكشاف»: عطف على ما حكى عنهم بقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة. ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال: بل كذبوا بالساعة فكيف

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٣٥٣].

الدنيوية، وظنوا أن الكرامة إنما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك! أو فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة. أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة! أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه! ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الاستعار، وقيل: هو اسم لـ(جهنم) فيكون صرفه باعتبار المكان. ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تتراءى ناراهما**»؛ أي: لا تتقاربا بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأُخْرَى على المجاز والتأنيث لأنه بمعنى: النار أو جهنم. ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو أقصى ما يمكن أن يرى منه. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ صوت تغيظ، شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره؛ وهو صوت يسمع من جوفه. هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية، أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر. وقيل: إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف.

يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة[١]. انتهى. وقد أشار إليه المصنف مع زيادة بقوله: فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية.. إلى آخره. وقوله: [**فإنه أعجب منه**]؛ أي: فإن تكذيبهم بالساعة أعجب من تكذيبهم إياك.

[**إذا رأتهم؛ إذا كانت بمرأى منهم**] هذا التأويل للمعتزلة بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الأشاعرة فإنهم يجوزون رؤيتها حقيقة كتغيظها وزفيرها في قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] إذ لا امتناع في أنها تكون رائية مغتاظة زافرة[٢] وقد أشار المصنف إلى ذلك بعد بقوله: هذا وإنَّ الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا.. إلى آخره.

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٧١].
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٦/ ٩٧].

۞ ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا﴾ في مكان، و(منها) بيان تقدم فصار حالاً. ﴿ضَيِّقًا﴾ لزيادة العذاب فإن الكرب مع الضيق، والروح مع السعة، ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها كعرض السمٰوات والأرض. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل. ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان. ﴿ثُبُورًا﴾ هلاكاً؛ أي: يتمنون الهلاك وينادونه! فيقولون: تعال يا ثبوراه فهذا حينك! ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾؛ أي: يقال لهم ذلك. ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾؛ لأن عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته، أو لأنه يتجدد لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ﴾ الإشارة إلى العذاب. والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم، أو إلى (الكَنزُ) و(الجَنَّةُ)، والراجع إلى الموصول محذوف وإضافة (الجَنَّةُ) إلى (الْخُلْدِ) للمدح أو للدلالة على خلودها، أو التمييز عن جنات الدنيا. ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله أو اللوح، أو لأن ما وعده الله في تحققه كالواقع.

[أو إلى الكنز والجنة] عطف على إلى العذاب ولو قال إلى الجنة كان أنسب باسم الإشارة بقوله: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: ٨].

[كانت لهم في علم الله..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف قال: «كانت مصيراً» مع أنها لم تكن إذ ذاك(١).

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٤/٤٩١].

۝ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿جَزَآءً﴾ على أعمالهم بالوعد. ﴿وَمَصِيرًا﴾ ينقلبون إليه، ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب؛ لأنهم في مقابلتهم. ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ ما يشاؤونه من النعيم، ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته؛ إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي، وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة. ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من أحد ضمائرهم. ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ الضمير في (كانَ) لـ(ما يَشاؤُونَ) و(الوعد الموعود)؛ أي: كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب، أو مسؤولاً سأله الناس في دعائهم ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤]. أو الملائكة بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨]، وما في (عَلى) من معنى الوجوب؛ لامتناع الخلف في وعده، ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز؛ فإن تعلق الإرادة بالوعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز.

﴿١٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء، وقرئ بكسر الشين، وقرأ ابن كثير

[ولا يمنع كونها جزاء لهم]؛ أي: للمتقين التاركين لجميع المعاصي [على غيرهم]؛ أي: من المتقين لبعضها الشامل للشرك [برضى المتقين] التاركين لجميعها [ولعله]؛ أي: الله أو الشأن [يقصر][١] للبناء للفاعل أو للمفعول [همَّ] بالنصب أو الرفع؛ أي: قصد [ما يليق برتبته] متعلق بـ«يقصر»[٢] [شاء والكامل]؛ أي: غاية [بالتشهي] متعلق بـ«يدرك».

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (يعصر).
(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (بيعصر).

۞ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾.

ويعقوب وحفص بالياء. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعم كل معبود سواه، واستعمال (مَا) إما لأن وضعه أعم؛ ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف، أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل: ومعبودهم، أو لتغليب الأصنام تحقيراً أو اعتبار الغلبة عبادها، أو يخص الملائكة وعزيراً والمسيح؛ لقرينة السؤال والجواب، أو الأصنام يُنْطِقُها الله أو تتكلم بلسان الحال؛ كما قيل في كلام الأيدي والأرجل. ﴿فَيَقُولُ﴾؛ أي: للمعبودين. وهو على تلوين الخطاب، وقرأ ابن عامر بالنون. ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح. وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة، وأصله: (أأضللتم أم ضَلُّوا) فغيّر النظم لِيَلِيَ حرف الاستفهام المقصود بالسؤال، وهو المتولي للفعل دونه؛ لأنه لا شبهه فيه وإلا لما توجه العتاب، وحذف صلة الضل مبالغة.

﴿١٨﴾ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ﴾ مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون، أو جمادات لا تقدر على شيء. أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده! أو تنزيهاً لله عن الأنداد. ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ ما يصح لنا ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ للعصمة، أو لعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحداً دونك، وقرئ:

[وهو]؛ أي: المقصود بالسؤال [المتولي للفعل]؛ أي: الفاعل له.

[دونه]؛ أي: الفعل فإنه ليس المقصود بالسؤال [لأنه لا شبهة فيه وإلا]؛ أي: ولو كان له فيه شبهة [لما توجه العقاب] عليهم [وحذف صلة «ضل»]؛ أي: وهو «عن» وأوقع الفعل على مدخولها[1] [للمبالغة] في ضلالهم.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٣٤٤].

۞ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

(نُتَّخَذَ) على البناء للمفعول من: (اتخذ) الذي له مفعولان؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] ومفعوله الثاني (مِنْ أَوْلِياءَ) و(مِنْ) للتبعيض، وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي. ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات. ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك، أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك، وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم، وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه، وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة. ﴿وَكَانُوا﴾ في قضائك. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هالكين، مصدر وصف به؛ ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع، أو جمع: (بائر) كـ(عائذ وعوذ).

﴿١٩﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول، والمعنى: فقد كذبكم المعبودون. ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ في قولكم: إنهم آلهة، أو هؤلاء أضلونا؛ و(الباء) بمعنى: (في)، أو مع المجرور بدل من الضمير، وعن ابن كثير بالياء؛ أي: كَذَّبُوكُمْ بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا﴾ [الفرقان: ١٨]. ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: المعبودون. وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين. ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عنكم، وقيل: حيلة؛ من قولهم: إنه ليتصرف؛ أي: يحتال. ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعينكم عليه. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أيها المكلفون. ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ هي النار. والشرط وإن

[و«من» للتبعيض]؛ أي: في قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ على الثاني من القراءتين [وهو]؛ أي: نسيان الذكرى والتذكر.

[وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه]؛ يعني: وهو أيضاً إسناد الضلال إليهم بحمله لهم على الضلال فالفعل من غير الله كسبب أو حمل لا إيجاد بخلافه من الله تعالى ولهذا قال: [وهو عين ما ذهبنا إليه] من أن الفاعل للأشياء حقيقة

۞ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾.

عم كل من كفر أو فسق؛ لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقاً؛ وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً وبالعفو عندنا.

(٢٠) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾؛ أي: إلا رسلاً إنهم. فحذف الموصوف لدلالة (المرسلين) عليه، وأقيمت الصفة مقامه كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات: ١٦٤]، ويجوز أن تكون حالاً اكتفى فيها بالضمير، وهو جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾. وقرئ: (يُمَشَّونَ)؛ أي: تمشيهم حوائجهم أو الناس. ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ﴾ أيها الناس. ﴿لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ ابتلاء؛ ومن ذلك: ابتلاء الفقراء بالأغنياء، والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم؛ وهو تسلية لرسول الله ﷺ على ما قالوه بعد نقضه. وفيه دليل على القضاء والقدر. ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ علة للـ(الجعل) والمعنى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]، أو حث على الصبر على ما افتتنوا به. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ بمن يصبر، أو بالصواب فيما يبتلي به وغيره.

هو الله دون غيره [وأقيمت الصفة]؛ أي: وهي أنهم.. إلى آخره. وهذا يقتضي فتح الهمزة مع أنها مكسورة وأجيب بأن «أنهم..» إلخ، إنما هو حال وهي صفة في المعنى والتقدير ألا وإنهم[١] وهو ما ذكر بقوله بعد: ويجوز أن يكون حالا وإن أفاد كلامه جواز الأول أيضاً.

[وهو]؛ أي: وما أرسلنا.. إلى آخره..

---

(١) كما في نسخة [ز - ب] وفي نسخة [الأصل]: (ألا لهم).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ لا يأملون. ﴿لِقَآءَنَا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث، أو لا يخافون لِقاءَنا بالشر على لغة «تهامة»، وأصل (اللقاء): الوصول إلى الشيء، ومنه: (الرؤية) فإنه وصول إلى المرئي، والمراد به الوصول إلى جزائه، ويمكن أن يراد به (الرؤية) على الأول. ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فتخبرنا بصدق محمد، وقيل: فيكونوا رسلاً إلينا. ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيأمرنا بتصديقه واتباعه. ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها! وما هو أعظم من ذلك. ﴿وَعَتَوْ﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم. ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بالغاً أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية. واللام جواب قسم محذوف، وفي الاستئناف بالجملة حسنن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله:

وَجَارَةُ جَسَّاسٍ أَبَأْنَا بِنَابِهَا ... كُلَيْباً غَلَتْ نَابٌ كُلَيْبٌ بَوَاؤُها

[وما هو أعظم] عطف على ما يتفق [كقوله:

وجارةَ جساسٍ أَبَأْنا ....

بهمزة ساكنة بعد الموحدة [بِنَابِها]؛ أي: بناب جارة جساس [كليب غَلَتْ نابٌ كُليبٌ بَوَاؤُها][1] «جساس»: هو ابن مرة الشيباني، وجارته امرأة اسمها بسُوس هي خالته و«الناب» ناقة بسوس رماها كليب بسهم فقتلها فشكت بسوس إلى جساس، فقال: لنقتلنّ غداً فحلاً هو أعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليباً فظن أنه فحله المسمى

---

(١) البيت:
وجارةَ جساس أبأنا بنابها ... كليب غلت نابٌ كليب بواؤها»
المستقصى، الزمخشري [١/١٧٨].

۞ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ ملائكة الموت أو العذاب، و(يَوْمَ) نصب بـ(اذكر) أو بما دل عليه. ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ فإنه بمعنى: يمنعون البشرى أو يعدمونها، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير، أو خبر و(لِلْمُجْرِمِينَ) تبيين، أو خبر ثان، أو ظرف لما يتعلق به اللام، أو لـ(بُشْرى) إن قدرت منونة غير مبنية مع (لا) فإنها لا تعمل، و﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان، ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر. وإما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلاً على جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للـ(البشرى) والموجب لما يقابلها. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عطف على المدلول؛ أي: ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلباً من الله أن يمنع لقاءهم، وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدوّ أو هجوم مكروه. أو تقولها الملائكة بمعنى: حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشرى. وقرئ: (حُجْراً) بالضم، وأصله الفتح غير أنه لما اختص

بعليّان فقال: «دون عليّان خرط القتاد» وجساس إنما عنى بالفحل «كليباً» فقتله، و«أبأنا»؛ أي: قابلنا من البوءِ وهو التساوي في القود يقال: أبأته بفلان إذا قتلته به، وباء بنا بها بدلية، والمعنى: أن كليباً مع عظم شأنه على الناقة ساواها في القود فقُتل بها والشاهد في: غلت ناب.. إلى آخره. إذ في استئنافه حسن وإشعار بتعجب مساواة الناقة لكليب؛ أي: غلت ناقه حيث ساوت كليباً(١).

[فإنها]؛ أي: بشرى إذا بنيت مع لا [لا تعمل]؛ لأنها صارت جزء كلمة [عطف على المدلول]؛ أي: مدلول لا بشرى.. إلى آخره. [وطلبا من الله أن يمنع لقاءهم] المعنى: أنهم يطلبون نزول الملائكة وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم؛ لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهونه [وأصله الفتح..] إلى آخره؛

---

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي [١٩/ ٢٤٥/ مادة: خرط].

۞ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾.

بموضع مخصوص غُيِّر كـ(قَعْدَك وعَمْرَك) ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه، ووصفه بـ(مَحْجُوراً) للتأكيد كقولهم: موت مائت.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾؛ أي: وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم؛ كقرى الضيف، وصلة الرحم، وإغاثة الملهوف؛ فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره. وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم؛ فقدم إلى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثراً، و(الهَباءً): غبار يرى في شعاع يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار. و(مَنْثُوراً) صفته. شبه عملهم المحبط بالهباء في حقارته وعدم نفعه، ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها. أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

﴿٢٤﴾ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مكاناً يستقر فيه أكثر الأوقات للتجالس والتحادث. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مكاناً يؤوى إليه للاستروواح بالأزواج والتمتع بهن! تجوزاً له من مكان القيلولة على التشبيه، ....

أي: أصله الفتح لأنه من حجره حجراً؛ أي: منعه فلما اختص بموضع وهو أنه إنما يقال عند لقاء مكروه يصرفوا فيه بالضم والكسر كما أن «قعدك الله» و«عمرك الله» لما اختصا باليمين تصرفوا فيهما بأن جوَّزوا كسر قعدك بعد تعين فتحه وعينوا فتح عمرك بعد جواز ضمه كما أفاد كلام الجوهري[1] وغيره.

[وهو]؛ أي: قوله: وقدمنا.. إلى آخره. [ومنشُوراً صفته]؛ أي: صفة هباء [شبه به]؛ أي: بالهباء [أو تفرقه] عطف على «انتشاره» [به]؛ أي: بعملهم [أو مفعول] عطف على صفته [تجوزاً له..] إلى آخره. تعليل لإرادة مكان القيلولة

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٤٩٦].

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً؛ إذ لا نوم في الجنة، وفي (أحسن) رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين. ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان؛ إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة. والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقاً، أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا. روي: أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقيلُ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النَّار في النَّار.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أصله: (تتشقق) فحذفت التاء، وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب. ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ بسبب طلوع الغمام منها، وهو الغمام المذكور في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد، وقرأ ابن كثير: (ونُنْزِلُ الملائكة) وقرئ: (ونُزِّلَتْ) (وأَنْزَلَ) (وَنُزِلَ الملائكة) بحذف نون الكلمة. ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الثابت له؛ لأن كل مُلْكٍ يبطل يومئذ ولا يبقى إلا ملكه؛ فهو الخبر، و(لِلرَّحْمٰنِ) صلته، أو تبيين و(يَوْمَئِذٍ) مفعول (الْمُلْكُ) لا (الْحَقُّ) لأنه متأخر، ....

«مقيلاً»، وقوله: له الأَوْلَى به؛ أي: بـ«مقيلاً» [أو لأنه] عطف على «تجوزاً» [بأحدهما]؛ أي: المستقر والمقيل؛ أي: مقامهم [أو مفعول] عطف على «صفة» [المصدر أو الزمان] مراده أنه يحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان وبالآخر المكان [«روي أنه يفرغ من الحساب..»] إلى آخره. رواه الحاكم وصححه[1].

[الثابت] تفسير للحق [فهو الخبر]؛ أي: فالحق خبر الملك [لأنه متأخر]؛

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/٤٢٦/ برقم: ٣٥١٦].

۞ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

أو صفته والخبر (يَوْمَئِذٍ) أو (لِلرَّحْمَٰنِ). ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ شديداً.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ من فرط الحسرة! وعض اليدين، وأكل البنان، وحرق الأسنان، ونحوها؛ كنايات عن الغيظ، والحسرة؛ لأنها من روادفهما. والمراد بـ(الظَّالِمُ) الجنس. وقيل: عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسّلام، فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين! ففعل، وكان أُبي بن خلف صديقه، فعاتبه وقال: صبأت فقال: لا، ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي! فاستحيت منه فشهدت له، فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه! فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك! فقال ﷺ: «**لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف!**»، فأسر يوم بدر؛ فأمر علياً فقتله، وطَعَنَ أُبيّاً بِأُحُدْ في المبارزة، فرجع إلى مكة ومات. ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى النجاة، أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة. ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ وقرئ بالياء على الأصل. ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ يعني: من أضله! و(فلان) كناية عن الأعلام؛ كما أن (هنا) كناية عن الأجناس. ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ عن ذكر الله، أو كتابه، أو موعظة الرسول، أو كلمة الشهادة. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ وتمكنت منه. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ يعني: الخليل المضل، أو إبليس؛

أي: مع أنه مصدراً [أو صفة] عطف على الخبر؛ أي: أو صفة للملك [أو للرحمٰن] عطف على «يومئذ».

۞ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾﴾.

لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول، أو كل من تشيطن من جن وإنس. ﴿لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه؛ (فعول) من: (الخذلان).

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد يومئذ، أو في الدنيا ـ بَثّاً إلى الله ـ. ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ قريشاً. ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ بأن تركوه وصدوا عنه، وعنه ﷺ: «**من تعلم القرآن وعلق مصحفه، ولم يتعاهده ولم ينظر فيه؛ جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب! عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه!**» أو هجروا ولغوا فيه؛ إذا سمعوه، أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين، فيكون أصله: (مَهْجُوراً فيه) فحذف الجار، ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كـ(المجلود والمعقول)، وفيه تخويف لقومه؛ فإن الأنبياء إذا شكوا إلى الله قومهم عجل لهم العذاب. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا، وفيه دليل على أنه خالق الشر. والعدو يحتمل الواحد والجمع. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾ إلى طريق قهرهم. ﴿وَنَصِيرٗا﴾ لك عليهم.

[**بثاء**] بموحدة فمثلثة؛ أي: شكاية [«**من تعلم القرآن..**»] إلى آخره. أخرجه الثعلبي[(١)] من طريق أبي هدبة واسمه إبراهيم قال شيخنا: وأبو هدبة كذاب.

[**أو هجروا ولغوا فيه**] عطف على «تركوه» [**فيكون أصله**]؛ أي: على الوجهين [**مهجوراً فيه فحذف الجار**]؛ أي: فيهما؛ ومعنى اللغو فيه: أنهم يأتون باللفظ

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/٤٥٩/ برقم: ٨٩٦].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ أي: أنزل عليه كخبر بمعنى: أخبر؛ لئلا يناقض قوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ دفعة واحدة كالكتب الثلاثة، وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة، أو مفرقاً؛ مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾؛ أي: كذلك أنزلناه مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه؛ لأن حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى ﷺ! حيث كان أُميّاً وكانوا يكتبون، فلو ألقي عليه جملة تعنى بحفظه. ولعله لم يستتب له فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً، ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى، ولأنه إذا نزل منجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه، ولأنه إذا نزل به جبريل حالاً بعد حال يثبت به فؤاده، ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ، ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية، فإنه يعين على البلاغة. و(كذلك) صفة مصدر محذوف، والإشارة إلى إنزاله مفرقاً فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾ ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة؛ ولذلك وقف عليه فيكون حالاً، والإشارة إلى الكتب السابقة، واللام على الوجهين متعلق بمحذوف. ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾

ونحوه ويصبحون في زمن قراءته [كالكتب الثلاثة]؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور [وهو]؛ أي: قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] [لم يستتب]؛ أي: لم يتهيأ ولم يستقم [له]؛ أي: للرسول [والإشارة]؛ أي: بذلك [إلى إنزاله متفرقاً] وإن لم يتقدم له ذكر جائزة [فإنه مدلول عليه..] إلى آخره. فقوله: والإشارة مبتدأ خبره محذوف كما تقرر وبذلك علم أن ما ذكر جواب سؤال مقدر [واللام على الوجهين متعلق بمحذوف]؛ أي: فرقناه لنثبت به فؤادك(١).

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [٥٢٦/١٤].

۞ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين. وأصل: (الترتيل): في الأسنان وهو تفليجها.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك! ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدامغ له في جوابه. ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم، أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون: هلا كانت هذه حاله! إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا، وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له! ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: مقلوبين أو مسحوبين عليها، أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على الأقدام، وصنف على الوجوه**» وهو ذم منصوب، أو مرفوع، أو مبتدأ خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ والمفضل عليه هو الرسول ﷺ على طريقة قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] كأنه قيل: إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه، وتضليل سبيله، ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً، وقيل: إنه متصل بقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] ....

[**وبما هو أحسن بياناً**] أشار إلى أن قوله تعالى: «أحسن» عطف على «الحق» [**هلا كانت هذه حاله**]؛ أي: بأن يقرن به ملك، أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة أن ينزل عليه القرآن جملة [«**يحشر الناس يوم القيامة..**»] إلى آخره. رواه البيهقي[1]

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [١/٣١٨/ برقم: ٣٥٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾.

ووصف السبيل بالضلال؛ من الإسناد المجازي للمبالغة.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة. ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة؛ لأن المتشاركين في الأمر متوازرون عليه. ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾؛ يعني: فرعون وقومه. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم؛ فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها؛ وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم، والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع، وقرئ: (فَدَمَّرْتُهُم) (فَدَمِّرَاهُم) (فَدَمِّرَانِّهم) على التأكيد بالنون الثقيلة. ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ كذبوا نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل، أو بعثة الرسل مطلقاً كالبراهمة. ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ بالطوفان. ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم. ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

[ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة] إذ الأصل أولئك أضل منه في السبيل فأسند الضلال إلى السبيل مبالغة حيث جعل تمييزاً ليؤذن أن سبيلهم ضال لقوة الضلال منهم [ولا ينافي ذلك مشاركته]؛ أي: مشاركته له في النبوة ويوضحه قول «الكشاف» الوزارة[1] لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويوزرون بأن يؤازر بعضهم بعضاً.

[فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها]؛ أي: بهما لأنهما المقصود منها [كالبراهمة] هم قوم يمنعون بعثة الرسل نُسبوا إلى رجل يقال له:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٨٥].

۞ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

يحتمل التعميم والتخصيص؛ فيكون وضعاً للظاهر موضع المضمر تظليماً لهم.

﴿٣٨﴾ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ عطف على (هم) في (جَعَلْناهُمْ) أو على (الظالمين)؛ لأن المعنى: ووعدنا الظالمين، وقرأ حمزة وحفص: (وثمود) على تأويل القبيلة. ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ قوم كان يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعيباً فكذبوه، فبينما هم حول الرس ـ وهي البئر الغير المطوية ـ فانهارت فخسف بهم وبديارهم. وقيل: (الرَّسِّ): قرية بفلج اليمامة، كان فيها بقايا ثمود، فبعث إليهم نبي فقتلوه، فهلكوا. وقيل: الأخدود. وقيل: بئر بأنطاكية قتلوا حبيباً النجار. وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان ـ النبي ـ ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسمّوها عنقاء لطول عنقها، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له: «فتخ» أو «دمخ» وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد؛ ولذلك سميت «مغرباً» فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم أنهم قتلوه! فأهلكوا. وقيل: هم قوم كذبوا نبيهم ورسّوه! أي: دسوه في بئر. ﴿وَقُرُونًا﴾ وأهل أعصار قيل: القرن أربعون سنة، وقيل: سبعون، وقيل: مائة وعشرون. ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر. ﴿كَثِيرًا﴾ لا يعلمها إلا الله.

برهام قد مهد لهم ذلك وقرره في عقولهم [غير المطوية]؛ أي: غير المبينة. [بفَلَج اليمامة] «فَلَج»: بفتح الفاء واللام وبجيم، قرية عظيمة بناحية اليمن وموضع باليمن من مساكن عاد، وبسكون اللام وادٍ قريب من البصرة. قاله ابن الأثير[1].

[جبلهم الذي يقال له فتج] قيل: هو بتاء فوقية فخاء معجمة أو مهملة وبياء تحتيه وجيم [أو دلخ] بخاء معجمة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١٤٦/٦].

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣٩ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۝٤٠ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾.

---

(٣٩) ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بيّنا له القصص العجيبة من قصص الأولين؛ إنذاراً وإعذاراً، فلما أصروا أهلكوا كما قال: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ فَتَّتْنَاه تَفْتِيتاً، ومنه: (التبر): لفتات الذهب والفضة. وَ(كُلًّا) الأول: منصوب بما دل عليه (ضَرَبْنا) كـ(أنذرنا). والثاني: بـ(تبَّرْنا) لأنه فارغ عن الضمير.

(٤٠) ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾؛ يعني: قريشاً مرّوا مِراراً في متاجرهم إلى الشام. ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾؛ يعني: «سدوم» عظمى قرى قوم لوط؛ أمطرت عليها الحجارة. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله. ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة؛ فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا! فمروا بها كما مرّت ركابهم، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه ـ على اللغة التهامية ـ.

(٤١) ـ (٤٢) ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ما يتخذونك إلا موضع هزء، أو مهزوءاً به. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار. وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم يجعله صلة، وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء! ولولاه ....

[سدوم] بدال مهملة، وقيل: معجمة كما مَرَّ في «الأعراف» [لا يتوقفون..] إلى آخره. ذكر أن الرجاء بمعنى التوقع، أو بمعنى الأمل، أو بمعنى الخوف، وهو في الثاني حقيقة وفيما عداه مجاز، وإن كان الثالث على لغة تهامة [ولولاه]؛ أي: ولولا

۞ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾.

لقالوا: أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً. ﴿إِن كَادَ﴾ إنه كادَ ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد، وكثرة ما يوردها مما يسبق إلى الذهن بأنها حجج ومعجزات. ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها، و(لَوْلا) في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب لقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له، وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ بأن أطاعه وبنى عليه دينه؛ لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً. وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به. ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا! فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب، والثاني للإنكار. ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾؛ بل أتحسب. ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم؛ وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه، وتخصيص الأكثر؛ لأنه كان منهم من آمن ومنهم من

أنه استهزأ. [لقالوا: إنَّ هذا الذي..] إلى آخره. عبارة «الكشاف»[(١)] ولو لم يستهزؤوا لقالوا: هذا الذي.. إلى آخره.

[فإنه]؛ أي: سوف يعلمون... إلخ [يفيد نفي[(٢)] ما يلزمه]؛ أي: ما يلزم قولهم: ليضلنا فاللازم ضلاله بزعمهم وقد نفي فينتفي ملزومه وهو إضلاله لهم [ويكون الموجب] عطف على «يلزمه» والموجب ضلاله [له]؛ أي: لإضلاله لهم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/٢٨٦].

(٢) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (فينتفي).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

عقل الحق وكابر؛ استكباراً وخوفاً على الرئاسة. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها؛ وهؤلاء لا ينقادون لربهم! ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان! ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار! ولأنها إن لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شرّاً! بخلاف هؤلاء؛ ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق! ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم، وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم!

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ﴾ ألم تنظر إلى صنعه؟ ﴿كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ كيف بسطه، أو: ألم تنظر إلى الظل كيف مدّه ربك، فغير النظم إشعاراً بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه؛ وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة؛ على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه! أو: ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل، وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال! فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع، وتسد النظر، وشعاع الشمس: يسخن الجو ويبهر البصر؛ ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

[على الوجه] تنازعه حدوثه وتصرفه [على أن ذلك] متعلق بدلالة [كالمشاهد] خبر «إنَّ» في قوله: بأن المعقول [وقيل: مَدَّ الظِلَّ] إلخ مقابل لقوله: «كيف بسطه..» إلخ

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ ثابتاً، من: (السكنى) أو غير متقلص؛ من: (السكون) بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الأجرام، أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها. ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾؛ أي: أزلناه بإيقاع الشمس موقعه؛ لما عبر عن أحداثه بالمد بمعنى: البسط؛ عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى: الكف. ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون، ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق، و(ثُمَّ) في الموضعين لتفاضل الأمور، أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها. وقيل: مَدَّ الظِّلَّ لما بنى السماء بلا نيّر، ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحالة، ثم خلق الشمس عليه دليلاً؛ أي: مسلطاً عليه مستتبعاً إياه كما يستتبع الدليل المدلول، أو دليل الطريق؛ من: (يهديه) فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها، ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ شيئاً فشيئاً إلى أن تنتهي غاية نقصانه، أو قَبْضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها.

﴿٤٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلامه باللباس في ستره ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع المشاغل، وأصل: (السبت) القطع، أو موتاً كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]؛ لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت. ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ ذا نشور؛ أي: انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش، أو بعث من النوم بعث الأموات فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور. وعن لقمان عليه السلام: (يا بني! كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر!).

[أو بعث]؛ أي: أو ذا بعث فهو عطف على «نشور».

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس. (نُشُراً) ناشرات للحساب، جمع: (نَشُور)، وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف، وحمزة والكسائي به وبفتح النون؛ على أنه مصدر وصف به وعاصم: (بُشْراً) تخفيف (بُشُر) جمع: (بَشُور) بمعنى: (مُبَشِّر) ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾؛ يعني: قدام المطر. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ مطهراً لقوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾. وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به. قال عليه الصلاة والسلام: «**التراب طهور المؤمن**»، «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه: أن يغسل سبعاً إحداهن بالتراب**». وقيل: بليغاً في الطهارة، و(فعول) وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كـ(الضُّبُوث) وللمصدر كـ(القَبُول) وللاسم كـ(الذَنُوب)، وتوصيف الماء به إشعاراً بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده؛ فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته، وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى. ﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالنبات. وتذكير (مَيْتاً) لأن البلدة في معنى: البلد؛ ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة! فأجريَ مجرى الجامد. ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾؛ يعني: أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا! ولذلك نكر الأنعام

[«**التراب طهور المؤمن..**»] رواه النسائي بلفظ: «**الصعيد الطيب طهور المسلم..**»(١) [«**طهور إناء أحدكم..**»] إلى آخره. رواه مسلم(٢).

[**ولأنه غيرُ جارٍ على الفعل**]؛ أي: ولأن «الميت» ليس على وزن الفعل فيستوي فيه المذكر والمؤنث.

---

(١) سنن النسائي [١/ ١٧١/ برقم: ٣٢٢].
(٢) صحيح مسلم [١/ ٢٣٤/ برقم: ٢٧٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾.

والأناسي، وتخصيصهم؛ لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار، والمنافع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء، وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً؛ مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة، فهو لتعداد أنواع النعمة؛ والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم، وعلية معايشهم منوطة بها؛ ولذلك قدم سقيها على سقيهم، كما قدم عليها إحياء الأرض؛ فإنه سبب لحياتها وتعيشها، وقرئ: (نَسْقِيه) بالفتح، و(سقى) و(أسقى) لغتان، وقيل: (أسقاه): جعل له سقياً. (وَأَنَاسِيَّ) بحذف ياء؛ وهو جمع إنسي أو إنسان كـ(ظرابي في ظربان) على أن أصله: (أناسين) فقلبت النون ياء.

﴿٥٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب. أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة، وعلى الصفات المتفاوتة؛ من وابلٍ وطَلٍّ وغيرهما، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (ما عام أمطر من عام! ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية). أو في الأنهار والمنافع. ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ ليتفكروا ويعرفوا كمال

[وسائر الحيوانات]؛ أي: باقيها المفهوم من التقييد بالأنعام كالطير والوحش **[وعامة منافعهم وعليه مقامتهم منوطة]** وفي نسخة: «منوط»؛ أي: كل منهما منوطة أو منوط **[بها]**؛ أي: بالأنعام **[كظَرِبَان فظرابي]** قال الجوهري[1] «الظَّرِبان»: مثل القطران دويبة كالهرّة منتنة الريح تزعم الأعراب أنَّها تفسو في ثوب أحدهم إذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب [**«ما عام أمطر من عام..»**] إلى آخره. رواه الحاكم وفي رواية: **«ما من عام أقلّ مطر من عام..»**[2].

[أو في الأنهار] عطف على «في البلدان».

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/٤٣٦].

(٢) مستدرك الحاكم [٢/٤٣٧/برقم: ٣٥٢٠].

۞ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

القدرة، وحق النعمة في ذلك، ويقوموا بشكره، أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا! ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافراً! بخلاف من يرى أنها من خلق الله. و(الأنواء): وسائط وأمارات بجعله تعالى.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ نبيّاً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قَصَرْنَا الأمر عليك إجلالاً لك، وتعظيماً لشأنك، وتفضيلاً لك على سائر الرسل! فَقَابِل ذلك بالثبات، والاجتهاد في الدعوة، وإظهار الحق. ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فيما يريدونك عليه، وهو تهييج له وللمؤمنين. ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ بالقرآن، أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه: (فلا تطع)، والمعنى: أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم، وإزاحة باطلهم. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف! أو: لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم، أو لأنه جهاد مع كل الكفرة؛ لأنه مبعوث إلى كافة القرى.

﴿٥٣﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلّاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان؛ من: (مرج دابته) إذا خلّاها. ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ قامع للعطش من فرط عذوبته. ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغ الملوحة، وقرئ: (مَلِحٌ) على (فَعِلٌ) ولعل أصله: (مالح) فخفف كـ(بَرِدٌ في بَارِد). ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً من

[فيما بين أظهرهم] خبران.

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

قدرته. ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وتنافراً بليغاً؛ كأن كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه، وقيل: حدّاً محدوداً؛ وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها، وقيل: المراد بـ(البحر العذب) النهر العظيم مثل النيل، وبـ(البحر الملح) البحر الكبير، وبـ(البرزخ): ما يحول بينهما من الأرض، فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾؛ يعني: الذي خمر به طينة آدم، أو جعله جزءاً من مادة البشر لتجتمع وتسلس، وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة، أو النطفة. ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾؛ أي: قسمه قسمين ذوي نسب؛ أي: ذكوراً ينسب إليهم، وذوات صهر؛ أي: إناثاً يصاهر بهن؛ كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة، وطباع متباعدة، وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكراً وأنثى. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾؛ يعني: الأصنام، أو كل ما عبد من دون الله؛ إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك، والمراد بـ(الْكَافِرُ) الجنس أو

[كان كل واحد منهما يقول للآخر ما يقوله المبعود عنه] عبارة «الكشاف»[1] كان كل واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً **[ويُسلّس]** بضم الياء وتشديد اللام؛ أي: وليكون سلساً **[أو النطفة]** عطف على الذي حمر به **[يظاهر الشيطان]**؛ أي: يعاونه.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٩٣].

۞ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

أبو جهل. وقيل: هيناً مهيناً لا وقع له عنده؛ من قولهم: (ظهرت به) إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ للمؤمنين والكافرين. ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أن يتقرب إليه، ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة، فصور ذلك بصورة الأجر؛ من حيث إنه مقصود فعله واستثناه منه قلعاً لشبهة الطمع وإظهاراً لغاية الشفقة، حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للثواب، والتخلص عن العقاب أجراً وافياً مرضيّاً به مقصوراً عليه. وإشعاراً بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث إنها بدلالته. وقيل: الاستثناء منقطع معناه: لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ فليفعل.

﴿٥٨﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم؛ فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون؛ فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ ونزهه عن صفات النقصان؛ مُثْنِياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الأنعام بالشكر على سوابغه. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بطن. ﴿خَبِيرًا﴾ مطلعاً فلا عليك أن آمنوا أو كفروا.

[حيث أعيد]؛ أي: الرسول [بإنفاعك]؛ أي: أيها المبلغ [أجراً] تمييز من نسبة الاعتداد إلى الرسول [على سوابقه]؛ أي: سوابق مزيد الإنعام مع أنهما

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

﴿٥٩﴾ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قد سبق الكلام فيه، ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل، والمتصرف فيه. وتحريض على الثبات والتأني في الأمر؛ فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج، و(الرَّحْمَنُ) خبر لـ(الذي) إن جعلته مبتدأ، ولمحذوف إن جعلته صفة لـ(حي)، أو بدل من المستكن في: (اسْتَوى) وقرئ بالجر صفة لـ(حي). ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى، أَوْ جبريل، أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه، وقيل: الضمير لـ(رحمٰن)، والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم، وعلى هذا يجوز أن يكون (الرَّحْمَنُ) مبتدأ والخبر ما بعده، والسؤال كما يعدى بـ(عن) لتضمنه معنى: التفتيش يعدى بالياء لتضمنه معنى: الاعتناء. وقيل: إنه صلة: (خَبِيراً).

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله، أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره، ولذلك قالوا: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾؛ أي: للذي تأمرناه يعني: تأمرنا بسجوده، أو لأمرك لنا من غير عرفان. وقيل: لأنه كان معرباً لم يسمعوه. وقرأ حمزة والكسائي: (يأمرنا) بالياء على أنه قول بعضهم لبعض. ﴿وَزَادَهُمْ﴾؛ أي: الأمر بالسجود لِلرَّحْمٰنِ. ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

﴿٦١﴾ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾؛ يعني: البروج الاثني عشر سميت به، وهي القصور العالية؛ لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾.

واشتقاقه من التبرج لظهوره. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾؛ يعني: الشمس لقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. وقرأ حمزة والكسائي: (سُرُجاً) وهي الشمس والكواكب الكبار. ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئاً بالليل، وقرئ: (وَقُمْراً)؛ أي: ذا قمر، وهو جمع: (قَمْرَاء) ويحتمل أن يكون بمعنى: القمر؛ كالرُّشْد والرَّشَد، والعُرْب والعَرَب.

﴿٦٢﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾؛ أي: ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر؛ بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، أو بأن يعتقبا لقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الجاثية: ٥]. وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه؛ فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم، واجب الذات رحيم على العباد. ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أن يشكر الله على ما فيه من النعم، أو ليكونا وقتين للمتذكرين الشاكرين من: (فاته) ورده في أحدهما تداركه في الآخرة، وقرأ حمزة: (أَنْ يَذْكُر) من: (ذَكَرَ) بمعنى: (تَذَكّر)، وكذلك (لِيَذْكُروا!) ووافقه الكسائي فيه.

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ﴾ أو: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ وإضافتهم إلى (الرَّحْمَنِ) للتخصيص والتفضيل؛ أو لأنهم الراسخون في عبادته، على أن (عباد) جمع: (عابد)

إنعامات أيضاً [مغرباً]؛ أي: غريباً [وكذلك ليذكروا]؛ أي: في ما مرّ هنا [ووافقه الكسائي فيه]؛ أي: في ليذّكروا هنا وفي سورة بني إسرائيل كما مرَّ ثَمَّ.

[أو لأنهم الراسخون في عبادته على أن «عُبَّاد» جمع عابد]؛ أي: حملاً على

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾.

كـ(تاجر وتُجّار). ﴿هَوْنًا﴾ هينين، أو مشياً هيناً؛ مصدر وصف به والمعنى: أنهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ تسلماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا؛ ولا شر! أو سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم؛ ولا ينافيه آية القتال لتنسخه؛ فإن المراد به: الإغضاء عن السفهاء، وترك مقابلتهم في الكلام. ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ في الصلاة، وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء؛ وتأخير (القيام) للروي وهو جمع: (قائم)، أو مصدر أجري مجراه.

﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ لازماً ومنه الغريم لملازمته، وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالفتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق، وجلون من العذاب، مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم على استمرار أحوالهم. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي: بئست مستقراً، وفيها ضمير مبهم يفسره المميز، والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم (إنَّ)، أو (أحزنت) وفيها ضمير اسم (إنّ) و(مستقراً) حال، أو تمييز والجملة تعليل للعلة الأولى، أو تعليل ثانٍ وكلاهما يحتملان الحكاية، والابتداء من الله.

قراءة من قرأ عباد بالتشديد [تسلماً منكم] هي عبارة «الكشاف»[(١)] وفي نسخة تسليماً منكم [لأن العبادة بالليل أحمز][(٢)]؛ أي: أمتن وأقوى وفيها ضمير مبهم يفسره المميز؛ أي: وإن كان مذكّر اللفظ، والضمير مؤنثاً؛ لأنَّ مستقراً مؤنث معنى إذ معناه: جهنم [أو أخزيت] عطف على «يئست».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٢٩٧].

(٢) في نسخة [ب]: (أحمد).

۞ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح. وقيل: (الإسراف): هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب. وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لم يَقْتِرُوا) بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ نافع وابن عامر: و(من يُقتِروا) بضم الياء وكسر التاء من (أَقْتَرَ)، وقرئ بالتشديد والكل واحد. ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ وسطاً عدلاً. سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما. وقرئ بالكسر: وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص؛ وهو خبر ثان لـ(كان) أو حال مؤكدة. ويجوز أن يكون الخبر (بين ذلك) لغواً، وقيل: إنه اسم (كانَ) لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن، وهو ضعيف؛ لأنه بمعنى: القوام؛ فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه.

﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾؛ أي: حرمها بمعنى: حرم قتلها. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق (القتل) المحذوف، أو بـ(لا يقتلون) ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ نفى عنهم أمهات المعاصي بعدما أثبت لهم أصول الطاعات؛ إظهاراً لكمال إيمانهم، وإشعاراً

[وقرأ نافع..] إلى آخره. النسخ هنا مختلفة، وكلها مخالفة للمنقول إذ المنقول: «قرأ المدنيان وابن عامر «ولم يُقتِروا» بضم الياء وكسر التاء، وابن كثير والبصريان بفتح الياء وكسر التاء والباقون بفتح الياء وضم التاء»[1].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٥٨٦].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾.

بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك، وتعريضاً للكفرة بأضداده؛ ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ جزاء إثم، أو إثماً بإضمار (الجزاء)، وقرئ: (أياماً)؛ أي: شدائد يقال: يوم ذو أيام؛ أي: صعب. ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بدل من: (يَلْقَ) لأنه في معناه كقوله:

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بنَا فِي دِيَارِنَا   تجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَنَاراً تَأَجَّجَا

وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال؛ وكذلك: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ وابن كثير ويعقوب: (يُضَعِّفْ) بالجزم، وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الألف في: (يُضَعَّفُ)، وأبو عمرو: (وَيُخْلَد) على بناء المفعول مخففاً، وقرئ مثقلاً، وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية إلى الكفر ويدل عليه قوله:

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ

[جزاء إثم] تفسيراً للأثام فمعناها: العقوبة [أو إثماً] تفسير ثان لها فهي على حقيقتها فتحتاج إلى تقدير مضاف بينه بقوله: [بإضمار والجزاء] وهو ظاهر [كقوله:

متى تَأْتِنا تُلْمِم.................   ....]

أي: تنزل [بنا في ديارنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً]؛ أي: غليظاً [وناراً تَأَجَّجا][(١)] الألف للتثنية وذكر تغليباً للحطب على النار وروي «تأججن» بنون التوكيد الخفيفة [وقرأ أبو عمرو «يخلد» على البناء للمفعول مخففاً] في نسخة: أبو بكر وكل منها لم يقرأ بذلك، إنما قرآ بالبناء للفاعل كبقية القراء العشرة فلعلها قراءة شاذة فكان حقه أن يقول: وقرئ «ويخلد» على البناء للمفعول مخففاً[(٢)].

---

(١) الكتاب، سيبويه [٣/٨٦].   (٢) السبعة للقراءات، البغدادي [ص٤٦٧].

۞ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعتهم. أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة. وقيل: بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه. أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات. ﴿وَمَن تَابَ﴾ عن المعاصي بتركها والندم عليها. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يتلافى به ما فرط، أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة. ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يرجع إلى الله بذلك. ﴿مَتَابًا﴾ مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب، أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين، ويصطنع بهم. أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً؛ وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة، أو لا يحضرون محاضر الكذب؛ فإن مشاهدة الباطل شركة فيه. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ﴾ ما يجب أن يلقى ويطرح. ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه؛ ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب، والكناية فيما يستهجن التصريح به. ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بالوعظ أو القراءة. ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها؛ كمن لا يسمع ولا يبصر؛ بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية. فالمراد من النفي؛ نفي الحال دون الفعل كقولك: (لا يلقاني زيد مسلماً). وقيل: الهاء للمعاصي المدلول عليها بـ(اللَّغْوِ).

[وهنا تعميم بعد تخصيص] إذ الأول خاص بكافر آمن وعمل صالحاً بخلاف الثاني [نفي الحال]؛ أي: وهي ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [دون الفعل] وهو «الخُرور» فالمراد نفي القيد دون المقيد، وقيل: الهاء في قوله: أي: عليها للمعاصي بخلاف قوله: فإنها فيه للآيات لقوله: أي: في «سبأ».

۞ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾.

﴿٧٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل، فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سرَّ بهم قلبه، وقرَّت بهم عينه؛ لما يرى من مساعدتهم له في الدين، وتوقع لحوقهم به في الجنة! و(مِنْ) ابتدائية أو بيانية كقولك: (رأيت منك أسداً)، وقرأ أبو عمر حمزة والكسائي وأبو بكر: (وذريتنا)، وتنكير (الأَعْيُن) لإرادة تنكير (القُرَّةَ) تعظيماً وتقليلها؛ لأن المراد أعين المتقين؛ وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يقتدون بنا في أمر الدين؛ بإضافة العلم والتوفيق للعمل. وتوحيده إما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد: واجعل كل واحد منا، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وقيل: جمع: (آم) كـ(صائم وصيام) ومعناه: قاصدين لهم مقتدين بهم.

﴿٧٥﴾ ـ ﴿٧٦﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ أعلى مواضع الجنة؛ وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وللقراءة بها، وقيل: هي من أسماء الجنة. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات، ورفض الشهوات، وتحمل المجاهدات. ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ دعاء بالتعمير والسلامة؛ أي: يُحَيِّيهِم الملائكة ويسلمون عليهم، أو يُحَيِّي بعضهم بعضاً ويسلم عليه، أو تبقية

[وللقراءة بها]؛ أي: بالغرفة ثم بدل الغرفات **[دعاءً بالتعمير والسلامة]** تفسير تحية وسلاماً؛ أي: إنَّ التحية دعاة بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾.

دائمة وسلامة من كل آفة. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (يَلْقَوْنَ) من: (لَقِي). ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون فيها ولا يخرجون. ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل: (ساءَتْ مُسْتَقَرّاً) معنىً، ومثله إعراباً.

﴿٧٧﴾ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾ ما يصنع بكم! من: (عبأت الجيش) إذا هيأته. أو لا يعتد بكم. ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ لولا عبادتكم؛ فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة؛ وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء. وقيل: معناه: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة! و(ما) إن جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر؛ كأنه قيل أي: عبء يعبأ بكم. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بما أخبرتكم به حيث خالفتموه. وقيل: فقد قصرتم في العبادة؛ من قولهم: (كذب القتال) إذا لم يبالغ فيه. وقرئ: (فقد كذب الكافرون)؛ أي: الكافرون منكم؛ لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة، أو أثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار. وإنما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه لا يكتنهه الوصف. وقيل: المراد قَتْلُ يومِ بدر، وأنه لوزم بين القتلى لزاماً، وقرئ: (لَزَاماً) بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الفرقان) لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأدخل الجنة بغير نَصَب**».

[**لأنه توجه الخطاب..**] إلى آخره. تعليل لتوجه الخطاب إلى الفريقين يوضح ذلك قول «الكشاف» الخطاب متوجه إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون، ومكذبون عاصون، فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب [**من قرأ سورة الفرقان**] إلخ موضوع(١).

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٨٨٥/ برقم: ٧٦٤].

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(٢٦) مكية، إلا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرها، وهي مائتان وست أو سبع وعشرون آية

۞ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ (٢) ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة، ونافع بَيْنَ بَيْن كراهة للعود إلى الياء المهروب منها، وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه وصحته، والإشارة إلى السورة أو القرآن على ما مرّ في أول (البقرة).

(٣) ـ (٤) ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتل نفسك، وأصل: (البخع): أن يبلغ بالذبح النخاع؛ وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حد الذبح. وقرئ: (باخعُ نَفْسِكَ) بالإضافة. و(لعل) للإشفاق؛ أي: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة! ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ لئلا يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا.

قوله: [أن يبلغ بالذبح البُخاع..] إلى آخره. قال في «الكشاف»[(١)] «البخاع»: بالباء عرق مُسْبَتْطِن الفقار[(٢)] وذلك أقصى حد الذابح وزاد في «الفائق»: والنخع بالنون دون ذلك وهو أن يبلغ بالذبح النخاع وهو الخيط الأبيض الذي يجري في الرقبة، قال ابن الأثير بعد نقله ذلك: وطال ما بحثتُ عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد البخاع بالباء مذكوراً في شيء منها. انتهى، ويرد بأن من حفظ حجة على من لم يحفظ[(٣)] [لئلا يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا] قدر ذلك لأن قوله:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/٣٠٥]. (٢) في نسخة [ج]: (القفا).
(٣) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [١/١٢١].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ دلالة ملجئة إلى الإيمان، أو بلية قاسرة عليه. ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ منقادين، وأصله فظلوا لها خاضعين؛ فأقحمت (الأعناق) لبيان موضع الخضوع، وترك الخبر على أصله. وقيل: لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم. وقيل: المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم: جاءنا عنق من الناس ـ لفوج منهم ـ، وقرئ: (خَاضِعَة) و(ظلت) عطف على (نُنَزِّلْ) عطف؛ (وأكن) على (فأصدق) لأنه لو قيل: (أنزلنا) بدله لَصَحَّ.

(٥) ـ (٦) ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ موعظة، أو طائفة من القرآن. ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يوحيه إلى نبيه. ﴿مُحْدَثٍ﴾ مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير. ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إلا جددوا إعراضاً عنه وإصراراً على ما كانوا عليه. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾؛ أي: بالذكر بعد إعراضهم، وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: إذا مسهم عذاب الله يوم بدر، أو يوم القيامة. ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من أنه كان حقّاً أم باطلاً، وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره، أو يكذب فيستخف أمره.

(٧) ـ (٩) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أولم ينظروا إلى عجائبها. ﴿كَمْ

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ تعليل لقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦] وليس فعل لفاعل الفعل المعلل فكان المناسب ذكر حرف التعليل، وإنما ترك لأنَّ في أنَّ دلالة عليه أو لأن ذلك فعل له بتقدير مضاف، ومِنْ ثَمَّ قال: «خيفة أنْ لا يؤمنوا».

[أو ترك الخبر]؛ أي: الكلام [على أصله]؛ أي: حيثُ قال: خاضعين ولم يغير إلى خاضعة أو خاضعات [فظلت] مبتدأ خبره [عطف على ينزل..] إلى

۞ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾.

أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ محمود كثير المنفعة، وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى، وهاهنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة، وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة؛ إما وحده أو مع غيره. و(كُلِّ) لإحاطة (الأزواج) و(كَمْ) لكثرتها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ إن في إنبات تلك الأصناف، أو في كل واحد. ﴿لَءَايَةً﴾ على أن منبتها تام القدرة والحكمة، سابغ النعمة والرحمة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله وقضائه؛ فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر، الرحيم لمن تاب وآمن.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ مقدر بـ(اذكر) أو ظرف لما بعده. ﴿أَنِ ٱئْتِ﴾؛ أي: ائْتِ، أو بأن ائْتِ. ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من الأول أو عطف بيان له، ولعل الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعون كان أولى بذلك. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ استئناف أتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيباً له من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه. وقرئ بالتاء على الالتفات إليهم زجراً لهم وغضباً عليهم، وهم وإن كان غيباً حينئذ؛ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم؛ مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده. وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء

آخره[١]؛ يعني: «فظلت» عطف على «ينزل» المضارع الذي لو استعمل بدله الماضي لكان صحيحاً كما أَنَّ «أَكُن» معطوف على «أَصَّدَّقَ» على أنه لو قيل «أَصَّدَّقْ» مجزوماً لكان صحيحاً [أو ظرف لما بعده]؛ أي: وهو آية.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٣٨٢].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

الإضافة، ويحتمل أن يكون بمعنى: ألا يا ناس اتقون! كقوله: ألا يا اسجدوا!

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، وضيق القلب انفعالاً عنه، وازدياد الحبسة في اللسان؛ بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق؛ لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى مُعِينٍ يقوّي قلبه، وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته، وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر؛ بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه، وقرأ يعقوب: (وَيَضِيقَ) (وَلا يَنْطَلِقَ) بالنصب عطفاً على (يُكَذِّبُونِ) فيكونان من جملة ما خاف منه. ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾؛ أي: تبعة ذنب؛ فحذف المضاف أو سمي باسمه. والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنباً على زعمهم، وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ به قبل أداء الرسالة، وهو أيضاً ليس تعللاً؛ وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة، كما إن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله:

﴿١٥﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ﴾ إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف، ....

[ولا تنبتر]؛ أي: تنقطع [إجابة له إلى الطلبتين] هما استدفاع موسى بلاءهم والتماسه الإعانة بأخيه [بوعده بالدفع اللازم ردعه عن الخوف] جواب الطلبة الأولى المعبر عنه بـ«كَلّا».

وضم أخيه إليه في الإرسال، والخطاب في (فَاذْهَبا) على تغليب الحاضر؛ لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه (كَلَّا) كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته! ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾؛ يعني: موسى وهارون وفرعون. ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهركما عليه. مثّل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم، وترقباً لإمداد أوليائه منهم؛ مبالغة في الوعد بالإعانة، ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع؛ الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات، وهو خبر ثان أو الخبر وحده (مَعَكُمْ) لغو. ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أفرد (الرسول) لأنه مصدر وصف به؛ فإنه مشترك بين المرسل والرسالة، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ مَا فُهْتُ عِنْدَهُم   بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

ولذلك ثَنّى تارة وأفرد أُخْرَى، أو لاتحادهما للأخوة، أو لوحدة المرسل والمرسل به، أو لأنه أراد أن كل واحد منا. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ

[وضم أخيه في الإرسال] جواب الثانية المعبر عنه بـ«اذهبا» فقوله: «بوعده» متعلق بـ«إجابة» و«بالدفع» متعلق بـ«وعده» وفي نسخة: «الدفع» بالنصب بوعده و«اللازم» صفة للدفع، وردعه بالنصب باللازم وقوله: «وضم أخيه» عطف على «وعده» [فإنه مشترك بين المرسل والرسالة]؛ أي: فجعل الرسول هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع[1] [قال]؛ أي: كثير:

[لقد كَذَبَ الواشون.......................   ....]

أي: الساعون بالكذب عند ظالم [ما فُهْتُ]؛ أي: ما تكلمت [عندَهُم بِسِرٍّ ولا أرسلتُهُم برسول][2] الشاهد فيه أنه جعل الرسول بمعنى الرسالة، ونظر فيه بأنه يحتمل أن يكون بمعنى المرسل [أو لاتحادهما في الأخوة] عطف على لأنه مصدر [أو لوحده المرسِل] بكسر السين؛ أي: «الله» [أو المرسَل به]؛ أي: وهو الشريعة

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/ ١٢].

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [١/ ٣٥].

۞ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾.

إِسْرَائِيلَ﴾؛ أي: قولاً: أرسل؛ لتضمن (الرسول) معنى (الإرسال) المتضمن معنى القول، والمراد خَلِّهم ليذهبوا معنا إلى الشام.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا. ﴿وَلِيدًا﴾ طفلاً سمي به لقربه من الولادة. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾؛ يعني: قتل القبطي! وبخه به معظماً إياه بعد ما عدد عليه نعمته. وقرئ: (فِعْلَتَك) بالكسر؛ لأنها كانت قتلة بالوكز. ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي، أو ممن تكفرهم الآن؛ فإنه ﷺ كان يعايشهم بالتقية؛ فهو حال من إحدى التائين، ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بآلهيته، أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة، أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم.

[أي: أرسل]؛ أي: تفسير لأنَّ فإنَّ مفسرة للرسول لقوله: [لتضمن الرسول..] إلخ، وتجوز أن تكون مصدرية؛ أي: بأنْ أرسل [معظماً إياه]؛ أي: قتل القبطي [أو ممن تكفرهم الآن فإنه] زاد «الكشاف»[1] قبل قوله: «فإنه» وقد افتري عليه أو جهل أمره؛ أي: افترى فرعون على موسى.

[كان يعايشهم]؛ أي: كان موسى يعاشرهم [بالتقية]؛ أي: تقية لشرهم [فهو حال] الأولى وهو لأنه على التفسيرين اللذين ذكرهما حال [حكماً مبتدأ عليه]؛ أي: حكماً عليه ابتداء [بإلاهيته]؛ أي: بإلاهيّة فرعون [يُكَفِّرون] بضم الياء وفتح الكاف والفاء المشددة [في دينهم]؛ أي: في دين فرعون وقومه لعدم عبادته آلهتهم.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٢/ ٣١١].

۞ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ من الجاهلين. وقد قرئ به، والمعنى: من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه، أو من المخطئين؛ لأنه لم يتعمد قتله، أو من الذاهلين عما يؤول إليه الوكز؛ لأنه أراد به التأديب، أو الناسين من قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ حكمة. ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ رد أولاً بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته، ثم كرّ على ما عد عليه من النعمة، ولم يصرح بردّه لأنه كان صدقاً غير قادح في دعواه؛ بل نبّه على أنه كان في الحقيقة نقمة؛ لكونه مسبباً عنها فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهراً، وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدهم بذبح أبنائهم؛ فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك. وقيل: إنه مقدر بهمزة الإنكار؛ أي: أو تلك نعمة تمنها علي وهي: أَنْ عَبَّدْتَ، ومحل (أَنْ عَبَّدْتَ) الرفع على أنه خبر محذوف أو بدل (نِعْمَةٌ)، أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها. وقيل: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة و(أَنْ عَبَّدْتَ) عطف بيانها، والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تَمُنُّها عليَّ، وإنما وحد الخطاب في (تَمُنُّها) وجمع فيما قبله؛ لأن المنة كانت منه وحده، والخوف والفرار منه ومن ملئه.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه؛ فبدأ

[حكماً حكمته] فسر الحكم بالحكمة وفسره غيره بالعلم وهما متقاربان [ردّ]؛ أي: موسى [ثم كرّر]؛ أي: رجع [ورائي]؛ أي: فرعون [أنه]؛ أي: موسى [لم يدعوا]؛ أي: لم يتكف [بذلك]؛ أي: بقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾ [الشعراء: ١٨] إلخ.

۞ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

بالاستفسار عن حقيقة المرسل. ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال، وإليه أشار بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم موقنين الأشياء، محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها، فلها مبدأ واجب لذاته، وذلك المبدئ لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها، وما لا يمكن؛ وإلا لزم تعدد الواجب، أو استغناء بعض الممكنات عنه، وكلاهما محال! ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية؛ لامتناع التعريف بنفسه، وبما هو داخل فيه؛ لاستحالة التركيب في ذاته.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابه؛ سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله، أو يزعم أنه رَبُّ السَّماواتِ؛ وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية، أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله، ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم ويكون أقرب إلى الناظر، وأوضح عند التأمل. ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر، وسماه رسولاً على السخرية. ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ تشاهدون كل يوم أنه يَأْتِي بالشمس مِنَ المشرق، ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب؛ على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات. ﴿إِن كُنتُمْ

[أو غير معلوم] عطف على «واجبة» [مثله]؛ أي: مثل ما مرَّ في السماوات من زعم أنها واجبة لذواتها إذ لا يمكن أن يتوهم أحد في نفسه وآبائه أنهم واجبون

۞ ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

تَعْقِلُونَ﴾ إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك؛ لاينَهُم أولاً، ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع؛ وهكذا ديدن المعاند المحجوج. واستدل به على ادعائه الألوهية، وإنكاره الصانع، وتعجبه بقوله: أَلا تَسْتَمِعُونَ! من نسبة الربوبية إلى غيره. ولعله كان «دهريّاً» اعتقد أن من ملك قطراً، أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله. و(اللام) في (الْمَسْجُونِينَ) للعهد؛ أي: ممن عرفت حالهم في سجوني؛ فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا؛ ولذلك (جعل) أبلغ من (لأسجننك). ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي! يعني: المعجزة؛ فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته، والدلالة على صدق مدعي نبوته، فالواو للحال، وَلِيَها الهمزة بعد حذف الفعل.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أن لك بينة، أو في دعواك؛ فإن مدعي النبوة لا بُدَّ له من حجة. ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر ثعبانيته. واشتقاق (الثعبان) من: (ثعبت الماء فانثعب) إذا فجرته فانفجر. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ روي: أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل غيرها! فأخرج يده، قال: فما فيها! فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق!

﴿٣٤﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ مستقرين حوله، فهو ظرف وقع موقع الحال. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم، وائتمارهم، وتنفيرهم عن موسى، وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾؛ أي: أَخِّر أمرهما، وقيل: احبسهما. ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ شُرَطاً يحشرون السحرة. ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ﴾ يفضلون عليه في هذا الفن، وقرئ: (بكل ساحر). ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ لما وقّت به من ساعات يوم معين؛ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾ فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثّاً على مبادرتهم إليه كقول تأبط شرّاً:

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا ... أَوْ عَبْدِ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بن مِخْرَاقِ

أي: ابعث أحدهما إلينا سريعاً. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾

لذواتهم؛ لأن المشاهدة تدل على أنهم وجدوا بعد العدم[(١)] **[ونسك]** عطف على يمكن؛ أي: وإلى ما لا نسك فهو نفي لقوله قبل أو غير معلوم.. إلخ **[كقول تأبّط شرّاً]** اسم الشاعر

[هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتنا ... أو عَبْدِ رَبٍّ أخا عونِ بن مخراق][(٢)]

«هل أنت» حث على إرسال «ديناراً» و«عبد ربّ» اسمي رجلين والثاني منصوب على محل الأول و«أخا عون» منادى أو عطف بيان لـ«عبد رب».

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي [٢٤/ ١١٢]. (٢) المقتضب، المبرد [٢/ ٢١٠].

۞ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع. ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى لا أن يتبعوا السحرة! فساقوا الكلام مساق الكناية؛ لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى. ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن غلبوا! فـ(إذا) على ما يقتضيه من الجواب والجزاء، وقرئ: (نِعَم) بالكسر وهما لغتان.

﴿٤٣﴾ ـ ﴿٤٥﴾ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾؛ أي: بعد ما قالوا له ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]، ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه؛ بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق. ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم، أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر! ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع، وقرأ حفص: (تَلْقَفْ) بالتخفيف. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم؛ فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة.

﴿٤٦﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر، وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئاً لا حقيقة له! وأن التبحر في كل فنٍّ نافع. وإنما بدل (الخرور) بـ(الإلقاء) ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أنفسهم؛ فكأنهم أخذوا

[أو إفكهم] بالنصب عطف على «ما يقلبونه» [وبدل] بالنصب عطف على «يشاكل» [لم يتمالكوا] زاد «الكشاف»[1] إن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣١٨/٣].

۞ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

فطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق. ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بدل من (ألقي) بدل الاشتمال أو حال بإضمار (قد). ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ إبدال للتوضيح، ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.

﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئاً دون شيء ولذلك غلبكم، أو فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه! وأراد به التلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حقّ! وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح: (أأمنتم) بهمزتين. ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وَبَالَ ما فعلتم وقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بيان له.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك. ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء للذنوب، موجب للثواب والقرب من الله تعالى، أو بسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ﴾ لأن كنا.

﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد. والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضمير، أو تعليل للعلة المتقدمة. وقرئ: (إن كُنَّا) على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة، أو على طريقة المدل بأمره نحو إن أحسنت إليك فلا تنس حقي.

[أبدال]؛ أي: من رب العالمين أو عطف بيان له وعليه اقتصر «الكشاف» [لئلا يعتقدوا]؛ أي: قوم فرعون [أنهم]؛ أي: السحرة [بما توعدنا به]؛ أي: تتوعدنا به [أو بسبب] عطف على «بما» [أو على طريق المدل بأمره]؛ أي: المتحقق له الواثق

۞ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ وذلك بعد سنين أقامها بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق، ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوّاً وفساداً، وقرأ ابن كثير ونافع: (أَنِ اسْرِ) بكسر النون ووصل الألف من: (سرى) وقرئ: (أَنْ سِر) من: (السير). ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، وهو علة الأمر بالإسراء؛ أي: أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم؛ بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر! بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم فأغرقهم!

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسراهم. ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ العساكر ليتبعوهم. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ على إرادة القول. وإنما استقلّهم وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً بالإضافة إلى جنوده؛ إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف. و(الشرذمة): الطائفة القليلة، ومنها: (ثوب شراذم) لما بَلِيَ وتقطع. و(قَلِيلُونَ) باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل. ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ لفاعلون ما يغيظنا. ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ وإنا لجمع من عادتنا الحذر، واستعمال الحزم في الأمور، أشار أولاً إلى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم، ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم، ووجوب التيقظ في شأنهم حثاً عليه. أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن؛ كيلا يظن به ما يكسر سلطانه. وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون: (حاذِرُونَ)، والأول: للثبات، والثاني: ....

به يقال: فلان يدل بفلان؛ أي: يثق به. قاله الجوهري[1]. [وقرأ ابن عامر]؛ أي: رواية ابن ذكوان [والأول]؛ أي: وهو حذر [للثبات]؛ لأنه صفة مشبهة [والثاني]

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢١١].

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ
(٦١) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ
فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤)﴾.

للتجدد، وقيل: (الحاذر): المؤدي في السلاح. وهو أيضاً من: (الحذر) لأن ذلك إنما يفعل حذراً، وقرئ: (حادرون) بالدال المهملة؛ أي: أقوياء قال:

أُحِبُّ الصَّبِيَ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وأُبْغِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرٌ

أو تامُّو السلاح؛ فإن ذلك يوجب حدارة في أجسامهم.

(٥٧) - (٦٠) ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه. ﴿مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾؛ يعني: المنازل الحسنة والمجالس البهية. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجنا؛ فهو مصدر، أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم؛ على أنه صفة (مقام)، أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف. ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم﴾ وقرئ: (فَاتَّبَعُوهُم). ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس.

(٦١) - (٦٤) ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما

وهو حاذر [للتجدد]؛ لأنه اسم فاعل [وقيل: الحاذر المؤذي] بهمزة مهملة؛ أي: القوي [في السلاح] قال الجوهري[(١)] مفرقاً آذى الرجل؛ أي: قوى من الأداة؛ أي: الآلة فهو مؤذ بالهمزة؛ أي: مؤذون في السلاح يقال: رجل شاكي السلاح إذا كان ذا شوكة وحد في سلاحه [وقرئ حادرون بالدال]؛ أي: المهملة [وقُرئ:

أُحِبُّ الصبيَّ السوءَ مِنْ أجلِ أُمِّهِ وأُبْغضُهُ مِنْ بغضِها وهو حَادِر][(٢)]

أي: قويّ [أو تاموا السلاح] عطف على «أقوياء».

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري [٨/ ١٤٥] و[٨/ ٧٠].

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري [٢/ ٦٩].

۞ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

الآخر، وقرئ: (تراءت الفئتان) ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ لملحقون، وقرئ: (لَمُدَّرِكُونَ) من أدرك الشيء إذا تتابع ففني؛ أي: لمتتابعون في الهلاك على أيديهم. ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ﴾ لن يدركوكم فإن الله وعدكم بالخلاص منهم! ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بالحفظ والنصرة. ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة منهم. روي: أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال: أين أمرت فهذا البحر أمامك! وقد غشيك آل فرعون، فقال: أمرت بالبحر، ولعلي أومر بما أصنع. ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾ القلزم أو النيل. ﴿فَٱنفَلَقَ﴾؛ أي: فضرب فانفلق، وصار اثني عشر فرقاً بينها مسالك. ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره، فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب. ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ وقربنا. ﴿ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ بإطباقه عليهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ﴾ وأيَّةُ آية. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط، وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها! واتخذوا العجل! وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ المنتقم من أعدائه. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

[وقُرئ لمدّرِكون] بتشديد الدال وكسر الراء [لمتتابعون في الهلاك] بكسر الباء؛ أي: نتبع بعضنا بعضاً فيه [ولعلي أوفر مما أصنع]؛ أي: بشيء أصنعه.

۞ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ على مشركي العرب. ﴿نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة. ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحاً به وافتخاراً، و(نظل) ههنا بمعنى: (ندوم). وقيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ﴾ يسمعون دعاءكم، أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة. ﴿إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ عليه وقرئ: (يُسْمِعُونَكُمْ)؛ أي: يسمعونكم الجواب عن دعائكم، ومجيئه مضارعاً مع (إِذْ) على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها. ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ على عبادتكم لها. ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ من أعرض عنها. ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ أضربوا عن أن يكون لهم سمع، أو يتوقع منهم ضر أو نفع، والتجؤوا إلى التقليد.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ فإن التقدم لا يدل على الصحة، ولا ينقلب به الباطل حقّاً. ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه، أو إن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان؛ لكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح، وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول. وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب. ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[أو بمعنى النسب]؛ أي: فإنهم ذوو عدوّ لي [إلا رب العالمين استثناء منقطع]؛

۞ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾.

استثناء منقطع، أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه، وكان من آبائهم من عبد الله.

﴿٧٨﴾ ـ ﴿٧٩﴾ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾؛ لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد، كما قال: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله، يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار، مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم، ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها. و(الفاء) للسببية إن جعل الموصول مبتدأ، وللعطف إن جعل صفة رب العالمين؛ فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ على الأول: مبتدأ محذوف الخبر؛ لدلالة ما قبله عليه، وكذا اللذان بعده، وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم.

﴿٨٠﴾ ـ ﴿٨١﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ عطف على (يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ) لأنه من روادفهما؛ من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب؛ وإنما لم ينسب المرض إليه لأن المقصود تعديد النعم، ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه؛ فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه، وإنما لضرر في مقدماته وهي المرض، ثم إنه لأهل الكمال

أي: لكن رب العالمين ليس بعدوٍّ لي [على أن الضمير لكل معبود..] إلى آخره. خاص بقوله: «أو متصل» [فيكون اختلاف النظم]؛ أي: على القول بأن مدخول الفاء عطف على «خلقني» حيث عبر في المعطوف عليه بالماضي وفي المعطوف بالمضارع مع زيادة هو [وإنما لم ينسب المرض] إلى الله تعالى.

۞ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية، وخلاص من أنواع المحن والبليات؛ ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر. والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً؛ وذلك بقدرة الله العزيز الحكيم. ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ في الآخرة.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ذكر ذلك هضماً لنفسه، وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر، وطلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم، واستغفاراً لما عسى يندر منه من الصغائر، وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله: (هي أختي)، ضعيف؛ لأنها معاريض وليست خطايا. ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ كمالاً في العلم والعمل أستعد بهِ خلافة الحق ورئاسة الخلق. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ووفقني للكمال في العمل؛ لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٦﴾ ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ جاهاً وحسن صيت في

[بتفريط] وفي نسخة: «من تفريط».

[وبما بين] عطف على «بتفريط»، «الأخلاط»: هي أجسام رطبة مسألة يستحيل إليها الغذاء أولاً وهي الدم والصفراء والسوداء والبلغم[1]، و«الأركان»: هي أجسام

(١) أنوار البروق، الصنهاجي القرافي [٤/٢٦].

۞ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه، أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه؛ وهو محمّد صلوات الله وسلامه عليه. ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ في الآخرة وقد مرّ معنى الوراثة فيها. ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ بالهداية والتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ طريق الحق. وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من نمرود؛ ولذلك وعده به، أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار.

﴿٨٧﴾ ـ ﴿٨٩﴾ ﴿وَلَا تُخْزِنِى﴾ بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوارث، أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً، أو بتعذيب والدي، أو ببعثه في عداد الضالين. وهو من: (الخزي) بمعنى الهوان، أو من: (الخزاية) بمعنى الحياء. ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير للـ(عباد) لأنهم معلومون أو للـ(ضَّالِّينَ). ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً، سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته، أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه؛

بسيطة هي أجزاء أوليّة لبدن الإنسان وغيره وهي: النار، والهواء، والماء، والتراب باستحفاظ اجتماعها؛ أي: الأخلاط والأركان والاعتدال المخصوص عطف على اجتماعها عليها معلق بقوله: «قهراً» و«قهراً» حال من الاستحفاظ، وذلك؛ أي: الاستحفاظ[1] [ولذلك وعده به]؛ أي: بالدعاء المذكور وذلك في قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] [أو من الخزاية] بفتح الخاء [بمعنى: الحياء]؛ أي: الاستحياء قال الجوهري وغيره يقال: خزى يخزي خزاية؛ أي: استحيا فهو

---

(١) انظر: البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي [٢/٢٨].

۞ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

حيث أنفق ماله في سبيل البر، وأرشد بنيه إلى الحق، وحثهم على الخير، وقصد بهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة. وقيل: الاستثناء مما دل عليه المال والبنون؛ أي: لا ينفع غنى إلَّا غناه. وقيل: منقطع؛ والمعنى: لكن سلامة مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ تنفعه.

﴿٩٠﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها. ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ فيرونها مكشوفة، ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم. ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم. ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؛ لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال:

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٥﴾ ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: الآلهة وعبدتهم، والكبكبة: تكرير الكب؛ لتكرير معناه، كأن من ألقي في النار ينكب مرّة بعد أُخْرَى حتى يستقر في قعرها. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ متبعوه من عصاة الثقلين، أو شياطينه. ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد للـ(جُنودُ) إن جعل مبتدأ خبره ما بعده، أو للضمير

خزيان[1] **[وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد]**؛ أي: على الوعيد حيث قال في حق المتقين: «وأزلفت»؛ أي: قربت، وقال في حق الغاوين «وبُرِّزت»؛ أي: ظهرت ولا يلزم من البروز القرب **[«أجمعون» تأكيد «للجنود» أن جعل]**؛ أي: الجنود **[مبتدأ خبره ما بعده]**؛ أي: بعد «أجمعون» **[وللضمير]**؛ أي: أو تأكيد للضمير؛ أي: وهو «هُم».

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٢٢٥].

۞ ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

وما عطف عليه، وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله:

﴿٩٦﴾ ـ ﴿٩٨﴾ ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: في استحقاق العبادة، ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما في (قالُوا) والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة، والمعنى: أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم؛ معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها.

﴿٩٩﴾ ـ ﴿١٠٢﴾ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ إِذِ الأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا المتقين، أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء

[**وما عطف عليه**]؛ أي: وهو «الغاوون»[١] و«الجنود» أن جعل معطوفاً، والنسخ هنا مختلفة.

[**وكذا الضمير المنفصل**]؛ أي: وهو «هم» بعد «قالوا» [**وما يعود إليه**] وهو الواو في «يختصمون»؛ يعني: والضمير المنفصل وما يعود عليه عائداً إلى «الجنود» أنْ جعل مبتدأ وإليه وما عطف هو عليه أن جعل معطوفاً ولا يخفى ما في عبارته من القلاقة[٢] [**على أن الله تعالى**]؛ أي: فضميرهم «لآلهتهم» كما مرّ بنا على أن الله تعالى [**يُنطق الأصنام..**] إلى آخره. [**ويجوز أن تكون الضمائر**]؛ أي: وهو «هم» و«واو» يختصمون و«نا» في «كنا» [**للعبدة**]؛ أي: فلا يحتاج إلى البناء المذكور [**والخطاب**]؛ أي: في «إذ نسوّيكم».

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (العادون).

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [٤٠٢/١٣].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

وأصدقاء، أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق. وجمع: (الشافع) ووحّد (الصَدِيق) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق! أو لأن الصَدِيقِ الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق (الصَّدِيقِ) على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل مصدر كـ(الحنين والصهيل). ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ تمنٍّ للرجعة أقيم فيه (لو) مقام (ليت) لتلاقيهما في معنى التقدير، أو شرط حذف جوابه. ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب التمني، أو عطف على (كَرَّةً)؛ أي: لو أن لنا أن نكرَّ فنكون.

﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٤﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم. ﴿لَآيَةً﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر؛ فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير، يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية، والتنبيه على دلائلها، وحسن دعوته للقوم، وحسن مخالقته معهم، وكمال إشفاقه عليهم، وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية؛ تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أكثر قومه. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ به. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على تعجيل الانتقام. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم.

﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٨﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القَوْمُ) مؤنثة؛ ولذلك تصغر على (قويمة) وقد مرّ الكلام في تكذيبهم المرسلين. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ لأنه كان منهم. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فتتركوا عبادة غيره. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ مشهور بالأمانة فيكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه.

۞ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿١١١﴾ ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على ما أنا عليه من الدعاء والنصح. ﴿مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته، وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعا! وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في (أَجْرِيَ) في الكلمات الخمس. ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ الأقلون جاهاً ومالاً، جمع: (الأرذل) على الصحة، وقرأ يعقوب: (وأَتْبَاعُك) وهو جمع: (تابع) كـ(شاهد وأشهاد) أو (تبع) كـ(بطل وأبطال). وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية، حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه ودليلاً على بطلانه، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة؛ وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك:

﴿١١٢﴾ ـ ﴿١١٥﴾ ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ إنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة، وما عليَّ إلا اعتبار الظاهر. ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها. ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

[على الصحة]؛ أي: هنا وعلى التكسير في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ في «هود».

[على الحطام الدنيوية] الأَوْلَى «الدنيوي»؛ لأنَّ الحطام مفرد وكأنه ضمنه معنى الحطمة.

۞ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم عليه! حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كالعلة له؛ أي: ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا أَعِزَّاء أو أَذِلَّاء، فكيف يليق بي في طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء! أو ما عليَّ إلا إنذاركم إنذاراً بيناً بالبرهان الواضح، فلا عليَّ أن أطردهم لاسترضائكم.

﴿١١٦﴾ - ﴿١١٨﴾ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ من المشتومين أو المضروبين بالحجارة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ إظهاراً لما يدعو عليهم لأجله؛ وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه. ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ فاحكم بيني وبينهم من: (الفتاحة). ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم.

﴿١١٩﴾ - ﴿١٢٢﴾ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائه ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ شاعت وتواترت. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[إظهار لما يدعوا عليهم لأجله]؛ أي: لا إخباراً بالتكذيب لعلمه أنه تعالى أعلم به **[من الفتاحة]**؛ أي: الحكومة والفتّاح الحاكم؛ لأنه يفتح المستغلق[1]

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٤/ ١٣٤].

۞ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾.

﴿١٢٣﴾ ـ ﴿١٢٦﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أنَّثَهُ باعتبار القبيلة، وهو في الأصل اسم أبيهم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق، والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك، وإن اختلفوا في بعض التفاريع، مبرئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية.

﴿١٢٨﴾ ـ ﴿١٣١﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكل مكان مرتفع، ومنه ريع الأرض لارتفاعها. ﴿ءَايَةً﴾ علماً للمارة. ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم؛ فلا يحتاجون إليها، أو بروج الحمام، أو بنياناً يجتمعون إليه للعبث بمن يمرّ عليهم، أو قصوراً يفتخرون بها. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ مآخذ

[**تصدير القصص بها**]؛ أي: بالتقوى؛ أي: بالتخصيص عليها وكان الأنسب ذكر هذا عقب قصة نوح؛ لأنها أول القصص [**ومنه ريع الأرض لارتفاعها**]؛ أي: لارتفاع ما يخرج منها قال في «القاموس»: الريع بالكسر والفتح المكان المرتفع من الأرض، وبالفتح فضل كل شيء، كريع العجين والدقيق والبذر[1]. قال ابن عادل: وبالفتح ما يحصل من الخراج وهما متقاربان.

[**أو بروج الحمام**] عطف على «علماء».

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٤/ ٦٣].

۞ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾.

الماء وقيل: قصوراً مشيدة وحصوناً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ فتحكمون بنيانها. ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بسيف أو سوط. ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ متسلطين غاشمين؛ بلا رأفة، ولا قصد تأديب، ونظر في العاقبة. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك هذه الأشياء. ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم.

﴿١٣٢﴾ - ﴿١٣٥﴾ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ كرره مرتباً على إمداد الله تعالى إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم؛ تعليلاً وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع، ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في (أَلا تَتَّقُونَ) مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ثم أوعدهم فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة؛ فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام.

﴿١٣٦﴾ - ﴿١٣٩﴾ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ فإنا لا نرعوي عما نحن عليه. وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين، أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب! وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: (خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) بضمتين؛ أي: ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلقنون مثله، أو ما هذا

[فلا نرعوي عما نحن فيه]؛ أي: لا نكف عنه [وتغيير شق النفي]؛ أي: وهو عدم الوعظ حيث قال فيه: «أم لم يكن من الواعظين» أم لم تعظ.

۞ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم، ونحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم تزل الناس عليها. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ على ما نحن عليه. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ﴾ بسبب التكذيب بريح صرصر. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ـ ﴿١٤٨﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ إنكار لأن يتركوا كذلك، أو تذكير للنعمة في تخلية الله إياهم، وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين للطف الثمر، أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف، وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، أو متدل منكسر من كثرة الحمل. وإفراد (النَّخْلِ) لفضله على سائر أشجار الجنات، أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار.

﴿١٤٩﴾ ـ ﴿١٥٢﴾ ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ بطرين أو حاذقين من

[أو تذكير]؛ أي: فالاستفهام فيه للتقرير [أسباب نعمهم] في نسخ: وأسباب تنعمهم ثم فسره؛ أي: فيم ههنا [شماريخ القنو] هي جمع شمراخ وهو ما عليه البُسْر، والقِنْو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه.

[أو لأن المراد بها]؛ أي: بالجنات [غيرها]؛ أي: النخل.

۞ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾.

الفراهة وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (فَرِهِين) وهو أبلغ. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لامتثال الأمر، أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازاً. ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤٢] على (يفسدون) دلالة على خلوص فسادهم.

﴿١٥٣﴾ - ﴿١٥٤﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم، أو من ذوي السحر وهي الرئة؛ أي: من الأناسي فيكون: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تأكيداً له. ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

﴿١٥٥﴾ - ﴿١٥٨﴾ ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾؛ أي: بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها. ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء كالسقي، و(القيت) للحظ من السقي والقوت. وقرئ بالضم. ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ كضَرْبٍ وعَقْرٍ. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه، وهو أبلغ من تعظيم العذاب. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر إلى كلهم؛ لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً. ﴿فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾ على عقرها خوفاً من

[وقُرئ فرهين] قرأ به المدنيان والبصريان وابن كثير وخلف [والقِيت] لغة في القوت قال الجوهري يقال: ما عنده قُوت ليلة، وقيت ليلة، فلما كسرت القاف

۞ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

حلول العذاب لا توبة، أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ﴾؛ أي: العذاب الموعود. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم، أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب. وإن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم.

﴿١٥٩﴾ ـ ﴿١٦٦﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم، أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم؛ كأنهن قد أعوزنكم! فالمراد بـ(الْعالَمِينَ) على الأول: كل من ينكح، وعلى الثاني: الناس. ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ لأجل استمتاعكم. ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ﴾ للبيان إن أريد به جنس الإناث، أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن، فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون عن حد الشهوة؛ حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات، أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك، أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة.

صارت الواو ياء[1] [من ينكح] بالبناء للفاعل وكذا قول «الكشاف»[2]: ما ينكح لكنه

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٦٢]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٣٤].

۞ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ
ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى
ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿١٦٧﴾ - ﴿١٦٨﴾ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ﴾ عما تدعيه، أو عن نهينا وتقبيح أمرنا. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ من المنفيين من بين أظهرنا، ولعلهم كانوا يخرجونَ مَنْ أخرجوهُ على عنفٍ وسوء حال! ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ من المبغضين غاية البغض، لا أقف عن الإنكار عليه بالإبعاد، وهو أبلغ من أن يقول: (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ) قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم، مشهور بأنه من جملتهم.

﴿١٦٩﴾ - ﴿١٧١﴾ ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من شؤمه وعذابه. ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي امرأة لوط. ﴿فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ مقدرة في الباقين في العذاب؛ إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها؛ لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم. وقيل: كائنة فيمن بقي في القرية؛ فإنها لم تخرج مع لوط.

﴿١٧٢﴾ - ﴿١٧٥﴾ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ أهلكناهم. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وقيل: أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم. ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (اللام) فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل (ساء)، والمخصوص بالذم

أعمّ ههنا [**شذّاذ القوم**] بضم الشين وتشديد المعجمة هم الذين خرجوا من بلادهم حين ائتفكت بهم [**واللام فيه للجنس**]؛ أي: لا للعهد [**حتى يصح وقوع المضاف إليه**]؛ أي: إلى المنذرين.

[**فاعل «ساء»**] مفعول وقوع، وذلك لأن فاعل فعل الذم أو المدح يجب أن يكون معطوفاً بلام الجنس، ومضافاً إلى المعرف لها؛ ليحصل الإبهام المقصود ثم

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾.

محذوف وهو (مطرهم). ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿١٧٦﴾ ـ ﴿١٨١﴾ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الأيكة): غيضة تنبت ناعم الشجر؛ يريد غيضة بقرب «مدين» تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً كما بعثه إلى «مدين» وكان أجنبيّاً منهم فلذلك قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل: أخوهم شعيب. وقيل: (الأيكة): شجر ملتف، وكان شجرهم «الدوم» وهو «المقل». وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: (لَيْكَة) بحذف الهمزة وإبقاء حركتها على اللام، وقرئت كذلك مفتوحة على أنها (لَيْكَةَ) وهي اسم مسكنهم، وإنما كتبت ههنا وفي (ص) بغير ألف اتباعاً للفظ. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ حقوق الناس بالتطفيف.

﴿١٨٢﴾ ـ ﴿١٨٤﴾ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي، وهو وإن كان عربياً فإن كان من: (القسط) فـ(فعلاس) بتكرير العين ....

التفضيل، ولا يأتي ذلك في لام العهد [وقُرئت كذلك مفتوحة] فارقت هذه القراءة ما قبلها بأن فتحه اللام هنا أصلية وثم عارضة [اتباعاً للفظ]؛ أي: لخط المصحف كما عبر به «الكشاف»[1] [فإن كان من القسط] وهو العدل [ففعلاس][2] تبع فيه

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٣٧].
(٢) التصحيح من تفسير البيضاوي المطبوع [٤/ ٢٥٢].

۞ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠﴾.

وإلا فـ(فعلال). وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف. ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ بالقتل، والغارة، وقطع الطريق. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وذوي الجبلة الأولين؛ يعني: من تقدمهم من الخلائق.

١٨٥ - ١٨٧ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه. ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في دعواك. ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قطعة منها. ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. وقرأ حفص بفتح السين. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

١٨٨ - ١٩٠ ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ وبعذابه المنزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدّر له لا محالة. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام؛ حتى غلت أنهارهم، وأظلتهم سحابة، فاجتمعوا تحتها، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا! ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

«الكشاف»(١) وصوابه «ففعلاع»؛ لأن المكرر يوزن بما قبله وعليه فهو مأخوذ من الثلاثي [وإلا] بأن كان مأخوذ من الرباعي [ففعلال]؛ أي: بتكرير اللام [جامع بين وصفين] هما كونه مسحراً وكونه نشراً.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٣٧].

۞ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾.

﴿١٩١﴾ ـ ﴿١٩٦﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً للمكذبين به، واطّراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به، واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال: إنه كان بسبب اتصالات فلكية، أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم.

﴿١٩٢﴾ ـ ﴿١٩٦﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ تقرير لحقية تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمّد ﷺ؛ فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحياً من الله ﷻ. و(القلب) إن أراد به (الروح) فذاك، وإن أراد به (العضو) فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل منه إلى القلب؛ لما بينهما من التعلق، ثم تتصعد منه إلى الدماغ، فينتقش بها لوح المتخيلة. و(الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل فإنه أمين الله على وحيه. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب: (الرُّوحَ الْأَمِينَ). ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ واضح المعنى؛ لئلا يقولوا: ما نصنع بما لا نفهمه! فهو متعلق بـ(نَزَلَ)، ويجوز أن يتعلق بـ(المنذرين)؛ أي: لتكون ممن أنذروا بلغة العرب؛ وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام. ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة.

[وأنه ذكر]؛ أي: القرآن.

۞ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

﴿١٩٧﴾ - ﴿١٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ على صحة القرآن أو نبوة محمد ﷺ. ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم، وهو تقرير لكونه دليلاً. وقرأ ابن عامر (تكن) بالتاء و(آيَةٌ) بالرفع على أنها الاسم والخبر (لَهُمْ) و(أَنْ يَعْلَمَهُ) بدل أو الفاعل و(أَنْ يَعْلَمَهُ) بدل (لَهُمْ) حال، أو أن الاسم ضمير القصة و(آية) خبر (أَنْ يَعْلَمَهُ) والجملة خبر (تكن). ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم. ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم، أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم، و(الْأَعْجَمِينَ) جمع: (أعجمي) على التخفيف؛ ولذلك جُمِعَ جمعُ السلامة.

﴿٢٠٠﴾ - ﴿٢٠٣﴾ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلناه. ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ فتدل الآية على أنه بخلق الله، وقيل: للقرآن! أي: أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه، ثم لم يؤمنوا به عناداً. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الملجئ إلى الإيمان. ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه. ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تَحَسُّراً وتَأَسُّفاً.

[أو الفاعل] عطف على «الاسم»؛ أي: على أنها اسم «تكون» إن كانت ناقصة، أو فاعل لها إنْ كانت تامّة [كما هو] قرآناً عربيّاً [والأعجمين جمع أعجمي] بياء النسب [على التحقيق]؛ أي: بحذفها من الجمع [ولذلك]؛ أي: ولكونه جمع أعجمي [جمع جمع السلامة]؛ لأنه حينئذ ليس من باب «أفعل» و«فعلاء» بخلاف ما

۞ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

﴿٢٠٤﴾ ـ ﴿٢٠٧﴾ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ فيقولون: (أمطر عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السماء)، (فَأْتِنا بِما تَعِدُنا)، وحالهم عند نزول العذاب طلبُ النظرة. ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه.

﴿٢٠٨﴾ ـ ﴿٢٠٩﴾ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ أنذروا أهلها إلزاماً للحجة. ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة. ومحلها النصب على العلة أو المصدر؛ لأنها في معنى: (الإنذار)، أو الرفع على أنها صفة منذرين بإضمار (ذوو)، أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة، أو خبر محذوف والجملة اعتراضية. ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فنهلك غير الظالمين، أو قبل الإنذار.

﴿٢١٠﴾ ـ ﴿٢١٣﴾ ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة. ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ وما يصح لهم أن يتنزلوا به. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وما يقدرون. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة. ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات، وقبول فيضان الحق، والانتقاش بالصور الملكوتية، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك، والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ تهييج لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين.

۞ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

﴿٢١٤﴾ - ﴿٢١٦﴾ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الأقرب منهم فالأقرب؛ فإن الاهتمام بشأنهم أهم. روي: أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فَخِذاً فَخِذاً حتى اجتمعوا إليه! فقال: «**لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي**» قالوا: نعم! قال: «**فإني نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عذاب شديد**». ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لين جانبك لهم مستعار من: (خفض الطائر جناحه) إذا أراد أن ينحط، و(مِنَ) للتبيين؛ لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو غيره، أو للتبعيض على أن المراد مِنَ (الْمُؤْمِنِينَ) المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ ولم يتبعوك. ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مما تعملونه أو من أعمالكم.

﴿٢١٧﴾ - ﴿٢٢٠﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يقدر على قهر أعدائه، ونصر أوليائه، يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وابن عامر: (فتوكل) على الإبدال من جواب الشرط. ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى التهجد. ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وترددك في تصفح أحوال المجتهدين، كما روي: أنه لما نسخ قيام فرض الليل، طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر

لو كان جمع أعجم فإن مؤنثه عجماء بوزن «أفعل فعلاء»(١) وهو عند البصريين لا يجمع بهذا الجمع إلا لضرورة(٢) [«روي أنها لما نزلت صعد الصفا..»] إلى آخره. رواه الشيخان(٣).

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل، الهمداني [١/ ٦١].

(٢) عبارة (فإن مؤنثه عجماء بوزن أفعل فعلاء وهو عند البصريين لا يجمع بهذا الجمع إلا لضرورة) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٣) صحيح البخاري [٤/ ١٩٠٢/ برقم: ٤٦٨٧]، صحيح مسلم [١/ ١٩٣/ برقم: ٢٠٨].

۞ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم! فوجدها كبيوت الزنابير؛ لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن. أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود؛ إذا أممتهم، وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته، بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه؛ تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما تقوله. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما تنويه.

﴿٢٢١﴾ ـ ﴿٢٢٣﴾ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ لما بيَّن أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين؛ أكد ذلك بأن بيَّن أن محمّداً ﷺ لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين: أحدهما: أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم؛ فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد، وحال محمّد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك. وثانيهما: قوله: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾؛ أي: الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين؛ فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات لنقصان علمهم، فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها؛ كما جاء في الحديث: «**الكلمة يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة!**» ولا كذلك محمّد عليه الصلاة والسّلام؛ فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها، وقد فسر الأكثر بالكل لقوله: ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى: أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني. وقيل: الضمائر للشياطين؛ أي: يلقون

[**الكلمة يخطفها الجني**..] إلى آخره. رواه الشيخان(١).

---

(١) صحيح البخاري [٥/ ٢١٧٣/ برقم: ٥٤٢٩]، صحيح مسلم [٤/ ١٧٥٠/ برقم: ٢٢٢٨].

۞ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا، فيختطفون منهم بعض المغيبات، ويوحون به إلى أوليائهم، أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم، وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم؛ إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم، أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم.

﴿٢٢٤﴾ - ﴿٢٢٦﴾ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وأتباع محمّد ﷺ ليسوا كذلك! وهو استئناف أبطل كونه شاعراً وقرره بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها، وأغلب كلماتهم في النسيب بالحُرَم، والغزل، والابتهار، وتمزيق الأعراض، والقدح في الأنساب، والوعد الكاذب، والافتخار الباطل، ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه، وإليه أشار بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى، وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين، وبيّن منافاة القرآن لهما، ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال أربابهما. وقرأ نافع: (يَتْبَعُهُمْ) على التخفيف، وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيهاً لبعضه بعضاً.

﴿٢٢٧﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين، الذين يكثرون ذكر الله،

[وأغلب كلماتهم في النسيب]؛ أي: التشبيب [بالحُرَم]؛ أي: بالنساء خصوصاً المحرمات [والغزل]؛ أي: اللعب [والابتهار]؛ أي: الكذب عليهن وفي الصحاح: الابتهار: ادعاء الشيء كذباً.

[تشبيهاً الشبعة]؛ أي: مِنْ شبّعهم بالتشديد [بعضه]؛ أي: في جواز إسكان

ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد، والثناء على الله، والحث على طاعته، ولو قالوا هجواً أرادوا به الانتصار ممن هجاهم، ومكافحة هجاة المسلمين! كعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، والكعبين؛ وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان: «**قل وروح القدس معك**». وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «**اهجهم! فو الّذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل**». ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ، وفي (الذين ظلموا) من الإطلاق والتعميم، وفي (أي منقلب ينقلبون)؛ أي: بعد الموت من الإيهام والتهويل، وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه. وقرئ: (أي منفلت ينفلتون) من: (الانفلات): وهو النجاة، والمعنى: أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات!

عن النبي عليه الصلاة والسّلام: «**من قرأ سورة (الشعراء) كان له من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدق بنوح وكذّب به، وهود وصالح وشعيب وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمّد صلوات الله عليهم أجمعين**».

وسطه [والكعبين]؛ أي: كعب بن زهير وكعب بن مالك [**وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان: «قل وروح القدس معك..»**] رواه الشيخان[1] [**«وعن كعب بن مالك..»**] إلى آخره. رواه بمعناه مسلم[2]. [**«عن النبي ﷺ من قرأ سورة الشعراء..»**] إلى آخره. موضوع[3].



---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١١٧٦/ برقم: ٣٠٤٠]، صحيح مسلم [٤/ ١٩٣٢/ برقم: ٢٤٨٥].
(٢) صحيح مسلم [٤/ ١٩٣٥/ برقم: ٢٤٩٠].
(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٢/ ٤٨٢].

سورة النمل

(٢٧) مكية، وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ٣ ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ الإشارة إلى آي السورة، و(الكتاب المبين) إما اللوح، وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن؛ فهو يبينه للناظرين فيه. وتأخيره باعتباره تعلق علمنا به، وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود، أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام، أو لصحته بإعجازه وعطفه على القرآن؛ كعطف إحدى الصفتين على الأُخرَى، وتنكيره للتعظيم. وقرئ: (وكتابٌ) بالرفع على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حالان من (الآياتُ) والعامل فيهما معنى الإشارة، أو بدلان منها، أو خبران آخران، أو خبران لمحذوف. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة. ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ من تتمة الصلة، والواو للحال أو للعطف. وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته، وأنهم الأوحدون فيه، أو جملة اعتراضية كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة؛ فإن تحمل المشاق ....

قوله: [وتأخيره]؛ أي: الكتاب عن القرآن [أو القرآن] عطف على اللوح بإعجازه الباء بمعنى مع [الجملة اعتراضية]؛ أي: على طريقة «الكشاف» في أن الاعتراض لا يختص بأن يكون بين متلازمين من نحو مبتدأ وخبر [فإن تحمل المشاق]

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

إنما يكون لخوف العاقبة، والوثوق على المحاسبة. وتكرير الضمير للاختصاص.

﴿٤﴾ - ﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ زين لهم أعمالهم القبيحة؛ بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس، أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ كالقتل والأسر يوم بدر. ﴿وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ أشد الناس خسراناً لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة. ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتؤتاه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي حكيم، وأي عليم، والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة لعموم العلم، ودلالة الحكمة على اتقان الفعل، والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار عن المغيبات، ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله:

﴿٧﴾ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: اذكر قصته إذْ قالَ، ويجوز أن يتعلق بـ(عَلِيم). ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾؛ أي: عن حال الطريق؛ لأنه قد ضَلَّهُ. وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل. والسين للدلالة على بعد المسافة، والوعد بالإتيان وإن أبطأ. ﴿أَوْ

المفهومة من الإيمان والعمل الصالح [إنما يكون بخوف العاقبة] المترتبة على الإيقان فقوله: «فإن..» إلى آخره. تعليل لما تضمنه الحصر قبله [أو الوعد بالإتيان] بالرفع عطف على «للدلالة» أو بالجر عطف على «الدلالة» [وإن أبطأ]؛ أي: الإتيان

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة نار مقبوسة، وإضافة الشهاب إليه؛ لأنه قد يكون قبساً وغير قبس، ونونه الكوفيون ويعقوب؛ على أن (القَبَس) بدل منه، أو وصف له؛ لأنه بمعنى: المقبوس. والعِدَتان على سبيل الظن؛ ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في (طه). والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما؛ بناء على ظاهر الأمر، أو ثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ رجاء أن تستدفئوا بها. و(الصلاء): النار العظيمة.

﴿٨﴾ ـ ﴿٩﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ﴾؛ أي: (بُورِكَ) فإن النداء فيه معنى القول، أو (بأَنْ بُورِكَ) على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة، والتخفيف وإن اقتضى التعويض بـ(لا) أو (قد) أو (السين) أو (سوف) لكنه دعاء، وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة. ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ مَنْ في مكان النَّارِ؛ وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ومن حول مكانها، والظاهر أنه عام في كل من في تلك البقعة، وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات؛ لكونها مبعث الأنبياء، وكفاتهم أحياء وأمواتاً،

[وإضافة الشهاب إليه؛ **لأنه يكون قبساً وغير قبس**]؛ أي: فهو من إضافة النوع إلى جنسه نحو ثوب خز إذ الشهاب شعلة من النار، والقبس قطعة منها تكون في عود وغيره[1] [﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ [النمل: ٨]] هو نائب الفاعل لـ«بُورك» والأصل: بارك الله من في النار ومن حولها، و«بارك» يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، يُقال: «باركك الله» و«بارك عليك» و«بارك فيك» و«بارك لك».

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٤٣٢].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى! وقيل: المراد موسى والملائكة الحاضرون. وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار الشأم. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر! أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمته. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الهاء للشأن. و(أَنَا اللهُ) جملة مفسرة له، أو للمتكلم، و(أَنَا) خبره و(اللهُ) بيان له. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان (لله) ممهدتان لما أراد أن يظهره، يريد: أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام؛ كقلب العصا حية! الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على (بُورِكَ)؛ أي: نودي أن بورك من في النار وأن ألق. ويدل عليه قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: ٣١] بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] بتكرير: (أن). ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك باضطراب ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾؛ حية خفيفة سريعة، وقرئ: (جأن) على لغة مَنْ جَدَّ في الهرب من التقاء الساكنين. ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع، من: (عقب المقاتل) إذا كر بعد الفرار، وإنما رعب لظنه أن ذلك الأمر أريد به، ويدل عليه قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾؛ أي: من غيري ثقة بي، أو مطلقاً لقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]؛ أي: حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق؛ فإنهم أخوف الناس؛ أي: من الله، أو لا يكون

[وللتعجب من عظمة ذلك الأمر] عطف على «لئلا يتوهم» [أو للمتكلم] عطف على للشأن [ويدل عليه قوله]؛ أي: في سورة «القصص» [وقصد] عطف على

﴿١٢﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه. ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استثناء منقطع؛ استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم، وفيهم من فرطت منه صغيرة؛ فإنهم وإن فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها، ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة؛ فإنه لا يخاف أيضاً. وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي. وقيل: متصل. و(ثم) بدل مستأنف معطوف على محذوف؛ أي: مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ ذنبه بالتوبة.

﴿١٢﴾ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ لأنه كان بمدرعة صوف لا كمَّ لها. وقيل: (الجيب): القميص؛ لأنه يُجاب؛ أي: يقطع. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ آفة كبرص. ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ في جملتها، أو معها على أن التسع هي: الفَلْق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، ولمن عدَّ العصا واليد من التسع أنْ يَعُدَّ الأخيرين واحداً، ولا يَعُدَّ الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون. أو: اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

«استدرك» [وقيل: متصل] قيل: حملاً على أن المستثنى نحو: موسى حيث ظلم نفسه بقتله القبطي قبل النبوة ثم تاب بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦] وعلى أنه من يصدر عنه من الأنبياء ترك الأفضل فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومحل (من) على الاستثناءين رفع على البدل أو نصب على الاستثناء.

[أو اذهب في تسع آيات] عطف على قوله: «في جملتها أو معها»(١) [فيتعلق به]؛ أي: بـ«اذهب إلى فرعون» و«قومه» فاعل يتعلق به.

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/١١٩].

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً أو مرسلاً. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ بأن جاءهم موسى بها. ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة اسم فاعل أطلق للمفعول، إشعاراً بأنها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصّر من حيث إنها تهدي والعمي لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي، أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها. وقرئ: (مَبْصِرَةً)؛ أي: مكاناً يكثركم فيه التبصر. ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ واضح سحريته. ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ وكذبوا بها. ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ وقد استيقنتها لأن الواو للحال. ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم. ﴿وَعُلُوًّا﴾ ترفعاً عن الإيمان. وانتصابهما على العلة من (جَحَدُوا). ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة.

﴿١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع، أو علماً؛ أي: علم. ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عطفه بالواو إشعاراً بأن

[وعلى الأولين] هما كون المعنى في جملتها أو معها [يتعلق] إلى فرعون وقومه [وهو مبعوثاً ومرسلاً]؛ أي: بنحو أحدهما؛ أي: علم علماً عظيماً غزيراً، [عطفه بالواو إشعاراً..] إلى آخره. إيضاحه قول «الكشاف»[1] إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك، ثم عطفه عليه التحميدة كأنه قال: ولقد آتيناهما علماً فعملا به وعلّماه، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، وقالا: «الحمد لله الذي فضلنا».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٥٧].

۞ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة! كأنه قال: ففعلا شكراً له ما فعلا وَقالا: الْحَمْدُ للهِ. ﴿ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يعني: من لم يؤت علماً أو مثل علمهما. وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم، وجعلاه أساس الفضل، ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله، وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فُضِّلَ على كثير فقد فُضِّلَ عليه كثير.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ النبوة أو العلم أو الملك؛ بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾ تشهيراً لنعمة الله، وتنويهاً بها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وغير ذلك من عظائم ما أوتيه. و(النطق والمنطق) في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً، وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه، أو التبع؛ كقولهم: نطقت الحمامة، ومنه: الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات؛ سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما من جنسه، ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته الحدسية التخيل الذي صوته، والغرض الذي توخاه به. ومن ذلك ما حكي أنه مرّ ببلبل يصوت ويترقص! فقال: يقول: إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء!

[أو مثل علمهما]؛ أي: أو لم يؤت مثل علمهما [فعلى الدنيا العفاء] وهو

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وصاحت فاختة فقال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا! فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال، وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب.
والضمير في (عُلِّمْنا) وَ(أُوتِينا) له ولأبيه، أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة، والمراد مِنْ (كُلِّ شَيْءٍ) كثرة ما أوتي كقولك: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الذي لا يخفى على أحد. ﴿وَحُشِرَ﴾ وجُمِعَ ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.

(١٨) ـ (١٩) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ واد بالشام كثير النمل، وتعدية الفعل إليه بـ(عَلى) إما لأن إتيانهم كان من عال، أو لأن المراد قَطَعَه، من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره؛ كأنهم أرادوا أن ينزلوا أُخْرَيَات الوادي. ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرّت عنهم مخافة حطمهم، فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال، فتبعتها، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم، ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله فيها العقل والنطق. ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ نهي لهم عن

بالفتح والمد التراب وقال أبو عبيد: هو الدروس والهلاك[1] [والمراد من كل شيء]؛ أي: في قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ١٦] [كثرة ما أوتي]؛ أي: من الفضائل.

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي [٣٩/ ٧٢/ مادة: عفو].

۞ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

الحطم، والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم: لا أرينك ههنا؛ فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له؛ فإن النون لا يدخله في السعة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء. وقيل: استئناف؛ أي: فَهِمَ سليمان والقوم لا يشعرون. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها وتحذيرها، واهتدائها إلى مصالحها، وسروراً بما خصه الله به من إدراك همسها وفهم غرضها؛ ولذلك سأل توفيق شكره. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾؛ أي: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي؛ أي: أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه، وقرأ البزي وورش بفتح ياء: (أَوْزِعْنِيَ). ﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة، أو تعميماً لها؛ فإن النعمة عليهما نعمة عليه، والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ تماماً للشكر واستدامة للنعمة. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في عدادهم الجنة.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد. ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أم منقطعة؛ كأنه لما لم

[أو بدل من الأمر]؛ أي: وهو ادخلوا لأنه بمعنى لا تكونوا خارجين عن مساكنكم [﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]؛ أي: اجعلني أزع..] إلى آخره. تعريض لمعنى أوزعني لغة، والمراد: ألهمني وازَع بفتح الزاي أصلها أوزَع فحذفت واوه كما في أدَع [أم منقطعة]؛ أي: لا متصلة إذ شرطها تقدم همزة الاستفهام والتسوية لا مطلق الاستفهام ولم يوجد هنا[1].

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٩/ ٢٨٠].

۞ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر، أو غيره فقال: ما لي لا أراه! ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: «أهو غائب؟» كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كنتف ريشه، وإلقائه في الشمس، أو حيث النمل يأكله، أو جعله مع ضده في قفص. ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ ليعتبر به أبناء جنسه. ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة تبين عذره، والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما. وقرأ ابن كثير (ليأتينني) بنونين الأولى مفتوحة مشددة.

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ زماناً غير مديد، يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفاً منه، وقرأ عاصم بفتح الكاف. ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾؛ يعني: حال «سبأ»، وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه، ويتصاغر لديه علمه، وقرئ: بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق. ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو: غير مصروف على تأويل (القبيلة) أو (البلدة)، والقوّاس بهمزة ساكنة. ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ بخبر متحقق، روي: أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج، فوافى الحرم وأقام بها ما شاء، ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً، فوافى صنعاء

[والحلف في الحقيقة..] إلى آخره. تحريره أن حلفه كان على أحد الثلاثة لكنه بالنسبة لأحد الأولين بتقدير عدم الثالث، وللثالث بتقدير وجوده وكأنه قيل: والله إن أتاني بسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإلا فأحدهما بإطباق؛ أي: بإظهاره وهي القراءة المشهورة وقد بيَّنت الإطباق وقوعه في شرح الجزرية، [وأقام بهما] الأولى به

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾.

ظهيرة، فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء، وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء، فتفقده لذلك فلم يجده؛ إذ حلَّق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقعاً فانحط إليه، فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له، ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى. ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك، يستكبرها من يعرفها، ويستنكرها من ينكرها.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾؛ يعني: بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان، والضمير لـ«سبأ أو لأهلها». ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه الملوك. ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها. وقيل: كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً، أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر. ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كأنهم كانوا يعبدونها. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابيح أعمالهم. ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن سبيل الحق والصواب. ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ إليه.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ فصدهم لئلا يسجدوا، أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من (أَعْمالَهُمْ)، أو (لَا يَهْتَدُونَ) إلى أن يسجدوا بزيادة (لا). وقرأ الكسائي ويعقوب إلا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء، ومناداه محذوف؛ أي: ألا يا قوم اسجدوا كقوله:

[إذ حلّق]؛ أي: ارتفع بطيرانه.

[يعني: بلقيس] قال الطيبي: بالعربية بكسر الياء وباء معجمة بفتحها [على أنها للتثنية وياء للنداء]؛ أي: لو للتنبيه تأكيداً لـ«ألا» التي للتنبيه بل اختاره ابن مالك وضعف كونها للنداء.

وَقَالَتْ أَلَا يَا اسْمَعْ أَعِظكَ بِخطَّةٍ فَقُلْتُ سَمِيعاً فَانْطِقِي وَأَصِيبِي

وعلى هذا صح أن يكون استئنافاً من الله تعالى أو من سليمان. والوقف على (لَا يَهْتَدُونَ)، فيكون أمراً بالسجود، وعلى الأول ذمّاً على تركه، وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها، وقرئ: (هَلَّا) و(هَلَا) بقلب الهمزة هاء، و(أَلَا تسجدونَ) و(هَلَّا تَسجدون) على الخطاب. ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد، بكمال القدرة والعلم حثاً على سجوده، ورداً على من يسجد لغيره، و(الْخَبْأ): ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات؛ بل (الإِنشاء): فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل، و(الإِبداع) فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود، ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته. وقرأ حفص والكسائي: (مَا تُخفُونَ وَما تُعْلِنُونَ) بالتاء. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي هو أول الأجرام وأعظمها، والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم.

[فقالت: أَلَا فاسمع أَعِظْكَ.......... ....]

في نسخة: «يعظك» [بخطَّةٍ فقلت: سميعاً] في نسخة: سمعنا [فانْطِقي وأَصيبي][1] الشاهد في أوله؛ أي: «ألا يا فلان اسمع موعظتي» [وعلى هذا]؛ أي: القول بتخفيف «ألا» [وعلى الأول]؛ أي: القول بتشديد «ألّا» [على سجوده]؛ يعني: على السجود له [و«الخبأ» ما خفي في غيره] وهو في الأصل مصدر خبأت الشيء خبأ سترته [فبين العظيمين]؛ أي: هما عرش الله وعرش بلقيس [بون بعيد]؛ أي: فضل، يقال: «بينهما بون بعيد» و«بين بعيد» والواو أفصح قاله الجوهري[2].

---

(١) معاني القرآن، الفراء [٤/ ١٠٠].
(٢) الصحاح، الجوهري [١/ ٥٩].

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ
إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾
إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ سنعرف من النظر بمعنى التأمل. ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ أي: أم كذبت، والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل. ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ثم تَنَحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه. ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ماذا يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ من القول.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿قَالَتْ﴾؛ أي: بعد ما ألقى إليها. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ لكرم مضمونه أو مرسله، أو لأنه كان مختوماً، أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به. ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ استئناف كأنه قيل لها: ممن هو؟ وما هو؟ فقالت: إنه؛ أي: إن الكتاب، أو العنوان من سليمان ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: وإن المكتوب أو المضمون. وقرئ بالفتح على الإبدال من (كِتابٌ) أو التعليل لكرمه. ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ أنِ مفسرة أو مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف؛ أي: هو، أو المقصود: أن لا تعلوا، أو بدل من (كِتابٌ). ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ مؤمنين أو منقادين. وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود؛ لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته؛ حتى يكون استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة!

[وقرئ بالفتح]؛ أي: بفتح «إنَّ» في الموقعين [فوضع]؛ أي: الطرف [موضعه]؛ أي: موضع النظر [«أنَّ» مفسرة]؛ أي: في ﴿أن لا تعلوا﴾ وحذفت منه النون بجعل لا ناهية [وليس الأمر فيه..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف آمرهم

۞ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٢﴾ ـ ﴿٣٣﴾ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ أجيبوني في أمري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه. ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ ما أبت أمراً. ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ إلا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة. ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ﴾ بالأجساد والعدد. ﴿وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ نجدة وشجاعة. ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ موكول. ﴿فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ من المقاتلة أو الصلح نُطِعْكَ ونَتَّبع رأيك.

﴿٣٤﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم، ثم إن الحرب سجال لا تدري عاقبتها. ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾ بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم، وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة، أو تصديق لها من الله ﷻ. ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ بيان لما ترى تقديمه في المصالحة، والمعنى: إني مرسلة رسلاً بهدية أدفعه بها عن ملكي. ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ من حاله حتى أعمل بحسب ذلك! روي: أنها بعثت منذر بن

بالإتيان بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته، فقوله من أعظم الدلالة؛ أي: الحجة [أجيبوني في أمري الفَتِي]؛ أي: الحادث أخذاً من الفتوى، فإنها جواب الحادثة وجواب الحادث حادث(١) [من حاله]؛ أي: حال سليمان.

---

(١) تاج العروس، الزبيدي [٣٩/ ٢١١].

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

عمرو في وفد، وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري، وجواري على زي الغلمان، وحُقّاً فيه درة عذراء، وجزعة معوجة الثقب، وقالت: إن كان نبيّاً ميز بين الغلمان والجواري، واثقب الدرة ثقباً مستوياً، واسلك في الخرزة خيطاً، فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه، تقاصر إليهم نفوسهم، فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحُقَّ وأخبر عما فيه، فأمر الأَرَضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة، وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأُخرَى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: الرسول أو ما أهدت إليه وقرئ: (فلما جاؤوا). ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ خطاب للرسول ومن معه، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب. وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام، وقرئ بنون واحدة، وبنونين وحذف الياء. ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بإسكان الياء، وبإسقاطها الباقون، وبإمالتها الكسائي وحده. ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي. ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من

[وحُقّا فيه درّة عَذْراء]؛ أي: لؤلؤة غير مثقوبة [وجزعة] واحدة الجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض قاله الجوهري(١). [والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه]؛ أي: من غير أن يجعله في الأُخرَى.

---

(١) الصحاح، الجوهري [١/٩١].

۞ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ
مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ
عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى
غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

الحياة الدنيا؛ فتفرحون بما يهدى إليكم حبّاً لزيادة أموالكم، أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم. والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه، وتقليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها. ﴿ٱرْجِعْ﴾ أيها الرسول. ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ: (بهم). ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من «سبأ». ﴿أَذِلَّةً﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العزّ. ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أُسَراء مهانون.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكّر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره؟ ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ فإنها إذا أتت مسلمة لم يحلُّ أخذه إلا برضاها. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ خبيث مارد. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ بيان له؛ لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفّر أقرانه، وكان اسمه «ذكوان» أو «صخراً». ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار. ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ على حمله. ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ لا أختزل منه شيئاً ولا أبدله.

﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ «آصف بن برخيا» وزيره، أو

[والإضراب] مبتدأ [وتعليله] بالجر عطف على إنكار [إلى بيان ما حملهم عليه] خبر المبتدأ [المغفر أقرانه]؛ أي: المفترس لهم [والخطاب في ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ...﴾] إلى آخره. راجع إلى القول بأن الذي عنده علم من الكتاب سليمان..

الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله به، أو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم، وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك، أو أراد إظهار معجزة في نقله فتحدّاهم أولاً، ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم، والمراد بـ(الْكِتابِ) جنس الكتب المنزلة أو اللوح، و(آتِيكَ) في الموضعين صالح للفعلية والاسمية، (والطرف): تحريك الأجفان للنظر؛ فوضع موضعه، ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما في قوله:

وَكُنْتَ إِذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدا لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

وصف بِرَدِّ الطرف، والطرف بالارتداد، والمعنى: أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك، وهذا غاية في الإِسراع ومثل فيه.

﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾؛ أي: العرش ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ حاصلاً بين يديه. ﴿قَالَ﴾ تلقياً للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ

[أو أراد] عطف على «استبطائه» [فوضع]؛ أي: الظرف [موضعه]؛ أي: موضع النظر [كما في قوله]؛ أي: قول عبد الله بن طاهر بن الحسين:

[وكنتَ إذا أرسلتَ طرفَكَ رائداً لقلبكَ يوماً أتعبتْكَ المناظر][(١)]

«رائداً» حال وهو الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم، وجواب: إذا أتعبتك والمعنى إذا جعلت عينك رائداً لقلبك تطلب له هواه فيتعبك مناظرها وتوقعك مواردها في أشق المكاره [وهذا غاية في الإسراع]؛ أي: فهو مجاز لا حقيقة وعبر عنه «الكشاف» بقوله: ويجوز أنْ يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء به، وقضيته أنَّ المعتمد أنَّه حقيقة لا مجاز وهو الظاهر الموافق لتعبير كثير[(٢)].

---

(١) شرح ديوان الحماسة، المرزوقي [١/ ٣٨٠].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٧٢].

۞ ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

رَبِّي﴾ تفضل به عليَّ من غير استحقاق، والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره، والكلام في إمكان مثله قد مرّ في آية (الإسراء). ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾ بأن أراه فضلاً من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه. ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد نفسي في البين، أو أقصر في أداء مواجبه. ومحلها النصب على البدل من الياء. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾؛ لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها، ويحط عنها عبء الواجب، ويحفظها عن وصمة الكفران. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره. ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام عليه ثانياً.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ بتغيير هيئته وشكله. ﴿نَنظُرْ﴾ جواب الأمر، وقرئ بالرفع على الاستئناف. ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته أو الجواب الصواب، وقيل: إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدم عرشها؛ وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب، موكلة عليه الحرّاس. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ تشبيهاً عليها زيادة في امتحان عقلها؛ إذ ذكرت عنده بسخافة العقل. ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل هُوَ هُوَ الاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ من تتمة كلامها؛ كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله، وصحة نُبُوَّتِكَ قبل هذه الحالة، أو المعجزة مما تقدم من الآيات. وقيل: إنه من كلام سليمان وقومه. وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله؛

[قديراً في آية الإسراء]؛ أي: في آية أول سورة «الإسراء» [بأن أجد نفسي في البين]؛ أي: البعد [تشبيهاً عليها]؛ أي: لتلبيسه عليها.

۞ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالباً، وإحضاره ثمة؛ من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله، ولا تظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ أي: وأوتينا العلم بالله وقدرته، وصحة ما جاء به من عنده قبلها، وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه. ويكون غرضهم فيه؛ التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكراً له.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وصدها عبادتها الشمس عن التقدم إلى الإسلام، أو: وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل (صدها) على الأول؛ أي: صدها نشؤها بين أظهر الكفار، أو التعليل له. ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ القصر وقيل: عَرَصَة الدار. ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ روي: أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر، صحنه من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه حيوانات البحر، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما أبصرته ظنته ماء راكداً! فكشفت عن ساقيها. وقرأ ابن كثير برواية قنبل: (سَأْقَيْها) بالهمز حملاً على جمعه: (سُؤُوق وأَسْؤُق). ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ إن ما تظنينه ماءً ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادتي الشمس، وقيل: بظني بسليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيما أمر به عباده. وقد اختلف في أنه تزوجها، أو زوجها من ذي تبع ملك همدان.

[لما فيه]؛ أي: في جوابها [أو التعليل له] عطف على «الإبدال»

۞ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن اعبدوا الله. وقرئ بضم النون على اتباعها الباء. ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ففاجؤوا التفرق والاختصام؛ فآمن فريق وكفر فريق. و(الواو) لمجموع الفريقين. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا. ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب؛ فإنهم كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تُبْنَا حينئذ. ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ قبل نزوله. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ. ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ تشاءمنا. ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ إذ تتابعت علينا الشدائد، أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم. ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ سببكم الذي جاء منه شركم. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء، والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أنفس، وإنما وقع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى، والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة

[وقرء بضم النون] قرأه القراء العشر غير أبي عمرو وعاصم وحمزة [أي: عملكم] عطف على «سبيلكم» [وإنما وقع]؛ أي: رهط أنه مذكر [تمييز للتسعة باعتبار المعنى] وكأنه قال تسعة أنفس وإلا فالقياس أن يقال: تسعة من الرهط

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.

إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة. ﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾؛ أي: شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح. ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض. ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أمر مقول، أو خبر وقع بدلاً، أو حالاً بإضمار (قد). ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض، وقرئ بالياء على أن (تقاسموا) خبر. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ فيه القراءات الثلاث. ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ لوليّ دمه. ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ فضلاً أن تولينا إهلاكهم، وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان، وكذا (مَهْلِكَ) في قراءة حفص فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كـ(مرجع). وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ ونحلف إنا لصادقون، أو: والحال (إِنَّا لَصادِقُونَ) فيما ذكرنا؛ لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً، أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: (ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين).

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ بهذه المواضعة. ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ بأن

[﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أمر مقول]؛ أي: لقال [أو خبر وقع بدلاً] من جملة «يفسدون..» إلى آخره[1] [أو حالاً بإضمار قد]؛ أي: قالوا: لنبيتنّه وقد تقاسموا عليه [وقُرئ بالياء على أن (تقاسموا) خبر]؛ أي: لا أمر؛ لأن الياء للغيبة والأمر للخطاب ولا معنى لقولهم: احلفوا لنبيتنّه متقاسمين [لأنَّ الشاهد غير المباشر له عرفاً أو لأنَّا ما شهدنا بمهلكهم..] إلى آخره. اقتصر «الكشاف»[2] على الثاني؛ لأنَّ للنظر في الأول مجالاً من حيث مطابقة التعليل للمعلل؛ لأنهم كلهم شهدوا [بهذه المواضعة]؛ أي: الموافقة أخذاً من «تقاسموا..» إلى آخره.

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٣/ ٤٧٥].
(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٧٦].

۞ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

جعلناها سبباً لإهلاكهم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك، روي: أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب، فهلكوا ثمة، وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة! كما أشار إليه قوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ و(كانَ) إن جعلت ناقصة فخبرها (كَيْفَ)، و(أَنَّا دَمَّرْناهُمْ) استئناف أو خبر محذوف لا خبر (كانَ) لعدم العائد، وإن جعلتها تامة فـ(كَيْفَ) حال. وقرأ الكوفيون ويعقوب: (أَنَّا دَمَّرْناهُمْ) بالفتح على أنه خبر محذوف، أو بدل من اسم (كانَ) أو خبر له، و(كَيْفَ) حال.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية؛ من: (خوى البطن) إذا خلا، أو ساقطة منهدمة؛ من: (خوى النجم) إذا سقط. وهي حال عمل فيها معنى الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بسبب ظلمهم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيتعظون. ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صالحاً ومن معه. ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ واذكر لوطاً، أو: وأرسلنا لوطاً لدلالة (ولقد أرسلنا) عليه. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ بدل على الأول وظرف على الثاني.

[نفرغ منه إلى ثلاث]؛ أي: من إهلاكنا ممتدّاً إلى ثلاثة أيام [فوقع عليهم صخرة] من جبل [حيالهم]؛ أي: تلقاء وجوههم [أو خبر محذوف] تقديره وهي؛ أي: عاقِبَتُهم أنّا دمرناهم، وهذا سهو لأن جعله خبر محذوف يقتضي فتح أنا

۞ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون فحشها؛ من بصر القلب، واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح! أو يبصرها بعضكم من بعض؛ لأنهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ بيان لإتيانهم الفاحشة، وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه، والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ اللاتي خلقن لذلك. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح، أو تجهلون العاقبة، والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: يتنزهون عن أفعالنا، أو عن الأقذار، ويعدون فعلنا قذراً. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قدّرنا كونها من الباقين في العذاب. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مرَّ مثله.

﴿٥٩﴾ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ أمر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته، وعظم شأنه، وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا، بتحميده والسلام على المصطفين من عباده؛ شكراً على ما أنعم عليهم، أو علمه ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم، وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين، أو لوطاً بأن يحمده

والكلام إنما هو بتقدير كسرها [وما خص به رسله] عطف على «كمال قدرته» [أو لوطاً] عطف على «رسوله».

۞ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

على هلاك كَفَرَةِ قومه، ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك. ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلزام لهم، وتهكم بهم، وتسفيه لرأيهم، إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير. وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء.

﴿٦٠﴾ ﴿أَمَّنْ﴾ بل أمَّن ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع. وقرأ: (أَمَنْ) بالتخفيف على أنه بدل من (الله). ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ لأجلكم. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ عدل به من الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع، المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة؛ لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ شجر الحدائق؛ وهي البساتين، من: (الإحداق) وهو الإحاطة. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً، وهو المنفرد بالخلق والتكوين! وقرئ: (أإلٰهاً) بإضمار فعل مثل: (أتدعون أو أتشركون) وبتوسيط مدة بين الهمزتين، وإخراج الثانية بَيْنَ بَيْن. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق الذي هو التوحيد.

[بدل مِنْ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾] نظراً إلى ما تضمنه الجملتان من دلالتهما على اختصاصه تعالى بهذه الأفعال التي لا يقدر عليها غيره فإنها دالة على التوحيد ونفي الضد(١).

[وبتوسط مدة بين الهمزتين] قرأ به أبو عمرو وأبو جعفر وقالون وهشام بخلاف عنه [وإخراج]؛ أي: وبإخراج [الثانية بَيْنَ بَيْن] قرأ به نافع وابن كثير وأبو

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/ ١٨٧].

۞ ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦١﴾ ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ بدل من (أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ). وجعلها قراراً بإبداء بعضها من الماء، وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الإنسان والدواب عليها. ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ وسطها. ﴿أَنْهَٰرًا﴾ جارية. ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً تتكون فيها المعادن، وتنبع من حضيضها المنابع. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح، أو خليجي فارس والروم. ﴿حَاجِزًا﴾ برزخاً. وقد مرَّ بيانه في سورة (الفرقان). ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق فيشركون به.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (المضطر): الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجإ إلى الله! من: (الاضطرار) وهو افتعال من الضرورة، واللام فيه للجنس لا للاستغراق، فلا يلزم منه إجابة كل مضطر! ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ويدفع عن الإنسان ما يسوءه. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها، والتصرف فيها ممن قبلكم.

﴿٦٣﴾ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً، و(ما) مزيدة، والمراد بالقلة العدم، أو الحقارة المزيحة للفائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال. ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالنجوم وعلامات الأرض، و(الظُّلُماتِ) ظلمات الليالي، وإضافتها إلى (الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) للملابسة، أو ....

۞ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

مشتبهات الطرق يقال: طريقة ظلماء وعمياء؛ للتي لا منار بها. ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾؛ يعني: المطر، ولو صحّ أن السبب الأكثر في تكون الرياح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى، والفاعل للسبب فعل للمسبب. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ يقدر على مثل ذلك. ﴿تَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق.

﴿٦٤﴾ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها. ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: بأسباب سماوية وأرضية. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على أن غيره يقدر على شيء من ذلك. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية.

﴿٦٥﴾ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لمّا بيّن اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له، وهو التفرد بعلم الغيب؛ والاستثناء منقطع، ورفع المستثنى على اللغة التميمية؛ للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السمٰوات والأرض، ففيها من يعلم الغيب ....

عمرو وأبو جعفر ورويس [أو مشتبهات الطُّرق] عطف على «ظلمات الليالي» [لانكسار حرها] في نسخة: «حركتها» [وتمويجها الهواءُ] برفع «الهواء» فاعل «تمويج» وبنصبه بنزع الخافض؛ أي: بالهواء [ففيهما من يعلم الغيب]؛ أي: وهو الله لكن معلوم أنه تعالى ليس في السمٰوات والأرض فلا يكون فيهما من يعلم الغيب

۞ ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

مبالغة في نفيه عنهم، أو متصل؛ على أن المراد ممن (في السمٰوات والأرض) من تعلق علمه بها، واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها؛ فإنه يعم الله تعالى، وأولي العلم من خلقه؛ وهو موصول أو موصوف. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى ينشرون؛ مركبة من (أي) (وآن)، وقرئت بكسر الهمزة والضمير لـ(من) وقيل: للـ(الكفرة).

﴿٦٦﴾ ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب، وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه، بأن أضرب عنه، وبيَّن أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات؛ وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي. ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ كمن تحير في الأمر لا يجد عليه دليلاً. ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم، وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السمٰوات والأرض نسب إلى جميعهم؛ كما يسند فعل البعض إلى الكل، والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم، وقيل: الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم إلى وصفهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة، تهكماً بهم! وقيل: (أدرك) بمعنى: انتهى واضمحل؛ من قولهم: أدركت الثمرة؛ لأن تلك غايتها التي

فيكون الاستثناء منقطعاً وقوله: ففيهما من يعلم الغيب أولى من قول «الكشاف»[1]: فهم يعلمون الغيب.

[من الحجج] بيان لما [والإضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم] حيث وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة، ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه مع تمكنهم من إزالته، وقد ذكر الأول في قوله: [وقيل: **الأول إضراب**..] إلى آخره..

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٨٢].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

عندها تعدم. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم: (بَلِ ادَّارَكَ) بمعنى: تتابع حتى استحكم، أو تتابع حتى انقطع من: (تدارك بنو فلان) إذا تتابعوا في الهلاك، وأبو بكر: (ادّرَكَ) وأصلهما تفاعل وافتعل. وقرئ: (أَأَدْرَكَ) بهمزتين، و(آأدرك) بألف بينهما و(بَلِ ادَّرَك) و(بَلْ تَدَارَكَ) و(بَلَى أَأَدْرَكَ) و(بلى آأدرك) و(أَمْ أَدْرَكَ) و(أَمْ تَدَارَكَ)، وما فيه استفهام صريح، أو مضمن من ذلك؛ فإنكار وما فيه (بلى) فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم، وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه، ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بَلِ إنهم مِنْها عَمُونَ، أَوْ رَدَّ وإنكار لشعورهم.

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ كالبيان لعمههم. والعامل في إذا ما دل عليه: (أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ)، وهو نخرج لا مخرجون؛ لأن كلاً من (الهمزة) و(إن) و(اللام) مانعة من عمله فيما قبلها، وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار، والمراد بـ(الإخراج): الإخراج من الأجداث، أو من حال الفناء إلى الحياة. وقرأ نافع (إذا كنا) بهمزة واحدة مكسورة، وقرأ عامر والكسائي (إننا لمخرجون) بنونين على الخبر ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبل وعد محمّد ﷺ، وتقديم (هذا) على (نحن) لأن المقصود بـ(الذكر) هو (البعث) وحيث أُخِّر فالمقصود به (المبعوث). ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ التي هي كالأسمار.

[وأصله]؛ أي: ما ذكر من ادّارك وادّرك [أو رد وإنكار] عطف على «إضراب»

۞ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لهم على التكذيب، وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم، والتعبير عنهم بـ(الْمُجْرِمِينَ) ليكون لطفاً بالمؤمنين في ترك الجرائم. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على تكذيبهم وإعراضهم. ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ﴾ في حرج صدر، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد؛ وهما لغتان، وقرئ: (ضَيِّقٍ)؛ أي: أمر ضيق. ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من مكرهم؛ فإن الله يعصمك من الناس.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود. ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ تبعكم ولحقكم، و(اللام) مزيدة للتأكيد، أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل: (دنا). وقرئ بالفتح وهو لغة فيه. ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر، و(عسى) و(لعل) و(سوف) في مواعيد الملوك كالجزم بها؛ وإنما يطلقونها إظهاراً لوقارهم، وإشعاراً بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم، وعليه جَرَى وعد الله تعالى ووعيده.

﴿٧٣﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لتأخير عقوبتهم على المعاصي، والفضل والفاضلة: الأفضال، وجمعها: فضول وفواضل. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل

[ليكون لطفاً للمؤمنين] «اللطف»: بضم اللام وسكون الطاء التوفيق والعصمة وبفتحهما الرفق وهو الأنسب هنا. [وقُرئ بالفتح]؛ أي: بفتح الدال.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ
ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

يستعجلون بجهلهم وقوعه. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه، وقرئ بفتح التاء من: (كننت)؛ أي: سترت. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه. ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خافية فيهما، وهما من الصفات الغالبة، والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية، أو اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في (عافية وعاقبة). ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن، أو مُبيّن ما فيه لما يطالعه، والمراد: اللوح أو القضاء ـ على الاستعارة ـ.

﴿٧٦﴾ ـ ﴿٧٨﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كالتشبيه، والتنزيه، وأحوال الجنة والنار، وعزير، والمسيح. ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإنهم المنتفعون به. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ بين بني إسرائيل. ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ بما يحكم به وهو الحق بحكمته، ويدل عليه أنه قرئ: (بحكمه). ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحقيقة ما يقضى فيه وحكمه.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿٨١﴾ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم. ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ تعليل آخر للأمر بالتوكل؛ من حيث إنه يقطع طمعه عن مشايعتهم

[وهما]؛ أي: غايته وخافيه [بحفظ الله] عبارة «الكشاف»[(١)] بصنع الله وهي أعَمّ.

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٨٧].

۞ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ومعاضدتهم رأساً، وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصمّ في قوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ فإن إسماعهم في هذه الحالة أبعد. وقرأ ابن كثير: (وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ). ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر. وقرأ حمزة: (تهدي العمي). ﴿إِن تُسْمِعُ﴾؛ أي: ما يجدي إسماعك. ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من هو في علم الله كذلك. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون؛ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إذا دنا وقوع معناه؛ وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب. ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الجساسة، روي: أن طولها ستون ذراعاً، ولها أربع قوائم، وزغب، وريش وجناحان، لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب. وروي: أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها؟ فقال: «**من أعظم المساجد حرمة على الله!**»؛ يعني: المسجد الحرام. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ من: (الكلام)، وقيل: من: (الكَلْم) إذ قرئ: (تَكْلُمُهُمْ). وروي: أنها تخرج ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتنكت بالعصا في مَسْجَدِ المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه! ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ خروجها وسائر أحوالها؛ فإنها من آيات الله تعالى، وقيل: القرآن، ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ لا يتيقنون، وهو حكاية معنى قولها، أو حكايتها لقول الله، أو علة خروجها، أو تكلمها على حذف الجار. وقرأ الكوفيون: (أنَّ الناس) بالفتح وغير الكوفيين: (إنَّ الناس) بالكسر.

[ولها زغب] هو شعراً أصفر على ريش الفرخ.

۞ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ
عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ
مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿٨٥﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؛ يعني: يوم القيامة. ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بيان للـ(فوج)؛ أي: فوجاً مكذبين. و(مِنْ) الأولى للتبعيض لأن أمة كل نبي، وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى المحشر. ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الواو للحال؛ أي: أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها، وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب، أو للعطف؛ أي: أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحققها. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك! وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا: فعلنا غير ذلك! ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ حل بهم العذاب الموعود؛ وهو كبهم في النار بعد ذلك. ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ بسبب ظلمهم؛ وهو التكذيب بآيات الله. ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باعتذار لشغلهم بالعذاب.

﴿٨٦﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ليتحقق لهم التوحيد، ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل؛ لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون إلا بقدرة قاهر، وأن من قدر على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان، وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم؛ لعله لا يخلُّ بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم. ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنوم والقرار. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل (الإبصار)

۞ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

حالاً من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لدلالتها على الأمور الثلاثة.

﴿٨٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ في الصور أو القرن، وقيل: إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن لا يفزع بأن يثبت قلبه. قيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: الحور والخزنة وحملة العرش، وقيل: الشهداء، وقيل: موسى لأنه صعق مرّة ولعل المراد ما يعم ذلك. ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية، أو راجعون إلى أمره، وقرأ حمزة وحفص: (أَتَوْهُ) على الفعل، وقرئ: (أَتَاه) على التوحيد للفظ الكل. ﴿دَٰخِرِينَ﴾ صاغرين وقرئ: (دَخِرِيْن).

﴿٨٨﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة في مكانها. ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ في السرعة؛ وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها. ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه؛ وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله: (وَعَدَ اللهُ). ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي. ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال:

﴿٨٩﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ إذ ثبت له الشريف بالخسيس

[لدلالتها على الأمور الثلاثة] هي التوحيد والبعث والبعثة.

۞ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

والباقي بالفاني، وسبعمائة بواحدة، وقيل: (خَيْرٌ مِنْها)؛ أي: خير حاصل من جهتها وهو الجنة، وقرأ ابن كثير وأبو عمر وهشام: (خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) بالياء والباقون بالتاء. ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾؛ يعني به: خوف عذاب يوم القيامة، وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم، ولذلك يعم الكافر والمؤمن، وقرأ الكوفيون بالتنوين؛ لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم، و(آمن) يتعدى بالجار وبنفسه كقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]. وقرأ الكوفيون ونافع: (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم والباقون بكسرها.

﴿٩٠﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قيل: بالشرك. ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ فكبوا فيها على وجوههم، ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالأيدي في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على الالتفات أو بإضمار القول؛ أي: قيل: لهم ذلك.

﴿٩١﴾ ـ ﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أمر الرسول بأن يقول لهم ذلك بعد ما بيَّن المبدأ والمعاد، وشرح أحوال القيامة، إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه، والاستغراق في عبادة ربه، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ: (التي حَرَّمَها). ﴿كُلُّ شَىْءٍ﴾ خلقاً وملكاً. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام. ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا

[وبالأول] عطف على «به»؛ أي: ويعني بالفزع الأول في قوله: ففزع. .

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ٱلۡقُرۡءَانَۖ﴾ وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، أو اتباعه وقرئ: (واتلُ عليهم) (وأنْ اتْلُ). ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ باتباعه إياي في ذلك، ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ فإن منافعه عائدة إليه. ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بمخالفتي. ﴿فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ فَلَا عَلَيَّ مِنْ وَبَالِ ضَلالِهِ شيء؛ إذ مَّا عَلَى الرسول إلَّا البلاغ وقد بلغت.

﴿٩٣﴾ ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على نعمة النبوة، أو على ما علمني ووفقني للعمل به. ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القاهرة في الدنيا كوقعة بدر، وخروج دابة الأرض، أو في الآخرة. ﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ فتعرفون أنها آيات الله، ولكن حين لا تنفعكم المعرفة. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالياء.

عن النبي عليه الصلاة والسّلام: «**من قرأ سورة (طس) كان له من الأجر عشر حسنات؛ بعدد من صدق بسليمان وكذب به، وهوداً وصالحاً وإبراهيم وشعيباً، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله**».

[«**من قرأ سورة طس..**»] إلى آخره. موضوع[١].



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٢٣].

سُورَةُ القَصَصِ

(٢٨) مكية، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، وهي ثمان وثمانون آية

۞ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ﴾ نقرأه بقراءة جبريل، ويجوز أن يكون بمعنى: (ننزله) مجازاً. ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ﴾ بعض نبئهما مفعول: (نَتْلُوا). ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ محقين. ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأنهم المنتفعون به. ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ استئناف مُبَيِّنٌ لذلك البعض، والأرض أرض مصر. ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقاً يشيعونه فيما يريد، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه استعمل كل صنف في عمل، أو أحزاباً بأن أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه. ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ وهم بنو إسرائيل، والجملة حال من فاعل (جَعَلَ) أو صفة (شِيَعاً) أو استئناف، وقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ بدل منها، كان ذلك لأن كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده! وذلك كان من غاية حمقه؛ فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه.

قوله: [يُشَيِّعونَهُ] بتشديد الياء؛ أي: يتبعونه ويطيعونه [أو أصنافاً] عطف على فرقاً [حُمقه]؛ أي: حمق فرعون [فإنه]؛ أي: الشأن أو الكاهن [لو صدق]؛ أي: الكاهن [لم يندفع]؛ أي: ذهاب ملك فرعون [فما وجهه]؛ أي: وجه القتل.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لِتَخَيُّلٍ فاسد.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه، وَ(نُرِيدُ) حكاية حال ماضية معطوفة على (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ) من حيث إنهما واقعان تفسيراً للـ(نَبَإِ)، أو حال من (يَسْتَضْعِفُ) ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له؛ لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذ تعلقاً استقباليّاً، مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه، جاز أن تجري مجرى المقارن. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدمين في أمر الدين. ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لما كان في ملك فرعون وقومه. ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام، وأصل (التمكين): أن تجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه؛ ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر. ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾ من بني إسرائيل. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم. وقرأ حمزة والكسائي وقرئ: (ويَرَى) بالياء ﴿فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ بالرفع.

﴿٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ بإلهام أو رؤيا. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك

[أو حال من (يستَضْعِفُ)]؛ أي: من فاعله [منهم] بـ«نري» أو نريد لا يحذرون؛ لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله [وقرئ ويرى] الموافق لطريقته ما في نسخة وقرأ حمزة والكسائي «ويرى»(١).

---

(١) انظر: الحجة في القراءات، ابن خالويه [١/ ٢٠٠].

۞ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

إخفاؤه. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ بأن يحس به. ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ في البحر يريد النيل. ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ عليه ضيعة ولا شدة. ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ لفراقه. ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه. ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ روي: أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها، فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه، وارتعشت مفاصلها، ودخل حبه في قلبها بحيث منعها من السعاية، فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألحَّ فرعون في طلب المواليد، واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً فقذفته في النيل.

﴿٨﴾ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي: (وَحُزْناً). ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ في كل شيء، فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوه يربونه ليكبر، ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوّهم على أيديهم، فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم، أو لبيان الموجب لما ابتلوا به، وقرئ (خاطين) تخفيف (خاطِئِينَ)، أو خاطين الصواب إلى الخطأ.

﴿٩﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: لفرعون حين أخرجته من

[هالها]؛ أي: أفزعها [بحيث منعها من السعاية]؛ أي: من إبلاغها خبر المولود لفرعون [واجتهد العيون]؛ أي: الجواسيس [أو مذنبين] عطف من حيث المعنى على «في كلِّ شيء» [وقرئ خاطين] قرأ به أبو جعفر وكذا حمزة في الوقف عليه [أو خاطين الصواب إلى الخطأ] يفارق ما قبله بأن خاطين فيه باق على أصله، وفيما قبله مخفف من الهمز.

۞ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

التابوت. ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ﴾ هو قرة عين لنا؛ لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه، أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان، فلطخت برصها بريقه فبرئت. وفي الحديث أنه قال: لكِ لا لي. ولو قال: هو لي كما هو لكِ؛ لهداه الله كما هداها. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع؛ وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبناً وبرء البرصاء بريقه. ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أو نتبناه فإنه أهل له. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من الملتقطين، أو من القائلة والمقول له؛ أي: وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه، أو في طمع النفع منه والتبني له، أو من أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس؛ أي: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أنه لغيرنا وقد تبنيناه.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ﴾ صفراً من العقل لما دهمها

[**وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان**]؛ أي: وصفوا لفرعون أنها لا تبرأ إلا بذلك كما أفصح به «الكشاف»[١] [**بريقه**]؛ أي: بريق موسى [«**وفي الحديث أنه قال: لك لا لي..**»] إلى آخره. رواه بمعناه النسائي[٢].

[**بأنه أهل له**]؛ أي: للتبني [**أو من أحد ضميري (نَتَّخِذَهُ)**] عطف على من الملتقطين [**على أن الضمير**]؛ أي: الذي هو «هم» و«الواو» في ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [**للناس**] يناله على أن ذلك من كلام امرأة فرعون ولما قبله على أنه من كلام الله تعالى [**لما دهمها**] بكسر الهاء وفتحها؛ أي: فجاءها.

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٣٩٩].
(٢) السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٣٩٦/ برقم: ١١٣٢٦].

۞ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أي: خلاء لا عقول فيها، ويؤيده أنه قرئ: (فرغاً) من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ؛ أي: هدر، أو من: (الهم) لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو سماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أنها كادت لتظهر بموسى؛ أي: بأمره وقصته من فرط الضجر أو الفرح لتبنيه. ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر والثبات. ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين بوعد الله، أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه. وقرئ: (مُؤسى) إجراء للضمة في جوار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط، وجواب (لَوْلا) محذوف دل عليه ما قبله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم. ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره وتتبعي خبره. ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ عن بعد وقرئ: (عن جَانِب) و(عنْ جَنْب) وهو بمعناه. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها تقص أو أنها أخته.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ ومنعناه أن يرتضع من المرضعات، جمع: (مرضع) أو مرضع وهو الرضاع، أو موضعه؛ يعني: الثدي. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل قصها أثره. ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ لأجلكم. ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ لا يقصرون في إرضاعه وتربيته، ....

[أو من الهمّ] عطفه على «من العقل» [وقُرئ موسى]؛ أي: بالهمز [إجراء للضمة]؛ أي: ضمة الميم [جار الواو]؛ أي: المجاورة لها [مجرى ضمتها]؛ أي: ضمة الواو [في استدعاء همزها]؛ أي: همز الواو [وهو]؛ أي: ليكون من المؤمنين

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

روي: أن هامان لما سمعه قال: إنها لتعرفه وأهله، فخذوها حتى تخبر بحاله! فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، فأمرها فرعون أن تأتي بمن يكفله فأتت بأمها، وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها: من أنت منه! فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قَبِلَنِي! فدفعه إليها وأجرى عليها، فرجعت به إلى بيتها من يومها، وهو قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولدها. ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه. ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ علم مشاهدة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن وعده حق فيرتابون فيه. أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع، وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه، وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة؛ فإن العقل يكمل حينئذ. وروي: أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين سنة. ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ قدّه أو عقله. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾؛ أي: نبوة. ﴿وَعِلْمًاۚ﴾ بالدين، أو علم الحكماء والعلماء، ....

[«روي أن هامان لما سمعه..»][1]؛ أي: كلام أخت موسى [قال: إنها لتعرفه وأهله..] إلى آخره. فهمه من جعله ضمير له لموسى لا لفرعون فردت عليه بقولها: [إنما أردت وهم للملك ناصحون] حيث جعلت الضمير لفرعون لا لموسى [وأَجْرَى عليها]؛ يعني: وأَجْرَى أجرتها عليه، وإنما جاز لها أن تأخذ الأجر على إرضاع

(١) جامع البيان، الطبري [١٩/ ٥٣٤].

۞ ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

وسمتهم قبل استنبائه، فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه! وهو أوفق لنظم القصة؛ لأن الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه. ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

﴿١٥﴾ ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ ودخل مصر آتياً من قصر فرعون، وقيل: «منف» أو «حائين»، أو «عين شمس» من نواحيها. ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه، قيل: كان وقت القيلولة، وقيل: بين العشاءين. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أحدهما ممن شايعه على دينه؛ وهم بنو إسرائيل، والآخر من مخالفيه وهم القبط؛ والإشارة على الحكاية. ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فسأله أن يغيثه بالإعانة؛ ولذلك عدى بـ(عَلى) وقرئ: (استعانه). ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ فضرب القبطي بجمع كفه، وقرئ: (فَلَكَزَهُ)؛ أي: فضرب به صدره. ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله، وأصله: فأنهى حياته من قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]. ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم، ولا

ولدها لأنها لم تأخذه أجراً بل لكونه مال حربي [وسمتهم]؛ أي: طريقتهم أو هيئتهم قال الجوهري: السمت الطريق وهيئة أهل الخير(١).

[لأن استنبأه] في نسخة: «لأنَّه استنبأه» [بعد الهجرة في المراجعة]؛ أي: في الأحكام [وقيل: مَنَف] عبارة «الكشاف»: وقيل: مدينة «منف» ومنعت منف الصرف لاجتماع التأنيث والعلمية بل والعجمة(٢) [من نواحيها]؛ أي: نواحي مصر.

---

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٤٢].

(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٠٢].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه ظلماً، واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله. ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ ذنبي. ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ لاستغفاره ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قسم محذوف الجواب؛ أي: أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن. ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أو استعطاف؛ أي: بحق إنعامك عليَّ اعصمني فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته إلى جرم. وعن ابن عباس: أنه لم يستثن فابتلي به مرة أُخْرَى، وقيل معناه: بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك؛ فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يترصد الاستقادة. ﴿فَإِذَا

[أو استعطاف] عطف على قسم والمراد بالقسم القَسَم المحض جملة خبرية وبالاستعطاف القسم المشوب به بأن يكون جوابه طلباً [لم يستثن]؛ أي: لم يقل إن شاء الله [فابتلي به]؛ أي: بكونه ظهيراً.

[مرى أُخْرَى]؛ أي: في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ [القصص: ١٩].. إلى آخره. [وقيل: معناه بما أنعمت علي] عطف على بإنعامك عليّ والحاصل: أن ما مصدرية أو موصولة(١) [يترصد الاستعارة]؛ أي: طلب القود منه [لأنه]؛ أي: موسى

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/٢٢٩].

۞ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ. ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّن الغواية؛ لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر. ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما، ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ قاله الإسرائيلي؛ لأنه لما سماه غوياً ظن أنه يبطش عليه، أو القبطي وكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي. ﴿إِن تُرِيدُ﴾ ما تريد. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تتطاول على الناس ولا تنظر في العواقب. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن، ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه، فهمّوا بقتله، فخرج مؤمن آل فرعون؛ وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى:

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ يسرع؛ صفة (رجل)، أو حال منه إذا جعل (من أقصى المدينة) صفة له لا صلة لـ(جاء) لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف. ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ يتشاورون بسببك؛ وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر. ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (اللام) للبيان، وليس صلة

[لما سمّاه]؛ أي: الإسرائيلي ظن به؛ أي: ظن الإسرائيلي بموسى [عليه]؛ أي: به فـ«على» بمعنى الباء أو ضمن يبطش تعني يستعلي [أو القبطي] عطف على «الإسرائيلي» [فكأنه]؛ أي: القبطي [توهم من قوله]؛ أي: قول موسى للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾ أنه؛ أي: موسى [لهذا الإسرائيلي]؛ أي: لأجله.

[لأن تخصيصه لها يلحقه بالمعارف] تعليل لمجيء الحال من النكرة [وليس صلة

۝ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

لـ(النَّاصِحِينَ) لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول. ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ من المدينة. ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب. ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قبالة «مدين» قرية شعيب، سميت باسم «مدين بن إبراهيم» ولم تكن في سلطان فرعون، وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ توكلاً على الله وحسن ظن به، وكان لا يعرف الطريق، فعنَّ له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها، وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها. ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيرها. ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جماعة كثيرة مختلفين. ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم. ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهم. ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما تذودان. ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ بصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال؛ وحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما، ويدعوه إلى السقي لهما ثمة دونه. وقرأ أبو عمرو وابن عامر: (يَصْدُرَ)؛ أي: ينصرف. وقرئ: (الرُّعَاء) بالضم، وهو اسم جمع كـ(الرُّخال). ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً.

للناصحين..] إلى آخره. جوّز بعضهم أن يكون صلة؛ لأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره [مسيرة ثمان]؛ أي: من الليالي والأيام [كالرِّخَال]؛ أي: الإناث من أولاد

۞ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ مواشيهما رحمة عليهما. قيل: كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر؛ فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم، وقيل: كانت بئراً أُخْرَى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ لأي شيء أنزلت إلي. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ قليل أو كثير، وحمله الأكثرون على الطعام. ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاج سائل؛ ولذلك عدى باللام، وقيل معناه: إني لما أنزلت إليّ من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا؛ لأنه كان في سعة عند فرعون، والغرض منه إظهار التبجح والشكر على ذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾؛ أي: مستحيية متخفرة. قيل: كانت الصغرى منهما، وقيل: الكبرى واسمها «صفوراء» أو «صفراء» وهي التي تزوجها موسى. ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ ليكافئك. ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ جزاء سقيك لنا، ولعل موسى إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ، ويستظهر بمعرفته لا طمعاً في الأجر؛ بل روي: أنه لما جاءه قدّم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا! حتى قال له

الضأن الواحدة رخل بكسر المعجمة والذكر منها حَمَل قاله الجوهري[1] [متحفّزة] من الحفز بالتحريك وهو شدة الحياء [واسمها]؛ أي: الكبرى [صفوراً أو صفراً] عبارة «الكشاف» كبيرتهما كانت تسمى «صفراً» والصغرى «صفيراً» وصفراً هي التي ذهبت به وطلبت إلى أبيها أن يستأجره وهي التي تزوجها[2].

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ٢٤٨].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٠٧].

۞ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾.

شعيب: هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا! هذا وأن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد فرعون وقومه.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾؛ يعني: التي استدعته. ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ﴾ لرعي الغنم. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ تعليل جامع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه، جعل (خَيْرَ) اسماً، وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه امرؤ مجرب معروف. روي: أن شعيباً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت إقلال الحجر، وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾؛ أي: تأجر نفسك مني، أو تكون لي أجيراً، أو تثيبني من أجرك الله. ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ﴾ ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث بإضمار مضاف؛ أي: رعية ثماني حجج. ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ عملت عشر حجج. ﴿فَمِنْ عِندِكَ ۖ﴾ فإتمامه من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك. وهذا استدعاء

[تذكرت إقلال الحجر]؛ أي: حمل موسى الحجر الذي كان يوضع على فم البئر مع أنه لا يحمله إلا سبعة أو عشرة أو أربعون.

[وأنه صوب رأسه]؛ أي: خفضها [حتى يلقيه]؛ أي: موسى [رسالته]؛ أي: رسالة أبيها إليه [وأمرهما] عطف على صوب.

العقد لا نفسه، فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر، أو برعية الأجل الأول ووعد له أن يوفي الأخير إن تيسر له قبل العقد، وكانت الأغنام للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ بإلزام إتمام العشر، أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال، واشتقاق (المشقة) من: (الشق) فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة. ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾؛ أي: ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه. ﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ أطولهما أو أقصرهما. ﴿قَضَيۡتُ﴾ وفيتك إياه. ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ لا يعتدي علي بطلب الزيادة، فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان، أو فلا أكون متعدياً بترك الزيادة عليه كقولك: لا إثم علي، وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال: إن قضيت الأقصر فلا عدوان عليَّ. وقرئ: (أَيْمَا) كقوله:

تَنَظَّرْت نَصْراً وَالسِّمَاكَين أيهما ... عَليَّ مِنَ الغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُه

وأي الأجلين ....

[كقوله]؛ أي: قول الفرزدق:

[تنظَّرْتُ.....................   ....]

أي: انتظرت [نصراً] اسم رجل [والسِّماكَيْن] هما نجمان الأعزل وهو الذي لا نجم بين يديه، والرامح وهو الذي بين يديه الكواكب [أَيْهما] مخفف أَيُّهُما [عليَّ منَ الغيثِ استهلَّت مواطِرُه][1] جمع ماطرة؛ أي: سحابة ماطرة، وعليَّ متعلق بـ«استهلت» و«من» للبيان، و«هلَّ السحاب واستهل»: إذا انْصَبّ انصباباً شديداً والمعنى انتظرت نصراً أو نوء[2] السماكين أيهما استهلت مواطره على من الغيث؛ لأني لم أفرق بينه وبين السِّمَاكين في الجود [وأي الأجلين]؛ أي: وقرئ «أي

---

(١) علل البناء والإعراب، العكبري [١٠٧/٢].   (٢) في نسخة [ز]: (نور).

۞ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

ما قضيت فتكون (ما) مزيدة لتأكيد الفعل؛ أي: أي الأجلين جردت عزمي لقضائه، و(عدوان) بالكسر. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من المشارطة. ﴿وَكِيلٌ﴾ شاهد حفيظ.

﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ بامرأته. روي: أنه قضى أقصى الأجلين، ومكث بعد ذلك عنده عشراً أُخرَى ثم عزم على الرجوع. ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أبصر من الجهة التي تلي الطور. ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخبر الطريق. ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن! قال:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنُ لَهَا جَزْلَ الجُذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ

الأجلين» [ما قضيت فيكون ما]؛ أي: في قراءة؛ أي: الأجلين ما قضيت [مزيدة لتأكيد الفعل] وهو قضيت وفي قراءة أيما الأجلين قضيت بمزيدة لتأكيد إيهام أي [وعدوان]؛ أي: وقرئ «عدوان». [«روي أنه قضى أقصى الأجلين..»] رواه البخاري(١) وغيره قال كثير:

[باتَتْ حواطبُ ليلى.................... ....]

أي: طواريها اللاتي [يلتَمِسْنَ]؛ أي: يطلبن «لها» الحطب كما ذكره في قوله:

[جَزْلَ الجِذَى غير خَوَّارٍ ولا دَعِرٍ](٢)؛ أي: الجزل الحطب اليابس العظيم، و«الجذى» بكسر الجيم جمع جذوة و«الخوَّار» الضعيف، و«الدِّعَر» من الدعر وهو مصدر دعر بالكسر فهو عود دعِر رديء كثير الدخان، ومنه أخذت الدعارة وهي

(١) صحيح البخاري [٢/٩٥٣/ برقم: ٢٥٣٨].

(٢) البيت للشاعر تميم بن مقبل، انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [٢/ ٢٨٣].

۞ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وقال آخر:

وَأَلْقَى عَلى قَبسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً   شَدِيداً عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالتِهَابُهَا

ولذلك بيَّنه بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وقرأ عاصم بالفتح، وحمزة بالضم؛ وكلها لغات. ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ أتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى. ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ متصل بالشاطئ، أو صلة لـ(نُودِيَ). ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من (شاطئ) بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة على الشاطئ. ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾؛ أي: يا موسى. ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا وإن خالف ما في (طه) (والنمل) لفظاً فهو طبقه في المقصود. ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾؛ أي: فألقاها فصارت ثعباناً واهتزت فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ. ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الهيئة والجثة، أو في السرعة. ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ منهزماً من الخوف. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ﴾ ولم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ نودي يا موسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ من المخاوف، فإنه ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

الفسق والخبث وقال كثير أيضاً.

[وأَلْقى على قَبَسٍ من النار جذوةً   شديداً عليه حَرُّها والتهابُها][(١)]

أشار بالبيت الأول: إلى أن الجذوة تكون بلا نار، وبالثاني: إلى أنها تكون بنار.

[ولذلك]؛ أي: ولكون الجذوة عوداً يشمل الأمرين.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٤/ ١٢].

۞ ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾.

---

(٣٢) ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ أدخلها. ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ عيب. ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ﴾ يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع؛ بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس، أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريراً لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة، ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية؛ استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. ﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ من أجل الرهب؛ أي: إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء، وقرئ: بضمهما، وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات. ﴿فَذَٰنِكَ﴾ إشارة إلى العصا واليد. وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس. ﴿بُرۡهَٰنَانِ﴾ حجتان و(برهان) فعلان لقولهم: (أبره الرجل) إذا جاء بالبرهان؛ من قولهم: (بره الرجل) إذا ابيض، ويقال: (برهاء وبرهرهة) للمرأة البيضاء، وقيل: (فعلال) لقولهم: (برهن). ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مرسلاً بهما. ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم.

[بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس] فيه جمع بين جعل الجناح هنا مضموماً وفي «طه» مضموماً إليه بأن يقال: المراد بأحد الجناحين اليد اليمنى وبالآخر اليد اليسرى، وكل منهما مضموم ومضموم إليه بإدخال كل منهما تحت عضد الأُخرَى [فيكون تكريراً لغرض آخر..] إلى آخره. عبارة «الكشاف»(١) لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما: خروج اليد بيضاء، وفي الثاني: إخفاء

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤١٣].

۞ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ بـهـا. ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معيناً وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء، وقرأ نافع: (رِداً) بالتخفيف. ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بتخليص الحق، وتقرير الحجة، وتزييف الشبهة. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ولساني لا يطاوعني عند المحاجة. وقيل: المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه؛ لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب، وقرأ عاصم وحمزة: (يُصَدِّقُنِي) بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف.

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به؛ فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور، ولذلك يعبر عنه باليد، وشدتها بشدة العضد. ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غلبة أو حجة. ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ﴾ باستيلاء أو حِجَاج. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اذهبا بآياتنا، أو بـ(نَجْعَلُ)؛ أي: نسلطكما بها، أو بمعنى (لا يصلون)؛ أي: تمتنعون منهم، أو قسم جوابه: (لا يصلون)، أو بيان للـ(الغالِبُونَ) في قوله: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه، أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى (الّذي).

الرَّهَب [**وقيل: المراد تصديق القوم**]؛ أي: والأصل يصدقوني [**بمعنى أنه**]؛ أي: بآياتنا [**صلة لما بينه**]؛ أي: الغالبون وهو محذوف تقديره: «تغلبون بآياتنا» [**أو صلة له**]؛ أي: للغالبون [**على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي**]؛ أي: أو بمعنى الذي واتسع في الظرف ما لا يتسع في غيره[1].

---

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/٢٥٨].

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّفۡتَرًى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّفۡتَرًى﴾ سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله، أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله، أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر. ﴿وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ يعنون السحر أو ادعاء النبوة. ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا﴾ كائناً في أيامهم. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ فيعلم أني محق وأنتم مبطلون. وقرأ ابن كثير: (قال) بغير واو لأنه قال ما قاله جواباً لمقالهم، ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما؛ فيميز صحيحهما من الفاسد. ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ العاقبة المحمودة؛ فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة؛ لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة، والمقصود منها بالذات هو الثواب، والعقاب إنما قصد بالعرض. وقرأ حمزة والكسائي: (يَكُونُ) بالياء. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال بقوله: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسماً في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أو أراد

[صرحاً]؛ أي: قصراً عالياً [أو أراد] عطف على (توهم).

۞ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

أن يبني له رصداً يترصد منه أوضاع الكواكب، فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة، وقيل: المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] فإن معناه: بما ليس فيهن، وهذا من خواص العلوم الفعلية؛ فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها، ولا كذلك العلوم الانفعالية، قيل: أول من اتخذ الآجُرّ فرعون، ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم؛ ولذلك نادى «هامان» باسمه بـ(يا) في وسط الكلام. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بغير استحقاق. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالنشور. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم. ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ كما مرَّ بيانه، وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم، ونظيره: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد. ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وحذر قومك عن مثلها.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ قدوة للضلال بالحمل على الإضلال، وقيل: بالتسمية كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، أو بمنع الألطاف الصارفة عنه. ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ إلى

[وقيل: المراد بنفي العلم نفي المعلوم]؛ أي: في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] [وهذا]؛ أي: ما ذكر من أن المراد بالعلم المعلوم [فيلزم من انتفائها انتفاؤها]؛ أي: من انتفاء العلوم الفعلية انتفاء المعلومات [مع ما فيه]؛ أي: ما في الأمر بما ذكر من [تعظيمه]؛ أي: تعظيم فرعون [في وسط الكلام]؛ أي: لا في أوله [وقيل: بالتسمية]؛ أي: تسميتهم أئمة [الصارفة عنه]؛ أي: عن

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

موجباتها من الكفر والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم. ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طرداً عن الرحمة، أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ من المطرودين، أو ممن قَبَّح وجوههم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أقوام نوح وهود وصالح ولوط. ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أنواراً لقلوبهم تتبصر بها الحقائق، وتميز بين الحق والباطل. ﴿وَهُدًى﴾ إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى. ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر، وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ يريد الوادي، أو الطور؛ فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى، أو الجانب الغربي منه، والخطاب لرسول الله ﷺ؛ أي: ما كنت حاضراً. ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ إذ قضينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه. ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ للوحي إليه أو على الوحي إليه، وهم السبعون المختارون الميقات، والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي؛ ولذلك استدرك عنه بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾؛ أي: ولكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى

الإضلال [وقد فسر]؛ أي: لعلهم [بالإرادة]؛ أي: إرادة أن يتذكروا.

۞ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فتطاولت عليهم المدد، فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم؛ فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً. ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ شعيب والمؤمنين به. ﴿تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ تقرأ عليهم تعلماً منهم. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ التي فيها قصتهم. ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إياك ومخبرين لك بها.

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ لعل المراد به وقت ما أعطائه التوراة وبالأول حين ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكن علمناك رحمة؛ وقرئت بالرفع على: (هذه رَحْمَةٌ من ربك). ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بالفعل المحذوف. ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى، وهي خمسمائة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل، على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ (لَوْلا) الأولى امتناعية، والثانية تحضيضية واقعة في سياقها؛ لأنها إنما أجيبت بالفاء تشبيهاً لها ....

[فحذف المستدرك]؛ أي: وهو «أوحيناه»[1] [وأقام سببه]؛ أي: وهو الإنشاء [وبالأول]؛ أي: بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ﴾ [القصص: ٤٤] [لأنهما]؛ أي: لولا الثانية [مما أجيبت بها الفاء]؛ أي: في قوله: «فنتبع» [تشبيهاً لها]؛ أي:

---

(١) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (أوجئناه).

۞ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ۝٤٨ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٩﴾.

بالأمر مفعول (يقولوا) المعطوف على (تصيبهم) بالفاء المعطية معنى السببيّة، المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به، وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة؛ والجواب محذوف، والمعنى: لولا قولهم ـ إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ـ: ربنا هَلَّا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها، ونكون من المصدقين ما أرسلناك! أي: إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم، وإلزاماً للحجة عليهم. ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾؛ يعني: الرسول المصدق بنوع من المعجزات. ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

۝٤٨ ـ ۝٤٩ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾؛ يعني: الرسول بنوع من المعجزات ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ﴾ من الكتاب جملة، واليد والعصا وغيرها اقتراحاً وتعنتاً. ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾؛ يعني: أبناء جنسهم في الرأي والمذهب؛ وهم كفرة زمان موسى، أو كان فرعون عربيّاً من أولاد عاد. ﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ﴾؛ يعني: موسى

لـ«لولا» الثانية[1] [بالأمر] «من قِبَل» إن الأمر باعث على الفعل والباعث والمخصص من وَادٍ وَاحد.

[مفعول «فيقولوا»] منصوب بواقعه [والجواب]؛ أي: جواب «لولا» الأولى [محذوف]؛ أي: وهو ما أرسلناك كما ذكره بعد [يعني: الرسول المصدق] تفسير للضمير أو للآيات بجعلها كناية عن الرسول المراد به الكتاب [بنوع من المعجزات]؛ أي: وهو الكتاب كما هو مصدق بسائر المعجزات [يعني: أبناء جنسهم] تفسير الضمير «تكفروا».

---

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/ ١٢٧].

۞ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وهارون، أو موسى ومحمّداً. ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين. وقرأ الكوفيون: (سحران) بتقدير مضاف، أو جعلهما سحرين مبالغة، أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز. وقرئ: (ظاهراً) على الإدغام. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: بكل منهما أو بكل الأنبياء. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ مما نزل على موسى، وعلى إضمارهما لدلالة المعنى، وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إنا ساحران مختلقان، وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت، ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به، ولأن فعل الاستجابة يعدى بنفسه إلى الدعاء، وباللام إلى الداعي، فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً كقوله:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النِّدَى! فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

[بإظهار تلك الخوارق] تفسير لما أوتي موسى [بتقدير مضاف] أو ذو سحر [أو جعلهما]؛ أي: موسى وهارون أو محمد(١).

[إما إسناد] بالجر عطف على ضمير «جعلهما»؛ أي: وجعل إسناد تظاهِرهُما [إلى فعلهما]؛ أي: فعل الرسولين وهو السحر والمعنى: تظاهر سحراهما [فإذا عدي إليه]؛ أي: إلى الداعي بنفسه [كقوله]؛ أي: قول كعب الغَنَويّ راثياً أخاه شبيباً:

[وداعٍ دَعَى يا مَنْ يجيبُ إلى النَّدَى فلم يستجِبْهُ عندَ ذاكَ مجيبُ]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير [٦/ ٢٤٢].

۞ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها. ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ استفهام بمعنى النفي. ﴿بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ في موضع الحال للتأكيد أو التقييد، فإن هوى النفس قد يوافق الحق. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى. ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل التذكير، أو في النظم لتقرر الدعوة بالحجة، والمواعظ بالمواعيد، والنصائح بالعبر. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون ويطيعون.

﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ نزلت في مؤمني أهل الكتاب، وقيل: في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاءوا مع جعفر من الحبشة، وثمانية من الشام. والضمير في: (مِنْ قَبْلِهِ) للقرآن كالمستكن في: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ أي: بأنه كلام الله تعالى. ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به. ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذٍ، وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة، وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن، أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة.

﴿٥٤﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ مرّة على إيمانهم بكتابهم، ومرّة على إيمانهم بالقرآن. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم وثباتهم على الإيمانين، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده، أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**». ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سبيل الخير.

﴿٥٥﴾ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ تكرماً. ﴿وَقَالُوا۟﴾ للاغين. ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم وتوديعاً، أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه. ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على أن تدخلهم في الإسلام. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فيدخله في الإسلام. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدّين لذلك. والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب؛ فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «**يا عم! قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أحاج لك بها عند الله**»، قال: يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق! ولكن أكره أن يقال: خدع عند الموت.

﴿٥٧﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ نخرج منها. نزلت

أي: وربَّ داعٍ دعى هل أحدٌ يمنح المستمنِحِين فلم يجبه أحد، والشاهد: في «يستجبه» حيث عداه إلى الداعي وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب دعاه [«**لقوله** عليه السلام: **اتبع السيئة الحسنة تمحها**..»] رواه الترمذي وحسنه[1] [**والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب**..] إلى آخره. رواه الشيخان[2] وقوله: «خَزَعَ» بخاء معجمة وزاي مكسورة؛ أي: ضعف، وروي بجيم وزاي؛ أي: خاف.

---

(١) سنن الترمذي [٤/ ٣٥٥/ برقم: ١٩٨٧].

(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٧٨٨/ برقم: ٤٤٩٤]، صحيح مسلم [١/ ٥٤/ برقم: ٢٤].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، أتى النبي عليه الصلاة والسّلام فقال: نحن نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب؛ وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا! فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ أو لم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه، يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه. ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يحمل إليه ويجمع فيه، وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء. ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كل أوب. ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جهلة لا يتفطنون له، ولا يتفكرون ليعلموه، وقيل: إنه متعلق بقوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم لا يعلمون! إذ لو علموا لما خافوا غيره، وانتصاب (رِزْقاً) على المصدر من معنى: (يُجْبى)، أو حال من: (الثَّمَراتُ) لتخصصها بالإضافة، ثم بيَّن أن الأمر بالعكس؛ فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله:

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾؛ أي: وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن، وخفض العيش؛ حتى أَشِروا فدمّر الله عليهم وخرّب ديارهم. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خاوية. ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ

[وإنما يحق أكلة رأس]؛ أي: جماعة قليلون يشبعهم رأس واحد والجملة اعتراض [من كل أوب]؛ أي: ناحية [وقيل أنه متعلق بقوله: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾]؛ أي: قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له [إذ لو علموا لما خافوا غيره] تعليل لعدم علم أكثرهم لا لما قبله [من معنى تجيء]

۞ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

بَعْدِهِمْ﴾ من: (السكنى) إذ لا يسكنها إلا المارة؛ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم. أو لا يبقى من يسكنها ﴿إِلَّا قَلِيلًاۖ﴾ من شؤم معاصيهم. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ منهم؛ إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم. وانتصاب (مَعِيشَتَها) بنزع الخافض، أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك: زيد ظني مقيم. أو بإضمار زمان مضاف إليها، أو مفعولاً على تضمين (بطرت) معنى: (كفرت). ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ وما كانت عادته. ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ في أصلها التي هي أعمالها؛ لأن أهلها تكون أفطن وأنبل. ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ﴾ لإلزام الحجة وقطع المعذرة. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل والعتو في الكفر.

﴿٦٠﴾ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ من أسباب الدنيا. ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ تمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابه. ﴿خَيْرٌ﴾ في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة. ﴿وَأَبْقَىٰٓۚ﴾ لأنه أبدي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقرأ أبو عمرو بالياء؛ وهو أبلغ في الموعظة.

﴿٦١﴾ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن

إذ معناه: يرزق كما أفصح «الكشاف»[(١)] [كقولك: زيد ظني مقيم]؛ أي: في ظني [أو بإضمار زمان مضاف إليه] الأوْلَى «إليها»؛ أي: إلى «معيشتها»؛ أي: أيام معيشتها [التي هي]؛ أي: القرى [أعمالها]؛ أي: أعمال أم القرى هذا، والأَوْلَى الذي هو عملها، والمراد بالأصل الأكثر والأعظم [وقُرئ بالياء] قرأ به أبو عمرو [وهو أبلغ في الموعظة] لاشتماله على الالتفات للإعراض به عن خطابهم.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٢٧].

۞ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

الموعود. ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ مدركه لا محالة؛ لامتناع الخلف في وعده، ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية. ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع. ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب أو العذاب، و(ثُمَّ) للتراخي في الزمان أو الرتبة، وقرأ نافع وابن عامر في رواية والكسائي: (ثُمَّ هُوَ) بسكون الهاء تشبيهاً للمنفصل بالمتصل، وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها؛ ولذلك رتبت عليها بالفاء.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ عطف على (يوم القيامة) أو منصوب بـ(اذكر). ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: الذين كنتم تزعمونهم شركائي؛ فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وغيره من آيات الوعيد. ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾؛ أي: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ﴾ أغويناهم؛ فحذف الراجع إلى الموصول. ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾؛ أي: أَغْوَيْناهُمْ فغووا غياً مثل ما غوينا، وهو استئناف

[وقرأ نافع في رواية]؛ أي: رواية قالون [والكسائي]؛ أي: وأبو جعفر(١).

[تشبيهاً للمنفصل بالمتصل]؛ أي: في نحو لهو وهو [بثبوت مقتضاه وحصول مواده] عبارة «الكشاف»(٢) ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ إلى آخره..

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٦١٠].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٣٠].

۞ ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

للدلالة على أنهم غووا باختيارهم، وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلاً. ويجوز أن يكون (الَّذِينَ) صفة (وأَغْوَيْناهُمْ) الخبر لأجل ما اتصل به فإفادة زيادة على الصفة؛ وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم. ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾ منهم، ومما اختاروه من الكفر هوى منهم، وهو تقرير للجملة المتقدمة؛ ولذلك خلت عن العاطف وكذا. ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: ما كانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم. وقيل: (مَا) مصدرية متصلة بـ(تبَرَّأْنا)؛ أي: تبرأنا من عبادتهم إيانا.

﴿٦٤﴾ ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ﴾ من فرط الحيرة. ﴿فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنصرة. ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ لازماً بهم. ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾ لوجه من الحيل يدفعون به العذاب، أو إلى الحق لما رأوا العذاب وقيل: (لَوْ) للتمني؛ أي: تمنوا أنهم كانوا مهتدين.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٦﴾ ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به ثم عن تكذيبهم الأنبياء. ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ﴾ فصارت الأنباء كالعمي عليهم لا تهتدي إليهم، وأصله: فعموا عن الأنباء؛ لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يقبض ويرد عليه من خارج؛ فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره. والمراد بـ(الأنباء) ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وغيرها؛

[فأفاده] ضمير الفاعل ما اتصل وضمير المفعول الخبر [وهو]؛ أي: ما اتصل به [من اللوازم]؛ أي: العمد لكونه جزءاً من الخبر [والمراد بالإنباء: ما أجابوا به الرسل] بنصب «الرسل»؛ أي: ما أجاب به وجمع به الأمم الرسل [أو ما يعمها]؛

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

فإذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول، ويفوضون إلى علم الله تعالى، فما ظنكم بالضُّلّال من أممهم! وتعدية الفعل بـ(على) لتضمنه معنى الخفاء. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة والعلم بأنه مثله في المعجز.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك. ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾. وجمع بين الإيمان والعمل الصالح. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ عند الله؛ و(عسى) تحقيق على عادة الكرام، أو ترجٍّ من التائب بمعنى: فليتوقع أن يفلح. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا موجب عليه ولا مانع له. ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي: التخير كالطيرة بمعنى التطير. وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً، والأمر كذلك عند التحقيق، فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها. وقيل: المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه؛ ولذلك خلا عن العاطف، ويؤيده ما روي: أنه نزل في قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. وقيل: (مَا) موصولة مفعول لـ(يَخْتارُ) والراجع إليه محذوف،

أي: يعم ما أجابوا به الرسل، وجمع الضمير نظراً لمعنى ما لوقوعها على الإنباء.

[وإذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب][(١)]؛ أي: وهو قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] [أو العلم بأنه مثله]؛ أي: أو لِعِلْم السائل بأن المسؤول مثله في العجز عن الجواب [ويؤيده ما روي أنه ترك في قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣١]] قال الكسائي: يعني: لا يبعث الله

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٠/١٠٢].

۞ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾.

والمعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة؛ أي: الخير والصلاح. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيه له أن ينازعه أحد، أو يزاحم اختياره اختيار. ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به.

﴿٦٩﴾ ـ ﴿٧٠﴾ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ كعداوة الرسول وحقده. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ كالطعن فيه. ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المستحق للعبادة. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا أحد يستحقها إلا هو. ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها، يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده. ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

﴿٧١﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً من: (السرد) وهو المتابعة؛ والميم مزيدة كـ(مِيْم دُلامِص). ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض، أو تحريكها حول الأفق الغائر. ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ كان حقه هل إله فذكر بـ(مَنْ) على زعمهم أن غيره آلهة.

الرسل باختيار المرسل إليهم، [كميم دُلامِص][(١)] هو درع براق من الدلاص[(٢)]، يقال: درع دلاص وأدرع دلاص، الواحد والجمع على لفظ واحد قاله الجوهري[(٣)].

---

(١) الخصائص، ابن جني [٢/ ٥١].

(٢) **الدلاص**: اللينة الملساء. العين، الفراهيدي [١٣/ ١٨٣].

(٣) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٨٥].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ
إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

وعن ابن كثير: (بضئاء) بهمزتين. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واستبصار.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بإسكانها في وسط السماء، أو تحريكها على مدار فوق الأفق. ﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استراحة عن متاعب الأشغال، ولعله لم يصف الضياء بما يقابله؛ لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل، ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله؛ ولذلك قرن به: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وبالليل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١]؛ لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر. ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بأنواع المكاسب. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها.

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تقريع بعد تقريع؛ للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، أو الأول: لتقرير فساد رأيهم، والثاني: لبيان أنه لم يكن عن سند؛ وإنما كان محض تشتهي وهوى. ﴿وَنَزَعْنَا﴾ وأخرجنا. ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾

[**وعن ابن كثير**]؛ أي: من رواية قنبل، وهي مشهورة.

[**ولعله لم يصف «الضياء» بما يقابله**]؛ أي: الضياء؛ أي: بما يناسبه بأن يقال: «بضياء يتصرفون فيه» كما في وصف الليل بما يقابله في قوله: «بليل تسكنون

۞ ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه. ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم. ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على صحة ما كنتم تدينون به. ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذ. ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الإلٰهية لا يشاركه فيها أحد. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل.

﴿٧٦﴾ - ﴿٧٧﴾ ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان ابن عمه «يصهر بن قاهث بن لاوي» وكان ممن آمن به. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فطلب الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت أمره، أو تكبر عليهم أو ظلمهم. قيل: وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل، أو حسدهم لحالته لما روي: أنه قال لموسى: لك الرسالة، ولهارون الحبورة، وأنا في غير شيء! إلى متى أصبر؟ قال موسى: هذا صنع الله! ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ من الأموال المدخرة. ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ مفاتيح صناديقه؛ جمع: (مِفتح) بالكسر وهو ما يفتح به، وقيل: خزائنه؛ وقياس واحدها المِفتح. ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ خبر (إنَّ) والجملة صلة (ما) وهو ثاني مفعولي (آتى). و(ناء به الحمل) إذا أثقله حتى

فيه» [كان ابن عمه يصهر..] إلى آخره. حكاه «الكشاف»[1] قيل: مع زيادة، وقيل: كان إسرائيلياً ابن عم لموسى هو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث، وقيل: كان موسى ابن أخيه.

[الحبورة] بالضم الإمامة [وقياس واحدها المَفتح] بالفتح.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٣٤].

أماله. و(العصبة والعصابة): الجماعة الكثيرة، واعصوصبوا اجتمعوا. وقرئ: (لينوء) بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه. ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ منصوب بـ(تنوء). ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر، والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً؛ لأنه نتيجة حبها والرضى بها، والذهول عن ذهابها؛ فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب التَّرَح كما قال:

أَشَـدُّ الـغَـمِّ عِـنْـدِي فِـي سُـرُورٍ   تَـيَـقَّـنَ عَـنْـهُ صَـاحِـبُـهُ انـتِـقَـالَا

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً من محبة الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾؛ أي: بزخارف الدنيا. ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى. ﴿ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك؛ فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها. ﴿وَلَا تَنسَ﴾ ولا تترك ترك المنسي. ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك، وتأخذ منها ما يكفيك. ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله. ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم الله عليك. وقيل: أَحْسِنْ بالشكر والطاعة كما أَحْسَنَ إليك بالإنعام. ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأمر يكون علة للظلم والبغي. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لسوء أفعالهم.

[على إعطاء المضاف] وهو المفاتح [حكم المضاف إليه]؛ أي: ما أضيف إليه وهو الضمير كنظيره في قولك ذهبت أهل اليمامة، وتفسير «الكشاف»[(١)] المفاتح هنا بالخزائن فيه تعسف [فإن العلم] الأول الموافق للكشاف العالم [يوجب الترح]؛ أي: الحزن [كما قال:

أشـد الـغـم عـنـدي فـي سـرور   تَـيَـقَّـنَ عـنـه صـاحـبـه انـتـقـالا][(٢)]

أي: السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم؛ لأنه يراعي وقت زواله فينتفض كلما ذكر زواله.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٣٤].

(٢) البيت للمتنبي. شرح ديوان المتنبي، الواحدي [ص١١١].

۞ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ﴾ فُضِّلْتُ به على الناس، واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال، و(عَلى عِلْمٍ) في موضع الحال؛ وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها، وقيل: هو الكيمياء. وقيل: علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب. وقيل: العلم بكنوز يوسف. و(عِنْدِي) صفة له، أو متعلق بـ(أُوتِيتُهُ) كقولك: (جاز هذا عندي)؛ أي: في ظني واعتقادي. ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ﴾ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله، مع علمه بذلك؛ لأنه قرأه في التوراة، وسمعه من حفاظ التواريخ. أو رد لادعائه للعلم، وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه؛ أي: أعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعى، ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين. ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال استعلام؛ فإنه تعالى مطلع عليها أو معاتبة؛ فإنهم يعذبون بها بغتة، كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى؛ أكد ذلك بأن بيّنَ أنه لم يكن مما يخصهم؛ بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿٨٠﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦۖ﴾ كما قيل: إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان، وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه.

[أو في ظني] في نسخة: أي: «في ظني» وهي أحسن [مع علمه بذلك]؛ أي: بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه [أورد] عطف على تعجب وتوبيخ [بأنْ بَيّنَ أنّه] تعالى [لم يكن] مطلعاً على [ما يخصهم] فقط [عليه الأرجوان] هو

۞ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على ما هو عادة الناس من الرغبة. ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ تمنوا مثله لا عينه حذراً عن الحسد. ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الدنيا. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة للمتمنين. ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك، استعمل للزجر عما لا يرتضى. ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة. ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون؛ بل من الدنيا وما فيها. ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للـ(الثوابُ)، فإنه بمعنى المثوبة، أو الجنة، أو للإيمان والعمل الصالح؛ فإنهما في معنى السيرة والطريقة. ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعن المعاصي.

﴿٨١﴾ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ روي: أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة، فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره، فعمد إلى أن يفضح موسى بين بني إسرائيل ليرفضوه، فبرطل بَغِيَّةً لترميه بنفسها، فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه! ومن زنى غير محصن جلدناه، ومن زنى محصناً رجمناه! فقال قارون: ولو كنتَ! قال: ولو كنتُ! قال: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فاسْتُحْضِرَت، فناشدها موسى بالله أن تصدق

القطيفة الحمراء [للكلمة التي تكلم بها العلماء] هي قولهم: ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [القصص: ٨٠].. إلى آخره.

[«روي: أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه..»] رواه بمعناه الحاكم[١].

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/ ٤٤٣/ برقم: ٣٥٣٦].

۞ ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فَخَرَّ موسى شاكياً منه إلى ربه؛ فأوحى الله إليه أن مُرِ الأرض بما شئت! فقال: يا أرض خذيهِ فأخذته إلى ركبتيه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه فخسفت به، وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه! فأوحى الله إليه ما أفظَّك! استرحمك مراراً فلم ترحمه! وعزتي وجلالي لو دعاني مرّة لأجبتُه! ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه، فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله. ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ أعوان؛ مشتقة من: (فأوت رأسه) إذا ميلته. ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيدفعون عنه عذابه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه؛ من قولهم: (نصره من عدوه فانتصر) إذا منعه منه فامتنع.

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾ منزلته. ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ منذ زمان قريب. ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط، ولا لهوان يوجب القبض. و(وَيْكَأَنَّ) عند البصريين مركب من: (وي) للتعجب (وكأن) للتشبيه؛ والمعنى: ما أشبه الأمر أَنَّ الله يَبْسُطُ. وقيل: من (ويك) بمعنى: (ويلك) و(أن) تقديره: ويك اعلم أن الله. ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا. ﴿لَخَسَفَ بِنَا ۖ﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لأجله. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين. ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لنعمة الله، أو

[الممتنعين منه]؛ أي: من عذاب الله أو من موسى.

۞ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

المكذبون برسله وبما وعدوا لهم ثواب الآخرة. ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ إشارة تعظيم كأنه قال: تلك الّتي سمعت خبرها، وبلغك وصفها. و(الدَّارُ) صفة، والخبر: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غلبة وقهرا. ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون. ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ما لا يرضاه الله.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ذاتاً وقدراً ووصفاً. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم. ﴿إِلَّا﴾؛ أي: إلا مثل ما كانوا يعملون؛ فحذف المثل، وأقيم: (ما كانُوا يَعْمَلُونَ) مقامة مبالغة في المماثلة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته، وتبليغه، والعمل بما فيه. ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ أي: معاد؛ وهو المقام المحمود الّذي وعدك أن يبعثك فيه، أو مكة الّتي اعتدت بها؛ على أنه من العادة، ردَّهُ إليها يوم الفتح؛ كأنه لما حكم بأن (الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين. روي: أنه لما بلغ جحفة في مُهَاجَرِه اشتاق إلى مولده ومولد آبائه، فنزلت. ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر، و(مَنْ) منتصب بفعل يفسره أعلم. ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وما استحقه من العذاب والإذلال؛ يعني به: نفسه والمشركين، وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله:

[ما لا يرضاه الله] مفعول للمتقين [**تهجينا لحالهم**]؛ أي: تقبيحاً لها [ومن منتصب بفعل يفسره أعلم]؛ أي: لا بأعلم إلا أن جعل بمعنى عالم.

۞ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿٨٧﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: سيردك إلى معادك؛ كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكن ألقاه رحمة منه، ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى كأنه قال: وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بمداراتهم، والتحمل عنهم، والإجابة إلى طلبتهم. ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عن قراءتها والعمل بها. ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ وقرئ: يَصُدُّنَّكَ؛ من: (أصدّ). ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادته وتوحيده. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بمساعدتهم.

﴿٨٨﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ هذا وما قبله للتهييج، وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لَهُمْ. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا ذاته؛ فإن ما عداه ممكن هالك، في حدِّ ذاته معدوم. ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في الخلق. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء بالحق.

عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ (طسم القصص) كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب، ولم يبق ملك في السمٰوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه صادقاً**».

[ولكن ألقاه رحمة منه] بيَّن به إلا أنَّ الاستثناء منقطع وبقوله: [ويجوز أن يكون] إلخ أنه متصل. [من قرأ طسم القصص..] إلى آخره. موضوع(١).

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٣٦].

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

(٢٩) مكية، وآيها تسع وستون آية

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ﴿الٓمٓ﴾ سبق القول فيه، ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه، أو بما يضمر معه. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها؛ ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما كقوله: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ فإن معناه: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم: آمَنَّا! فـ(الترك) أول مفعوليه، و(غير مفتونين) من تمامه، ولقولهم: (آمَنَّا) هو الثاني كقولك: (حسبت ضربه للتأديب)، أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم: (آمَنَّا) بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف؛ كالمهاجرة والمجاهدة، ورفض الشهوات، ووظائف الطاعات، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال؛ ليتميز المخلص من المنافق، والثابت في الدين من المضطرب فيه، ولينالوا بالصبر عليها

قوله: **[دليل استقلاله بنفسه]**؛ أي: ﴿الٓمٓ﴾ [العنكبوت: ١] **[بنفسه أو بما يضمر معه]** المراد باستقلاله بنفسه كونه اسماً للسورة، أو للقرآن، أو لله تعالى، أو أنه سرّاً استأثر الله بعلمه وباستقلاله بما يضمر معه تقدير مبتدأ، أو خبر، أو غيره مما مرّ أول الكتاب **[ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين]** على ما ذكره هنا **[أو ما يسد مسدهما]** كما يأتي في قوله: ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤] بعد «حَسِبَ» على أن ما ذكره هنا في قوله **[فإن معناه..]** إلى آخره[١]. من أنَّ «حَسِبَ» في الآية مما تعدت إلى

(١) انظر: اللباب، ابن عادل [١٥/٣٠٨].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾.

عوالي الدرجات؛ فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب. روي: أنها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين. وقيل: في عمار وقد عذب في الله تعالى، وقيل: في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله! فجزع عليه أبواه وامرأته.

﴿٣﴾ - ﴿٤﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ متصل بـ(أَحَسِبَ) أو بـ(لَا يُفْتَنُونَ)، والمعنى: أن ذلك سُنَّة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان، والذين كذبوا فيه، وينوط به ثوابهم وعقابهم لذلك. وقيل: المعنى: وليميزن أو ليجازين، وقرئ: (وَلَيُعْلِمَنَّ) من الإعلام؛ أي: وليعرفنهم الناس أو لَيَسِمَنَّهُمْ بِسِمَةٍ يَعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

مفعولين نظر فيه بأنه يؤدي إلى أنهم تركوا غير مفتونين، وإنما الكلام في العلة وليس كذلك لما ذكر من أن معنى الآية: أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركون غير ممتحنين بل يمتحنون لتمييز الراسخ في الدين من غيره، فالوجه أن يجعل «أن يتركوا» سادّاً مسد مفعولي «حسب» كما يأتي في «أن يسبقونا» بعد «حسب» وأن تقولوا علة للحسبان؛ أي: أحسبوا لقولهم آمناً أن يتركوا غير مفتونين [أو أنفسهم] عطف على «تركهم».

[وقيل: في عمار]؛ أي: ابن ياسر [وقيل: في مهجِع][1] بكسر الميم؛ أي: ابن عبد الله وهو أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٣/ ٣٢٤].

۞ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الكفر والمعاصي؛ فإن العمل يعم أفعال القلوب والجوارح. ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم، وهو ساد مسد مفعولي (حَسِبَ) لاشتماله على مسند ومسند إليه ويجوز أن يضمن (حسب) معنى قدر أو (أم) منقطعة والإضراب فيها؛ لأن هذا الحسبان أبطل من الأول ولهذا عقبه بقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ أي: بئس الذي يحكمونه، أو حكماً يحكمونه حكمهم هذا؛ فحذف المخصوص بالذم.

۝٥ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ في الجنة، وقيل: المراد بلقاء الله الوصول إلى ثوابه، أو إلى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء؛ على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد، وقد اطلع السيد على أحواله؛ فأما أن يلقاه ببِشْرٍ لما رضي من أفعاله، أو بسُخط لما سخط منها. ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فإن الوقت المضروب للقائه. ﴿لَأٓتٍۚ﴾ لجاءٍ؛ وإذا كان وقت اللقاء آتياً كان اللقاء كائناً لا محالة، فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه، أو ما يستوجب به القربة والرضى. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعقائدهم وأفعالهم.

۝٦ - ۝٧ ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات. ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ﴾؛ لأن منفعته لها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ

[لأن هذا الحسبان أَبْطَلُ من الأول]؛ أي: لأن صاحب ذاك يقدر أنه لا يمتحن لإيمانه وصاحب هذا يظن أنه لا يجازى بمساوئه [على مضض الطاعة]؛ أي: على الوجع الحاصل بها قال الجوهري: المضض وجع المصيبة والمراد هنا المشقة(١)

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ٢٨٥].

۞ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى طاعتهم، وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أحسن جزاء أعمالهم. و(الجزاء الحسن): أن يجازى بحسنة حسنة، و(أحسن الجزاء): هو أن يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة.

۝٨ ـ ۝٩ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ﴾ بإيتائهما فعلاً ذا حسن، أو كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه، و(وصى) يجري مجرى (أمر) معنى وتصرفاً، وقيل: هو بمعنى (قال)؛ أي: وقلنا له: أحسن بوالديك حُسْناً، وقيل: (حُسْناً) منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية؛ أي: قلنا أَوْلِهِمَا، أو افعل بهما حُسْناً، وهو أوفق لما بعده، وعليه يحسن الوقف على (بِوالِدَيْهِ)، وقرئ: (حَسْناً) و(إحساناً). ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بإلٰهيته؛ عبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآۚ﴾ في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر قبل. ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك، ومن برَّ بوالديه ومن عَقّ. ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. بالجزاء عليه، والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حَمنة؛ فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أنها لا تنتقل من الضحّ، ولا تطعم ولا تشرب؛ حتى يرتد! ولبثت ثلاثة أيام كذلك،

[من الضِحّ] بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة؛ أي: الشمس. [ولبثت ثلاثة أيام كذلك] أو لا تنتقل من الضِّح ولا تطعم ولا تشرب فلم يطعمها سعد بل قال: والله

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وكذا التي في: (لقمان) و(الأحقاف). ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في جملتهم، والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى أنبياء الله المرسلين، أو في مدخلهم وهو الجنة.

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ بأن عذبهم الكفرة على الإيمان. ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ ما يصيبه من أذيتهم في الصرف عن الإيمان. ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الصرف عن الكفر. ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ فتح وغنيمة. ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ في الدين فأشركونا فيه، والمراد المنافقون، أو قوم ضعف إيمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الأول. ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق. ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم. ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين.

﴿١٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ الَّذي نسلكه في ديننا. ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ إن كان ذلك خطيئة، أو إن كان بعث ومؤاخذة، وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع؛ مبالغة في تعليق

لو كان لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كَفَرْتُ بمحمد ﷺ(١).

[وكذا التي في «لقمان» و«الأحقاف»] نزلت في سعد أيضاً.

[وفي مدخلهم] عطفاً على في «جملتهم».

---

(١) الأمالي، الشجري [٢/ ١١١].

۞ ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

الحمل بالاتباع، والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت تشجيعاً لهم عليه، وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ من الأولى: للتبيين والثانية: مزيدة والتقدير: وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم.

﴿١٣﴾ ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أثقال ما اقترفته أنفسهم. ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ وأثقالاً أُخَر معها لما تسببوا له بالإضلال والحمل على المعاصي؛ من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء. ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ سؤال تقريع وتبكيت. ﴿عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من الأباطيل التي أضلوا بها.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ بعد المبعث، إذ روي: أنه بعث على رأس الأربعين، ودعا قوماً تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستين. ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد؛ فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه، ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع، فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما يكابده من الكفرة، واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ طوفان الماء؛ وهو لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما. ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر. ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾؛ أي: نوحاً. ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ ومن أركب معه من أولاده

[والموعد] في نسخة: «والوعد» تشجيعاً؛ أي: للمؤمنين [عليه]؛ أي: على «الاتباع» [واختلاف المميزين] بكسر الياء وهما سنة وعاماً.

۞ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾.

وأتباعه، وكانوا ثمانين. وقيل: ثمانية وسبعين، وقيل: عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث. ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾؛ أي: السفينة أو الحادثة. ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يتعظون ويستدلون بها.

(١٦) - (١٧) ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على (نُوحاً) أو نصب بإضمار (اذكر)، وقرئ بالرفع على تقدير: ومن المرسلين إبراهيم. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ظرف لأرسلنا؛ أي: أرسلناه حين كمل عقله، وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به. أو بدل منه بدل اشتمال إن قدّر بـ(اذكر). ﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما أنتم عليه. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر، وتميزون ما هو خير مما هو شر، أو كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله، أو تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور وباطل، وقرئ: (تَخَلَّقُونَ) من: (خلق) للتكثير و(تُخَلِّقُونَ) من: (تخلق) للتكلف، و(إِفْكاً) على أنه مصدر كالكذب، أو نعت بمعنى: خلقاً ذا إفك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل، و(رِزْقاً) يحتمل المصدر بمعنى: لا يستطيعون أن يرزقوكم، وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم. ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فإنه المالك له.

[وأَفِكاً] بفتح الهمزة وكسر الفاء بلا مدّ[1].

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٤/ ٤٥].

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ متوسلين إلى مطالبكم بعبادته، مقيدين لما حفكم من النعم بشكره، أو مستعدين للقائه بهما، فإنه: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقرئ بفتح التاء.

﴿١٨﴾ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ وإن تكذبوني. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم؛ وإنما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم. ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الذي يزال معه الشك، وما عليه أن يصدق ولا يكذب. فالآية وما بعدها من جملة قصة إِبْراهِيمَ إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ٥٦] ويحتمل أن تكون اعتراضاً بذكر شأن النبي ﷺ وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم، توسط بين طرفي قصته من حيث إن مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسّلام والتنفيس عنه، بأن أباه خليل الله كان ممنوّاً بنحو ما مُنِيَ به من شرك القوم، وتكذيبهم، وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم في قومه.

﴿١٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ من مادة ومن غيرها. وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ: (يبدأ). ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على (أَوَلَمْ يَرَوْا) لا على (يُبْدِئُ)، فإن الرؤية غير واقعة عليه، ويجوز أن تؤول الإعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما. وتعطف

[متوسلين] وفي نسخة: «متوصلين» [وهو بفتح الياء]؛ أي: وكسر الجيم [طرفي قصته]؛ أي: قصة إبراهيم [مَمْنُوّاً]؛ أي: مُبْتَلىً [ما مُنِيَ] بتخفيف النون؛

۞ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

على (يُبْدِئُ). ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى الإعادة أو إلى ما ذكر من الأمرين. ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم أو محمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على اختلاف الأجناس والأحوال. ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد النشأة الأولى الّتي هي الإبداء؛ فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلاً اختراع وإخراج من العدم، والإفصاح باسم الله مع إيقاعه مبتدأ بعد إضماره في (بدأ) والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الإعادة، وأن من عرف بالقدرة على الإبداء ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الإعادة؛ لأنها أهون والكلام في العطف ما مرَّ، وقرئ: (النشاءَة) كالرآفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء، فيقدر على النشأة الأُخْرَى كما قدر على النشأة الأولى. ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه. ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ رحمته. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون.

أي: ابْتُلِيَ [من الأمرين] هما الإبداء والإعادة [والقياس الاقتصار عليه]؛ أي: على اسم الله في «بدا» بأنْ يقال: «بدا الله».

[للدلالة على أن المقصود..] إلى آخره. خبر الإفصاح وقوله: «والقياس والاقتصار عليه» اعتراض في محل الحال [والكلام في العطف ما مرّ]؛ أي: في «ثُمَّ يعيده» فيكون معطوفاً على «انظروا» لا على «بدا» [وقُرِئ (النَّشْأة) كالرأفة] قرأ به غير ابن كثير وأبي عمرو. وفي نسخة: «بدل»، وقُرِئ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهو

۞ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض، أو الهبوط في مهاويها، والتحصن فِي السَّماءِ، أو القلاع الذاهبة فيها وقيل: ولا من في السماء كقول حسان:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّه مِنْكُم وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرهُ سَوَاء

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض، أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائل وحدانيته أو بكتبه ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ بالبعث. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾؛ أي: ييأسون منها يوم القيامة، فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة، أو أيسوا في الدنيا لإنكار البعث والجزاء. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ بكفرهم.

﴿٢٤﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ قوم إبراهيم له. وقرئ: بالرفع على أنه الاسم والخبر. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ وكان ذلك قول بعضهم؛ لكن لمَّا قيلَ فيهم ورضيَ به الباقون أسند إلى كلهم. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾؛ أي: فقذفوه في النار فأنجاه الله منها؛ بأن جعلها عليه برداً

خطأ[1] [وقيل: ولا مَنْ في السماء] بجعل «مِنْ» معطوفة على «أنتم».

[أَمَنْ يهجوا رسولَ اللَّه منكم ويمدحُهُ وينصرُهُ سواء][2]

---

(١) انظر: السبعة في القراءات، البغدادي [ص٤٩٨].

(٢) شرح الكافية، ابن مالك [١/ ٣١٣].

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

وسلاماً. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ في إنجائه منها. ﴿لَآيَٰتٍ﴾ هي حفظه من أذى النار وإخمادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء روض مكانها. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها. وثاني مفعولي (اتَّخَذْتُمْ) محذوف. ويجوز أن تكون (مودة) المفعول الثاني بتقدير مضاف؛ أي: اتخذتم أوثاناً سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة؛ أي: اتخذتم أوثاناً سبب المودة بينكم. وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونةً ناصبةً (بَيْنَكُم) والوجه ما سبق. وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي مودودة، أو سبب مودة بينكم. والجملة صفة (أَوْثاناً) أو خبر (إن) على أن (مَا) مصدرية أو موصولة، والعائد محذوف وهو المفعول الأول، وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح (بَيْنِكُمْ) كما قرئ: (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) وقرئ: (إنما مودة بينكم). ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾؛ أي: يقوم التناكر والتلاعن بينكم، أو بينكم وبين الأوثان؛ على تغليب المخاطبين كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يخلصونكم منها.

أي: ومن يمدحه [وثاني مفعول ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ محذوف] تقديره آلهة وهذا أن جعلت ما كافة أو مصدرية فإن جعلت موصولة فالمحذوف المفعول الأول كما يعلم من كلامه بعد والتقدير أن الذي اتخذتموه أوثاناً [بتقدير مضاف]؛ أي: ذات مودة [أو بتأويلها بالمودودة]؛ أي: أو يجعل الأوثان مودة مبالغة [والوجه ما سبق] ممنوع بل لهذه القراءة وجه أيضاً كما لا يخفى.

۞ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ هو ابن أخته، وأول من آمن به، وقيل: إنه آمن به حين رأى النار لم تحرقه. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي. ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ إلى حيث أمرني. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي يمنعني من أعدائي. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي. روي: أنه هاجر من «كوثى» من سواد الكوفة مع لوط وامرأته «سارة» ابنة عمه إلى حَرَّان، ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط «سدوم». ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ ولداً ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل. ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكثر منهم الأنبياء. ﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ﴾ على هجرته إلينا. ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم، وانتماء أهل الملل إليه، والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر. ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح.

﴿٢٨﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ عطف على (إبراهيم) أو على ما عطف عليه. ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة البالغة في القبح. وقرأ الحَرَمِيّان

[**وقال**]؛ أي: إبراهيم [**ولذلك**] وليأسه عن الولادة من عجوز عاقر.

[**لم يذكر إسماعيل**] لعدم يأسه منه؛ أي: أو لدخوله في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ مع شهرة أمره وعلو قدره عليه اقتصر «الكشاف»[1] [**أو على ما عطف عليه**] هو نوح في قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٥٥].

۞ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)﴾.

وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام، وأجمعوا على الاستفهام في الثاني. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع، وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم.

(٢٩) - (٣٠) ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال، أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ في مجالسكم الغاصة بأهلها، ولا يقال للنادي إلا لما فيه أهله. ﴿الْمُنكَرَ﴾ كالجماع والضراط وحلِّ الإزار! وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها! وقيل: الخذف ورمي البنادق. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في استقباح ذلك، أو في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ. ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإنزال العذاب. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بابتداع الفاحشة وسنِّها فيمن بعدهم. وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب، وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

[على الاستفهام الثانية]؛ أي: في الآية الثانية وفي نسخة في الثاني؛ أي: في اللفظ **[لفحاشتها]** وفي نسخة لفاحشتها **[أو تقطعون]** عطف على يعترضون **[في مجالسكم الغاصة]**؛ أي: الممتلئة لهم يقال: منزل غاص بالقوم؛ أي: ممتلئ بهم قاله الجوهري[(١)] **[وقيل: الحذف]** هو رمي الحصى بالأصابع **[وفي دعوى النبوة]** في

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٩٢].

۞ ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ (٣٢) وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ (٣٣)﴾.

---

(٣١) ـ (٣٢) ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالبشارة بالولد والنافلة. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ قرية «سدوم» والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال. ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ تعليل لإهلاكهم لهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾ اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم، أو معارضة للموجب بالمانع؛ وهو كون النبي بين أظهرهم. ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به، وأنهم ما كانوا غافلين عنه، وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله، أو تأقيت الإهلاك بإخراجهم منها، وفيه تأخير البيان عن الخطاب. ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب أو القرية.

(٣٣) ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء، و(أنْ) صلة لتأكيد الفعلين

نسخة: دعوة النبوة [لإهلاكهم]؛ أي: الرسل؛ أي: لأهل القرية [اعتراض عليهم]؛ أي: على الرسل [أو معارضة للموجب] وهو كفر أهل القرية.

[أو توقيت الإهلال] عطف على «تخصيص الأهل» ويفارق المعطوف عليه بأن الإهلاك فيه مقيد بالإخراج بخلافه في المعطوف عليه [الباقين في العذاب](١)، على القول بالتخصيص [أو القرية] على القول بالتوقيت [لتأكيد الفعلين]؛ أي: المجيء

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٥/ ٥٤].

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

واتصالهما. ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه؛ أي: طاقته كقولهم: ضاقت يده وبإزائه رحب ذرعه بكذا؛ إذا كان مطيقاً له، وذلك لأن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع. ﴿وَقَالُوا۟﴾ لما رأوا فيه أثر الضجرة. ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ على تمكنهم منا. ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: (لَنُنْجِيَنَّهُ) و(مُنْجُوكَ) بالتخفيف، ووافقهم أبو بكر وابن كثير في الثاني، وموضع (الكاف) الجر على المختار، ونصب (أَهْلَكَ) بإضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الأصل.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذاباً منها سمي بذلك؛ لأنه يقلق المعذب من قولهم: (ارتجز) إذا ارتجس؛ أي: اضطرب، وقرأ ابن عامر: (مُنَزِّلُونَ) بالتشديد. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ هي حكايتها الشائعة أو آثار الديار الخربة، وقيل: الحجارة الممطرة؛ فإنها كانت باقية بعد وقيل: بقية أنهارها المسودة. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار، وهو متعلق: بـ(تركْنا) أو (آيَةً).

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟

والمسماة [كقولهم: ضاقت يده]؛ أي: بكذا إذا لم يكن مطيقاً له [وبإزائه]؛ أي: وكقولهم في مقابل ضاق ذرعه بكذا: [رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً له] فالأول: مثلٌ في العجز والثاني: في القدرة وإليهما أشار بقوله [وذلك..] إلخ [وموضع الكاف جر على المختار] ومقابل نصب وحذفت النون لشدة اتصال الضمير.

۞ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ وافعلوا ما ترجون به ثوابه فأقيم المسبب مقام السبب، وقيل: إنه من الرجاء بمعنى: الخوف. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، وقيله صيحة جبريل لأن القلوب ترجف بها. ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾ في بلدهم، أو دُوْرِهم؛ ولم يجمع لأمن اللبس. ﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿٣٨﴾ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ منصوبان بإضمار (اذكر) أو فعل دل عليه ما قبله مثل أهلكنا، وقرأ حمزة وحفص ويعقوب: (وَثَمُوداً) غير منصرف على تأويل القبيلة. ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ﴾؛ أي: تبين لكم بعض مساكنهم، أو إهلاكهم من جهة مساكنهم؛ إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي. ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ السوي الذي بيّنه الرسل لهم. ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا، أو متبينين أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا.

﴿٣٩﴾ ـ ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾ معطوفون على (عاداً) وتقديم: (قارُونَ) لشرف نسبه. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى

[فأقيم المسبب] وهو «اليوم»؛ أي: ثوابه [مقام السبب]؛ أي: وهو فعل ما يرجون به ثوابه [أي: يبين لكم بعض مساكنهم أو إهلاكهم مِنْ جهة مساكنهم] أشار

۞ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه إذا فاته. ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين. ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ عاقبناه بذنبه. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفاً فيها حصباء، أو مَلَكاً رماهم بها كقوم لوط. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كمدين وثمود. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم؛ إذ ليس ذلك من عادته ﷻ. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالتعريض للعذاب.

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ فيما اتخذوه معتمداً ومتكلاً. ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ﴾ فيما نسجته في الوهن والخور؛ بل ذاك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعاً ما، أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثلها بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً من حجر وجص، و(العنكبوت) يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، والتاء فيه كتاء (طاغوت) ويجمع على: عناكيب، وعناكب، وعكاب، وعكبة، وأعكب. ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ لا بيت أوهنَ وأقل وقاية للحر والبرد منه. ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يرجعون إلى علم لعلموا أن هذا مثلهم، وأن دينهم أوهن من

بالأول: إلى أنَّ «مِنْ مساكنهم» فاعل و«مِنْ» تبعيضية، وبالثاني: إلى أن الفاعل ضمير «أهلكنا» و«مِنْ» ابتدائية[1] [من الوهن] في نسخة: «في الوهن» [أو مثلهم] عطف على ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ [العنكبوت: ٤١] [كمثله]؛ أي: العنكبوت والنسخ هنا مختلفة وأصحّها اتخذت بيتاً فيما نسجه.. إلى آخره. أو مثلهم بالإضافة.. إلى آخره. كما أشرت إليه [والتاء فيه كتاء طاغوت]؛ أي: في أنها زيدت للمبالغة.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٠/١٥٧].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ذلك! ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم؛ سماه به تحقيقاً للتمثيل فيكون المعنى: وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ﴾ على إضمار القول؛ أي: قل للكفرة: إن الله يعلم. وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملاً على ما قبله، و(ما) استفهامية منصوبة بـ(تَدْعُونَ) و(يَعْلَمُ) معلقة عنها، و(مِنْ) للتبيين، أو نافية و(مِنْ) مزيدة و(شَيْءٍ) مفعول (يَدْعُونَ) أو مصدرية و(شَيْءٍ) مصدر، أو موصولة مفعول لـ(يعلم) ومفعول: (يَدْعُونَ) عائدها المحذوف، والكلام على الأولين تجهيل لهم، وتوكيد للمثل، وعلى الأخيرين وعيد لهم. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تعليل على المعنيين فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئاً بمن هذا شأنه، وأن الجماد بالإضافة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم، وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾؛ يعني: هذا المثل ونظائره. ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ تقريباً لما بعد من أفهامهم. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ ولا يعقل حسنها وفائدتها. ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي. وعنه عليه الصلاة والسّلام: أنه تلا هذه الآية فقال: «**العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه**».

[**أو نافية و«مِنْ» مزيدة**] بمعنى: إنما تدعون من دونه ما يستحق أن يطلق عليه شيء.

[**والكلام على الأولين**] هما كون «ما» استفهامية وكونها نافية [**وعلى الأخيرين**] هما كون «ما» مصدرية وكونها موصلة [**على المعنيين**] هما التجهيل والوعيد.

۞ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ
مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقاً غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود بالذات من خلقهما إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنهم المنتفعون به.

﴿٤٥﴾ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تقرباً إلى الله تعالى بقراءته وتحفظاً لألفاظه واستكشافاً لمعانيه، فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ بأن تكون سبباً للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها، وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث النفس خشية منه.

روي: أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه! فوصف له فقال: «**إن صلاته ستنهاه!**» فلم يلبث أن تاب. ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات، أو ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح. وقيل: هو منسوخ بآية السيف؛ إذ لا مجادلة أشد منه، وجوابه أنه آخر الدواء.

[وجوابه أنه]؛ أي: أن الجدال بالسَّيف [آخِر الدّواء] لهم بخلاف التي هي

۞ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقيل: المراد به ذو العهد منهم. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ بالإفراط في الاعتداء والعناد، أو بإثبات الولد وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] أو بنبذ العهد ومنع الجزية. ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو من المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله؛ فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم، وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم!**». ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون له خاصة، وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرْباباً من دون الله.

﴿٤٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال. ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾ وحياً مصدقاً لسائر الكتب الإلٰهية، وهو تحقيق لقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ هم: عبد الله بن سلام وأضرابه، أو من تقدم عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب. ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ومن العرب أو أهل مكة، أو ممن في عهد الرسول من أهل الكتابين. ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ بالقرآن. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها. ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إلا المتوغلون في الكفر؛ فإن جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها؛ لكونها معجزة بالإضافة إلى الرسول ﷺ كما أشار إليه بقوله:

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ﴾ فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أُمّي، لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة! وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي، ونفي للتجوز في الإسناد. ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: لو كنت ممن يخط ويقرأ

أحسن فإنه أول فلا تنافي بينهما فلا نسخ [«**لا تصدقوا أهل الكتاب..**»] إلى آخره.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

لقالوا: لعله تعلمه، أو التقطه من كتب الأولين الأقدمين. وإنما سماهم مبطلين لكفرهم، أو لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة. وقيل: لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم؛ فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر. ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ بل القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل إعجازها حتى لم يعتدوا بها.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى. وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص: (آياتٌ). ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه. ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية عما اقترحوه. ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدِّين به! فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات، أو يتلى عليهم؛ يعني: اليهود بتحقيق ما في أيديهم مِنْ نَعتِكَ ونَعْتِ دينك. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة. ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمة عظيمة. ﴿وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وتذكرة لمن همه الإيمان دون التعنت. وقيل: إن أناساً من

رواه أبو داود[١] وابن حبان وغيرهما[٢] وأصلهما في البخاري[٣] [«وقيل: إنَّ ناساً منَ

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٣٤٢/ برقم: ٣٦٤٤].

(٢) صحيح ابن حبان [١٤/ ١٥١/ برقم: ٦٢٥٧]. (٣) صحيح البخاري [٤/ ١٦٣٠/ برقم: ٤٢١٥].

۞ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتف فيها كتب فيها بعض ما يقول اليهود، فقال: **«كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيّهم إلى ما جاء به غير نبيّهم!»**، فنزلت.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي، وقد صدقني بالمعجزات، أو بتبليغي مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إليكم، ونصحي ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعنت. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله. ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ منكم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولهم: أمطر عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ. ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكل عذاب أو قوم. ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلاً. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر، أو الآخرة عند نزول الموت بهم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب، أو هي كالمحيطة بهم الآن؛ لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم. و(اللام) للعهد على وضع الظاهر موضع

المسلمين..»] إلخ رواه الطبري[1] وأبو داود في مراسيله[2].

[والكيف] مؤنث، ومِنْ ثَمَّ أَنَّثَ ضميرها في قوله: «بكيف كتب فيها».

---

(١) جامع البيان، الطبري [٢٠/ برقم: ٥٣]. (٢) المراسيل، أبو داود [٢/ ٣٢/ برقم: ٤٥٤].

۞ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾.

المضمر؛ للدلالة على موجب الإحاطة، أو للجنس فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم. ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ ظرف (لَمُحِيطَةٌ) أو مقدر مثل: كان كيت وكيت. ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ من جميع جوانبهم. ﴿وَيَقُولُ﴾ الله، أو بعض ملائكته بأمره؛ لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون. ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: جزاءه.

٥٦ ـ ٥٧ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾؛ أي: إذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة، ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، ولو كان شبراً استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد** عليهما السلام». و(الفاء) جواب شرط محذوف؛ إذ المعنى: إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها. ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ تناله لا محالة. ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له، وقرأ أبو بكر بالياء.

٥٨ ـ ٥٩ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ لننزلنهم. ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا﴾ علالي، وقرئ: (لَنُثْوِيَنَّهُم)؛ أي: لنقيمنهم من: (الثواء) فيكون

[مثل كان كيت وكيت]؛ أي: فيوم منصوب بـ«كان» [فالقول]؛ أي: الله **[أو ببعض ملائكته بأمره]** فسر بذلك ضمير يقول على قرأته بالياء **[لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون]**؛ أي: فإنَّ الضمير فيه مفسر بذلك أيضاً بجعل النون للمعظم نفسه أو للمتكلم مع غيره.

[مَنْ فَرَّ بدينه..] إلى آخره. رواه الثعلبي عن الحسن البصري مرسلاً.

۞ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

انتصاب (غرفاً) لإجرائه مجرى (لننزلنهم)، أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ وقرئ: (فَنِعْمَ) والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله. ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من المحن والمشاق. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ولا يتوكلون إلا على الله.

﴿٦٠﴾ ـ ﴿٦١﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تطيق حمله لضعفها أو لا تدخره؛ وإنما تصبح ولا معيشة عندها. ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله؛ لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة، فإنهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة، فنزلت. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولكم هذا. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضميركم. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ المسؤول عنهم أهل مكة. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود. ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

[المسؤول عنهم] الأولى منهم الموافق لقول «الكشاف»[(١)]: الضمير في سألتهم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٦٧].

۞ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً على أن البسط والقبض على التعاقب، وألا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وإبهامه؛ لأن من يشاء مبهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها، ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما عصمك من مثل هذه الضلالة، أو على تصديقك وإظهار حجتك. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ما عداه؛ ثم إنهم يشركون به الصنم، وقيل: لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم.

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارة تحقير، وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة! ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان؛ يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها، أو هي في ذاتها حياة للمبالغة، و(الْحَيَوانُ) مصدر حين سمي به ذو الحياة، وأصله: (حييان) فقلبت الياء الثانية واواً؛ وهو أبلغ من الحياة لما في بناء (فعلان) من الحركة والاضطراب اللازم للحياة؛ ولذلك اختير عليها ههنا. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة، والحياة فيها عارضة سريعة الزوال.

لأهل مكة [وأن لا يكون]؛ أي: واحداً بأن يكون متعدداً [على وضع الضمير]؛ أي:

۞ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا
جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٦﴾ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ متصل بما دل عليه شرح حالهم؛ أي: هم على ما وصفوا به من الشرك؛ فإذا ركبوا البحر. ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين؛ حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجؤوا المعاودة إلى الشرك. ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام فيه (لام) كي؛ أي: يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة. ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها، أو لام الأمر على التهديد؛ ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع: (وَلْيَتَمَتَّعُوا) بالسكون. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك حين يعاقبون.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾؛ يعني: أهل مكة. ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾؛ أي: جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدي، آمناً أهله عن القتل والسبي. ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يختلسون قتلاً وسبياً؛ إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب. ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها ـ مما لا يقدر عليه إلا الله ـ بالصنم أو الشيطان ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ حيث أشركوا به غيره. وتقديم الصلتين للاهتمام، أو الاختصاص على طريق المبالغة. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن زعم أن له شريكاً. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾؛ يعني: الرسول أو الكتاب، وفي (لَمَّا) تسفيه

في له [نعمة النجاة] مفعول «كافرين»..

۞ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

لهم بأن لم يتوافقوا، ولم يتأملوا قط حين جاءهم؛ بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم كقوله: (أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا)؛ أي: ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله، وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب، أو لاجترائهم؛ أي: ألم يعلموا أن فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ حتى اجترؤوا مثل هذه الجراءة.

﴿٦٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقنا؛ وإطلاق المجاهدة ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ سبل السير إلينا والوصول إلى جنابنا، أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير، وتوفيقاً لسلوكها كقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وفي الحديث: «**من عمل بما علم ورَّثَهُ الله علم ما لم يعلم**». ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والإعانة.

قال عليه الصلاة والسّلام: «**من قرأ سورة (العنكبوت) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين**».

[من قرأ سورة العنكبوت..] إلى آخره. موضوع[(١)].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٥٠].

سُورَةُ الرُّومِ

(٣٠) مكية، إلا قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٧]،
وهي ستون أو تسع وخمسون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم لأنها الأرض المعهودة عندهم، أو في أدنى أرضهم من العرب و(اللام) بدل من الإضافة. ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، وقرئ: (غَلْبِهِمْ) وهو لغة كالجلب والجلب. ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

روي: أن «فارس» غزوا «الروم» فوافوهم بـ«أذرعات» و«بصرى»، وقيل: بالجزيرة وهي أدنى أرض الروم من الفرس؛ فغلبوا عليهم، وبلغ الخبر مكة، ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين! وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس أمّيون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنَّ عليكم! فنزلت، فقال لهم أبو بكر: لا يُقِرَّنَّ الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له أُبي بن خلف: كذبت!

قوله: [أرض العرب منهم]؛ أي: من الروم وهو متعلق بأدنى [«روي: أنَّ فارساً غزوا الروم..»] إلى آخره. رواه بمعناه الترمذي[1] [أُناحِبَكَ عليه]؛ أي:

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٣٤٣/ برقم: ٣١٩٣].

اجعل بيننا أجلاً أنَاحِبُك عليه، فناحَبَه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال: **«البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر وماده في الأجل»**، فجعلاه مائة قلوص إلى تسع سنين، ومات أُبَيّ من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أُحد، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أُبَيّ، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: **«تصدق به»**. واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب، وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار، والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب.

وقرئ: (غَلَبَت) بالفتح، و(سَيُغْلَبُونَ) بالضم، ومعناه: أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم، وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون، وفتحوا بعض بلادهم. وعلى هذا تكون إضافة الغلب إلى الفاعل. ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين؛ أي: له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما إلا بقضائه، وقرئ: (مِن قَبْلٍ وَمِن بَعْدٍ) من غير تقدير مضاف إليه؛ كأنه قيل: قبلاً وبعداً؛ أي: أولاً وآخراً. ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ ويوم تغلب الروم. ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له؛ لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبرا به المشركين، وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم، وقيل: بنصر الله المؤمنين بإظهار صدقهم، أو بأن ولي بعض أعدائهم بعضاً حتى تفانوا! ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أُخْرَى. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أُخْرَى.

أراهنك عليه [في الخطر] بمعجمة فمهملة مفتوحتين ما يراهن عليه على [ريف الشام]؛ أي: على أهله والريف أرض فيها زرع وخصب.

۞ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾.

---

(٦) ـ (٧) ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن ما قبله في معنى الوعد. ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لامتناع الكذب عليه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده، ولا صحة وعده؛ لجهلهم وعدم تفكرهم. ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها. ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ﴾ التي هي غايتها والمقصود منها. ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لا تخطر ببالهم، و(هُمْ) الثانية تكرير للأولى، أو مبتدأ (وغافِلُونَ) خبره، والجملة خبر الأولى، وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة؛ لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقريراً لجهالتهم وتشبيهاً لهم بالحيوانات المقصور إدراكها من الدنيا ببعض ظاهرها؛ فإن من العلم بظاهرها معرفة حقائقها، وصفاتها، وخصائصها، وأفعالها وأسبابها، وكيفية صدورها منها، وكيفية التصرف فيها، ولذلك نكّر (ظاهراً)، وأما باطنها فإنها مجاز إلى الآخرة، ووصلة إلى نيلها وأنموذج لأحوالها. وإشعاراً بأنه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا.

(٨) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ أولم يحدثوا التفكر فيها، أو أَوَلَمْ

[المبدلة من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾] إذ عدم العلم وهو الجهل مناسب للعلم الذي لا يتجاوز الدين(١). [المقصود إدراكها ببعض ظاهرها] الباء متعلقة بإدراك أو بالمقصور بجعلها بمعنى «على» [وأما باطنها أنها مجاز إلى الآخرة] حذف الفاء من جواب «أمّا» وهو أنّها مجاز وهو جائز على قلّة. [ونَمُّوذَج] بفتح النون وضم الميم

---

(١) في نسخة [الأصل ـ ب]: (الدنى).

۝ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾.

يَتَفَكَّرُوا في أمر أنفسهم؛ فإنها أقرب إليهم من غيرها، ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له في الممكنات بأسرها؛ ليتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها مثل قدرته على إبدائها. ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ متعلق بقول، أو علم محذوف يدل عليه الكلام. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تنتهي عنده ولا تبقى بعده. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بلقاء جزائه عند انقضاء الأجل المسمى أو قيام الساعة. ﴿لَكَافِرُونَ﴾ جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية، وأن الآخرة لا تكون.

۝٩ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الأرض، ونظرهم في آثار المدمَّرين قبلهم. ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود. ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها. ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ وعمروا الأرض. ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ من عمارة أهل مكة إياها؛ فإنهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها، وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا، مفتخرون بها وهم أضعف حالاً فيها؛ إذ مدار أمرها

المشددة وفتح المعجمة وعبر الرافعي والنووي وغيرهما بـ«أنموذج» بضم الهمزة وسكون النون ومعناه على التعبيرين مثال الشيء، والثاني شائع لكن قال صاحب «القاموس»: إنه لحن(١) [متعلق بقول أو علم] تقديره: أولم يتفكروا في أنفسهم فيقولوا أو فيعلموا ما خلق الله.. إلى آخره.

[وأجل مسمّى تنتهي عنده الساعة] ذكر «الساعة» ساقط من كثير من النسخ وهو

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شهاب الدين الرملي [٣/٣].

۞ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾.

على التبسط في البلاد والتسلط على العباد، والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة؛ وهم ضعفاء ملجؤون إلى دار لا نفع لها. ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات، أو الآيات الواضحات. ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ ليفعل بهم ما تفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير. ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم.

﴿١٠﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾؛ أي: ثم كان عاقبتهم العاقبة السُّوأى، أو الخصلة السُّوأى، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم، وأنهم جوزوا بمثل أفعالهم، و(السُّؤاى) تأنيث الأسوء؛ كـ(الحسنى) أو مصدر كـ(البشرى) نعت به. ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ علة، أو بدل، أو عطف بيان للـ(سُّوأى)، أو خبر (كان) و(السُّوأى) مصدر (أساؤوا) أو مفعوله بمعنى: ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الذين اقترفوا الخطيئة أن طَبَعَ الله على قُلُوبِهِمْ؛ حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها. ويجوز أن تكون (السُّوأى) صلة الفعل، و(أَنْ كَذَّبُوا) تابعها، والخبر محذوف للإبهام والتهويل، وأن تكون (أَنْ) مفسرة؛ لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول. وقرأ ابن عامر والكوفيون: (عاقِبَةَ) بالنصب على أن الاسم (السُّوأى) و(أَنْ كَذَّبُوا) على الوجوه المذكورة.

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ ينشئهم. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يبعثهم. ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ للجزاء. والعدول إلى الخطاب للمبالغة في المقصود. وقرأ

أحسن [وإن كذبوا على الوجوه المذكورة]؛ أي: أَنَّ فيه ما ذكر مِنَ الإعراب

۞ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

أبو بكر وأبو عمرو وروح بالياء على الأصل. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يسكتون متحرين آيسين؛ يقال: ناظرته فأبلس؛ إذا سكت وآيس من أن يحتج، ومنه: (الناقة المبلاس) التي لا ترغو، وقرئ بفتح (اللام) من: (أبلَسه) إذا أسكته.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله. ﴿شُفَعَـٰٓؤُا۟﴾ يجيرونهم من عذاب الله، ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه. ﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم، وقيل: كانوا في الدنيا كافرين بسببهم، وكتب في المصحف (شفعواء) و(علمواء بني إسرائيل) بالواو، وكذا (السُّوأى) بالألف إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾؛ أي: المؤمنون والكافرون لقوله تعالى:

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ أرض ذات أزهار وأنهار. ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرُّون سروراً تهللت له وجوههم. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ مُدْخَلُون لا يغيبون عنه.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى

[ومجيئه بلفظ الماضي]؛ أي: في قوله: ولم يكن لهم نظراً إلى أن لم تقلب المستقبل ماضياً أو فيه وفي كانوا الآتية [شفعوا وعلموا بالواو]؛ أي: بكتابتها قبل الألف [والسوآى بالألف]؛ أي: بكتبها قبل الياء.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى، والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته. أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه، واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السمٰوات والأرض. وتخصيص التسبيح بـ(المساء والصباح)؛ لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر. وتخصيص الحمد بـ(العشي) الذي هو آخر النهار؛ من: (عشيت العين) إذا نقص نورها، و(الظهيرة) التي هي وسطه؛ لأن تجدد النعم فيهما أكثر، ويجوز أن يكون (عَشِيّاً) معطوفاً على (حِينَ تُمْسُونَ)، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراضاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية جامعة للصلوات الخمس: (تُمْسُونَ) صلاة المغرب والعشاء، و(تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر، و(عَشِيّاً) صلاة العصر، و(تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر. ولذلك زعم الحسن أنها مدنية؛ لأنه كان يقول: كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقتا وإنما فرضت الخمس بالمدينة. والأكثر على أنها فرضت بمكة. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾» الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من قال حين يصبح:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ **إلى قوله:** ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ **أدرك ما فاته في ليلته، ومن قاله**

[**لأن تجدد النعم فيهما**]؛ أي: في العشي والظهيرة.

[**ويجوز أن يكون** ﴿تُصْبِحُونَ﴾ **معطوفاً على** ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾] اقتصر عليه «الكشاف»(١) وغيره فيكون على ما قرره المصنف أولاً معطوفاً على ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [«**وعن ابن عباس: أن الآية جامعة للصلوات الخمس**..»] رواه الطبراني والحاكم [«**مَنْ سره**..»] إلى آخره. رواه الثعلبي عن أنس بسند ضعيف(٢) [«**من قال حين يصبح:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...﴾ إلى آخره، ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته..»] إلى

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٧٧].
(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٥٧/ برقم: ٩٦٥].

۞ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

حين يمسي أدرك ما فاته في يومه». وقرئ: (حيناً تمسون وحيناً تصبحون)؛ أي: تمسون فيه وتصبحون فيه.

﴿١٩﴾ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة. ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ كالنطفة والبيضة، أو يعقب الحياة الموت وبالعكس. ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ يبسها. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الإخراج. ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم؛ فإنه أيضاً تعقيب للحياة الموت، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: في أصل الإنشاء؛ لأنه خلق أصلهم منه. ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم، وسائر النساء خلقن من نطف الرجال، أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر. ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ لتميلوا إليها، وتألفوا بها؛ فإن الجنسية علة للضم، والاختلاف سبب للتنافر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾؛ أي: بين الرجال والنساء، أو بين أفراد الجنس. ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ﴾ بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظماً

آخره. رواه أبو داود(١) [ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة]؛ أي: من الانسان والطائر [في أصل الإنشاء] في نسخة: «في أصل الإنسان».

[حال الشَّبق وغيرها]؛ أي: غير حال الشبق.

---

(١) سنن أبي داود [٢/ ٧٤٠/ برقم: ٥٠٧٦].

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

لأمر المعاش، أو بأنّ تعيُّشَ الإنسان متوقف على التعارف، والتعاون المحوج إلى التواد والتراحم. وقيل: (المودة) كناية عن الجماع، و(الرحمة) عن الولد كقوله: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون ما في ذلك من الحكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغته، أو ألهمه وضعها وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله؛ فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية. ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ بياض الجلد وسواده، أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها؛ بحيث وقع التمايز والتعارف، حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ لا تكاد تخفى على عاقل من ملك أو إنس أو جن. وقرأ حفص بكسر (اللام) ويؤيد قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية، وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار، فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين؛ إشعاراً بأن كُلّاً من الزمانين وإن اختص بأحدهما فهو

[**أو بأن يعيش الإنسان**] عطف على «بواسطة الزواج» وفي ذلك مع تفسيريه لما ذكره لف ونشر مرتب [**كقوله**: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]] في أنَّ الرحمة كناية عن الولد وهو في هذه عيسى [**أو أجناس نطفكم**] عطف على لغاتكم [**فإنه**]؛ أي: الشأن [**لا تكاد**]؛ أي: أنت [**بكسر اللام**]؛ أي: لام العالمين [**فلفّ وضم بين الزمانين والفعلين**]؛ أي: فلف بذكر الزمانين وجمع بينهما وبين الفعلين بعاطفين وهما

۞ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهُّمٍ واستبصار فإن الحكمة فيه ظاهرة.

﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ مقدر بـ(أن) المصدرية كقوله:

أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِي أَحضُرُ الوَغَى ... وأَنْ أَشهَدَ اللذاتِ هَلْ أنتَ مُخلِدي

أو الفعل فيه منزلة المصدر كقولهم: (تَسْمَعُ بِالْمِعيديِّ خَيرٌ مِنْ أن تراه)، أو صفة لمحذوف تقديره: آية يريكم بها البرق، كقوله:

فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة للمسافر. ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث للمقيم. ونصبهما

«الواو» و«إن» وحاصله: أنَّ في كلامه لفاً ونشر مرتباً والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار لكن كلامه عقبه بسريان الزمانين متعلقان بالفعلين و«الكشاف»[(١)] ذكر كلاًّ من الأمرين ورجح الأول [كقوله]؛ أي: قول طرفة ابن العبد:

[ألا أَيُّها ذا الزَّاجِريّ احضر الوغى ... .]

أي: الحرب [وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي][(٢)] الشاهد في «أحضر» والتقدير أَنْ احضر، وأنَّ المصدرية إذا حذفت بطل عملها والمصدر والمقدر في البيت مفعول «الزاجري» [أو صفة] عطف على مقدر بأنْ [تقديره آية يريكم بها البرق] وقيل: تقديره سحاب أو شيء يريكم البرق فعليه فاعل يري ضمير السحاب أو الشيء وعلى الأول فاعله ضمير الله تعالى:

[فَمَا الدَّهْرُ إلا تارتان فمنهما ... أموتُ وأُخْرَى أطلب العيش أَكْدَح][(٣)]

تقديره: فمنهما تارة أموت [من الصاعقة وللمسافر].. إلى آخره. نسخه مختلفة

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٨٠]. (٢) الجمل في البحث، الفراهيدي [ص١٦٥].
(٣) البيت لتميم بن مقبل. الكتاب، سيبويه [٢/ ٣٤٦].

۞ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

على العلة لفعل يلزم المذكور؛ فإن إراءتهم تستلزم رؤيتهم، أوّله على تقدير مضاف نحو إرادة خوف وطمع، أو تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع؛ كقولك: فعلته رغماً للشيطان، أو على الحال مثل: (كَلَّمْتُهُ شِفَاهاً). ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالتخفيف. ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بعد موتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يبسها. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في استنباط أسبابها، وكيفية تكونها؛ ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس. والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطف على (أَنْ تَقُومَ) على تأويل مفرد كأنه قيل: ومن آياته قيام السمٰوات والأرض بأمره ثم خروجكم من القبور إذا دَعاكُمْ دَعْوَةً واحدة، فيقول: أيها الموتى اخرجوا! والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته بلا توقف واحتياج إلى تجشم عمل؛ بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه. و(ثم) إما لتراخي زمانه، أو لعظم

في لفظ: المسافر والمقيم، ففي نسخة: ذكر بالواو، وفي أُخْرَى: بأو، وفي أُخْرى: بحذف العاطف وهو أحسن [لفعل يلزم المذكور] الفعل هو الرؤية والمذكور الإراءة [أوله] عطف على الفعل [أو تأويل الخوف] عطف على «تقدير مضاف» [أو على الحال] عطف على قوله: «على العلة».

[وقُرِئ بالتشديد] قرأ به غير ابن كثير والبصريين[1] [لتراخي زمانه]؛ أي: زمان

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٣٩٦].

۞ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ما فيه، و(من الأرض) متعلق بـ(دعا) كقولك: (دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي) لا بـ(تخرجون)؛ لأن ما بعد (إذا) لا يعمل فيما قبلها، و(إذا) الثانية للمفاجأة، ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الأولى. ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه.

﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والإعادة أسهل عليه من الأصل بالإضافة إلى قدركم، والقياس على أصولكم، وإلا فهما عليه سواء؛ ولذلك قيل: الهاء للـ(خَلْق)، وقيل: (أَهْوَنُ) بمعنى: (هيّن) وتذكير (هو) لـ(أهون) أو لأن الإعادة بمعنى: أن يعيد. ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة، ومن فسره بقول: (لا إله إلا الله) أراد به الوصف بالوحدانية. ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يصفه به ما فيها دلالة ونطقاً. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ منتزعاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ من مماليككم. ﴿مِّن

خروجهم من القبور [قيل: الهاء]؛ أي: في عليه [وصفه به] في نسخة: يصفه؛ أي: الله تعالى [به]؛ أي: بالمثل الأعلى [ما فيهما]؛ أي: في السمٰوات والأرض [دلالة]؛ أي: وصفوه بذلك بدلالة لسان الحال [ونطقاً]؛ أي: بلسان المقال.

۞ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١)﴾.

شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الأموال وغيرها. ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ فتكونون أنتم وهم فيه شرعاً يتصرفون فيه كتصرفكم، مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم. و(مِنْ) الأولى للابتداء، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يستبدوا بتصرف فيه. ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التفصيل.

﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبيّنها فإن التفصيل مما يكشف المعاني ويوضحها. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال. ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك. ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فإن العالم إذا اتبع هواه ربما ردعه علمه. ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ فمن يقدر على هدايته. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها.

(٣٠) - (٣١) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فقومه له غير ملتفِت أو ملتفَتٍ عنه، وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به. ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خلقته. نصب على الإغراء، أو المصدر لما دل عليه ما بعدها. ﴿الَّتِي فَطَرَ

[فيه شرع] مبتدأ وخبر، والجملة خبر تكون، والحاصل: أنَّ قوله: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الروم: ٢٨].. إلى آخره. بيان للمثل ومعناه ليس مماليككم شركاء لكم.. إلى آخره. عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له(١). [غير ملتفت] بكسر الفاء [أو ملتفت عنه] بفتحها الأول: راجع إلى فاعل أَقِمْ، والثاني: إلى الدين [لما دل عليه ما بعدها]؛ أي: وهو فطر.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٥/ ١٠٤].

۞ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم
بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا
عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه، أو ملة الإسلام فإنهم لو خُلُّوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها. وقيل: العهد المأخوذ من آدم وذريته. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لا يقدر أحد أن يغيره، أو ما ينبغي أن يغير. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له، أو الفطرة إن فسرت بالملة. ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستوي الذي لا عوج فيه. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامته لعدم تدبرهم. ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه، من: (أناب) إذا رجع مرة بعد أُخرَى. وقيل: منقطعين إليه من: (الناب) وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله، أو في (أقم) لأن الآية خطاب للرسول والأمة لقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ غير أنها صدرت بخطاب الرسول ﷺ تعظيماً له.

﴿٣٢﴾ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ بدل من المشركين. و(تفريقهم) اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم، وقرأ حمزة والكسائي: (فارقوا) بمعنى: تركوا دينهم الذي أمروا به. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً تشايع كل إمامها الذي أضل دينها. ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ظنّاً بأنه الحق، ويجوز أن يجعل (فرحون) صفة (كل) على أن الخبر (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقوا).

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه من دعاء غيره. ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصاً من تلك الشدة.

[من الناب]؛ أي: لأنه منقطع عن بقية الأسنان لبروزه عليها.

۞ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ فاجأ فريق منهم بالإشراك بربهم الذي عافاهم. ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ (اللام) فيه للعاقبة وقيل: للأمر بمعنى: التهديد لقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ: و(ليتمتعوا). ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم. وقرئ بالياء على أن (تمتعوا) ماض. ﴿أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة. وقيل: ذا سلطان؛ أي: ملكاً معه برهان. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩] أو نطق. ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ﴾ بإشراكهم وصحته، أو بالأمر الذي بسببه يشركون به في ألوهيته.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾ نعمة من صحة وسعة. ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ بطروا بسببها. ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بشؤم معاصيهم. ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ فاجؤوا القنوط من رحمته. وقرأ الكسائي وأبو عمرو بكسر النون. ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿٣٨﴾ ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ كصلة الرحم، واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به. ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ ما وظف لهما من الزكاة، والخطاب للنبي ﷺ، أو لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء. ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ ذاته أو جهته؛ أي: يقصدون بمعروفهم إياه خالصاً، أو جهة التقرب إليه لا جهة أُخْرَى. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم.

۞ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ زيادة محرمة في المعاملة، أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة، وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى: ما جئتم به من إعطاء ربا. ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد ويزكو في أموالهم. ﴿فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه. وقرأ نافع ويعقوب: (لتربو)؛ أي: لتزيدوا أو لتصيروا ذوي ربا. ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تبتغون به وجهه خالصاً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو الأضعاف من الثواب، ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار، أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة. وقرئ بفتح العين، وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظماً للمبالغة. والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم، أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ. والراجع منه محذوف إن جعلت (مَا) موصولة تقديره: المضعفون به، أو فَمُؤْتُوه أولئك هم المضعفون.

﴿٤٠﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أثبت له لوازم الألوهية ونفاها رأساً

[والالتفات]؛ أي: من الخطاب إلى الغيبة [فيه]؛ أي: في أولئك [للتعظيم..] إلى آخره. إيضاحه قول «الكشاف»[1]. «فأولئك هم المضعفون» التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: «فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون»، فهو أمدح لهم من أن يقول: «فأنتم المضعفون» [والراجع]؛ أي: إلى

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٨٧].

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها؛ مؤكداً بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق؛ ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويجوز أن تكون الموصول صفة والخبر: (هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ) والرابط: (مِنْ ذلِكُمْ) لأنه بمعنى من أفعاله. و(مِنْ) الأولى والثانية تفيد أن شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال، والثالثة مزيدة لتعميم المنفي، وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء.

﴿٤١﴾ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ كالجدب والموتان، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الغاصة، ومحق البركات وكثرة المضار، أو الضلالة والظلم. وقيل: المراد بـ(البحر) قُرَى السواحل، وقرئ: و(البحور). ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه، وقيل: ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه! وفي البحر بأن «جلندى» ملك عُمان كان يأخذ كل سفينة غصباً. ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ بعض جزائه؛ فإن تمامه في الآخرة و(اللام) للعلة أو للعاقبة. وعن ابن كثير ويعقوب: (لِنُذِيقَهُمْ) بالنون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

ما **[ويجوز أن يكون الموصول]**؛ أي: وهو الذي **[والموتان]** بضم الميم موت يقع في الماشية. قاله الجوهري[1].

[وإخفاق الغاصة] الإخفاق الخيبة وعدم الظفر يقال: أخفق الصياد إذا رجع ولم يصطد، و«الغاصة»: من الغِياصَة وهي النزول في البحر على اللؤلؤ، قاله الجوهري[2]. **[جُلَنْدي]** بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ملك عمان بضم العين وتخفيف الميم وبفتح العين وتشديد الميم **[وعن ابن كثير ويعقوب]**؛

(١) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٨٥].

(٢) الصحاح، الجوهري [٥/ ١٩٢].

۞ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ لتشاهدوا مصداق ذلك، وتتحققوا صدقه. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم، أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم.

﴿٤٣﴾ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ البليغ الاستقامة. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يقدر أن يرده أحد، وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متعلق بـ(يَأْتِيَ)، ويجوز أن يتعلق بـ(مَرَدَّ) لأنه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرقون فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ كما قال:

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ أي: وباله وهو النار المؤبدة. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يسوون منزلاً في الجنة. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ علة لـ(يَمْهَدُونَ) أو لـ(يَصَّدَّعُونَ)، والاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين، وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم؛ تعليل له. و(من

أي: من رواية قنبل وروح وهي مشهورة [وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضمير هم إلى التصريح بهم تعليل له]؛ أي: لجزاء المؤمنين ومراده بالتأكيد التكرير وبالتعليل التقرير كما عبر بهما «الكشاف» حيث قال: وتكرير الذين آمنوا وعملوا

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فضله) دال على أن الإثابة تفضُّل محض، وتأويله بالعطاء أو الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر.

(٤٦) ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ الشمال والصبا والجنوب؛ فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فريح العذاب، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: **«اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»** وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: (الريح) على إرادة الجنس. ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطر. ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ يعني: المنافع التابعة لها، وقيل: الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها، أو الروح الذي هو مع هبوبها، والعطف على علة محذوفة دل عليها (مُبَشِّراتٍ) أو عليها باعتبار المعنى، أو على (يُرْسِلَ) بإضمار فعل معلل دل عليه. ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ يعني: تجارة البحر. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولتشكروا نعمة الله فيها.

(٤٧) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بالتدمير. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **إشعار بأن الانتقام لهم وإظهار لكرامتهم؛ حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم. وعنه عليه الصلاة والسلام: «ما من امرئ مسلم** ....

الصالحات وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح[1].

[«اللَّهُمَّ اجعلها رِياحاً ولا تجعلها ريحا..»] رواه الشافعي[2] والطبراني وغيرهما[3] [أو على مرسل بإضمار فعل معلل دلَّ عليه]؛ أي: وليذيقكم أرسلها [«ما مِنْ امرئ مسلم

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٨٩]. (٢) مسند الشافعي [٨١/ برقم: ٣٦١].

(٣) المعجم الكبير، الطبراني [١١/ ٢١٣/ برقم: ١١٥٢٣].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم»، ثم تلا ذلك. وقد يوقف على (حقاً) على أنه متعلق بالانتقام.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ متصلاً تارة. ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ في سمتها. ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ سائراً أو واقفاً مطبقاً وغير مطبق، من جانب دون جانب، إلى غير ذلك. ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قطعاً تارة أُخرى، وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف، أو جمع: (كسفة) أو مصدر وصف به. ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر. ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ في التارتين. ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾؛ يعني: بلادهم وأراضيهم. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لمجيء الخصب. ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر. ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم، وقيل: الضمير للـ(مطر) أو (السحاب) أو (الإرسال). ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ لآيسين.

﴿٥٠﴾ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أثر الغيث من النبات والأشجار

يرد عن عرض أخيه..»] إلى آخره. رواه الترمذي وحسنه[1] **[وقرأ ابن عامر بالسكون]**؛ أي: بخلاف عنه من رواية هشام وقرأ به أبو جعفر أيضاً **[أو مصدر وصف به]**؛ أي: جعل وصفاً بمعنى مفعول كالطحن بمعنى مطحون.

[في التارتين]؛ أي: تارتي الاتصال والتقطع **[بمجيء الخِصْب]** بالكسر؛ كثرةُ العشبِ ورفاهة العيش **[وقيل: الضمير]**؛ أي: في قبله **[للمطر..]** إلى آخره؛ أي:

---

(١) سنن الترمذي [٤/٣٢٧/ برقم: ١٩٣١].

۞ ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وأنواع الثمار؛ ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص. ﴿كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وقرئ بالتاء على إسناده إلى ضمير (الرحمة). ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ يعني: إن الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها. ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ لقادر على إحيائهم؛ فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية، كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية. هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الأعوام السالفة. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على سواء.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ فرأوا الأثر أو الزرع؛ فإنه مدلول عليه بما تقدم، وقيل: (السحاب) لأنه إذا كان مُصْفَرّاً لم يمطر، و(اللام) موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله: ﴿لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ جواب سد مسد الجزاء، ولذلك فسر بالاستقبال. وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم، وعدم تدبرهم، وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم؛ فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله، ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم، ولا ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته، ولم يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ وهم مثلهم لما سدّوا عن الحق

وعلى القول الأول هو لنزول المطر [وكذلك فسر] ظلوا [بالاستقبال]؛ أي: بما يدل عليه وهو يظلّوا فهو ماض لفظاً مستقبل معنىً من ثم عبر بالمستقبل في يكفرون

۞ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

مشاعرهم. ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ قيد الحكم به ليكون أشد استحالة؛ فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئاً. وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع (الصمّ) ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾ سماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار، أو لعمى قلوبهم. وقرأ حمزة وحده (تهدي العمي) ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى، ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ لما تأمرهم به.

﴿٥٤﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾؛ أي: ابتدأكم ضعفاء، وجعل الضعف أساس أمركم كقوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] أو خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وذلك إذا بلغتم الحلم، أو تعلق بأبدانكم الروح. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السن. وفتح عاصم وحمزة (الضاد) في جميعها، والضم أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما: قرأتها على رسول الله ﷺ: (مِنْ ضَعْفٍ؛ فأقرأني: من ضُعف). وهما لغتان كـ(العَقْر والعُقْر) والتنكير مع التكرير لأن المتأخر ليس عين المتقدم. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبة وشبيبة. ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ فإن الترديد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره دليل العلم والقدرة.

﴿٥٥﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة سميت بها؛ لأنها تقوم في آخر ساعة

[وفتح عاصم]؛ أي: بخلاف عنه من رواية جعفر [«**لقول ابن عمر: قرأ بها على رسول الله ﷺ مِنْ ضَعْف..**»][1]؛ أي: بالفتح [**فاقرأ في «مِنْ ضُعْف»**]؛ أي: بالضم

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ١٨٩/ برقم: ٢٩٣٦].

۞ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة، وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة. ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا﴾ في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم. وفي الحديث: «**ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون**» وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام. ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلوا مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم في الآخرة، أو نسياناً. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق. ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون في الدنيا.

﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة والإنس. ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في علمه أو قضائه، أو ما كتبه لكم؛ أي: أوجبه، أو اللوح أو القرآن وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه. ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق لتفريطكم في النظر، و(الفاء) لجواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم منكرين البعث فهذا يومه؛ أي: فقد تبين بطلان إنكاركم. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وقرأ الكوفيون بالياء؛ لأن المعذرة بمعنى: العذر، أو لأن تأنيثها غير حقيقي، وقد فصل بينهما. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم؛ أي: إزالة عتبهم من التوبة والطاعة؛ كما دعوا إليه في الدنيا؛ من قولهم: (استعتبني فلان فأعتبته)؛ أي: استرضاني فأرضيته.

والحديث رواه أبو داود والترمذي [«**ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون..**»] رواه الشيخان[1] بلفظ: «**ما بين النفختين أربعون**».

---

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٨١٣/ برقم: ٤٥٣٦]، صحيح مسلم [٤/ ٢٢٧٠/ برقم: ٢٩٥٥].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال، مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون وما يقال لهم، وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب. أو بيّنا لهم من كل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول. ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ من آيات القرآن. ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ مزوِّرون. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يطلبون العلم، ويصرون على خرافات اعتقدوها؛ فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق.

﴿٦٠﴾ ﴿فَاصْبِرْ﴾ فاصْبِرْ يا محمد على أذاهم. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله. ﴿حَقٌّ﴾ لا بد من إنجازه. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق. ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بتكذيبهم وإيذائهم؛ فإنهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك. وعن يعقوب بتخفيف النون، وقرئ: (ولا يَسْتَحِقَّنَّك)؛ أي: لا يزيغنك فيكونوا أحقَّ بكَ مع المؤمنين.

عن رسول الله ﷺ: **«من قرأ سورة (الروم) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض، وأدرك ما ضيع في يومه وليلته»**.

[وعن يعقوب]؛ أي: من طريق رويس وهي مشهورة [وقُرئ ولا يستحقنك] بحاء مهملة وقاف. [«من قرأ سورة الروم..»] إلى آخره. موضوع[(١)].

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٦٢].

سُورَةُ لُقْمَانَ

(٣١) مكية، إلا آية وقيل: إلا آية وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان: ٤] فإن وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف؛ لأنه لا ينافي شرعيتهما بمكة، وقيل: إلا ثلاثاً من قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وهي أربع وثلاثون آية، وقيل: ثلاث وثلاثون آية

۞ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ـ ﴿٣﴾ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبق بيانه في (يونس). ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ حالان من الآيات، والعامل فيهما معنى الإشارة، ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر، أو الخبر لمحذوف.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم، أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها، وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره. ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح.

﴿٦﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عما يعني؛ كالأحاديث التي لا أصل لها، والأساطير التي لا اعتبار بها، والمضاحك وفضول الكلام. والإضافة بمعنى: (من) وهي تبيينية إن أراد بالحديث

قوله: [على الخبر]؛ أي: الخبر الثاني لـ«تلك».

۞ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

المنكر، وتبعيضية إن أراد به الأعم منه. وقيل: نزلت في النضر بن الحرث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود؛ فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة! وقيل: كان يشتري القيان، ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه عنه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه، أو قراءة كتابه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح (الياء) بمعنى: ليثبت على ضلاله ويزيد فيه. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بحال ما يشتريه، أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ ويتخذ السبيل سخرية. وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفاً على: (لِيُضِلَّ). ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً لا يعبأ بها. ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مشابهاً حاله حال من لم يسمعها. ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ مشابهاً من في أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع، والأولى: حال من المستكن في (وَلَّى) أو في (مُسْتَكْبِراً)، والثانية: بدل منها، أو حال من المستكن في: (لَمْ يَسْمَعْها) ويجوز أن يكونا استئنافين، وقرأ نافع: (فِي أُذْنَيْهِ). ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أعلمه بأن العذاب يحيقه لا محالة. وذكر البشارة على التهكم.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: لهم نعيم الجنات؛ فعكس للمبالغة. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الضمير في (لَهُمْ) أو من (جَنَّاتُ النعيم) والعامل ما تعلق به (اللام). ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾

[والعامل ما تعلق به اللام]؛ أي: لام لهم وهو كائن.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١﴾.

مصدران مؤكدان الأول: لنفسه، والثاني: لغيره؛ لأن قوله: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ﴾ وعد وليس كل وعد حقاً. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾. الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده. ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تستدعيه حكمته.

١٠ - ١١ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ قد سبق في (الرعد). ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً شوامخ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ كراهة أن تميد بكم؛ فإن بساطة أجزائها يقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها؛ لامتناع اختصاص كل منها لذاته، أو لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين. ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ من كل صنف كثير المنفعة؛ وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة، وحكمته التي هي كمال العلم، ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته، و(ماذا) نصب بـ(خَلْقُ)، أو (ما) مرتفع بالابتداء، وخبره (ذا) بصلته (فَأَرُونِي) معلق عنه. ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ إضراب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على

[**بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة**] عبارة «الكشاف»[(١)]: بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة ولا منافاة بين العبارتين [**يشتري القيان**] جمع قينة وهي المغنية وعبارة «الكشاف»[(٢)]: ويشتري المغنّيات [**استئنافين**] في نسخة مستأنفين [**وقرأ نافع في أذنيه**]؛ أي: بإسكان الذال [**وخبره ذا بصلته**]؛ أي: بجعل ذا موصولاً بمعنى: الذي خلق.

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٩٧].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٤٩٧].

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

ناظر. ووضع الظاهر موضع المضمر؛ للدلالة على أنهم ظالمون بإشراكهم.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ يعني: «لقمان بن باعوراء» من أولاد «آزر» ابن أخت أيوب أو خالته، وعاش حتى أدرك داود وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعثه، والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبيّاً. و(الحكمة) ـ في عرف العلماء ـ: استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية، واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها. ومن حكمته أنه صحب داود شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها؛ فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت! فقال: الصمت حكم وقليل فاعله! وأن داود قال له يوماً: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يدي غيري! فتفكر داود فيه فصعق صعقة. وأنه أمره بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها؛ فأتى باللسان والقلب، ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها؛ فأتى بهما أيضاً، فسأله عن ذلك؟ فقال: هما أطيب شيء إذا طابا، وأخبث شيء إذا خبثا. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ لأن شكر أو أي أشكر؛ فإن إيتاء الحكمة في معنى القول. ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن نفعه

[وكان يسرد الدرع] إلى آخره؛ أي: وكان داود قال في «الكشاف»: «روي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع، وقد ليّن الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها، وقال: نعم لبوس الحرب أنت فقال: الصمت حكم وقليل فاعله، فقال به داود بحقّ ما سميت حكيماً..»[1]. وقول المصنف كـ«الكشاف» والصمت حُكم قليل فاعله فقاله داود: بحق ما سميت حكيماً الصمت حكم هو بضم الحاء وسكون الكاف بمعنى: حكمة.

---

(١) مستدرك الحاكم [٣/٤٥٨/ برقم: ٣٥٨٢].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

عائد إليها، وهو دوام النعمة، واستحقاق مزيدها. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ لا يحتاج إلى الشكر. ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بالحمد، وإن لم يحمد، أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال.

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ «أنعم» أو «أشكم» أو «ماتان». ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق، وقرأ ابن كثير: (يا بُنَيْ) بإسكان الياء، وقنبل: (يا بنيْ أقمْ الصلاة) بإسكان الياء، وحفص فيهما وفي: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ [لقمان: ١٦] بفتح الياء، والبزي مثله في الأخير، وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء. ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ قيل: كان كافراً فلم يزل به حتى أسلم. ومن وقف على (لَا تُشْرِكْ) جعل بالله قسماً. ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؛ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه، ومن لا نعمة منه.

﴿١٤﴾ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ ذات وهـنٍ، أو تَـهِـنُ وَهْناً ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ أي: تضعف ضعفاً فوق ضعف؛ فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها، والجملة في موضع الحال. وقرئ بالتحريك يقال: وَهَنَ يَهِنُ وَهْناً، وَوَهِنَ يَوْهَنُ وهنا. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ وفطامه في انقضاء عامين، وكانت ترضعه في تلك المدة. وقرئ: (وفصله في عامين) وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ تفسير لـ(وَصَّيْنَا) أو علة له، أو بدل من والديه بدل الاشتمال، وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض

[يقال: وهن يهن وهناً ووهن يوهن وهنا] أشار بالأول: إلى أن الهاء في وهن مفتوحة وفي صدره ساكنة كما في ضرب ضرباً، وبالثاني: إلى أنها فيه مكسورة وفي مصدره مفتوحة كما في عمل عملاً.

۞ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

مؤكد للتوصية في حقها خصوصاً، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال: مَنْ أُبِرّ؟ «**أمك، ثم أمك، ثم أمك**»، ثم قال ـ بعد ذلك ـ: «**أباك**». ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحاسبك على شكرك وكفرك.

﴿١٥﴾ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك تقليداً لهما، وقيل: أراد بنفي العلم به نفيه. ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك. ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم. ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ في الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة. ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ مرجعك ومرجعهما. ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما. والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان، تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال: وقد وصينا بمثل ما وصى به. وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك؛ فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز أن يستحقاه في الإشراك فما ظنك بغيرهما! ونزولهما في سعد بن أبي وقاص

[«**قال ﷺ لمن قال له: من أين أمك**[١]..»] إلى آخره. رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] [**من أناب إلي**] هو النبي ﷺ[٤].

[**والآيتان**] هما: آية ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [العنكبوت: ٨] وآية ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ [لقمان: ١٥] [**ونزولهما**]؛ أي: الآيتين.

---

(١) وفي نسخة [ج]: (قال ﷺ لمن قال: أبر أمك).
(٢) سنن أبي داود [٢/٧٥٧/ برقم: ٥١٣٩]. (٣) سنن الترمذي [٤/٣٠٩/ برقم: ١٨٩٧].
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٤/٦٥].

۞ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾.

وأمه: مكثت لإسلامه ثلاثاً لم تطعم فيها شيئاً! ولذلك قيل: من أناب إليه: أبو بكر رضي الله عنه فإنه أسلم بدعوته.

١٦ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾؛ أي: أن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل. ورفع نافع (مِثْقالُ) على أن الهاء ضمير القصة، و(كان) تامة وتأنيثها لإضافة (المثقال) إلى (الحبة) كقوله: (كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ منَ الدَّم) أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة. ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أخفى مكان وأحرزه؛ كجوف صخرة! أو أعلاه كمحدب السمٰوات! أو أسفله كمقعر الأرض! وقرئ بكسر الكاف من: (وكن الطائر) إذا استقر في وكنته. ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يحضرها فيحاسب عليها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي. ﴿خَبِيرٞ﴾ عالم بكنهه.

١٧ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تكميلاً لنفسك. ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ

[ولذلك قيل: من أناب إليه]؛ أي: إلى الله **[هو أبو بكر فإنه]**؛ أي: سعداً **[أسلم بدعوته]**؛ أي: دعوة أبي بكر له **[كقوله]**؛ أي: قول الأعشى:

[.................. كما شَرِقَتْ صدرُ القَناةِ مِنَ الدَّمِ]

صدره:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذي قد أَذَعْتَه(١) ....

و«الشَّرَقُ»: الغصة، يقال: شرق بريقهِ؛ أي: غصَّ، والشاهد في «شَرِقَتْ» حيث أنثه لإضافة الصدر إلى القناة، وصدرها ما فوق نصفها **[وقرئ بكسر الكاف]**؛ أي: وسكون النون أو تشديدها مفتوحة **[استقر في وكنَتِهِ]** بضم الواو؛ أي: مقره

---

(١) الكتاب، سيبويه [١/ ٥٢].

۞ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿الْمُنكَرِ﴾ تكميلاً لغيرك. ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ من الشدائد سيما في ذلك. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصبر، أو إلى كل ما أمر به. ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ مما عزمه الله من الأمور؛ أي: قطعه قطع إيجاب؛ مصدر أطلق للمفعول، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله: (فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ)؛ أي: جد.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمله عنهم، ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون! من: (الصَّعَر): وهو داء يعتري البعير فيلوي عنقه. وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (ولا تُصَاعِر)، وقرئ: (وَلَا تُصْعِرْ) والكل واحد مثل: علاه وأعلاه وعالاه. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أي: فرحاً؛ مصدر وقع موقع الحال؛ أي: تمرح مرحاً، أو لأجل المرح؛ وهو البطر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ علة للنهي، وتأخير (الفَخُور) وهو مقابل للـ(مصعر خده) و(المختال للماشي مرحاً) لتوافق رؤوس الآي. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع؛ فالمراد ما فوق دبيب المتماوت. وقرئ بقطع الهمزة من: (أقصد الرامي) إذا سدد سهمه نحو الرمية. ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ وانقص منه واقصر. ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أوحشها. ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

ليلاً [**من الصعر وهو الصيد**] بفتح العين والياء [**والمختال للماشي مرحاً**]؛ أي: مقابل له ومعنى مقابلته له: أنه قيل بإزائه فيكون في الثلاثة[1] لف ونشر غير مرتب[2] [«**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»] رواه ابن عدي وأبو نعيم وغيرهما بسند ضعيف[3].

---

(١) في نسخ [ز ـ ج]: (الآية). (٢) في نسخة [ج]: (مرتب).
(٣) الكامل، ابن عدي [٥/١٣/برقم: ١١٨٨]، حلية الأولياء، أبو نعيم [١٠/ ٢٩٠].

۞ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

والحمار مثلٌ في الذمِّ سيما نهاقه؛ ولذلك يكنى عنه فيقال: طويل الأذنين، وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته، ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة، وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد، أو لأنه مصدر في الأصل.

﴿٢٠﴾ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ بأن جعله أسباباً محصلة لمنافعكم. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أو غير وسط ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه، وقد مرَّ شرح (النعمة) وتفصيلها في «الفاتحة»، وقرئ: (وأصبغ) بالإبدال، وهو جار في كل سين اجتمع من الغين أو الخاء أو القاف كـ(صلخ وصقر)، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: (نِعَمَهُ) بالجمع والإضافة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في توحيده وصفاته. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من دليل. ﴿وَلَا هُدًى﴾ راجع إلى رسول. ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله؛ بل بالتقليد كما قال:

[وقول عثمان[١]]؛ أي: في عمر رضي الله عنهما كما في «الكشاف»[٢] وغيره[٣] [ولذلك]؛ أي: ولكونه مثلاً في الذم [يكنّى عنه فيقال: طويل الأذنين]؛ أي: تفادياً عن التصريح باسمه كما يكنّى عن الأشياء المستقذرة حتى أنَّ من العرب من لا يركبه استنكافاً، وإنما ركَّبه ﷺ لمخالفته عادتهم وإظهاره التواضع من نفسه [ما فوق دبيب التماوت] يقال: تماوت الرجل إذا أظهر من نفسه التخافت والتضاعف في العبادة والزهد والصوم. قاله ابن الأثير[٤]. [لأن المراد تفضيل الجنس..] إلى آخره؛ أي:

---

(١) في نسخة [ز]: (قول علي) وفي نسخة [ج]: (قول عائشة).
(٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٠٤]. (٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٤/ ٧٠].
(٤) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير [٨/ ٦٨].

۞ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ وهو منع صريح من التقليد في الأصول. ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ﴾ يحتمل أن يكون الضمير لَهُمْ ولآبائهم. ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ إلى ما يؤول إليه من التقليد أو الإشراك. وجواب (لو) محذوف مثل: لاتبعوه، والاستفهام للإنكار والتعجب. ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بأن فوض أمره إليه، وأقبل بشراشره عليه؛ من: (أسلمت المتاع إلى الزبون) ويؤيده القراءة بالتشديد، وحيث عدّى بـ(اللام) فلتضمن معنى الإخلاص. ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ في عمله. ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ تعلق بأوثق ما يتعلق به، وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلي منه. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ إذ الكل صائر إليه.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ فإنه لا يضرك في الدنيا والآخرة، وقرئ: (فَلَا يُحْزِنْكَ) من أحزنه؛ وليس بمستفيض. ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ في الدارين. ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ بالإهلاك والتعذيب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

المراد فإن كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس.

[وحيث عُدِّي باللام] كما في قوله: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] [فيتضمن معنى الإخلاص] بخلاف ما إذا عدي بـ«إلى» كما هنا فإنَّ معناه: أنه أسلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الزبون [وقُرئ «فلا يحزنك» من أحزن] وليس

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمجازٍ عليه فضلاً عما في الظاهر. ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ تمتيعاً أو زماناً قليلاً؛ فإن ما يزول بالنسبة إلى ما يدوم قليل. ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ، أو يضم إلى الإحراق الضغط.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لوضوح الدليل المانع من إسناد (الخلق) إلى غيره؛ بحيث اضطروا إلى إذعانه. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك يلزمهم. ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين. ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد وإن لم يحمد.

﴿٢٧﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً، وتوحيد (شَجَرَةٍ)؛ لأن المراد تفصيل الآحاد. ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحر المحيط بسعته مداداً ممدوداً بسبعة أبحر، فأغنى عن ذكر المداد يمده؛ لأنه من: (مد الدواة وأمدها) ورفعه للعطف على محل (أنَّ) ومعموليها، و(يمده) حال، أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو

بمستفيض؛ أي: بمشهور تبع فيه «الكشاف»[1] لكن قرأ به نافع فهو مشهور [فأغنى عن ذكر المداد بمده] جواب ما يقال: كان مقتضى الكلام أن يقال: ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد! [أو الابتداء] بالجر عطف على «مدخول لام للعطف».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٣١].

۞ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

للحال. ونصبه البصريان بالعطف على اسم (أَنَّ) أو إضمار فعل يفسره (يَمُدُّهُ)، وقرئ: (تَمُدُّهُ) (ويُمِدُّه) بالياء والتاء. ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد. وإيثار جمع القلة؛ للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء. ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته أمر. والآية جواب لليهود: سألوا رسول الله ﷺ أو أمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شيء!

﴿٢٨﴾ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلا كخلقها وبعثها؛ إذ لا يشغله شأن عن شأن؛ لأنه يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مبصر، لا يشغله إدراك بعضها عن بعض، فكذلك الخلق.

﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ﴾ كل من النيِّرين يجري في فلكه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر. وقيل: إلى يوم القيامة، ....

[وقُرئ يمده] ثلاثياً [ويمده] رباعياً [بالياء والتاء]؛ أي: فيهما[1].

[إيثار جمع القلة]؛ أي: على جمع الكثرة حيث قال: «كلمات» دون «كلم» [للإشعار..] إلى آخره؛ أي: للإشعار بأن كلماته لا يفي بكتبها البحار فكيف

---

(١) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة [٢/ ٣٥٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

والفرق بينه وبين قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢] أن (الأجلِ) ههنا منتهى الجري، وثَمَّةَ غرضه حقيقة أو مجازاً، وكلا المعنيين حاصل في الغايات. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع، واختصاص الباري بها. ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته، أو الثابت إلٰهيته. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ المعدوم في حد ذاته؛ لأنه لا يوجد ولا يتصف إلا بجعله أو الباطل إلٰهيته. وقرأ البصريان والكوفيون غير أبي بكر بالياء. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ مترفع على كل شيء ومتسلط عليه.

﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه في

بكلمة.. إلى آخره [والفرق بينه وبين قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾] حاصله: أن «الأجل» المجرور بـ«إلى» منتهى الجري وباللام غرضه؛ أي: علته المختصة به فالغرض الاختصاص وعبارة «الكشاف»: الانتهاء والاختصاص كل منهما يلائم لصحة الغرض؛ لأن قولك: «يجري إلى أجل مسمى» يجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى، ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر بآخر الشهر[1]. انتهى. ووجه كون الغرض حقيقة أو مجازاً أنه إن كان بلوغ الجري إلى منتهاه هو المقصود فهو غرض حقيقة وإن لم يكنه؛ بل ما يقع فيه هو غرض مجازاً.

[إلا بجعله]؛ أي: بجعل الله [أو الباطل إلاهيته] عطف على «المعدوم» [على كل شيء]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٠٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

تهيئة أسبابه، وهو استشهاد آخر على باهر قدرته، وكمال حكمته، وشمول إنعامه. والباء للصلة أو الحال. وقرئ: (الفُلُك) بالتثقيل و: (بِنِعْماتِ الله) بسكون العين. وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ دلائله. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والأنفس. ﴿شَكُورٍ﴾ يعرف النعم ويتعرف مانحها، أو للمؤمنين؛ فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر. ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ علاهم وغطاهم. ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما. وقرئ: (كالظِّلال) جمع: (ظُلَّة) كـ(قُلَّة وقلال). ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد، أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار فإنه نقض للعهد الفطري، أو لما كان في البحر والختر أشد الغدر. ﴿كَفُورٍ﴾ للنعم.

﴿٣٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ لا يقضي عنه، وقرئ: (لا يجزئ) من: (أجزأ) إذا أغنى. والراجع إلى

في نسخة: «عن كل شيء» **[وقُرئ «الفُلُك» بالتثقيل]**؛ أي: بضم اللام **[وقد جوز في مثله]**؛ أي: مثل «نعمات»[١] مما هو بوزن فعلان **[شكور]**؛ أي: لنعمه تعالى **[أو للمؤمنين]** عطف على مقدر هو «لنعمه تعالى» كما مرّ **[لزوال]** متعلق بـ«دعوا الله» **[أو لما كان في البحر]**؛ أي: من دعائهم الخالص.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب] زيادة: (بوزن فعلات).

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾.

الموصوف محذوف؛ أي: لا يجزى فيه. ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ﴾ عطف على (والِدٌ) أو مبتدأ خبره. ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي، وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة. ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالثواب والعقاب. ﴿حَقّٞۖ﴾ لا يمكن خلفه. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة؛ فيجسركم على المعاصي.

٣٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ علم وقت قيامها؛ لما روي: أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ وإني قد ألقيت حباتي في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وحمل امرأتي أذكر أم أنثى؟ وما أعمل غداً؟ وأين أموت؟ فنزلت. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**مفاتح الغيب خمس:**» وتلا هذه الآية. ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ في إبانه المقدر له والمحل المعين له في علمه. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد. ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ أذكر أم أنثى، أتام أم ناقص. ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ من خير أو شرّ، وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه. ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ كما لا تدري في أي وقت تموت.

«روي أن ملك الموت مرَّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه، يديم النظم إليه! فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت! فقال:

[«**لما روي أن الحارث..**»] إلى آخره(١). ذكره الثعلبي والواحدي بغير سنده [«**مفاتح الغيب خمس..**»] إلى آخره. رواه البخاري(٢) [**في إبّانه**]؛ أي: وقته [«**روي أن ملك الموت..**»] إلى آخره.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٥/ ٢٩٢].

(٢) صحيح البخاري [٤/ ١٧٣٣/ برقم: ٤٤٢٠].

كأنه يريدني فَمُرِ الريحَ أن تحملني وتلقيني بالهند! ففعل، فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجباً منه؛ إذ أُمِرْتُ أن أقبض روحه بالهند وهو عندك!».
وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد؛ لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين، ويدل على أنه إن أعمل حيلة وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته، فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه! وقرئ: (بأيَّةِ أرض) وشبه «سيبويه» تأنيثها بتأنيث (كلّ) في (كُلُّهُنَّ). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ يعلم الأشياء كلها. ﴿وَلَا﴾ يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها.

وعنه عليه الصلاة والسلام: **«من قرأ سورة (لقمان) كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة، وأعطي من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر»**.

رواه أحمد[1] وابن شيبة[2] موقوفاً على شَهْرِ بن حوشب [مما لم ينصب] الأولى إبدال «ما» بـ«من». [«من قرأ سورة لقمان..»] إلى آخره. موضوع[3].



---

(١) الزهد، أحمد بن حنبل [ص٤١].
(٢) مصنف ابن أبي شيبة [٧/ ٧٠/ برقم: ٣٤٢٦٨].
(٣) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٧٨/ برقم: ٩٩٠].

سُورَةُ السَّجْدَةِ

(٣٢) مكية، وهي ثلاثون آية، وقيل: تسع وعشرون آية

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ۝٣﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٣) ﴿الٓمٓ﴾ إن جعل اسماً للسورة أو القرآن فمبتدأ خبره: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على أن التنزيل بمعنى: المنزَّل، وإن جعل تعديداً للحروف كان (تَنْزِيلُ) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فيكون: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حالاً من الضمير في (فِيهِ)؛ لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً (ولا رَيْبَ فِيهِ) حال من (الْكِتاب)، أو اعتراض والضمير فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فإنه إنكار لكونه من رب العالمين! وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فإنه تقرير له، ونظم الكلام على هذا أنه أشار أولاً إلى إعجازه، ثم رتب عليه أن

قوله: [حالاً من الضمير في فيه]؛ أي: لا متعلقاً بتنزيل [لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر]؛ أي: لكونه قد أخبر عنه، وردَّ بأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره [ويجوز أن يكون]؛ أي: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [خبراً ثانياً].. إلخ؛ أي: بجعل «تنزل» خبراً أول لـ﴿الٓمٓ﴾ أو لمحذوف فإن جعل مبتدأ «كان» خبراً ثانياً له، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبراً أول [والضمير في «فيه» راجع إلى مضمون الجملة] زاد «الكشاف»[(١)] كأنه قيل: «لا ريب في ذلك»؛ أي: في كونه تنزيلاً[(٢)] من رب العالمين.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥١٣]. (٢) في نسخة [ج ـ ب]: (منزلاً).

﴿ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾.

تنزيله من رب العالمين، وقرر ذلك بنفي الريب عنه، ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكاراً له وتعجيباً منه، فإن (أَمْ) منقطعة، ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله، وبيَّن المقصود من تنزيله فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إذ كانوا أهل الفترة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك إياهم.

﴿٤﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ مرَّ بيانه في (الأعراف). ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ مَا لَكُمْ إذا جاوزتم رضى الله أحد ينصركم ويشفع لكم، أو مَا لَكُمْ سواه ولي ولا شفيع؛ بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم، على أن الشفيع متجوز به للناصر؛ فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظ الله.

﴿٥﴾ - ﴿٦﴾ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجوداً. ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في برهة من الزمان متطاولة؛ يعني بذلك: استطالة ما بين التدبير والوقوع، وقيل: يدبر الأمر بإظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج إليه في زمان هو كألف سنة؛ لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة؛ فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة. وقيل: يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر. وقيل: يدبر الأمر إلى قيام

۞ ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾.

الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله يوم القيامة. وقيل: يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض بالوحي، ثم لا يعرج إليه خالصاً كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخلص. وقرئ: (يُعْرَجُ) و(يَعُدُّونَ). ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فيدبر أمرهما على وفق الحكمة. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على العباد في تدبيره، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يراعي المصالح تفضلاً وإحساناً.

۝٧ - ۝٩ ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ خلقة موفراً عليه ما يستعد له ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة، و(خلقه) بدل من (كل) بدل الاشتمال، وقيل: علم كيف يخلقه؛ من قولهم: قيمة المرء ما يحسنه؛ أي: يحسن معرفته، و(خَلَقَهُ) مفعول ثان. وقرأ نافع والكوفيون بفتح (اللام) على الوصف؛ فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل، وعلى الثاني بمتصل. ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾؛ يعني: آدم. ﴿مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته سميت به لأنها تنسل منه؛ أي: تنفصل. ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ ممتهن. ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قَوَّمَهُ بتصوير أعضائه على ما ينبغي. ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾

[ثم يرجع إليه الأمر] في نسخة: ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾ [وقُرئ يُعرج]؛ أي: بالبناء للمفعول [ويعدون]؛ أي: بالياء التحتية [ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر أمرها] الأولى «أمرهما» [وقيل علم كيف نخلقه[1]] مقابل لخلقه المفسر لـ«أَحْسَنَ» فضمن «أحسن» معنى «علماً» وقيل: يقابله أيضاً «أعطي» فضمن «أحسن» معنى «أعطى» [فالشيء على الأول مخصوص بمنفصل]؛ أي: بدليل منفصل عن الشيء؛ أي:

---

(١) في نسخة [ز ـ ج]: (تخلقه).

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإشعاراً بأنه خلق عجيب، وأن له شأناً له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية، ولأجله قيل: من عرف نفسه فقد عرف ربه! ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ تشكرون شكراً قليلاً.

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه، أو غبنا فيها. وقرئ: (ضَلِلْنَا) بالكسر من: (ضل يضل) و(صَلَلْنا) من: (صلَّ اللحم) إذا أنتن، وقرأ ابن عامر: (إذا) على الخبر، والعامل فيه ما دل عليه. ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وهو: أنبعث أو يجدد خلقنا. وقرأ نافع والكسائي ويعقوب: (أنا) على الخبر، والقائل أُبَيّ بن خلف؛ وإسناده إلى جميعهم لرضاهم به. ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث أو بتلقي ملك الموت وما بعده. ﴿كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون. ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئاً ولا يبقي منكم أحداً. والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيراً

خارج عنه [ولأجله]؛ أي: ولأجل كون أنه له شأناً.. إلى آخره.

روي [«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فقد عَرَفَ رَبَّه»] هذا الحديث لا أصل له[١] وبتقدير أن له أصلاً ليس معناه ما ذَكَر بل معناه: من عرف نفسه وتأمل في حقيقتها عرف أن له صانعاً موجداً له وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] [خصوصاً] راجع إلى الأفئدة [وقُرِئَ ضَلِلْنا بالكسر]؛ أي: بكسر العين فمضارعه «يضَل» بفتحها وعلى قراءة الجمهور والسابقة مضارعه بكسرها [وَصَلِلْنا]؛ أي: وقُرِئ: «وصللنا» بصاد مهملة مع كسر اللام وفتحها[٢] [والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيراً..] إلى آخره. جواب ما يقال: كيف فسرت التوفي بالاستيفاء!.

---

(١) انظر: كشف الخفاء، الجراحي [٢/١٥٢٩/برقم: ٢٥٣٢].

(٢) يقال: صَلَّ اللحمُ يَصِلُّ بالكسر صُلولاً؛ أي: أَنْتَنَ، مطبوخاً كان أو نيِّئاً. الصحاح، الجوهري [٧/٤٦].

۞ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ
حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ
لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته. ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ من الحياء والخزي. ﴿رَبَّنَآ﴾ قائلين ربنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا. وجواب (لَوْ) محذوف تقديره: لرأيت أمراً فظيعاً. ويجوز أن تكون للتمني، والمضي فيها وفي (إِذِ) لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع. ولا يقدر لـ(تَرى) مفعول لأن المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت، أو يقدر ما دل عليه صلة (إذ) والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق له. ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وذلك تصريح بعدم إيمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بأنهم من أهل النار، ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسبباً عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ فإنه من الوسائط والأسباب المقتضية له. ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم من الرحمة، أو في العذاب ترك

[بما شاهدنا] في نسخة: لما شاهدنا [أو بقدر ما دل عليه صلة إذ] تقديره: ولو ترى في نكوس المجرمين رؤوسهم [ولا يدفعه]؛ أي: جعل عدم المشبه مسبباً عن الحكم بأنهم من أهل النار [بقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ [السجدة: ١٤]] متعلق بـ«جعل» [فإنه]؛ أي: النسيان [من الوسائط والأسباب المقتضية له]؛ أي: لذوقهم العذاب،

۞ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

المنسي، وفي استئنافه وبناء الفعل على (إنّ) واسمها تشديد في الانتقام منهم. ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كرَّر الأمر للتأكيد، ولما نيط به من التصريح بمفعوله، وتعليله بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي؛ كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على أن كلّاً منهما يقتضي ذلك.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ وعظوا بها. ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ خوفاً من عذاب الله. ﴿وَسَبَّحُواْ﴾ نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث. ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ حامدين له خوفاً من عذاب الله شكراً على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى. ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة كم يفعل من يصر مستكبراً. ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع وتتنحى ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الفرش ومواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ من سخطه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته.

وعن النبي ﷺ في تفسيرها: «**قيام العبد من الليل**». وعنه عليه الصلاة

وحاصل السؤال ما يقال: كيف جعل ذوقهم العذاب في الآية الأولى مسبباً عن دخولهم النار المسبب عن عدم إيمانهم، المسبب عن عدم مشيئة، المسبب عن حكمه تعالى بأنهم من أهل النار، وفي الثانية مسبباً عن نسيانهم(١).

[**فأجاب**] بأن جعل ذوقهم العذاب مسبباً من نسيانهم لا ينافي جعله مسبباً عن غيره؛ لأن الشيء إذا تعددت أسبابه جاز أن يسند إلى كل منهما [**كما علله**]؛ أي: الذوق [بتركهم..] إلى آخره. في قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ﴾ [«**وعن النبي ﷺ في تفسيره قيام العبد من الليل**»] رواه الإمام أحمد والحاكم(٢) وغيرهما

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥١٧].

(٢) مسند أحمد [٥/ ٢٣٢/ برقم: ٢٢٠٧٥]، مستدرك الحاكم [٢/ ٤٤٧/ برقم: ٣٥٤٨].

۞ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾.

والسلام: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم! ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع! فيقومون وهم قليل! ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء! فيقومون وهم قليل! فيسرحون جميعاً إلى الجنة، ثم يحاسب سائر الناس**». وقيل: كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب إلى العشاء، فنزلت فيهم. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في وجوه الخير.

۝١٧ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقر به عيونهم.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت! ولا أذن سمعت! ولا خطر على قلب بشر! بَلْهَ ما أطلعتهم عليه، اقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾». وقرأ حمزة ويعقوب: (أُخْفِيْ لَهُمْ) على أنه مضارع: (أخفيت)، وقرئ: (نُخْفِي) و(أَخْفَى) والفاعل للكل هو الله تعالى، (وقرات أَعْيُنٍ) لاختلاف أنواعها، والعلم بمعنى: المعرفة، و(ما) موصولة أو استفهامية معلق عنها الفعل. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزوا جزاء، أو أخفي للجزاء؛ فإن إخفاءه

[«**إذا جمع الله الأولين والآخرين..**»] إلى آخره. رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده»[(١)] [«**وقيل: كان ناس من الصحابة يُصَلُّون من المغرب إلى العشاء فنزلت**»] رواه بمعناه أبو داود[(٢)] [«**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين..**»] إلى آخره. رواه الشيخان[(٣)] وقوله فيه: «**بَلْهَ ما اطلعتم عليه**»؛ أي: دعه، قاله الجوهري وغيره.

---

(١) مسند أبي يعلى [٢/ ٣١٣/ برقم: ١٠٤٦]. (٢) سنن أبي داود [١/ ٤٢١/ برقم: ١٣٢١].
(٣) صحيح البخاري [٣/ ١١٨٥/ برقم: ٣٠٧٢]، صحيح مسلم [٤/ ٢١٧٤/ برقم: ٢٨٢٤].

۞ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

لعلو شأنه. وقيل: هذا لقوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ خارجاً عن الإيمان ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح، والجمع للحمل على المعنى. ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فإنها المأوى الحقيقي، والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة، وقيل: المأوى جنة من الجنان. ﴿نُزُلًۢا﴾ سبق في سورة (آل عمران). ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم أو على أعمالهم.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ إهانة لهم وزيادة في غيظهم. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السَّنَة سبع سنين، والقتل، والأسر. ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ لعل من بقي منهم. ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون عن الكفر. روي: أن الوليد بن عقبة فاخرَ علياً يوم بدر، فنزلت هذه الآيات.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآۚ﴾ فلم يتفكر فيها. و(ثُمَّ) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى

[وقيل هذا]؛ أي: الجزاء [فنزلت هذه الآيات] هي من قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً كما في بيت الحماسة:

وَلَا يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إِلَّا ابْنُ حرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورها

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ كما آتيناك. ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ من لقائك الكتاب كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦] فإنا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه، فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه، أو من لقاء موسى الكتاب، أو من لقائك موسى. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**رأيت ليلة أسري بي موسى** عليه السلام **رجلاً آدم طوالاً جعداً؛ كأنه من رجال شنوءة**». ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾؛ أي: المنزل على

﴿مُؤْمِنًا﴾ [السجدة: ١٨] إلى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [عقلاً] متعلق بـ«استبعاد»؛ أي: لاستبعاد ذلك في العقل [**كما في بيت الحماسة**:

لا يكشِفُ الغَمَّاءَ.. ....]

بتشديد الميم والمد؛ أي: شدة[1] اقتحام الحرب:

[..............**إلا ابنُ حُرَّةٍ يرى غَمراتِ الموتِ ثمَّ يزورُها**][2]

أي: لا يكشف الأمر العظيم إلا رجل كريم موصوف بما ذُكِر، والشاهد في قوله: «ثم يزورها» إذ المعنى: أنه استبعد أن يزور غمرات الموت بعد إذ رآها واستيقنها واطلع على شدتها [**فليس ذلك ببدع لم تكن**] في نسخة: «مما لم تكن» [«**رأيت ليلة أسري بي موسى**..»] إلى آخره. رواه الشيخان[3].

---

(١) في نسخة [ز]: (صفة).

(٢) البيت للشاعر جعفر بن علبة الحارثي. الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري [ص١٩].

(٣) صحيح البخاري [٣/ ١١٨٢/ برقم: ٣٠٦٧]، صحيح مسلم [١/ ١٥١/ برقم: ١٦٥].

۞ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

موسى. ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما فيه من الحكم والأحكام. ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إياهم به أو بتوفيقنا له. ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ وقرأ حمزة والكسائي ورويس: (لِمَا صَبَرُوا)؛ أي: لصبرهم على الطاعة، أو عن الدنيا. ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لإمعانهم فيها النظر.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل. ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف، والفاعل ضمير ما دل عليه. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾؛ أي: كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية، أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون. ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾؛ يعني: أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم، وقرئ: (يُمَشُّونَ) بالتشديد. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ.

﴿٢٧﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ التي جُرِز نباتها؛ أي: قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ وقيل: اسم موضع باليمن. ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع. ﴿أَنْعَٰمُهُمْ﴾ كالتين والورق. ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾

[والفاعل ضمير مال[١] عليه «ثم أهلكنا..»] إلى آخره؛ أي: لا «كم أهلكنا» لأن «كم» لا يقع فاعله، لا يقال: «جاءني كم رجل»، أو أن الملائكة ينتظرونه؛ أي: هلاكهم [من جنس المعطوف] تقديره: «ألم ينههم» [الذي جرز] الأَوْلى[٢]: «التي جرز».

---

(١) في نسخة [ج]: (ما دل).

(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من [الأصل].

۞ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

كالحب والثمر. ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته وفضله.

﴿٢٨﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في الوعد به. ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وهو يوم القيامة؛ فإنه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم. وقيل: يوم بدر أو يوم فتح مكة. والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه؛ فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون، وانطباقه جواباً على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم؛ فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيباً واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تبال بتكذيبهم، وقيل: هو منسوخ بآية السيف. ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ النصرة عليهم. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الغلبة عليك. وقرئ بالفتح على معنى: أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ: (ألم تنزيل) و(تبارك الذي بيده الملك) أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر»**. وعنه عليه السلام: **«من قرأ: (ألم تنزيل) في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام»**.

[حال القتال] في نسخة: «حال القتل» وهي أَوْلَى **[أجيبوا بما يمنع الاستعجال]**؛ أي: بحسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم عن وقت الفتح استعجالاً واستهزاء فقيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزؤوا فكأني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا. **[«من قرأ: ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك..»]** إلى آخره. موضوع[1].

[«من قرأ ألم تنزيل في بيته..»] إلى آخره. قال شيخنا: لم أجده[2].

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٢/ ٩٢٥/ برقم: ٨٠٥].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٨٩/ برقم: ٩٩٨].

سُورَةُ الأَحْزَابِ

(٣٣) مدينة، وهي ثلاث وسبعون آية

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣)﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيماً له وتفخيماً لشأن التقوى. والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعاً له عما نهى عنه بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يعود بوهن في الدين. روي: أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم، وقام معهم ابن أُبي ومعتب بن قشير والجدُّ بن قيس فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لها شفاعة، وندعك وربك! فنزلت. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح والمفاسد. ﴿حَكِيمًا﴾ لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة.

(٢) - (٣) ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ كالنهي عن طاعتهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فمُوحٍ إليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع إلى الكفرة. وقرأ أبو عمرو بالياء على أن (الواو) ضمير الكفرة والمنافقين؛

قوله: [ليكون]؛ أي: الثبات لله[١] [مانعاً له]؛ أي: النبي **[فموج إليك ما تصلح به أعمالك]** في نسخة: «ما تصلحه». وفي أُخرَى: «ما يصلحك».

---

(١) لفظ الجلالة (الله) غير موجود في نسخة [ز - ج - ب].

۞ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾.

أي: إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ وَكِّل أمرك إلى تدبيره. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ موكولاً إليه الأمور كلها.

﴿٤﴾ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ﴾؛ أي: ما جمع قلبين في جوف؛ لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً، ومنع القوى بأسرها؛ وذلك يمنع التعدد. ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾ وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة! ولا الدعوة والبنوة في رجل! والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان! ولذلك قيل لأبي معمر أو جميل بن أسد الفهري: ذو القلبين. والزوجة المظاهر عنها كالأم، ودعيُّ الرجل ابنه؛ ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي ـ عتيق رسول الله ﷺ ـ: ابن محمد! أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المُظَاهَرِ عنها والمتبَنّى، ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه. والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض؛ وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل؛ لم يجعل الزوجة والدَّعِيّ اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة. وقرأ أبو عمرو:

[المتعلق] بفتح اللام صفة للروح [للنفس] متعلق بالمتعلق [ومنبع القُوى بأسرها] عطف على «معدن الروح» [وذلك]؛ أي: كون القلب معدناً ومنبعاً لما ذُكِر [يمنع التعدد] لئلا يلزم التناقض وهو أن كلّاً من القلبين أصل لجمع القوى وغير أصل لها [والزوجة] بالنصب عطف على «اللبيب» وكذا دعي الرجل[1].

---

(١) انظر: الاشتقاق، ابن دريد [ص٤٣].

(اللاي) بالياء وحده على أن أصله (اللاء) بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله، وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده، وأصل: (تظهرون) تتظهرون؛ فأدغمت التاء الثانية في الظاء. وقرأ ابن عامر: (تَظَّاهَرُون) بالإدغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم: (تَظاهَرُونَ) من: (ظاهر)، وقرئ: (تُظَهِّرُون) من: (ظهر) بمعنى: ظاهر كـ(عقد) بمعنى: (عاقد) و(تَظْهَرُون) من الظهور. ومعنى (الظهار): أن يقول للزوجة: أنت عليَّ كظهر أمي! مأخوذ من: (الظهر) باعتبار اللفظ؛ كـ(التلبية من لبيك) وتعديته بـ(من) لتضمنه معنى التجنب؛ لأنه كان طلاقاً في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة؛ إلى أداء الكفارة كما عدي (آلى) بها، وهو بمعنى: (حلف)، وذكر (الظهر) للكناية عن البطن الذي هو عموده؛ فإن ذكره يقارب ذكرَ (الفرج) أو للتغليظ في التحريم؛ فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء. و(أدعياء) جمع: (دَعِيّ) على الشذوذ؛ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر أو إلى الأخير. ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ لا حقيقة له في الأعيان كقول الهاذي. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ ما له حقيقة عينية مطابقة له. ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[ولحمزة والكسائي بالحذف]؛ أي: بحذف الإدغام [وعاصم «تُظَاهرون»]؛ أي: بضم التاء وتخفيف الظاء [كما عدي «آلى» بها]؛ أي: بـ«من» [الذي هو]؛ أي: الظهر [عموده]؛ أي: عمود البطن [فإن ذكره]؛ أي: «البطن» وعبارة «الكشاف»: فكنّوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر؛ لأنه عمود البطن[١] [أو للتغليظ] عطف على «للكناية» [فجمع جمعه] كتقيٍّ وأتقياء.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٢٩].

۞ ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ
ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن
تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾.

---

٥ ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ أنسبوهم إليهم، وهو أفراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله: ﴿هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ تعليل له، والضمير لمصدر: (ادْعُوهُمْ) و(أَقْسَطُ) افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً، من: (القسط) بمعنى: (العدل)، ومعناه: البالغ في الصدق. ﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ فتنسبوهم إليهم. ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ فهم إخوانكم في الدين. ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡۚ﴾ وأولياؤكم فيه؛ فقولوا: هذا أخي ومولاي؛ بهذا التأويل. ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾ ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده؛ على النسيان أو سبق اللسان. ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم، أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ لعفوه عن المخطئ. واعلم أن التبني لا عبرة به عندنا، وعند أبي حنيفة: يوجب عتق مملوكه، ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن إلحاقه به.

٦ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ في الأمور كلها؛ فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس؛ فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها. روي: أنه عليه الصلاة

[ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم]؛ يعني: إن «ما تعمدت» في محل الجر عطفاً على «ما أخطأتم».

۞ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾﴾.

والسلام أراد غزوة تبوك، فأمر الناس بالخروج، فقال ناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا! فنزلت. وقرئ: (وهو أب لهم)؛ أي: في الدين؛ فإن كل نبي أبٌ لأمته؛ من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية، ولذلك صار المؤمنون إخوة.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات، ولذلك قالت عائشة: لسنا أمهات النساء.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ وذوو القرابات. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ﴾ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح أو فيما أنزل، وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بيان لأولي الأرحام، أو صلة لأولي؛ أي: أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة. ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفٗاۚ﴾ استثناء من أعم ما يقدر الأولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورٗا﴾ كان ما ذكر في الآيتين ثابتاً في اللوح أو القرآن. وقيل: في التوراة.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ مقدر بـ(اذكر) و(ميثاقهم)

[وقُرئ]؛ أي: عقب «من أنفسهم» [وهو أب لهم] وهو لازم لما قبله.

[قالت عائشة: «لسنا أمهات النساء..»] رواه البيهقي(١) [استثناء من أعم].. إلخ، والمعنى: والقريب أولى من الأجنبي في كل نفع من ميراث وهدية وهبة وغيرها إلا في التوصية [كان ما ذكر في الآيتين]؛ أي: آية ﴿ٱدْعُوهُمْ﴾ وآية ﴿ٱلنَّبِيُّ

(١) انظر: تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ٩٨/ برقم: ١٠٠٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم. ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ خصهم بالذكر؛ لأنهم مشاهير أرباب الشرائع، وقدّم نبيّنا تعظيماً له وتكريماً لشأنه. ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ عظيم الشأن أو مؤكداً باليمين، والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيماً له. ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾؛ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم! أو تصديقهم إياهم تبكيتاً لهم، أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق. أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم. ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ عطف على (أَخَذْنا) من جهة أن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين، أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

(٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾؛ يعني: الأحزاب: وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير؛ وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً. ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ ريح الصبا. ﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ الملائكة. روي: لما سمع بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، ثم خرج إليهم في ثلاثة آلاف، والخندق بينه وبينهم، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة؛ حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية، فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم، وأطفأت نيرانهم،

﴿أَوۡلَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦] **[لبيان هذا الوصف]**؛ أي: وصف الميثاق بالغِلَظِ **[أو تصديقهم إياهم]** عطف على «ما قالوه» **[أو المصدقين]** هو ما بعده عطف على «الأنبياء» **[من جهة]** في نسخة من حيث.

۞ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض، وكبرت الملائكة في جوانب العسكر! فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاء! النجاء! فانهزموا من غير قتال. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفر الخندق. وقرأ البصريان بالياء؛ أي: بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة. ﴿بَصِيرًا﴾ رائياً.

﴿١٠﴾ ﴿إِذْ جَاءُوكُم﴾ بدل من: (إذ جاءتكم). ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق: بنو غطفان. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب: قريش. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً. ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ رعباً؛ فإن الرئة تنتفخ من شدة الروع، فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة؛ وهي منتهى الحلقوم؛ مدخل الطعام والشراب. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ الأنواع من الظن: فظن المخلصون الثُّبَّت القلوب: أنَّ الله منجزٌ وعده في إعلاء دينه، أو ممتحنهم؛ فخافوا الزلل وضعف الاحتمال، والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم. والألف مزيدة في أمثاله تشبيهاً للفواصل بالقوافي، وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف، ولم يزدها أبو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقاً، وهو القياس.

﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا! فظهر المخلص من

[وهو منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب] ظاهره تفسير الحلقوم بأنه مدخل الطعام والشراب وبه صرح «الكشاف»(١) فهو تابع له والمشهور أنه مجرى النفس، وأن المري مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم.

[أو ممتحنهم] عطف على «منجز» [مطلقاً]؛ أي: وقفاً ووصلاً زادها غير مَنْ

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٣٥].

۞ ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

المنافق والثابت من المتزلزل. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع. وقرئ: (زَلْزَالاً) بالفتح. ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد. ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ من الظفر وإعلاء الدين. ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً. قيل: قائله معتب بن قشير قال: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً؟! ما هذا إلا وعد غرور!

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾؛ يعني: أوس بن قيظي وأتباعه. ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أهل المدينة، وقيل: هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها. ﴿لَا مُقَامَ﴾ لا موضع قيام لَكُمْ ها هنا. وقرأ حفص بالضم على أنه مكان، أو مصدر من: (أقام). ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلكم هاربين، وقيل المعنى: لا مقام لكم على دين محمد ﷺ فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا! أو لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفاراً ليمكنكم المقام بها. ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ للرجوع. ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة؛ وأصلها الخلل، ويجوز أن يكون تخفيف العورة من: (عورت الدار) إذا اختلت، وقد قرئ بها. ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾؛ بل هي حصينة. ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي: وما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ دخلت المدينة أو بيوتهم. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها، وحذف الفاعل للإيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول

ذُكِرْ وقفاً لا وصلاً [والضعاف القلوب] عطف على «المخلصون» [ما حكى عنهم]؛ أي: في قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأحزاب: ١٢] إلخ [فَرَقاً] بفتح الراء؛ أي: خوفاً [وقد قُرئ بها]؛ أي: في الموضعين.

۞ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا
(١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا
(١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ
لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ
هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)﴾.

غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الردة ومقاتلة المسلمين. ﴿لَآتَوْهَا﴾ لأعطوها، وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى: لجاؤوها وفعلوها. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ بالفتنة أو بإعطائها. ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ريثما يكون السؤال والجواب، وقيل: ما لبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد إلا يسيراً.

(١٥) - (١٦) ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾؛ يعني: بني حارثة عاهدوا رسول الله يوم أُحد حين فشلوا ثم تابوا؛ أن لا يعودوا لمثله. ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به مجازى عليه. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف، أو قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم. ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً، أو زماناً قليلاً.

(١٧) - (١٨) ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ أي: أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة؛ فاختصر الكلام كما في قوله: (متقلداً سيفاً ورمحاً) أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى: المنع. ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ ينفعهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ المثبطين عن رسول الله ﷺ

[ريثما يكون السؤال والجواب]؛ أي: قدر زمنهما و«يكون» ساقطة من نُسَخ.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

وهم المنافقون. ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ ساكني المدينة. ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ قربوا أنفسكم إلينا؛ وقد ذكر أصله في (الأنعام). ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً؛ فإنهم يعتذرون ويتثبطون ما أمكن لهم، أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون إلا قليلاً؛ كقوله: مَّا قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً، وقيل: إنه من تتمة كلامهم ومعناه: لا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً.

﴿١٩﴾ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله، أو الظفر أو الغنيمة، جمع: (شحيح) ونصبها على الحال من فاعل (يَأْتُونَ) أو (الْمُعَوِّقِينَ) أو على الذم. ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم. ﴿كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ﴾ كنظر المغشي عليه أو كدوران عينيه، أو مشبهين به أو مشبهة بعينه. ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾ من معالجة سكرات الموت خوفاً ولواذاً بك! ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم. ﴿سَلَقُوكُم﴾ ضربوكم. ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ ذربة يطلبون الغنيمة، و(السلق): البسط بقهر باليد أو باللسان. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ نصب على الحال أو الذم، ويؤيده قراءة الرفع؛ وليس بتكرير لأن كلّاً منهما مقيد من وجه. ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ إخلاصاً. ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل، أو أبطل تصنعهم ونفاقهم. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً لتعلق الإرادة به وعدم ما يمنعه عنه.

[أصله]؛ أي: أصل «هلم».

۞ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ۖ﴾؛ أي: هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة. ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرَّة ثانية. ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ كل قادم من جانب المدينة. ﴿عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ﴾ عما جرى عليكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هذه الكرّة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال. ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وخوفاً من التعيير.

﴿٢١﴾ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد، أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به كقولك في «البيضة»: عشرون منا حديداً؛ أي: هي في نفسها هذا القدر من الحديد. وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾؛ أي: ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة، أو أيام الله واليوم الآخر خصوصاً. وقيل: هو كقولك: أرجو زيداً وفضله؛ فإن (الْيَوْمَ الآخِرَ) داخل فيها بحسب الحكم، والرجاء يحتمل الأمل والخوف، و(لِمَنْ كانَ) صلة لـ(حسنة) أو صفة لها. وقيل: بدل من (لَكُمْ) والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه. ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة؛ فإن المؤتسي بالرسول من كان كذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾

۞ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

الآية [البقرة: ٢١٤]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم**». وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر**». ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ظهر صدق خبر الله ورسوله، أو صدقاً في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء، وإظهار الاسم للتعظيم. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ فيه ضمير (لَمَّا رَأَوْا)، أو الخطب أو البلاء. ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأوامره ومقاديره.

﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع الرسول والمقاتلة؛ لإعلاء الدين من: (صدقني) إذا قال لك الصدق؛ فإن المعاهد إذا وفّى بعهده فقد صدق فيه. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نذره؛ بأن قاتل حتى استشهد كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر. و(النحب): النذر؛ واستعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشهادة كعثمان وطلحة. ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ولا غيّروه. ﴿تَبْدِيلًا﴾ شيئاً من التبديل. روي: أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد

[أنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر] زاد «الكشاف»: أي: في آخر تسع ليال أو عشر(١).

[قرأ حمزة] وأبو بكر؛ أي: وَصْلاً [بكسر الراء]؛ أي: بإمالتها [وفتح الهمزة] هو وجه لأبي بكر، والوجه الآخر إمالتها أيضاً، وروى السوسي كأبي بكر [فيه]؛ أي: في زاد [ضمير لما رأوا] بإضافة الضمير لـ«لما» [«نَحْبَهُ» نَذْرَه]؛ أي: نذره الذي التزمه فقد نذر جماعة من الصحابة أنهم إذا لقوا حَرْباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٣٩].

۞ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾.

حتى أصيبت يده! فقال عليه الصلاة والسلام: «**أوجب طلحة!**». وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل، وقوله: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به؛ فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء؛ كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى. والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم، أو المراد بها التوفيق للتوبة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن تاب.

﴿٢٥﴾ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ يعني: الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ متغيظين ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ﴾ غير ظافرين؛ وهما حالان بتداخل أو تعاقب. ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إحداث ما يريده. ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً على كل شيء.

﴿٢٦﴾ ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ ظاهروا الأحزاب ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: قريظة. ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم؛ جمع: (صيصية) وهي ما يتحصن به؛ ولذلك يقال لقرن الثور، والظبى، وشوكة الديك. ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف. وقرئ بالضم. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾

وقاتلوا حتى يستشهدوا [وكان المنافقين] في نسخة: «وكان المنافقون» [والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم] فقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾؛ أي: إذا لم يتوبوا أو يتوب عليهم؛ أي: إذا تابوا [وشوكة الديك] هي مخلبه التي في ساقه لأنه يتحصن بها.

[وقُرئ بالضم]؛ أي: بضم العين؛ قرأ به ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب.

۞ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾.

وقرئ بضم السين. روي: أن جبريل أتى رسول الله صلّى الله عليهما وسلّم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال: اتنزع لأمتك، والملائكة لم يضعوا السلاح! إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إليهم، فأذِّن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة! فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم: «**تنزلون على حكمي**»، فأبوا! فقال: «**على حكم سعد بن معاذ**» فرضوا به، فحكم سعد بقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم ونسائهم؛ فكبّر النبي ﷺ فقال: «**لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة!**» فقتل منهم ستمائة أو أكثر، وأسر منهم سبعمائة.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ مزارعهم ﴿وَدِيَـٰرَهُمْ﴾ حصونهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ﴾ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم. روي: أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «**إنكم في منازلكم**» وقال عمراً: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ فقال: «**لا إنما جعلت هذه لي طعمة**». ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ﴾ كفارس والروم، وقيل: خيبر وقيل: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ فيقدر على ذلك.

﴿٢٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ السعة والتنعم

[«روي أن جبريل..»] إلى آخره. ذكره ابن هشام في السيرة(١) وأبو نعيم في الدلائل بمعناه وقوله: «سبعة أرقعة»؛ أي: سمٰوات [«روي أنه ﷺ جعل عقارهم..»] إلى آخره. رواه الواقدي(٢).

---

(١) سيرة ابن هشام [٢/ ٢٤٠].
(٢) المغازي، الواقدي [١/ ٣٩٤].

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

فيها. ﴿وَزِينَتَهَا﴾ زخارفها. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن المتعة. ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً من غير ضرار وبدعة. روي: أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة، فنزلت، فبدأ بعائشة فخيَّرَها فاختارت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختيارها! فشكر لهن الله ذلك، فأنزل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢] وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا، وجعلها قسيماً لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق؛ خلافاً لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي، ويؤيده قول عائشة: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يَعُدَّهُ طَلَاقاً». وتقديم التمتع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق. قيل: لأن الفرقة كانت بإرادتهن؛ كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية، واختلف في وجوبه للمدخول بها، وليس فيه ما يدل عليه. وقرئ: (أُمَتِّعُكُنَّ وَأُسَرِّحُكُنَّ) بالرفع على الاستئناف.

﴿٢٩﴾ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ يستحقر دونه الدنيا وزينتها، و(من) للتبيين؛ لأنهن كلهن كنَّ محسنات.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ بكبيرة. ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر، والباقون بكسر الياء. ﴿يُضَٰعَفْ

[وقيل: لأن الفرقة كانت بإرادتهن]؛ أي: «بإرادتهن الدنيا» وهذا مقابل لقوله: وتقدير التمتيع.. إلى آخره [واختلف في وجوبه]؛ أي: التمتيع [وليس فيه]؛ أي: في «التخيير» [ما يدل عليه]؛ أي: على وجوب التمتيع.

[ظاهر قبحها] بيانها المذكور فلا تفتقر لبيان آخر، وأما على قراءة الكسر

۞ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾.

لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ ضعفي عذاب غيرهن؛ أي: مثليه؛ لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب، والنعمة عليه؛ ولذلك جعل حد الحُرِّ ضعفي حد العبد. وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم. وقرأ البصريان: (يُضَعَّف) على البناء للمفعول، ورفع (الْعَذابُ) وابن كثير وابن عامر (نُضَعِّفْ) بالنون وبناء الفاعل ونصب (الْعَذابَ). ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي، وكيف وهو سببه! ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾ ومن يدم على الطاعة. ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولعل ذكر الله للتعظيم، أو لقوله: ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ مرَّة على الطاعة ومرَّة على طلبهن رضى النبي ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة. وقرأ حمزة والكسائي: (ويعمل) بالياء حملاً على لفظ من (ويؤتها) بالياء أيضاً على أن فيه ضمير اسم الله، ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ في الجنة زيادة على أجرها.

٣٢ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾ أصل: (أحد) وحد بمعنى: (الواحد)، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير، ....

فمعناه ظاهر قبحها بنفسها فلا يفتقر لبيان أصلاً [وهو]؛ أي: كونهن نساء النبي [أصل أحد وحد بمعنى الواحد..][1] إلى آخره؛ أي: أصله ذلك بالنظر إلى الوضع وأما بالنظر إلى الاستعمال وهو ما ذكره بقوله: ثم وضع في النفي العام، فأحد المطلق غير أحد المختص بالنفي العام؛ لأن المطلق صادق بكل ما اتصف بالوحدة والمختص خاص بمن يعقل[2] فقول بعضهم إن مادة المطلق «واو وحَاء ودال»،

(١) الخصائص، ابن جني [٣/ ٢٦٢].
(٢) كما في نسخة [ز ـ ج ـ ب] وفي نسخة [الأصل]: (يغفل).

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

والمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل. ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ مخالفة حكم الله ورضا رسوله. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ فلا تجئن بقولكن خاضعاً ليناً مثل قول المريبات. ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فُجُور. وقرئ بالجزم عطفاً على محل فعل النهي على أنه نهى مريض القلب عن الطمع، عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ حسناً بعيداً عن الريبة.

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من: (وقَرَ يَقِرُ وقاراً) أو من: (قَرَّ يَقِرُّ) حذفت الأولى من راءَي (اقررن) ونقلت كسرتها إلى القاف، فاستغني عن همزة الوصل؛ ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من: (قررت أقر) وهو لغة فيه، ويحتمل أن يكون من: (قار يقار) إذا اجتمع. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ولا تتبخترن في مشيتكن. ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ تبرجاً مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة، وقيل: هي ما بين آدم ونوح، وقيل: الزمان الذي ولد فيه إبراهيم كانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ، فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، والجاهلية الأُخْرَى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقيل: الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأُخْرَى جاهلية الفسوق في الإسلام، ويعضده ....

ومادة المختص «همزة وحاء ودال» محمول على الاستعمال [والمعنى: لستن كجماعة واحدة..] إلى آخره. سلك كالزمخشري(١) ذلك ليطابق بين المتفاضلين في الجمع وإلا فالحمل على الإفراد بأن يقال: «ليست كل واحدة منكن كواحدة من

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٤٥].

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

قوله عليه السلام لأبي الدرداء رضي الله عنه: «**إن فيك جاهلية، قال: جاهلية كفر أو إسلام؟ قال: بل جاهلية كفر!**». ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الذنب المدنس لعرضكم؛ وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف؛ ولذلك عمم الحكم. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو المدح. ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن المعاصي. ﴿تَطْهِيرًا﴾ واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها، وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مُرْطٌ مرحل من شعر أسود؛ فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه، ثم قال: «**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**». والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف؛ لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم.

﴿٣٤﴾ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِۚ﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين، وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل

آحاد النساء»، صحيح؛ بل أولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الحمل على الجمع.

[«**قوله عليه السلام لأبي الدرداء..**»] إلخ قال شيخنا: لم أجده عن أبي الدرداء؛ وإنما هو في «الصحيحين» عن أبي ذر ولم يقل: «جاهليّة كفر..» إلى آخره[1] [«**روي أنه عليه السلام خرج ذات غزوة..**»] إلى آخره. رواه بمعناه مسلم[2].

(١) صحيح البخاري [١/ ٢٠/ برقم: ٣٠]، صحيح مسلم [٣/ ١٢٨٢/ برقم: ١٦٦١].
(٢) صحيح مسلم [٤/ ١٨٨٣/ برقم: ٢٤٢٤].

۞ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

بيت النبوة، ومهبط الوحي، وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة؛ حثّاً على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين؛ ولذلك خيركن ووعظكن، أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المصدقين بما يجب أن يصدق به ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المداومين على الطاعة ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في القول والعمل ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بما وجب في مالهم ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ الصوم المفروض ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم. والآية وعد لهن ولأمثالهم على الطاعة والتدرع بهذه الخصال. روي: أن أزواج النبي عليه الصلاة والسّلام قلن: يا رسول الله! ذَكَرَ الله الرجال في القرآن بخير، فما فينا خير نذكر به؟ فنزلت. وقيل: لما نزل فيهنّ ما نزل، قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء؟

[«روي أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال..»] إلى آخره. رواه الطبراني وغيره[١].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني [٢٣/ ٢٦٣/ برقم: ٥٥٤]، سنن الترمذي [٥/ ٣٥٤/ برقم: ٣٢١١].

۞ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

فنزلت. وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري، وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين؛ فليس بضروري، ولذلك ترك في قوله: (مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ) وفائدته الدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات.

﴿٣٦﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صح له. ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾؛ أي: قضى رسول الله ﷺ، وذكر الله لتعظيم أمره، والإشعار بأن قضاءه قضاء الله؛ لأنه نزل في زينب بنت جحش؛ بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله. وقيل: في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من

[وعطف الإناث على الذكور] فيما ذكر [لاختلاف الجنسين]؛ أي: الذكور والإناث [وهو]؛ أي: العطف فيه [ضرورة] لاختلافهما ذاتاً.

[وعطف الزوجين على الزوجين]؛ أي: في مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات [لتغاير الوصفين]؛ أي: الإيمان والإسلام [وليس]؛ أي: العطف فيه [ضروري] لاختلافهما ذاتاً، وعطف الزوجين على الزوجين؛ أي: في مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات [بتغاير الوصفين]؛ أي: الإيمان والإسلام [وليس]؛ أي: العطف فيه [بضروري] بخلافه في الأول لأن اختلاف الجنس أشد من اختلاف الصفة [وفائدته]؛ أي: العطف عند تغاير الأوصاف [الدلالة على أن أعداد المعد]؛ أي: من المغفرة والأجر العظيم؛ أي: تهيئته [لهم]؛ أي: للمذكورين وفي نسخة: «بهم»؛ أي: بسببهم [للجمع بين هذه الصفات فصار المعنى: أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً].

[«نزل في زينب بنت جحش..»] إلى آخره. رواه الدارقطني بسند

۞ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

زيد. ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله، و(الخيرة): ما يتخير؛ وجمع الضمير الأول: لعموم (مؤمن) و(مؤمنة) من حيث إنهما في سياق النفي، وجمع الثاني: للتعظيم. وقرأ الكوفيون وهشام: (يَكُونَ) بالياء. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ بيِّنَ الانحراف عن الصواب.

﴿٣٧﴾ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه. ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب. وذلك: أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها إياه، فوقعت في نفسه فقال: «**سبحان الله مقلب القلوب!**» وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد، ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها، فأتى النبي ﷺ وقال: أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: «**ما لَكَ! أرابك منها شيء؟!**» فقال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها لشرفها تتعظم علي، فقال له: «**أمسك عليك زوجك**». ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمرها فلا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها إن طلقها أو إرادة طلاقها. ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ تعييرهم إياك به. ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ إن مَا كان فيه ما يخشى، و(الواو) ....

ضعيف[1] [**وجمع الضمير الأول**..] إلى آخره. عدم التقييد بالأول أولى وأوفق بعبارة «الكشاف» لشمول التعليل له، وللثاني وإن كان الثاني بالتعظيم أليق [**والواو**]؛ أي:

---

(١) سنن الدارقطني [٣/ ٣٠١/ برقم: ٢٠٦].

۞ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

للحال، وليست المعاتبة على الإخفاء وحده؛ فإنه حسن بل على الإخفاء مخافة قالة الناس، وإظهار ما ينافي إضماره؛ فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة، وطلقها وانقضت عدتها. ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ وقيل: قضاء الوطر كناية عن الطلاق؛ مثل لا حاجة لي فيك. وقرئ: (زوجتكها)، والمعنى: أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد. ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي ﷺ: إن الله تولى إنكاحي، وأنتنَّ زوَّجكُن أولياؤكن. وقيل: كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بَيِّنٌ على قوة إيمانه. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾ علة للتزويج، وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أمره الذي يريده ﴿مَفْعُولًا﴾ مكوناً لا محالة كما كان تزويج زينب.

﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾ قسم له وقدر من قولهم: فرض له في الديوان، ومنه فروض العسكر لأرزاقهم. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ سن ذلك سُنَّة. ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ﴾ من الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مقضياً وحكماً

في الجمل الثلاث [للحال] على سبيل التداخل فقول: «تخفي» حال من فاعل «تقول» و«تخشى الناس» حال من فاعل «تخفي» و«الله أحق» حال من فاعل «تخشى» [﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]]؛ أي: إثم [﴿فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾] إلى آخره. الأدعياء جمع «الدعي»: وهو المتبَنّى؛ أي: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم أن زوجة المُتَبَنَّى حلالٌ للمتبَنَّى وإن دخل بها المتبَنِّي بخلاف امرأة

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

مبتوتاً. ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا، أو مدح لهم منصوب أو مرفوع، وقرئ: (رسالة الله). ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريض بعد تصريح. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف، أو محاسباً فينبغي أن لا يخشى إلا منه.

﴿٤٠﴾ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، ولا ينتقض عمومه بكونه أباً للطاهر، والقاسم، وإبراهيم؛ لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال! ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمته؛ لا مطلقاً بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم، واجب التوقير والطاعة عليهم. وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة. وقرئ: (رَسُولُ الله) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، ولكن بالتشديد على حذف الخبر؛ أي: وَلكِنَّ رَسُولَ اللهِ من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر. ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وآخرهم الذي ختمهم، أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح، ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيّاً كما قال عليه الصلاة والسلام في إبراهيم حين توفى: «**لو عاش لكان نبيّاً!**» ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه، مع أن المراد منه أنه آخر من نُبِّيء. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يغلب الأوقات

ابن الصُّلْبِ لا تحلُّ للأب [وزيد منهم]؛ أي: واحد منهم كما عبر به «الكشاف»[1].

[ولكن بالتشديد]؛ أي: وقرئ به [كما قال ﷺ «**لو عاش لكان نبياً**»] رواه ابن

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٥٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

ويعم الأنواع بما هو أهله؛ من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره خصوصاً، وتخصيصهما بالذِّكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات؛ لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح من جملة الأذكار؛ لأنه العمدة فيها. وقيل: الفعلان موجهان إليهما. وقيل: المراد بالتسبيح الصلاة.

﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ بالرحمة ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم، والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم، وظهور شرفكم مستعار من: (الصّلا). وقيل: الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود، واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم؛ سيما

ماجه[1] [ويعم أنواع ما]؛ أي: يذكر [هو]؛ أي: الله [أهله]؛ أي: أهل ذلك الذكر [من التقديس..] إلى آخره. ببيان لما قبله وعبارة «الكشاف»[2] أعم من ذلك حيث قال عقب قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٤١]: اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتمجيد والتهليل والتكبير، وما هو أهله والتقديس لتطهيره والتمجيد النسبة إلى المجد والكرم [**كإفراد التسبيح من جملة الأذكار**]؛ أي: كما أن التسبيح أُفرد للدلالة على فضله على سائر الأذكار [**لأنه العمدة فيها**]؛ أي: لأن معناه كما في «الكشاف»[3]: تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال وتبرئته من القبائح.

[**وقيل: الفعلان**] هما: اذكروا وسبحوا [**مستعار من الصلو**] بإسكان اللام واحد الصلوين وهما عرقان، وقيل: عظمان ينحنيان في الركوع والسجود.

---

(١) سنن ابن ماجه [١/ ٤٨٤/ برقم: ١٥١١]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٥٤].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٥٤].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾.

وهو السبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة. ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة. و﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ حيث اعتنى بصلاح أمرهم، وإنافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين. ﴿تَحِيَّتُهُمۡ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول؛ أي: يحيون. ﴿يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾ يوم لقائه عند الموت، أو الخروج من القبور، أو دخول الجنة. ﴿سَلَٰمٞۚ﴾ إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ هي الجنة، ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم.

﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم، ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة. ﴿وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى الإقرار به وبتوحيده، وما يجب الإيمان به من صفاته. ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بتيسيره، وأطلق له من حيث أنه من أسبابه، وقيد به الدعوة إيذاناً بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه. ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالات، ويقتبس من نوره أنوار البصائر.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ على سائر الأمم أو على أجر أعمالهم، ولعله معطوف على محذوف مثل: مراقب أحوال أمتك. ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ إيذاءهم إياك ولا تحتفل به، أو إيذاءك إياهم

[أطلق]؛ أي: الإذن له؛ أي: للتيسير بمعنى: أنه عبر به عنه [من حيث أنه]؛ أي: الإذن [من أسبابه]؛ أي: التيسير [إيذاناً بأنه]؛ أي: بأن الدعاء إلى الإيمان

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾.

مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم؛ ولذلك قيل: إنه منسوخ. ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فإنه يكفيكهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها، ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كُلّاً منها بخطاب يناسبه، فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة؛ لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين، والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم، والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه، والسراج المنير بالاكتفاء به؛ فإن من أناره الله تعالى برهاناً على جميع خلقه كان حقيقاً بأن يكتفى به عن غيره.

﴿٤٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهن. وقرأ حمزة والكسائي بألف وضم التاء ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ﴾ أيام يتربصن فيها بأنفسهن. ﴿تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ تستوفون عددها؛ من: (عددت الدراهم فاعتدها)؛ كقولك: (كلته فاكتاله)، أو تعدونها. والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم، وعن ابن كثير: (تَعْتَدُوْنَها) مخففاً على إبدال إحدى الدالين بالياء، أو على أنه من: (الاعتداء) بمعنى: تَعْتَدُونَ فيها. وظاهره يقتضي عدم وجوب العدّة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات، والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته، وفائدة (ثمّ) إزاحة ما عسى أن يتوهم تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة؛ كما يؤثّر في النسب يؤثّر في

[لأن ما بعده]؛ أي: بعد الأمر بالمراقبة [أو تعدونها] عطف على «هل يستوفون عددها».

[للنطفة] في نسخة: «لنطفة؛ أي: المؤمن».

(٥٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٥٠)﴾.

العدة. ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾؛ أي: إن لم يكن مفروضاً لها؛ فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة، ويجوز أن يأوّل التمتيع بما يعمهما، أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب؛ فإن المتعة سُنَّة للمفروض لها. ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة. ﴿سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ من غير ضرار ولا منع حق، ولا يجوز تفسيره بالطلاق السُّنِّي؛ لأنه مرتب على الطلاق، والضمير لغير المدخول بهنّ.

(٥٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن؛ لأن المهر أجر على البضع، وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه؛ بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها، وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة، ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له؛ لأني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

[ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما]؛ أي: المتعة ونصف المفروض بمعنى أعطوهن المتعة إن لم يفرض لهن ونصف المفروض إن فرض لهن [ويعضده قول أم هانئ..] إلى آخره. رواه الترمذي(١) والحاكم(٢) [كنت من الطلقاء]؛ أي: من

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٣٥٥/ برقم: ٣٢١٤].
(٢) مستدرك الحاكم [٢/ ٢٠٢/ برقم: ٢٧٥٤].

﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق، ولا يدفعه التقييد بـ(إن) التي للاستقبال؛ فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل؛ أي: أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها، ولا تطلب مهراً إن اتفق؛ ولذلك نكّرها. واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعاً: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. وقرئ: (أَن) بالفتح؛ أي: لأن وهبت، أو مدة أن وهبت كقولك: (اجلس ما دام زيد جالساً). ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ شرط للشرط الأول في استيجاب الحل؛ فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها؛ فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكرراً، ثم الرجوع إليه في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته، وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله. واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة؛ لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ. والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه، و(خالِصَةً) مصدر مؤكد؛ أي: خلص إحلالها، أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصاً لك، أو حال من الضمير في (وَهَبَتْ) أو صفة لمصدر محذوف؛ أي: هبة خالصة. ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ من شرائط العقد، ووجوب القسم والمهر بالوطء؛ حيث لم يسمَّ. ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ ....

الأسرى الذين أطلقوا من الأسر وخُلِّي سبيلهم **[فسره ما قبله]** تقديره: «ونحل لك امرأة» **[أو عطف]** بالجر عطف على «فعل»؛ أي: نصب بفعل مضمر أو بالعطف **[على ما سبق]**؛ أي: أزواجك **[ثم الرجوع إليه]**؛ أي: إلى الخطاب **[إيذان بأنه]**؛ أي: انعقاد النكاح بلفظ الهبة.

[و(خالِصَة) مصدر مؤكد] زاد «الكشاف»: كـ«وعد الله» و«صِبغة الله»[1].

---

(١) **الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٥٩].**

۞ ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

من توسيع الأمر فيها؛ أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم؟ والجملة اعتراض بين قوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ومتعلقه، وهو (خالِصَةً) للدلالة على أن الفرق بينه وبين (الْمُؤْمِنِينَ) في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه؛ بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة، وبالعكس أُخرى. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما يعسر التحرز عنه. ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة في مظان الحرج.

﴿٥١﴾ ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها. ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ وتضم إليك من تشاء وتضاجعها، أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص: (تُرْجِي) بالياء والمعنى واحد. ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت. ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ طلقت بالرجعة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في شيء من ذلك. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن، وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً؛ لأن حكم كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله؛ فتطمئن به نفوسهن، وقرئ: (تُقِرَّ) بضم التاء و(أَعْيُنَهُنَّ) بالنصب (تُقَرَّ) بالبناء

[من توسع الأمر فيها]؛ أي: في مملوكات الإيمان [والجملة] هي قوله: «قد علمنا».. إلى آخره [بل لمعان..] إلى آخره. أشار بالمعاني المذكورة إلى قول «الكشاف»: ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفه يجب أن يفرض عليهم، ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله ﷺ بما اختصه به ففعل؛ أي: ففعل

۞ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾.

للمفعول و(كُلُّهُنَّ) تأكيد نون (يَرْضَيْنَ)، وقرئ بالنصب تأكيداً لهن. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ فاجتهدوا في إحسانه. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذات الصدور. ﴿حَلِيمٗا﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى.

(٥٢) ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي، وقرأ البصريان بالتاء. ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ من بعد التسع، وهو في حقه كالأربع في حقّنا، أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أُخْرَى. ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ فتطلق واحدة وتنكح مكانها أُخْرَى، و(مِنْ) مزيدة لتأكيد الاستغراق. ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ حسن الأزواج المستبدلة، وهو حال من فاعل (تَبَدَّلَ) دون مفعوله وهو: (مِنْ أَزْواجٍ) لتوغله في التنكير، وتقديره: مفروضاً إعجابك بهن، واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ على المعنى الثاني؛ فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولاً. وقيل: المعنى: لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نصّ على إحلالهن لك، ولا أن تبدل بهن أزواجاً من أجناس أُخَر. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ استثناء من النساء؛ لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل: منقطع. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما حدّ لكم.

الاختصاص[(١)] [على المعنى الثاني]؛ أي: من تفسيري ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الأحزاب: ٥١].

[من بعد الأجناس الأربع] هن الواقعات مفعولاً لـ«أحللنا».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٦٠].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾.

---

٥٣ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ إلا وقت أن يؤذن لكم، أو إلا مأذوناً لكم. ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ متعلق بـ(يُؤْذَنَ) لأنه متضمن معنى: (يدعى) للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة، وإن أذن كما أشعر به قوله: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غير منتظرين وقته، أو إدراكه، وهو حال من فاعل: (لَا تَدْخُلُوا) أو المجرور في (لَكُمْ). وقرئ بالجر صفة لـ(طعام) فيكون جارياً على غير من هو له بلا إبراز الضمير، وهو غير جائز عند البصريين. وقد أمال حمزة والكسائي (إناه)؛ لأنه مصدر (أنى الطعام) إذا أدرك. ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ تفرقوا ولا تمكثوا، والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه، مخصوصة بهم وبأمثالهم؛ وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام، ولا اللبث بعد الطعام لمهم.

﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ لحديث بعضكم بعضاً، أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على (ناظِرِينَ) أو مقدر بفعل محذوف؛ أي: ولا تدخلوا،

[حال من فاعل «لا تدخلوا»]؛ أي: مع اعتباري الاستثناء كأنه قال: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه **[وقد أمال حمزة والكسائي «إناه»]** ووافقهما هشام **[بالتسمع له]**؛ أي: لحديث أهل البيت.

أو: ولا تمكثوا مستأنسين. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ اللبث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله، وإشغاله بما لا يعنيه. ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ من إخراجكم لقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: أن إخراجكم حق؛ فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي؛ فأمركم بالخروج، وقرئ: (لَا يَسْتَحِي) بحذف الياء الأولى، وإلقاء حركتها على الحاء. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ شيئاً ينتفع به. ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاع ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ سَتْر.

روي: أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فنزلت. وقيل: أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل يد عائشة، فكره النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، فنزلت.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر النفسانية الشيطانية. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ وما صح لكم. ﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أن تفعلوا ما يكرهه. ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ من بعد وفاته أو فراقه، وخص التي لم يدخل بها؛ لما روي أن أشعث بن قيس تزوج المستعيذة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمها، فأخبر بأنه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها، فتركها من غير نكير. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾؛ يعني: إيذاءه ونكاح نسائه. ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ ذنباً عظيماً، وفيه تعظيم من الله لرسوله، وإيجاب لحرمته حيّاً وميتاً، ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال:

[**روي أن عمر قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاخر..**»] إلى آخره. رواه النسائي(١) [**وقيل: إنه عليه السلام كان يطعم..**] إلى آخره. رواه البخاري في الأدب

---

(١) السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٤٣٥/ برقم: ١١٤١٨].

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ كنكاحهن على ألسنتكم. ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به، وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد. ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم. روي: أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله! أَوَنُكَلِّمُهُنَّ أيضاً من وراء حجاب؟ فنزلت. وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين؛ ولذلك سمى العمَّ أباً في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] أو لأنه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفا لأبنائهما. ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾؛ يعني: نساء المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من العبيد والإماء، وقيل: من الإماء خاصة، وقد مرَّ في سورة (النور). ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه خافية.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ اعتنوا أنتم أيضاً؛ فإنكم أولى

والنسائي[(١)] [مخافة أن تصِفَ لأبنائهما] عبارة «الكشاف» لأنهما يصفانها لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم.

---

(١) الأدب المفرد، البخاري [١/ ٣٦٢/ برقم: ١٠٥٣]، السنن الكبرى، النسائي [٦/ ٤٣٥/ برقم: ١١٤٩].

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

بذلك، وقولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد. ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وقولوا: السلام عليك أيها النبي، وقيل: وانقادوا لأوامره، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة، وقيل: تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ!**». وقوله: «**من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار فأبعده الله**». وتجوز الصلاة على غيره تبعاً. وتكره استقلالاً لأنه في العرف صار شعاراً لذكر الرسل، ولذلك كره أن يقال: محمّد ﷺ! وإن كان عزيزاً وجليلاً.

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي، أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته، وقولهم: شاعر مجنون، ونحو ذلك، وذكر الله للتعظيم له. ومن جوز إطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين. ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يهينهم مع الإيلام. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ بغير جناية استحقوا بها

[«رغم أنف رجل ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَي»] رواه الترمذي وابن حبان(١) [«مَنْ ذُكِرتُ عنده..»] إلى آخره. رواه الطبراني(٢).

[فسره]؛ أي: يودون [بالمعنيين] هما ارتكاب ما يكرهانه من الكفر، والمعاصي، وكسر رباعيته.. إلخ [باعتبار المعمولين] هما: الله ورسوله؛ أي: فسره باعتبار الله بارتكاب ما يكرهه الله، وباعتبار رسوله بكسر رباعيته.. إلخ.

---

(١) سنن الترمذي [٥/ ٥٥٠/ برقم: ٣٥٤٥]، صحيح ابن حبان [٣/ ١٨٩/ برقم: ٩٠٨].
(٢) المعجم الكبير، الطبراني [٢/ ٢٤٣/ برقم: ٢٠٢٢].

۞ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾.

الإيذاء. ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ظاهراً. روي: إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علياً رضي الله عنه، وقيل: في أهل الإفك، وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهنَّ كارهات.

﴿٥٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة، و(مِنْ) للتبعيض؛ فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ يميزن من الإماء والقينات. ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف. ﴿رَّحِيمًا﴾ بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها.

﴿٦٠﴾ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم. ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم، وأصله: (التحريك) من: (الرجفة): وهي الزلزلة سمي به الإخبار الكاذب لكونه متزلزلاً غير ثابت. ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم، أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على (لَنُغْرِيَنَّكَ)، و(ثُمَّ) للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول ﷺ

[ذلك]؛ أي: ما ذكر من التغطية [أدنى]؛ أي: أقرب [أو فجورهم] بالرفع؛ أي: «زناهم» [يرجعون بأخبار السوء عن سرايا المسلمين] فيقولون: هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين [ونحوها]؛ أي: ونحو أخبار السوء [و«ثم» للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول..] إلى آخره.

۞ ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾.

أعظم ما يصيبهم. ﴿فِيهَآ﴾ في المدينة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زماناً أو جواراً قليلاً.

﴿٦١﴾ ـ ﴿٦٢﴾ ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصب على الشتم أو الحال، والاستثناء شامل له أيضاً؛ أي: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ [الأحزاب: ٦٠] إلا ملعونين، ولا يجوز أن ينتصب عن قوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾؛ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ مصدر مؤكد؛ أي: سنَّ الله ذلك في الأمم الماضية، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء، وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثُقِفُوا. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ لأنه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها.

﴿٦٣﴾ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ عن وقت قيامها استهزاء وتعنتاً او امتحاناً. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لم يطلع عليه ملكاً ولا نبيّاً. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ شيئاً قريباً أو تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف، ويجوز أن يكون التذكير لأن السَّاعَةِ في معنى اليوم، وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين.

﴿٦٤﴾ ـ ﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة الاتقاد. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع العذاب عنهم.

﴿٦٦﴾ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار، أو من حال إلى حال، وقرئ: (تَقَلَّبُ) بمعنى: تتقلب وتُقَلِّبُ، ومتعلق الظرف. ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ فلن نبتلي بهذا العذاب.

۞ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر، وقرأ ابن عامر ويعقوب: (ساداتنا) على جمع الجمع للدلالة على الكثرة. ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ بما زينوا لنا. ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا. ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ كثير العدد، وقرأ عاصم بالباء؛ أي: لعناً هو أشد اللعن وأعظمه.

﴿٦٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ فأظهر براءته من مقولهم؛ يعني: مؤداه ومضمونه، وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مرَّ في (القصص)، او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك، فحملته الملائكة ومرّوا به حتى رأوه غير مقتول. وقيل: أحياه الله فأخبرهم ببراءته، أو قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أُدْرَة؛ لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه بريء منه. ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا قربة ووجاهة، وقرئ: (وكان عبد الله وجيهاً).

﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسوله. ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قاصداً إلى الحق من: (سد يسد سداداً)، والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ

العطف فيه للتفسير وعبارة «الكشاف»[1]: وإنما عطف بـ«ثم» لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه.

[والمراد النهي عن ضده]؛ أي: ضد القول السديد [لحديث زينب من غير قصد]

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٧١].

۞ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة، أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في الأوامر والنواهي. ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يعيش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة، وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء، والمعنى: أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام، وكانت ذات شعور وإدراك لـ(أَبَيْن) أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته؛ لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيث لم يفِ بها ولم يراع حقها. ﴿جَهُولًا﴾ بكنه عاقبتها، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب. وقيل: المراد بـ(الْأَمانَةَ) الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية، وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره، وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم: حامل الأمانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته، فيكون الإباء عنه اتياناً بما يمكن أن يتأتى منه، والظلم والجهالة الخيانة والتقصير. وقيل: إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً، وقال لها: إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها، وناراً لمن عصاني، فقلن: نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً، ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله، وكان ظلوماً لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولاً بوخامة عاقبته، ولعل المراد بـ(الْأَمانَةَ) العقل أو التكليف، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن، وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية

۞ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾.

والاستعداد، وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية، وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه؛ فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزة الحد، ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما.

﴿٧٣﴾ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ تعليل للحمل من حيث إنه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديباً، وذكر التوبة في الوعد إشعار بأنه كونهم ظلوماً جهولاً في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

قال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ سورة (الأحزاب) وعلَّمها أهله أو ما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر**».

إيضاحه قول «الكشاف»: والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول. [«من قرأ سورة الأحزاب..»] إلى آخره. موضوع(١).



---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ١٣٧/ برقم: ١٠٤٤].

سُورَةُ سَبَإٍ

(٣٤) مكية، وقيل: إلا قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية [سبأ: ٦]، **وآيها خمسون وأربعون آية**

۞ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً ونعمة، فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ لأن ما في الآخرة أيضاً كذلك، وليس هذا من عطف المقيد على المطلق؛ فإن الوصف بما يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها، وتقديم الصلة للاختصاص؛ فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم

قوله: [وليس هذا]؛ أي: قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] [من عطف المقيد] وهو هنا «له الحمد في الآخرة» [على المطلق] وهنا «الحمد لله» [فإن الوصف]؛ أي: «وهو الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض» [يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية فقيَّدَ الحمد بها] كما أشار إليه بقوله قبل: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٧٠] فصار قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [العنكبوت: ٦٣] إلى آخره. حمداً مقيّداً بنعم الدنيا وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ حمداً مقيداً بنعم الآخرة [وتقديم الصلة] وهي «له» على «الحمد» ومراده تقديم الخبر على المبتدأ بخلافه في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والفِلِزَّات بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي ما في الأرض من الجواهر المعدنية وقيل ما ينفيه الكير مما يذاب منها كما مرَّ في «الرعد».

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾.

أمور الدارين. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطن الأشياء. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر، وكالكنوز والدفائن والأموات. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالحيوان والنبات والفلزّات وماء العيون. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالملائكة، والكتب، والمقادير، والأرزاق، والأنداء، والصواعق. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة. ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها، أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر.

۝٣ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ إنكار لمجيئها، أو استبطاء استهزاء بالوعد به. ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه. ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ﴾ تكرير لإيجابه مؤكداً بالقسم مقرراً لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه، وتنفي استبعاده على ما مرّ غير مرّة، وقرأ حمزة والكسائي: (علّام الغيب) للمبالغة، ونافع وابن عامر ورويس (عالِمُ الْغَيْبِ) بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره. ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ الكسائي: (لَا يَعْزِبُ) بالكسر. ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ

[والأنداء] جمع ندى وهو المطر الخفيف، وقد يجمع على أندية وهو شاذ[1]، قاله الجوهري[2]. [تكرير لإيجابه]؛ أي: لإيجاب ما نفوه وعبارة «الكشاف»: أوجب ما بعد النفي بـ«لا» على معنى: إذ ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد[3].

---

(١) في نسخة [ب]: (نادر).
(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٤٥].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٧٧].

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٞ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾.

أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ جملة مؤكدة لنفي (العزوب)، ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس، ولا يجوز عطف المرفوع على (مِثْقالُ) والمفتوح على (ذَرَّةٍ) بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف؛ لأن الاستثناء يمنعه، اللَّهُمَّ إلا إذا جعل الضمير في (عَنْهُ) للغيب، وجعل المثبت في اللوح خارجاً عنه لظهوره على المطالعين له، فيكون المعنى: لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطوراً في اللوح.

٤ ـ ٥ ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾ علة لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] وبيان لما يقتضي إتيانها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾ لا تعب فيه ولا مَنَّ عليه. ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بإبطال وتزهيد الناس فيها. ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين كي يفوتونا. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (مُعَجِّزِيْن)؛ أي: مثبطين عن الإيمان من أراده. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ﴾ من سيّئ العذاب. ﴿أَلِيمٞ﴾ مؤلم، ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص.

٦ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة، أو من مسلمي أهل الكتاب. ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ القرآن. ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ ومن رفع (الْحَقُّ) جعل هو ضميراً مبتدأ و(الْحَقّ) خبره، والجملة ثاني مفعولي (يَرَى)، وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي

[ويؤيده]؛ أي: كون ما ذكر مؤكد النفي «العزوب» [وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «معجزين»]؛ أي: فيه، وفيما يأتي [وهو]؛ أي: يرى.. إلى آخره.

۞ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ۝٨﴾.

العلم على الجهلة الساعين في الآيات. وقيل: منصوب معطوف على (لِيَجْزِيَ)؛ أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عياناً؛ كما علموه الآن برهاناً: ﴿وَيَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى.

۝٧ ـ ۝٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال بعضهم لبعض. ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يحدثكم بأعجب الأعاجيب. ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنكم تنشؤون خلقاً جديداً؛ بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير تراباً. وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه، وعامله محذوف دل عليه ما بعده؛ فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه، أو محجوب بينه وبينه بـ(أن) و(مُمَزَّقٍ) يحتمل أن يكون مكاناً بمعنى: إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب، وطرحتم كل مطرح وجَدِيدٍ، بمعنى: فاعل من جدّ، كـ(حديد من حدّ)، وقيل: بمعنى مفعول من: (جد النساج الثوب) إذا قطعه. ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه، واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على أن بين الصدق والكذب واسطة،

[أي: ليعلم] الأولى؛ أي: ولتعلم(١) [دلّ عليه ما بعده]؛ أي: وهو: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: تبعثون وقت تمزيقكم [وما بعده]؛ أي: وهو: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ أو: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فهذا مع «قوله» [قوله مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بـ«إنَّ»] لف ونشر مرتب.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (وليعلم).

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)﴾.

وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه، وضعفه بيِّن لأن الافتراء أخصّ من الكذب. ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ رد من الله تعالى عليهم ترديدهم، وإثبات لهم ما هو أفظع من القسمين، وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه، وما هو مؤداه من العذاب، وجعله رسيلاً له في الوقوع ومقدّماً عليه في اللفظ؛ للمبالغة في استحقاقهم له، و(البعيد) في الأصل صفة (الضال) ووصف (الضلال) به على الإسناد المجازي.

(٩) ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله، وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزءا، وتهديداً عليها، والمعنى: أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض، ولم يتفكروا أَهُمْ أشدُّ خلقاً أم هي،

[وما هو مؤداه] عطف على «ما هو أقطع» **[وجعله]**؛ أي: العذاب **[وسيلاً له]**؛ أي: للضلال والوسيل جمع وسيلة لا بمعنى ما يتقرب به إلى الغير بل بمعنى اللازم بقرينة قوله: **[ومقدماً عليه في اللفظ]** قال في «الكشاف»: جعل وقوعهم في العذاب وسيلاً لوقوعهم في الضلال كأنهما كائنان في وقت واحد؛ لأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان[١] **[وما تحمل فيه]**؛ أي: في كمال قدرة الله تعالى **[إزاحة]** تعليل لتذكير **[وتهديداً]** عطف على «إزاحة» **[عليها]**؛ أي: على استحالتهم الإحياء **[أَعْمُوا]** بيان لما عطف عليه فلم يروا.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٧٩].

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

وإنّا ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات. وقرأ حمزة والكسائي: (يشأ) و(يخسف) و(يسقط) بالياء لقوله: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ: ٨]. والكسائي وحده بإدغام الفاء على الباء وحفص (كِسَفاً) بالتحريك. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه. ﴿لَأَيَةً﴾ لدلالة. ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه؛ فإنه يكون كثير التأمل في أمره.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾؛ أي: على سائر الأنبياء، وهو ما ذكر بعد، أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن. ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ رجعي معه التسبيح أو النوحة على الذنب، وذلك إما بخلق صوت مثل صوته فيها، أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها، أو سيري معه حيث سار. وقرئ: (أوبي) من الأوب؛ أي: ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه، وهو بدل من (فَضْلاً) أو من (آتَيْنا) بإضمار قولنا أو قلنا. ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطف على محل (الجبال) ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية، أو على (فَضْلاً)، أو مفعول معه لـ(أَوِّبِي) وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره، وكان الأصل: ولقد آتينا داود منا فضلاً تأويب الجبال والطير. فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه، حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لأمره

[أو النوحة][(١)] بالنصب؛ أي: النياحة عطف على «التسبيح» وفي نسخة: أو التوجه، بالجر؛ أي: النشاط عطف على «الذنب» **[أو على «فضلاً»]** عطف على محل «الجبال» **[على ضميره]**؛ أي: ضمير أو في المستكن فيه وجاز ذلك للفصل

(١) انظر: معنى الأواب، في: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر ابن الأنباري [٢/ ٣٣٤].

۞ ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن
يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ
دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)﴾.

في نفاذ مشيئته فيها. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء؛ من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوّته.

(١١) ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ أمرناه أن اعمل. و(أنِ) مفسرة أو مصدرية. ﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروعاً واسعات، وقرئ: (صابغات) وهو أول من اتخذها. ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها، أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتنخرق. وردّ بأن دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]. ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ الضمير فيه لداود عليه السلام وأهله. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم عليه.

(١٢) ـ (١٣) ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾؛ أي: وسخرنا له الريح، وقرئ: (الريحُ) بالرفع؛ أي: ولسليمان الريح مسخرة. وقرئ: (الرياح). ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك، وقرئ: (غَدْوَتُها) (ورَوْحَتُها). ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس المذاب أساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع؛ ولذلك سماه عيناً، وكان ذلك باليمن. ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطف على (الرِّيحَ) وَ(مِنَ الْجِنِّ)

بالظرف [بإلانته]؛ أي: الحديد لداود؛ أي: بإلانة اللهِ الحديدَ له [أو بقوته]؛ أي: بقوة داود وشدته [فتقلق] بقافين [فتخرق] بخاء معجمة وعبارة «الكشاف»[1]. فتفصم الحِلَق [عطف على «الريح»]؛ يعني: أن قوله: ﴿مَن يَعْمَلُ﴾ منصوب عطفاً على

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٨١].

۞ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

حال مقدمة، أو جملة مِنَ مبتدأ وخبر. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم. ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ عما أمرناه من طاعة سليمان، وقرئ: (يُزِغْ) من أزاغه. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ عذاب الآخرة. ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قصور حصينة ومساكن شريفة؛ سميت بها لأنها يذبّ عنها ويحارب عليها. ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ وصوراً هي تماثيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات؛ ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم، وحرمة التصاوير شرع مجدد. روي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه؛ فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما. ﴿وَجِفَانٍ﴾ وصحاف. ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ كالحياض الكبار، جمع: (جابية) من: (الجباية): وهي من الصفات الغالبة كالدابة. ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها. ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكاية عما قيل: لهم ﴿شُكْرًا﴾ نصب على العلة؛ أي: اعملوا له واعبدوه شكراً، أو المصدر لأن العمل له شكراً، أو الوصف له، أو الحال أو المفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفى حقه؛ لأن توفيقه الشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهايته، ولذلك قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

﴿١٤﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: على سليمان. ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

﴿ٱلرِّيحَ﴾ [أو جملة من مبتدأ وخبر] عطف على قوله: «عطف على الريح»؛ يعني: أن الجملة من مبتدأ وخبر، فيكون «من يعمل» مرفوعاً.

[سميت به]؛ أي: بما ذكر من المحاريب ولو قال: «بها» كان أنسب [أو الوصف له]؛ أي: للمصدر؛ أي: «اعملوا عملاً شكراً» [أو المفعول به] فمعنى

﴿مَوْتِهِۦٓ﴾ ما دلَّ الجنّ، وقيل: آله. ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: الأرضة أضيفت إلى فعلها، وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال: أرضت الأرضة الخشبة أرضاً، فأرضت أرضاً مثل: أكلت القوادح الأسنان أكلاً، فأكلت أكلاً. ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه؛ من: (نسأت البعير) إذا طردته؛ لأنها يطرد بها، وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلباً وحذفاً على غير قياس؛ إذ القياس إخراجها بين بين. وقرأ نافع وأبو عمر: و(منساءته) على مفعالة كـ(ميضاءة في ميضأة) و(من سأته)؛ أي: طرف عصاه، مستعار من: سأت القوس، وفيه لغتان كما في: (قحة وقحة) ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم. ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع؛ فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيره إلى أن خَرَّ، أو ظهرت الجن. و(أن) بما في حيزه بدل منه؛ أي: ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب. وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه، فوصى به إلى سليمان عليه السلام

«شكراً»: «طاعةً» [وقيل: آله]؛ أي: آل سليمان [أضيفت إلى فعلها] وهو «الأرض» قال في «الكشاف»: ودابة الأرض الأرَضَة وهي الدّويبة التي يقال لها: السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه[1]. [القوادح] جمع قادحة وهي الدودة [ومِنْ سَأته]؛ أي: وقُرئ به بجعل «مِنْ» حرف جر [كما في قِحَة وقَحة][2] من «القح»: وهو اللوم أو الكرم يقال: «رجل قُحّ» للجافي كأنه خالص فيه وعربي قُحّ؛ أي: محض خالص، وعربية قُحَّة قاله الجوهري[3].

[وأن بما في حيرة[4] بدل منه]؛ أي: من الجن.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٨٣].

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/ ٢٥٥].

(٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ٦٢].

(٤) في نسخة [ز ـ ج]: (خيره). وعند البيضاوي: «حَيِّزه». أنوار التنزيل، البيضاوي [٤/ ٣٩٥].

۞ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

فاستعمل الجن فيه؛ فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به، فأراد أن يعمي عليهم موته ليتموه؛ فدعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخرَّ ثم فتحوا عنه، وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوماً وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة، وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاثة عشرة سنة، وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضين من ملكه.

﴿١٥﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ لأولاد «سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان» ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو؛ لأنه صار اسم القبيلة، وعن ابن كثير قلب همزته ألفاً ولعله أخرجه بين بين؛ فلم يؤده الراوي كما وجب. ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ في مواضع سكناهم، وهي باليمن يقال لها: «مأرب»، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث. وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح، والكسائي بالكسر حملاً على ما شذ من القياس كـ(المسجد والمطلع). ﴿ءَايَةٌ﴾ علامة دالة على وجود الصانع المختار، وأنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة؛ مجازٍ للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق؛ كما في قصتي داود وسليمان. ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من (آيةٌ) أو خبر محذوف تقديره: الآية جنتان. وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين. ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله، كل واحدة منهما في تقاربها وتضامهما كأنها جنة واحدة، أو بستاناً كُلِ رجل منهم عن يمين

[ومنع الصرف عنه ابن كثير]؛ أي: من رواية البزي وسكّنه من رواية قنبل [وتضايقها] في نسخة: وتضامها [أو بُسْتَانا كلّ رجل] عطف على «جماعتان».

۞ ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

مسكنه وعن شماله. ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ حكاية لما قال لهم نبيّهم، أو لسان الحال، أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك. ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر؛ أي: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ربٌّ غفورُ فرطاتِ مَنْ يَشْكُرُه. وقرئ الكل بالنصب على المدح. قيل: كانت أخصب البلاد وأطيبها؛ لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الشكر. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سيل الأمر العرم؛ أي: الصعب؛ من: (عرم الرجل) فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب، أو المطر الشديد أو الجرذ. أضاف إليه (السَّيْلَ)؛ لأنه ثقب عليهم سكراً ضربته لهم بلقيس، فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقباً على مقدار ما يحتاجون إليه، أو المسناة التي عقدت سكراً على أنه جمع عرمة

[لما قال لهم نبيهم] عبارة «الكشاف»(١) لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، والأول أنسب وعليه قيل: اسم النبي «أشعيا» [لم يكن فيها عاهة ولا هامة] قال الجوهري: مفرقاً العاهة الآفة والهامة الرأس ورئيس القوم وطائر(٢) من طير الليل وهو الصَّدا(٣) [أو الجرذ] بذال معجمة ضرب من الفأر، قاله الجوهري(٤). [بنت عليهم سكراً] «السِكْر»: ـ بكسر السين وسكون الكاف ـ العَرِمِ: بمعنى الحجارة المركومة.

[فخفت](٥)؛ أي: جمعت [أو المسببات] هو كالمعطوفات قبله عطف على

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٨٥]. (٢) في نسخة [ب]: (وطائرهم).
(٣) وذكرها الجوهري: بالألف المقصورة. الصحاح، الجوهري [٢/ ٢٦٢].
(٤) الصحاح، الجوهري [٣/ ٢٨٥].
(٥) في نسخة [ز]: (فخضت) وفي نسخة [ج]: (فحقنت) وفي نسخة [ب]: (فحقلت).

۞ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

وهي الحجارة المركومة، وقيل: اسم وادٍ جاء السيل من قبله، وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ﴿وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ ثمر بشع؛ فإن الخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة، وقيل: الأراك أو كل شجر لا شوك له، والتقدير: أكل أكلٍ خمط؛ فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً، أو عطف بيان. وقرأ أبو عمر: و(أُكُلِ خَمْطٍ) بالإضافة، ﴿وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ معطوفان على (أُكُلٍ) لا على (خَمْطٍ)، فإن (الأثل) هو الطرفاء ولا ثمر له. وقرئا بالنصب عطفاً على (جَنَّتَيْنِ) ووصف (السدر) بالقلة؛ فإنَّ جناه وهو (النبق) مما يطيب أكله، ولذلك يغرس في البساتين. وتسمية البدل (جَنَّتَيْنِ) للمشاكلة والتهكم. وقرأ أبو عمرو (ذواتي أكل) بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف (أكل). ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل؛ إذ روي أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيّاً فكذبوهم. وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص. ﴿وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص: (نُجازِي) بالنون و: (الْكَفُورَ) بالنصب.

﴿١٨﴾ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشأم. ﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض، أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ بحيث يقيل: الغادي في قرية، ويبيت الرائح في قرية إلى أن يبلغ الشام. ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو المقال. ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ متى شئتم من ليل أو نهار. ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات، أو سيروا آمنين وإن طالت مدة سيركم فيها، أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿١٩﴾ ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أَشِروا النعمة وملُّوا العافية كبني إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز؛ ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام: (بَعِّدْ)، ويعقوب: (رَبُّنا بَاعَدَ) بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم؛ إفراطاً في الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه، ومثله قراءة من قرأ: (رَبُّنَا بَعَّدَ) أو (بَعُدَ) على النداء وإسناد الفعل إلى (بَيْنَ). ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها. ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون: تفرقوا أيدي سبأ. ﴿وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق «غسان» منهم بالشأم، و«أنمار» بيثرب، و«جذام» بتهامة، و«الأزد» بعُمان. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فيما ذكر. ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي. ﴿شَكُورٍ﴾ على النعم.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾؛ أي: صدق في ظنه، أو صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك، ويجوز أن يعدى الفعل إليه بنفسه كما في: صَدَقَ وَعْدَهُ. لأنه نوع من القول، وشدده الكوفيون بمعنى: حقق ظنه أو وجده صادقاً. وقرئ بنصب (إِبْلِيسَ) ورفع (الظنُّ) مع التشديد بمعنى: وجده

«الصعب» [أشروا النعمة]؛ أي: بطروها [وملّوا العافية كبني إسرائيل] زاد «الكشاف»: عقب قوله: «وملُّوا العافية» فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنوا إسرائيل البصل والثوم مكان المنِّ والسَّلوَى[1] [فيقولون: تفرقوا أيدي سبأ] وعبّر «الكشاف»

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٨٧].

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

ظنه صادقاً، والتخفيف بمعنى: قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم؛ وبرفعهما والتخفيف على الأبدان، وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات، أو ببني آدم حين رأى أباهم النبي ﷺ ضعيف العزم، أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب، أو سمع من الملائكة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] و﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٣٩]. ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه، وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار، أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون.

﴿٢١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم﴾ على المتبعين ﴿مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ إلا ليتعلق علمنا بذلك تعلقاً يترتب عليه الجزاء، أو ليتميز المؤمن من الشاك، أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله؛ والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة، وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ محافظ والزنتان متآخيتان.

﴿٢٢﴾ ﴿قُلِ﴾ للمشركين. ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾؛ أي: زعمتموهم آلهة، وهما مفعولا (زعم) حذف الأول: لطول الموصول بصلته، والثاني: لقيام صفته

فقال: يقولون: ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا ايادي سبأ [ضعيف العزم]؛ أي: حيث أصغى إلى وسوسته [والزِّنَتان]؛ أي: زنة فعيل ومفاعل [لقيام صفته]؛ أي: وهي «من دون الله».

۝ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

مقامه، ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثاني لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاماً، ولا (لا يَمْلِكُونَ) لأنهم لا يزعمونه. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم؛ إن صح دعواكم! ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شرّ. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في أمرٍ ما، وذكرهما للعموم العرفي، أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام، أو لأن الأسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية. والجملة استئناف لبيان حالهم. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ من شركة لا خلقاً ولا ملكاً. ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ يعينه على تدبير أمرهما.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ فلا ينفعهم شفاعة أيضاً كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله. ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أذن له أن يشفع، أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك. و(اللام) على الأول: كـ(اللام) في قولك: الكرم لزيد، وعلى الثاني: كـ(اللام) في: جئتك لزيد. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثَمَّ توقفاً وانتظاراً للإذن؛ أي: يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالإذن. وقيل: الضمير للملائكة؛ وقد تقدم ذكرهم ضمناً. وقرأ ابن عامر ويعقوب: (فَزَّعَ) على البناء للفاعل. وقرئ: (فُرِغَ)؛ أي: نفي الوجل من: (فَرَغ الزاد) إذا فني.

[أن يكون هو]؛ أي: من دون الله الذي هو صفة [واللام على الأول..] إلى آخره؛ يعني: اللام في «لِمَنْ أذِنَ له» على التفسير الأول للاختصاص وعلى الثاني

۞ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض. ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة. ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ قالوا: قال القول الحق؛ وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون، وقرئ بالرفع؛ أي: مقوله الحق. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء ليس لملك، ولا نبي من الأنبياء أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه.

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يريد به تقرير قوله: (لَا يَمْلِكُونَ). ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إذ لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم. ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة، والمشركين به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال الواضح، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ، الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح؛ لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب، ونظيره قول حسان:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

للتعليل [من الموحدين المتوحد..] إلى آخره. المتوحد منصوب بالموحدين وبالعبادة متعلق بـ«هم» و«المشركين» معطوف على «الموحدين» و«الجماد» منصوب بـ«هم» وأوضح مما قاله قول «الكشاف»: إن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرزاق من السماوات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لَعَلى أحد الأمرين من الهدى والضلال[1].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٩٠].

۞ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ
شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾.

وقيل: إنه على اللف وفيه نظر، واختلاف الحرفين؛ لأن الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلع عليها، أو ركب جواداً يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك من قبل لا يرى شيئاً، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى منها.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات؛ حيث أسند (الإجرام) إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين. ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة. ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ يحكم ويفصل؛ بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار. ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم. ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة. ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة، وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة

[وقيل: إنه على اللف] إذ التقدير: «وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال» **[وفيه نظر]** لأن ذلك إنما يأتي بالعطف بالواو وهو هنا بـ«أو» وجعل «أو» بمعنى «الواو» نادراً وشاذ[1] **[واختلاف الحرفين]**؛ أي: الداخلين على الهدى والضلال **[في الإخبات]**

(١) في نسخة [ب]: (نادر أو شاذ).

۞ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

رأساً، والضمير (لله) أو للشأن. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ إلا رسالة عامة لهم من الكف؛ فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعاً لهم في الإبلاغ فهي حال من (الكاف) و(التاء) للمبالغة، ولا يجوز جعلها حالاً من (الناس) على المختار. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ من فرط جهلهم. ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يخاطبون به رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم والمؤمنين. ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ وعد يوم، أو زمان وعد. وإضافته إلى (اليوم) للتبيين، ويؤيده أنه قرئ: (يوم) على البدل، وقرئ: (يوماً) بإضمار (أعني). ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ إذا فاجأكم، وهو جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ

بالمثناة؛ أي: التواضع[1] **[والتاء للمبالغة]**؛ أي: كتاء الرواية والعلامة **[ولا يجوز جعلها حالاً من الناس على المختار]**؛ أي: لأن تقدم حال المجرور عليه كتقدم المجرور على الجار قال أبو حيان: هذا ما ذهب إليه الجمهور وذهب أبو علي

(١) انظر: غريب القرآن، الأصفهاني [ص٥٥٤].

۞ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يَدَيْهِ﴾ ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت. قيل: إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول ﷺ؟ فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم! فغضبوا وقالوا ذلك. وقيل: الذي بين يديه يوم القيامة. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في موضع المحاسبة. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يقول الأتباع. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ للرؤساء. ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ لولا إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان. ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ باتباع الرسول ﷺ. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أنكروا أنهم كانوا صادّين لهم عن الإيمان، وأثبتوا أنهم هم الذين صدوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى، وآثروا التقليد عليه؛ ولذلك بنوا الإنكار على الاسم.

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إضراب عن إضرابهم؛ أي: لم يكن إجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً؛ حتى أغرتم علينا رأينا. ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الأول، وإضافة (المَكْرُ) إلى الظرف على

وابن كيسان وابن برهان وابن ملكون إلى جوازه وهو الصحيح. انتهى.

[يتجاورون] من المجاورة وهو المجاوبة عبارة «الكشاف»[1]: يتجاذبون من المجاذبة وهو المنازعة وهما متقاربان **[على الاسم]**؛ أي: وهو نحن **[والعاطف يعطفه على كلامهم الأول]** توجيه للعطف في ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٩٣].

۞ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾.

الاتساع، وقرئ: (مَكْرَ الليل) بالنصب على المصدر و(مَكْرٌ الليلَ) بالتنوين ونصب الظرف و(مَكَرُّ الليل) من الكرور. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال، وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير، أو أظهروها فإنه من الأضداد؛ إذ الهمزة تصلح للإثبات والسلب كما في (أشكيته). ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾؛ أي: في أعناقهم فجاء بالظاهر تنويهاً بذمهم وإشعاراً بموجب أغلالهم. ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم. وتعدية (يجزي) إما لتضمين معنى: يقضي أو بنزع الخافض.

٣٤ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ مما مني به من قومه، وتخصيص المتنعمين بالتكذيب؛ لأن الداعي المعظم إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا، والانهماك في الشهوات، والاستهانة بمن لم يحظ منها؛ ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة إلى التكذيب فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع.

[سبأ: ٣٢] متضمن للجواب عن العطف فيه وتركه في ما قبله وعبارة «الكشاف»[١]: فإن قلت: لم قيل: ﴿٣٤:٣٢:١-٣﴾ بغير عاطف وقيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ قلت: لأن الذين استضعفوا مَرَّ أولاً كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف، ثم جيء لكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول.

[وتعدية يجزي..] إلى آخره. يقتضي أن جزي لا يتعدى بنفسه مطلقاً، وليس كذلك بل يكون متعدياً تارة وغير متعد أُخْرَى، فقد قال الجوهري: جزيته بما صنع، وجزا عني هذا الأمر؛ أي: قضى[٢]. انتهى [مُنِيَ به]؛ أي: ابتلي به [بالتكذيب]؛ أي: المأخوذ مما يأتي [إلى التكبر والمفاخرة]؛ أي: المأخوذين من قوله بعد:

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٥٩٤].
(٢) الصحاح، الجوهري [٨/ ١٩٦].

۞ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿٣٥﴾ ـ ﴿٣٦﴾ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ فنحن أولى بما تدعونه إن أمكن. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ إما لأن العذاب لا يكون، أو لأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب. ﴿قُلْ﴾ ردّاً لحسبانهم. ﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات، ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته! ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، وكثيراً ما يكون للاستدراج كما قال:

﴿٣٧﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قربة، و(التي) إما لأن المراد: وما جماعة أموالكم وأولادكم، أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة. وقرئ: (بالذي)؛ أي: بالشيء الذي يقربكم. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناء من مفعول (تُقَرِّبُكُمْ)؛ أي: الأموال والأولاد لا تقرِّبُ أحداً إلا المؤمن الصالح؛ الذي ينفق ماله في سبيل الله، ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح. أو (من أَمْوالُكُمْ) و(أَوْلادُكُمْ) على حذف المضاف. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أن يجازوا الضعف إلى عشر فما فوقه، والإضافة إضافة المصدر إلى المفعول. وقرئ بالإعمال على الأصل.

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [سبأ: ٣٥]. . إلى آخره [لم يكن بمشيئته]؛ أي: مع أنه بها فليس ذلك لكرامة وهو أن يوجبانه [على حذف المضاف]؛ أي: إلا أموال وأولاد من آمن وعمل صالحاً [والإضافة] في نسخة: «والأصل».

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وعن يعقوب رفعهما على إبدال (الضعف)، ونصب (الجزاء) على التمييز أو المصدر لفعله الذي دل عليه (لهم). ﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ من المكاره، وقرئ بفتح الراء وسكونها، وقرأ حمزة: (في الغُرْفَة) على إرادة الجنس. ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالرد والطعن فيها. ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مسابقين لأنبيائنا، أو ظانين أنهم يفوتوننا. ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه أُخْرَى؛ فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين فلا تكرير. ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عوضاً إما عاجلاً أو آجلاً. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإن غيره وسط في إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيته.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ تقريعاً للمشركين وتبكيتاً لهم، وإقناطاً لهم عما يتوقعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم؛ ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله. وقرأ حفص ويعقوب بالياء فيهما. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم؛ كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك، ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾؛ أي: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله.

[بالياء فيهما]؛ أي: في قول: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ والضمير لله تعالى.

۞ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

وقيل: كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ الضمير الأول للـ(الإنس) أو للـ(مشركين)، و(الأكثر) بمعنى: (الكل)، والثاني للـ(الجنّ).

﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ إذ الأمر فيه كله له؛ لأن الدار دار جزاء، وهو المجازي وحده. ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ عطف على (لَا يَمْلِكُ) مبين للمقصود من تمهيده. ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون محمّداً عليه الصلاة والسلام. ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه. ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون القرآن. ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع. ﴿مُّفْتَرًى﴾ بإضافته إلى الله سبحانه. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ لأمر النبوة أو للإسلام أو للقرآن؛ والأول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه وإعجازه. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر سحريته. وفي تكرير الفعل، والتصريح بذكر الكفرة، وما في (اللامين) من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في (لَمَّا) من المبادهة إلى البت بهذا القول؛ إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه.

[فيعبدونها] في نسخة: «فيعبدونهم» [والأكثر بمعنى الكل] قيد في المشركين [والأول]؛ أي: وهو قولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ [وهذا]؛ أي: وهو قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [وفي تكرير الفعل][١]؛ أي: وهو قال [وما في اللامين]؛ أي: لامي «الذين» و«الحق» [من المبادهة]؛ أي: المفاجأة[٢].

---

(١) في نسخة [ز]: (العمل).

(٢) المخصص، ابن سيده [١/ ٢١٦].

۞ ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ﴾ فيها دليل على صحة الإشراك. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ يدعوهم إليه وينذرهم على تركه، وقد بان من قبل أن لا وجه له، فمن أين وقع لهم هذه الشبهة! وهذا في غاية التجهيل لهم، والتسفيه لرأيهم، ثم هددهم فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ كما كذبوا. ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال، أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى. ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير؛ فكيف كان نكيري لهم؟ فليحذر هؤلاء من مثله! ولا تكرير في (كذب) لأن الأول للتكثير والثاني للتكذيب، أو الأول مطلق والثاني مقيد؛ ولذلك عطف عليه بالفاء.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة؛ هي ما دل عليه: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله، أو الانتصاب في الأمر خالصاً لوجه الله معرضاً عن المراء والتقليد. ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً؛ فإن الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول. ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ في أمر محمّد ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقته. ومحله الجر على البدل، ....

[تمهيداً] تعليل للمذكورات قبله [له]؛ أي: للقول [لأن الأول للتكثير]؛ أي: فعلوا التكذيب كثيراً فكان سبباً لتكذيب الرسل [ومحله]؛ أي: أن تقوموا [الجر على البدل]؛ أي: من واحدة.

۞ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾.

أو البيان، أو الرفع أو النصب؛ بإضمار (هو) أو (أعني). ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ فتعلموا ما به من جنون يحمله على ذلك، أو استئناف منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه؛ فإنه لا يدعه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم؛ من غير تحقق ووثوق ببرهان، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك! فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة؟! وقيل: (مَا) استفهامية، والمعنى: ثم تتفكروا؛ أي: شيء به من آثار الجنون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قدامه لأنه مبعوث في نسم الساعة.

﴿٤٧﴾ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: شيء سألتكم من أجر على الرسالة! ﴿فَهُوَ لَكُمْ ۖ﴾ والمراد نفي السؤال عنه، كأنه جعل التنبي مستلزماً لأحد الأمرين؛ إما الجنون، وإما توقع نفع دنيوي عليه؛ لأنه إما أن يكون لغرض أو لغيره، وأيّاً ما كان يلزم أحدهما، ثم نفي كلّاً منهما. وقيل: (مَا) موصولة مراد بها ما سألهم بقوله: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ﴾

[أو البيان]؛ أي: أو عطف بيان لها و«تتفكروا» عطف على «تقوموا» **[أو استئناف]** عطف من حيث المعنى على «فتعلموا» والمعنى ثم «تتفكروا فتعلموا ما به جنون» أو استئناف تنبيهاً **[على أن ما عرفوا..]** إلى آخره. فالاستئناف واقع على «ما بصاحبكم من جِنَّة» وعلى أن ما عرفوا متعلق بمحذوف كما بينته تبعاً للكشاف **[فإنه]**؛ أي: العقل **[لا يدعه]**؛ أي: النبي **[في نسم الساعة]**؛ أي: أوائلها قال الجوهري[1]: النسم الريح الطيبة، ونسم الريح أولها حين تُقْبِلُ بِلِينٍ قبل أن يشتد،

---

(١) الصحاح، الجوهري [٨/ ٤٤٧].

۞ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾.

[الشورى: ٢٣] واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بإسكان الياء.

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده، أو يرمي به الباطل فيدمغه، أو يرمي به إلى أقطار الآفاق، فيكون وعداً بإظهار الإسلام وإفشائه. ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ صفة محمولة على محل (إِنَّ) واسمها، أو بدل من المستكن في (يَقْذِفُ) أو خبر ثان، أو خبر محذوف. وقرئ بالنصب صفة لـ(رَبِّي) أو مقدراً: بأعني. وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وأبو حمزة والكسائي: (الغيوب) بالكسر كـ(البيوت)، والباقي بالضم كـ(العشور)، وقرئ بالفتح كـ(الصّبور) على أنه مبالغة غائب. ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾؛ أي: الإسلام. ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ وزهق الباطل؛ أي: الشرك بحيث لم يبق له أثر؛ مأخوذ من هلاك الحي؛ فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة قال:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ ... فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيد

وقيل: الباطل: إبليس أو الصنم، والمعنى: لا ينشئ خلقاً ولا يعيده،

ومنه الحديث: «**بعثت في نسم الساعة**»(١)؛ أي: حين ابتدأت وأقبلت أوائلها. [قال]؛ أي: عبيد بن الأبرص:

[أقفر ....]

أي: خلا [من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد] قصته: أن المنذر ابن ماء

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم [٤/ ١٦١].

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾.

أو لا يبدئ خيراً لأهله ولا يعيده. وقيل: (مَا) استفهامية منتصبة بما بعدها.

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾؛ أي: وبال ضلالي عليها؛ لأنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء؛ وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه. ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله؛ وإن أخفاه.

﴿٥١﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند الموت أو البعث أو يوم بدر. وجواب (لَوْ) محذوف مثل: لرأيت فظيعاً. ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا يفوتون الله بهرب أو تحصن. ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من ظهر الأرض إلى بطنها، أو من الموقف إلى النار، أو من صحراء بدر إلى القليب، والعطف على (فَزِعُوا) أو لا فوت، ويؤيده أنه قرئ: (وأَخْذٌ) عطفاً على محله؛ أي: فلا فوت هناك وهناك أخذ.

السماء كان ملكاً وكان له يوم في السنة يذبح فيه أول من يلقى فاتفق في ذلك اليوم إشراف[1] عبيد فأمر بقتله فقيل له: امدحه فقال: حال الجريض[2] دون القريض. فقال الملك أنشدنا قولك:

أقفر من أهل ملحوب... فالقطيبات[3] فالذنوب... فقال أقفر من أهله.. إلى آخره[4]. «الجَريض»: الغصة من الجَرض، وهو الريق يغص به على هَمّ وحزن، و«القريض»: الشعر[5] وملحوب وتالياه مواضع [وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء] كان الأنسب تأخيره عن قوله: [فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه] مع أنه ساقط من نُسَخ

---

(١) في نسخة [ب]: (أسرا).
(٢) في نسخة [ج ـ ب]: (الحريض).
(٣) في نسخة [ب]: (فالعطيبات).
(٤) انظر: الأمثال، ابن سلّام [ص٤١].
(٥) في نسخة [ز]: (المستبعد).

۞ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمّد ﷺ، وقد مرَّ ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ [سبأ: ٤٦]. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً. ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ فإنه في حيز التكليف وقد بعد عنهم؛ وهو تمثيل لحالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات منهم أوانه، وبعد عنهم؛ بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة. وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها. أو لأنه من: (نأشت الشيء) إذا طلبته قال رؤبة:

أَقْحَمَنِي جَارُ أَبِي الجَامُوش إِلَيْكَ نَأْشَ القَدَرِ النؤوش

أو من: (نأشت) إذا تأخرت، ومنه قوله:

تَمَنَّى نَشِيْشاً أَن يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ

فيكون بمعنى: التناول مِنْ بُعْد.

﴿٥٣﴾ - ﴿٥٤﴾ ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام أو

[أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً] أشار إلى قول «الكشاف»: التناول والتناوش أخوان إلا أن التناوش تناول سهم لشيء قريب ثم قال: يقال: ناشه وتناوشه القوم، ويقال: تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضاً[١] **[بحال من يريد أن يتناول الشيء من علوة]** هي غاية رمى السهم بقدر ما يرمي به الرامي **[قال رؤبة:**

أفحمني جارُ أبي الخاموش إليكَ نأشَ القدرِ النؤوش][٢]

أي: الزم طلب القدر المتناول:

[تمنى نيشا أن يكون أطاعني وقد حدثت بعد الأمور أمور]

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٠٢].

(٢) المخصص، ابن سيده [٨/ ٣٧].

بالعذاب. ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ذلك أوان التكليف. ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويرجمون بالظن، ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن، أو في العذاب من البت على نفيه. ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي تمحلوها في أمر الرسول ﷺ، أو حال الآخرة كما حكاه من قبل. ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه. وقرئ: (وَيُقْذَفُونَ) على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك، والعطف على (وَقَدْ كَفَرُوا) على حكاية الحال الماضية، أو على (قالوا) فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان والنجاة به من النار. وقرأ ابن عامر والكسائي بإشمام الضم للحاء. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ موقع في الريبة، أو ذي ريبة؛ منقول من المشكك، أو الشك؛ نعت به الشك للمبالغة.

عن النبيّ ﷺ: **«من قرأ سورة (سبأ) لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً»**.

نيشا؛ أي: أخبر من قولهم: «ناشت إذا أبطأت وتأخرت» والمعنى: أن صاحبي تمنى آخر الأمر أن يكون أطاعني فيما نصحته، والحال أنه قد حدثت أمور بعد أمور دلت على رشادي وصدق رأيي [**منقول المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة**] إيضاحه قول «الكشاف»[1]: وكلاهما؛ أي: المعنيين مجاز إلا أن بينهما فُرَيْقاً وهو أن المريب من الأول: منقول ممن يصح أن يكون مريباً من الأعيان إلى المعنى، والمريب من الثاني: منقول من صاحب الشك إلى الشكّ كما نقول: شعر شاعر. [«من قرأ سورة سبأ..»] إلى آخره. موضوع[2].

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٣/ ٦٠٣].

(٢) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ١٤٢/ برقم: ١٠٤٩].

سُورَةُ فَاطِرٍ (الملائكة)

(٣٥) مكية، وآيها خمس وأربعون آية

۞ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما؛ من: (الفطر) بمعنى: (الشق) كأنه شق العدم بإخراجهما منه. والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي. ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة. أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على أمرهم به. ولعله لم يرد به خصوصية الإعداد ونفي ما زاد عليها؛ لما روي: أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح. ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته؛ لا أمر تستدعيه ذواتهم لأن اختلاف الأصناف والأنواع بالخواص والفصول؛ إن كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة وهو

وتسمى: سورة فاطر [روي: «**أنه ﷺ رأى جبريل.....**»] إلى آخره، رواه الشيخان[١] بدون: «**ليلة المعراج**»، ولفظ ابن حبان: «**رأيت جبريل عند سدرة**

(١) صحيح البخاري [٣/ ١١٨١/ برقم: ٣٠٦٠]، صحيح مسلم [١/ ١٥٨/ برقم: ١٧٤].

۞ ﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾.

محال. والآية متناولة زيادات الصور والمعاني: كملاحة الوجه، وحسن الصوت، وحصافة العقل، وسماحة النفس. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل دون بعض، إنما هو من جهة الإرادة.

﴿٢﴾ ﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ ما يطلق لهم ويرسل؛ وهو من تجوز السبب للمسبب. ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ كنعمة، وأمن، وصحة، وعلم، ونبوة. ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ يحبسها. ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ يطلقه، واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول: مفسر بالرحمة، والثاني: مطلق بتناولها والغضب وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد إمساكه. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على ما يشاء ليس لأحد أن ينازعه فيه. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ لا يفعل إلا بعلم وإتقان. ثم لما بيَّن أنه الموجد للملك والملكوت، والمتصرف فيهما على الإطلاق؛ أمر الناس بشكر إنعامه فقال:

﴿٣﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة مولِّيها، ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد بإشراك غيره به! ورفع (غَيْرُ) للحمل على محل (مِنْ خالِقٍ) بأنه وصف أو بدل؛ فإن

المنتهى، وله ستمئة جناح ينثر من ريشه الدر والياقوت»[1] [وحصافة العقل] متانته [وهو من تجوز السبب للمسبب] حيث أطلق الفتح على الإطلاق والإرسال

---

(١) صحيح ابن حبان [١٤/ ٣٣٧/ برقم: ٦٤٢٨].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)﴾.

الاستفهام بمعنى النفي، أو لأنه فاعل (خالِق) وجرّه حمزة والكسائي حملاً على لفظه، وقد نصب على الاستثناء، (ويَرْزُقُكُمْ) صفة (لخالِقٍ) أو استئناف مفسر له أو كلام مبتدأ، وعلى الأخير يكون إطلاق (هَلْ مِنْ خالِقٍ) مانعاً من إطلاقه على غير الله. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: فتأسَّ بهم في الصبر على تكذيبهم، فوضع (فَقَدْ كُذِّبَتْ) موضعه استغناء بالسبب عن المسبب. وتنكير (رسل) للتعظيم المقتضي زيادة التسلية، والحث على المصابرة. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب.

(٥) - (٦) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالحشر والجزاء. ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية؛ فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة. وقرئ بالضم؛ وهو مصدر أو جمع كـ(قعود). ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوة عامة قديمة. ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم. ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى، والركون إلى الدنيا.

(٧) - (٨) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعيد لمن أجاب دعاءه، ووعد لمن خالفه، وقطع للأماني الفارغة، وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله: ﴿أَفَمَن

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾.

زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ تقرير له؛ أي: أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله، حتى انتكس رأيه، فرأى الباطل حقاً والقبيح حسناً؛ كمن لم يزين له؛ بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه! فحذف الجواب لدلالة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُۖ﴾ وقيل: تقديره أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ عليه؛ ومعناه: فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب. والفاآت الثلاث للسببية؛ غير أن الأوليين دخلتا على السبب، والثالثة دخلت على المسبب. وجمع (الحسرات) للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم، أو كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف. و(عليهم) ليس صلة لها لأن صلة المصدر لا تتقدمه؛ بل صلة (تذهب) أو بيان للمتحسر عليه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

٩ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: (الريح). ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة؛ ولأن المراد بيان أحداثها بهذه الخاصية، ولذلك أسنده إليها. ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر. ﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء. ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره،

[والفاءات الثلاث]؛ أي: في قوله: ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ [فاطر: ٨].. إلى آخره.

[لأن صلة المصدر لا تتقدمه] يُرد بأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره كما مرّ [أو بيان للمتحسر عليه]؛ أي: فيتعلق بمحذوف [اختلاف الأفعال]؛ أي: ارسل، وتثير، وسقناه [النازل] منه؛ أي: من السحاب [وذكر السحاب كذكره]؛

﴿١٠﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾.

أو بالسحاب فإنه سبب السبب، أو الصائر مطراً. ﴿بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية؛ إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه، وذلك لا مدخل له فيها. وقيل: في كيفية الإحياء؛ فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق.

﴿١٠﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ الشرف والمنعة. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؛ أي: فليطلبها من عنده فإن له كلها، فاستغنى بالدليل عن المدلول. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، أو صعود الكتبة بصحيفتهما، والمستكن في (يَرْفَعُهُ) للـ(الكَلِمُ) فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد؛ ويؤيده أنه نصب (الْعَمَلُ)، أو لـ(العَمَلُ) فإنه يحقق الإيمان ويقويه، أو (لله) وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة. وقرئ: (يَصْعَدُ) على البناءين، والمصعد هو الله تعالى، أو المتكلم به، أو الملك.

أي: كذكر المطر، حيث أقيم مقامه **[أو بالسحاب]** عطف على «بالمطر» **[والعدول فيهما]**؛ أي: في سقناه وأحيينا **[من الغيبية]**؛ أي: في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [فاطر: ٩].

[إلى ما هو أدخل في الاختصاص] وهو التكلم في سقنا وأحيينا(١) **[وقيل: في كيفية الإحياء]** مقابل لقوله: في صحة المقدورية **[وقرئ يُصعدُ]** بضم الياء **[على البناءين]**؛ أي: البناء للفاعل، والبناء للمفعول.

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/ ٦٧].

۞ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

وقيل: (الْكَلِمُ الطَّيِّبُ): يتناول الذكر، والدعاء، وقراءة القرآن. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء، فحيّا بها وجه الرحمٰن؛ فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل!**». ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المكرات السيئات؛ يعني: مكرات قريش للنبي ﷺ في دار الندوة وتدارسهم الرأي في إحدى ثلاث: حبسه وقتله وإجلائه. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ لا يؤبه دونه بما يمكرون به. ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يفسد ولا ينفذ؛ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله:

﴿١١﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق آدم منه. ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ بخلق ذريته منها. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًاۚ﴾ ذكراناً وإناثاً. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ﴾ إلّا معلومة له. ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر. ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره، أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً، والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله عليه، أو للـ(العمر) على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق. وقيل: الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل: أن يكون فيه: إن حج عَمْرُو فعمره ستون سنة وإلا فأربعون! وقيل: المراد بالنقصان ما يمرُّ من عمره وينقضي؛ فإنه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً.

[وعنه ﷺ: «**هو سبحان الله..**»] إلى آخره، رواه الحاكم، وغيره موقوفاً(١)،

---

(١) مستدرك الحاكم [٢/٤٦١/ برقم: ٣٥٨٩].

۞ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وعن يعقوب: (وَلا يُنْقِصُ) على البناء للفاعل. ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ هو علم الله، أو اللوح، أو الصحيفة. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارة إلى الحفظ أو الزيادة أو النقص.

﴿١٢﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر. و(الفرات): الذي يكسر العطش، و(السائغ): الذي يسهل انحداره، و(الأجاج): الّذي يحرق بملوحته. وقرئ: (سيغ) بالتشديد وبالتخفيف و(مَلِحٌ) على فعل. ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، أو تمام التمثيل. والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان، من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء؛ فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، لا يتساوى المؤمن والكافر، وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة؛ لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى؛ وهي بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر، أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع. والمراد بـ(الْحِلْيَةِ): اللآلئ واليواقيت. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾ في كل. ﴿مَوَاخِرَ﴾ تشق الماء بجريها. ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من فضل الله بالنقلة

والثعلبي، وغيره مرفوعاً [لا يتساويان] صفة في المعنى للبحرين، لا جواب قوله: «كما أنهما وإن اشتركا..» إلى آخره. وإنما جوابه قوله: بعد لا يتساوى المؤمن والكافر [فإنه]؛ أي: الشأن [خالط أحدهما]؛ أي: وهو الأجاج، وهو مفعول خالط، وفاعله: [ما أفسده..] إلى آخره [أو تفضيل للأجاج] عطف على «استطراد»

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ
كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا
ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ
بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾﴾.

فيها، و(اللام) متعلقة بـ(مَواخِرَ)، ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الأفعال المذكورة. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ على ذلك، وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ هي مدة دوره، أو منتهاه، أو يوم القيامة. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء. وفيها إشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الأخبار المترادفة، ويحتمل أن يكون (لَهُ الْمُلْكُ) كلاماً مبتدأ في قرآن. ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ للدلالة على تفرده بالألوهية والربوبية، و(القطمير): لفافة النواة. ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾؛ لأنهم جماد ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ على سبيل الفرض. ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ لعدم قدرتهم على الإنفاع، أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم. ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ بإشراككم لهم يقرون ببطلانه، أو يقولون: مَّا كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر مِثْلُ خَبِيرٍ به أخبرك؛ وهو الله تعالى؛ فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين. والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ في أنفسكم وما يعنّ

[باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال]؛ أي: من أن المقصود طلب الإقرار بالوحدانية

۞ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

لكم. وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم؛ كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به؛ ولذلك قال: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ المستغني على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بقوم آخرين أطوع منكم، أو بعالم آخر غير ما تعرفونه. ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر أو متعسر.

﴿١٨﴾ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أُخرَى، وأما قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ففي الضالين المضلين؛ فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم. ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ نفس أثقلها الأوزار. ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ تحمل بعض أوزارها. ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ لم تجب لحمل شيء منه؛ نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ولو كان المدعو ذا قرابتها. فأضمر المدعو لدلالة إن تدع عليه. وقرئ: (ذو قربى) على حذف الخبر، وهو أولى من جعل (كان) تامة؛ فإنها لا تلائم نظم الكلام. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبين عن عذابه، أو عن الناس في خلواتهم، أو غائباً عنهم عذابه. ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير،

[وقرئ «ذو قربى» على حذف الخبر][(١)]؛ أي: الداعي [وبصحف إبراهيم] في نسخة:

---

(١) اللباب، ابن عادل [١٦/ ١٢١].

۞ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾.

واختلاف الفعلين لما مرَّ من الاستمرار. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ ومن تطهر من دنس المعاصي. ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ إذ نفعه لها، وقرئ: (ومَنِ ازكَّى فإنما يَزَّكَّى) وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكي. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازيهم على تزكيهم.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن، وقيل: هما مثلان: للصنم، ولله ﷻ. ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ ولا الباطل ولا الحق ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ ولا الثواب ولا العقاب، و(لا) لتأكيد نفي الاستواء، وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد. ﴿ٱلْحَرُورُ﴾ فعول من: (الحرّ) غلب على السموم. وقيل: (السموم): ما تهب نهاراً والحرور ما تهب ليلاً. ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول؛ ولذلك كرر الفعل. وقيل: للعلماء والجهلاء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ ترشيح لتمثيل المصرِّين على الكفر بالأموات، ومبالغة في إقناطه عنهم. ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا الإنذار؛ وأما الإسماع فلا إليك، ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ محقين أو محقّاً، أو إرسالاً مصحوباً بالحق. ويجوز أن يكون صلة لقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ أي: بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصر. ﴿إِلَّا خَلَا﴾ مضى. ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ من نبي أو عالم ينذر عنه. والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة؛ سيما وقد قرن به من قبل، أو لأن الإنذار هو الأهم المقصود من البعثة.

۞ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم. ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ بصحف إبراهيم. ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ كالتوراة والإنجيل؛ على إرادة التفصيل دون الجمع. ويجوز أن يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري بالعقوبة.

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ أجناسها وأصنافها على أن كلاً منها ذو أصناف مختلفة، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما. ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾؛ أي: ذو جدد؛ أي: خطط وطرائق، يقال: (جُدَّةُ الحمار) للخطة السوداء على ظهره. وقرئ: (جُدُدٌ) بالضم جمع جديدة بمعنى: (الجدة) و(جَدَدٌ) بفتحتين وهو الطريق الواضح. ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدة والضعف. ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف على (بِيضٌ) أو على (جُدَدٌ) كأنه قيل: ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون، ومنها غَرابيبُ متحدة اللون. وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده؛ فإن الغربيب تأكيد للأسود؛ ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد، ونظير ذلك في الصفة قول النابغة:

«كصحف إبراهيم» [ذو أصناف] في نسخة: «لها أصناف» [وهو]؛ أي: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] [تأكيد مضمر يفسره]؛ أي: يفسر ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ المضمر، والتقدير: سود غرابيب سود:

۞ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾.

وَالمُؤْمِنُ العَائِذَاتُ الطَّيْرُ يَمْسَحُهَا ركبانُ مكَّةَ بينَ الغِيْلِ والسند

وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ كاختلاف الثمار والجبال. ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشي، والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه؛ ولذلك قال ﷺ: **«إني أخشاكم لله وأتقاكم له»** ولهذا أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية، ولو أخّر انعكس الأمر. وقرئ: برفع اسم (الله) ونصب (العلماء) على أن الخشية مستعارة للتعظيم؛ فإن المعظم يكون مهيباً. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصرّ على طغيانه، غفور للتائب عن عصيانه.

٢٩ - ٣٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يداومون على قراءته، أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنواناً. والمراد بـ(كتاب الله) القرآن، أو جنس كتب الله؛ فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ كيف اتفق

[والمُؤْمِنُ العائِذاتِ الطَّيْرُ يَمسَحُها ....]

تمامه:

.... **ركبانُ مَكَّةَ بيـن «الغيلِ» و«السندِ»**(١)

(١) البيت للنابغة الذبياني. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس [١/ ١٣٥].

۞ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ
لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

من غير قصد إليهما. وقيل: السر في المسنونة، والعلانية في المفروضة. ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر (إن). ﴿لَنْ تَبُورَ﴾ لن تكسد، ولن تهلك بالخسران؛ صفة للتجارة وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ علة لمدلوله؛ أي: ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله؛ ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم. أو لمدلول ما عدّ من امتثالهم نحو: فعلوا ذلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أو عاقبة لـ(يَرْجُونَ). ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما يقابل أعمالهم. ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتهم؛ أي: مجازيهم عليها؛ وهو علة للتوفية والزيادة، أو خبر (إن) و(يَرْجُونَ) حال من (واو) (وَأَنْفَقُوا).

﴿٣١﴾ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ يعني: القرآن، و(مِنَ) للتبيين أو الجنس، و(مِنَ) للتبعيض. ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية؛ حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم بالبواطن والظواهر، فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز، الذي هو عيار على سائر الكتب! وتقديم (الخبير) للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية.

﴿٣٢﴾ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ حكمنا بتوريثه منك، أو نورثه؛ فعبّر عنه بالماضي لتحققه، أو أورثناه من الأمم السالفة. والعطف على: (إِنَّ الَّذِينَ

هما: موضعان، و«المؤمن» اسم لله وهو مجرور بالقسم، و«العائذات» منصوب بـ«المؤمن»، والمراد بها الحمائم لما عاذت بمكة والتجأت إليها حُرم التعرض لها، و«الطير» منصوب بالبدل، أو بعطف البيان، ووجه الاستدلال بذلك: أن الطير دال على المحذوف وهو مفعول «المؤمن»، و«العائذات» صفته؛ أي: والمؤمن الطير العائذات الطير [أو عاقبة] عطف على «عِلّة» [أو الجنس] عطف على «القرآن»

۞ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾.

يَتْلُونَ)، (وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) اعتراض لبيان كيفية التوريث. ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾؛ يعني: علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم، أو الأمة بأسرهم؛ فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به. ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ يعمل به في غالب الأوقات. ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بضم التعليم والإرشاد إلى العمل، وقيل: الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلم، والسابق العالم. وقيل: الظالم المجرم، والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ، والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: **«أما الذين سبقوا: فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا: فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم: فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته»**. وقيل: الظالم الكافر على أن الضمير للعباد، وتقديمه لكثرة الظالمين، ولأن الظلم بمعنى الجهل، والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ إشارة إلى التوريث أو الاصطفاء أو السبق.

٣٣ ـ ٣٥ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ مبتدأ وخبر، والضمير ....

[اعتراض]؛ أي: بين المتعاطفين.

[لبيان كيفية التوريث]؛ أي: المفهوم من قوة الكلام السابق [أو الأمة بأسرهم] عطف على «علماء الأمة» [أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة..] إلى آخره، رواه الإمام أحمد[1]، والحاكم[2]، وغيرهما [والضمير]؛ أي: المرفوع في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾

---

(١) مسند أحمد [٥/١٩٨/ برقم: ٢١٧٧٥]. (٢) مستدرك الحاكم [٢/٤٦٢/ برقم: ٣٥٩٣].

۞ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

للثلاثة، أو للّـ(الَذينَ) أو للـ(المُقْتَصِدُ) و(السابِق)، فإن المراد بهما الجنس وقرئ: (جنةُ عَدْنِ) و(جناتِ عَدْنٍ) منصوبة بفعل يفسره الظاهر، وقرأ أبو عمرو: (يُدْخَلُونَها) على البناء للمفعول. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ خبر ثان أو حال مقدرة، وقرئ: (يَحْلَوْنَ) من: (حليت المرأة) فهي حالية. ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ (مِنْ) الأولى للتبعيض، والثانية للتبيين. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ عطف على (ذَهَبٍ)؛ أي: مِنْ ذَهَبٍ مرصع باللؤلؤ، أو مِنْ ذَهَبٍ في صفاء اللؤلؤ، ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محل: (مِنْ أَساوِرَ). ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ همهم من خوف العاقبة، أو همهم من أجل المعاش وآفاته، أو من وسوسة إبليس وغيرها، وقرئ: (الْحُزْنَ). ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين. ﴿شَكُورٌ﴾ للمطيعين. ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ دار الإقامة. ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ من إنعامه وتفضله إذ لا واجب عليه. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ كلال؛ إذ لا تكليف فيها ولا كدَّ؛ أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ لا يحكم عليهم بموت ثانٍ. ﴿فَيَمُوتُوا﴾ فيتسريحوا. ونصبه بإضمار (أن). وقرئ:

[فاطر: ٣٣] [للثلاثة] هي الظالم وتالياه، بناء على أن الظالم من المؤمنين [أو المقتصد والسابق]، قيل: أو السابقين، وقوّي[1] بذكر قربهم، وبأنه ذكر إكرامهم بقوله: ﴿يُحَلَّوْنَ﴾. والمكرم هو السابق.

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (قرئ).

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ٣٩﴾.

(فيموتون) عطفاً على (يُقْضى) كقوله: ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾؛ بل كلما خبت زيد إسعارها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء. ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ مبالغ في الكفر أو الكفران، وقرأ أبو عمرو: (يُجزَى) على بناء المفعول وإسناده إلى (كُلّ)، وقرئ: (يُجَازى). ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون؛ يفتعلون من: (الصراخ): وهو الصياح؛ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته. ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ بإضمار القول، وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به، والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه، وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح، والآن تحقق لهم خلافه. ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ جواب من الله، وتوبيخ لهم؛ وما يَتَذَكَّرُ فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر، وقيل: ما بين العشرين إلى الستين. وعنه عليه الصلاة والسلام: «**العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة**». والعطف على معنى: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ) فإنه للتقرير؛ كأنه قال: عمّرناكم وجاءكم النذير؛ وهو النبي أو الكتاب، وقيل: العقل أو الشيب أو موت الأقارب. ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨ - ٣٩ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لا يخفى عليه

[العمر الذي أعذر فيه إلى ابن آدم ستون سنة] رواه البزار[١]، ورواه البخاري بلفظ: «**من عمّره الله ستين سنة فقد أعذر عليه في العمر**»[٢] [والعطف]؛ أي: في

---

(١) مسند البزار [٢/ ٤٤١/ برقم: ٨٥٢١]. (٢) صحيح البخاري [٥/ ٢٣٦٠/ برقم: ٦٠٥٦].

۞ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

خافية، فلا يخفى عليه أحوالهم. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تعليل له لأنه إذا علم مضمرات الصدور ـ وهي أخفى ما يكون ـ كان أعلم بغيرها. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يلقى إليكم مقاليد التصرف فيها، وقيل: خلفاً بعد خلف، جمع: (خليفة)، و(الخلفاء) جمع (خليف). ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ جزاء كفره. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ بيان له، والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين، مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه. والمراد بـ(المقت): وهو أشد البغض؛ مقت الله، وبـ(الخسار) خسار الآخرة.

﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: آلهتهم. والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله أو لأنفسهم فيما يملكونه. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدل من (أَرَأَيْتُمْ) بدل الاشتمال؛ لأنه بمعنى: (أخبروني) كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء! أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أم لهم شركة مع الله في خلق السمٰوات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية. ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ ينطق على أنا اتخذناهم شركاء. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ على حجة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية. ويجوز أن يكون (هم) للمشركين كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الروم: ٣٥] وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر: (على بينات) فيكون إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل. ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ لما تقرر أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه؛ وهو تغرير الأسلاف الأخلاف، أو الرؤساء الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه.

۞ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ كراهة أن تزولا؛ فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ، أو يمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ ما أمسكهما. ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ من بعد الله أو من بعد الزوال. والجملة سادة مسد الجوابين، و(من) الأولى زائدة، والثانية للابتداء. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تُهَدّا هَدّاً كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٣﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ﴾. وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى! لو أتانا رسول لنكونن أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ؛ أي: من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم، أو من الأمة التي يقال فيها هي: إِحْدَى الْأُمَمِ؛ تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ. ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾؛ أي: النذير أو مجيئه على التسبب. ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الحق. ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدل من (نفوراً) أو مفعول له. ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ﴾ أصله: وإن مكروا المكر السيئ؛ فحذف الموصوف استغناء بوصفه، ثم بدل أن مع الفعل

﴿وَجَآءَكُمُ﴾ [فاطر: ٣٧] [مسد الجوابين]؛ أي: جوابي القسم والشرط في قوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ [فاطر: ٤١]، وفيه تجوز إذ هو في الحقيقة جواب القسم، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم، فالمراد بسده مسدهما أنه يدل عليهما لا أنه قائم مقامهما، إذ يلزمه أن يكون معمولاً وغير معمول؛ لأنه باعتبار جواب القسم لا محل

۞ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

بالمصدر، ثم أضيف. وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل. ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ ولا يحيط. ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، وقد حاق بهم يوم بدر، وقرئ: (وَلَا يُحِيقُ المكرَ)؛ أي: ولا يحيقُ اللهُ. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون. ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سُنَّة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم. ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ إذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب تعذيباً، ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم، وقوله:

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استشهاد علم بما يشاهدونه في مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين. ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ ليسبقه ويفوته. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء كلها. ﴿قَدِيرًا﴾ عليها. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي. ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ ظهر الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم، وقيل: المراد بالدابة الإنس وحده لقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم.

عن النبي ﷺ: **«من قرأ سورة (الملائكة) دعته ثمانية أبواب الجنة: أن أدخل من أي باب شئت»**.

له من الإعراب، وباعتبار جواب الشرط له محل [وقرئ ولا يُحيق المكرَ]؛ أي: بضم الياء، ونصب المكر. [من قرأ سورة الملائكة..] إلى آخره، موضوع[١].

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/١٥٨/ برقم: ١٠٦٩].

سُورَةُ يس

(٣٦) وعنه عليه الصلاة والسلام: «(يس) تدعى المعمّة، تعمّ خير الدارين صاحبها، والدافعة، والقاضية، تدفع عنه كل سوء، وتقضي له كل حاجة»، وهي مكية، آيها ثلاث وثمانون آية

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٤﴾ ﴿يسٓ﴾ «يس» كـ«الم» في المعنى والإعراب، وقيل معناه: يا إنسان؛ لغة «طيء»، على أن أصله: (يا أنيسين) فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل: (من الله) في (أيمن الله). وقرئ بالكسر كـ(جير) وبالفتح على البناء كـ(أين)، أو الإعراب على (اتل يس) أو بإضمار حرف القسم، والفتحة لمنع الصرف، وبالضم بناء كـ(حيث)، أو إعراباً على هذه (يس) وأمال الياء حمزة والكسائي وروح وأبو بكر، وأدغم النون في (واو): ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ابن عامر والكسائي وأبو بكر وقالون وورش ويعقوب، وهي (واو) القسم، أو العطف إن جعل (يس) مقسماً به. ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لمن الذين أرسلوا على صراط مستقيم، وهو التوحيد والاستقامة في الأمور، ويجوز أن يكون (عَلى صِراطٍ) خبراً ثانياً، أو حالاً من المستكن في الجار والمجرور، وفائدته وصف الشرع صريحاً بالاستقامة وإن دل عليه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) التزاماً.

قوله: [وعنه ﷺ: «يس تدعى المُعِمَّة..»] إلى آخره[1]، لم أره.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي [٢/ ٤٨٠/ برقم: ٢٤٦٥].

۞ ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾.

۞ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾.

---

(٥) - (٦) ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ خبر محذوف، والمصدر بمعنى المفعول. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار (أعني) أو فعله على أنه على أصله. وقرئ بالجر على البدل من (القرآن). ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ متعلق بـ(تَنْزِيلَ) أو بمعنى: (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ). ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قوماً غير منذر آباؤهم؛ يعني: آباءَهم الأقربين لتطاول مدة الفترة؛ فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم إلى إرساله، أو الذي أنذر به، أو شيئاً أنذر به آباؤهم الأبعدون. فيكون مفعولاً ثانياً لـ(تُنْذِرَ)، أو إنذار آبائهم على المصدر. ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ متعلق بالنفي على الأول؛ أي: لم ينذروا فبقوا غافلين، أو بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣] على الوجوه الأُخرَى؛ أي: أرسلناك إليهم لتنذرهم فإنهم غافلون.

(٧) - (٩) ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾؛ يعني: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم ممن علم الله أنهم لا يؤمنون. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم؛ بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر، بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم. ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم له. ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم، غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت الحق، ولا يعطفون أعناقهم

[أو بمعنى: لمن المرسلين]؛ أي: بإضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ؛ أي: أرسلناك لتنذر [غير منذر] بفتح الذال [**يطأطئون رؤوسهم له**]؛ أي: للحق.

۞ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له. ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وبمن أحاط بهم سدان؛ فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم؛ في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة، ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: (سَدّاً) بالفتح وهو لغة فيه، وقيل: ما كان بفعل الناس فبالفتح، وما كان بخلق الله فبالضم. وقرئ: (فأعشيناهم) من: (العشى). وقيل: الآيتان في بني مخزوم، حَلَفَ أبو جهل أن يرضخ رأس النبي ﷺ فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه، فلما رفع يده انثنت إلى عنقه، ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد، فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره!

﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سبق في (البقرة) تفسيره. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنذاراً يترتب عليه البغية المرومة. ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: القرآن بالتأمل فيه والعمل به. ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله، أو في سريرته ولا يغتر برحمته؛ فإنه كما هو رحمنٌ منتقم قهار. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الأموات بالبعث أو الجهال بالهداية. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة. ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ الحسنة كعلم علَّموه، وحبيس وقفوه. والسيئة كإشاعة باطل، وتأسيس ظلم. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؛ يعني: اللوح المحفوظ.

[وبمن أحاط بهم] عطف على «بالذين غلت أعناقهم» [أو في سريرته] عطف على «قبل حلوله» [وحبيس] من حبست الشيء وقفته.

۞ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ ومثل لهم من قولهم هذه الأشياء على ضرب واحد؛ أي: مثال واحد، وهو يتعدى إلى مفعولين لتضمنه معنى الـ(جعل) وهما: ﴿مَّثَلًا أَصْحَٰبَ الْقَرْيَةِ﴾ على حذف مضاف؛ أي: اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلاً. ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلاً من الملفوظ أو بياناً له، والقرية «انطاكية». ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بدل من (أصحاب القرية)، (والْمُرْسَلُونَ) رسل عيسى إلى أهلها، وإضافته إلى نفسه في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾؛ لأنه فعل رسوله وخليفته، وهما: يحيى ويونس وغيرهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ فقوينا. وقرأ أبو بكر مخففاً من: (عَزَّه) إذا غلبه. وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه، ولأن المقصود ذكر المعزز به. ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون. ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ وذَلِكَ أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم عيسى ﵇ اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا حبيباً النجار يرعى غنماً، فسألهما فأخبراه فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص! وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ! فآمن حبيب وفشا الخبر؛ فشفي على أيديهما خلق كثير، وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إلٰه سوى آلهتنا؟! قالا: نعم! مَنْ أَوْجَدَكَ وآلهتك، قال: حتى أنظر في أمركما فحبسهما، ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه؟ قال: لا! فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما

[وإضافته] في نسخة: وإسناده.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يريد! قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصره، وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما، فقال شمعون: أرأيت! لو سألت آلهتك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف، قال: ليس لي عنك سر آلهتنا لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع! ثم قال: إن قدر إلٰهكما على إحياء ميت آمنا به، فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام، فدعوا الله فقام وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان؛ فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن في جمع، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٧﴾ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون، ورفع (بشر) لانتقاض النفي المقتضي إعمال (ما) بـ(إلا). ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ وحي ورسالة. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ في دعوى الرسالة. ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم، وزادوا (اللام) المؤكدة لأنه جواب عن إنكارهم. ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الظاهر البيِّن بالآيات الشاهدة لصحته، وهو المحسن للاستشهاد فإنه لا يحسن إلا ببينة.

﴿١٨﴾ ـ ﴿١٩﴾ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم؛ وذلك لاستغرابهم

[أدخلت] في نسخة: «دخلت».

۞ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ عن مقالتكم هذه. ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم، وقرئ: (طيركم معكم). ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم. وجواب الشرط محذوف مثل: تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب. وقد قرئ: بألف بين الهمزتين، وبفتح (أن) بمعنى: أتطيرتم لأن ذكّرتم. و(إن) و(أن) بغير الاستفهام، و(أَيْنَ ذَكَرْتُم) بالتخفيف بمعنى: طائركم معكم حيث جرى ذكركم؛ وهو أبلغ. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فمن ثم جاءكم الشؤم، أو في الضلال؛ ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢١﴾ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو «حبيب النجار» وكان ينحت أصنامهم، وهو ممن آمن بمحمّد ﷺ وبينهما ستمائة سنة، وقيل: كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على النصح وتبليغ الرسالة. ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى خير الدارين.

﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾ ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ على قراءة غير حمزة؛ فإنه

[وبفتح أن]؛ أي: وقرئ بفتح «أن» في «أئن ذكرتم» [و«أئن»، و«أن» بغير استفهام، و«أئن ذكرتم»]؛ أي: وقرئ بكل من الثلاثة وبتخفيف «ذكرتم»(١).

[فلما بلغه خبر الرسل أتاهم]؛ أي: أتى قومه.

(١) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٨٤].

۞ ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

يسكن الياء في الوصل. تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره؛ ولذلك قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ مبالغة في التهديد، ثم عاد إلى المساق الأول فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ لا تنفعني شفاعتهم. ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ بالنصرة والمظاهرة. ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ فإن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرّاً ـ بوجه ما ـ على الخالق المقتدر على النفع والضر، وإشراكه به؛ ضلال بَيِّنٌ لا يخفى على عاقل.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ الذي خلقكم. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ فاسمعوا إيماني، وقيل: الخطاب للرسل؛ فإنه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه. ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ قيل له ذلك لما قتلوه؛ بشرى له بأنه من أهل الجنة، أو إكراماً وإذناً في دخولها كسائر الشهداء، أو لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن؛ وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول دون المقول له؛ فإنه معلوم، والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه، وكذلك: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ فإنه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول؛ وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها

[وقرأ نافع ويعقوب وأبو عمرو بفتح الياء]؛ أي: في: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ [يس: ٢٤]، وفي نسخة: بإسقاط «يعقوب» وهي الصواب، فإنه إنما يَقرأ بسكونها [وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، بفتح الياء]؛ أي: في ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ﴾ [يس: ٢٥] ونسخه هنا مختلفة

۞ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بالتوبة عن الكفر، والدخول في الإيمان والطاعة؛ على دأب الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء، أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على حق! وقرئ: (المُكَرَّمِين) و(ما) خبرية، أو مصدرية، والباء صلة (يَعْلَمُونَ) أو استفهامية جاء على الأصل، والباء صلة (غفر)؛ أي: بأي شيء غَفَرَ لي؛ يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم.

﴿٢٨﴾ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد إهلاكه أو رفعه. ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لإهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق؛ بل كفينا أمرهم بصيحة مَلَك. وفيه استحقار لإهلاكهم وإيماء بتعظيم الرسول ﷺ. ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ وما صح في حكمتنا أن ننزل جنداً لإهلاك قومه؛ إذ قدرنا لكل شيء سبباً، وجعلنا ذلك سبباً لانتصارك من قومك، وقيل: (مَا) موصولة معطوفة على (جُنْدٍ)؛ أي: ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة.

﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿إِن كَانَتْ﴾ ما كانت الأخذة أو العقوبة. ﴿إِلَّا صَيْحَةً

[أو استفهامية جاءت على الأصل] تبع فيه الزمخشري(١)، قال ابن هشام: رد الكسائي قول من قال: إنها استفهامية، والعجب من الزمخشري إذ جوز ذلك هنا مع رده على من قال: في بما أغويتني، أن المعنى: بأي شيء أغويتني بأن إثبات الألف قليل شاذ(٢)، في حكمنا في نسخة: في حكمتنا وهي الموافقة للكشاف.

[وقيل: «ما» موصولة معطوفة على (جند)؛ أي: وما كنا..] إلى آخره، لا يخفى ما في تفسير عطف ما ذكر على ﴿جُندٍ﴾ [يس: ٢٨] بما قاله: من التكلف، فالأولى أن يقال؛ أي: «من جند»، ومن العذاب المنزل بحجارة، وغيرها.

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٤].
(٢) مغني اللبيب، ابن هشام [ص٣٩٤].

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾.

﴿وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل، وقرئت بالرفع على (كان) التامة. ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ميتون. شبهوا بالنار رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة، والميت كرمادها كما قال لبيد:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِه ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ تعالي؛ فهذه من الأحوال التي من حقها أن تحضري فيها، وهي ما دل عليها: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين؛ أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم. وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين. ويجوز أن يكون تحسراً من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم، ويؤيده قراءة: (يا حَسْرَتا) ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها، وقيل: بإضمار فعلها والمنادى محذوف، وقرئ: (يا حسرةَ العبادِ) بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول، و(يا حَسْرَهْ) بالهاء على العباد؛ بإجراء الوصل مجرى الوقف.

۝٣١ - ۝٣٢ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ ألم يعلموا؟ وهو معلق عن قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾؛ لأن (كَمْ) لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية؛ لأن أصلها الاستفهام. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من (كَمْ) على المعنى؛ أي: ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم؟ وقرئ بالكسر على الاستئناف. ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يوم القيامة للجزاء، و(إنْ) مخففة من الثقيلة، و(اللام) هي الفارقة، و(ما) مزيدة للتأكيد، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: (لَمَّا) بالتشديد بمعنى (إلا) فتكون

[يجوز]؛ أي: يرجع **[ونصبها لطولها بالحال المتعلق بها]** جواب ما يقال:

۞ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن
ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا
تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

(إن) نافية، و(جميع) (فعيل) بمعنى: (مفعول). و(لَدَيْنا) ظرف له، أو لـ(مُحْضَرُونَ).

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافع بالتشديد. ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ خبر للـ(أَرْضُ)، والجملة خبر لـ(آيةٌ) أو صفة لها؛ إذ لم يرد بها معينة، وهي الخبر أو المبتدأ و(الآية) خبرها، أو استئناف لبيان كونها آيةً. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنس الحبّ. ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ من أنواع النخل والعنب؛ ولذلك جمعهما دون الحب؛ فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف، ولا كذلك الدال على الأنواع. وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والأعناب؛ لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع. ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ وقرئ بالتخفيف، و(الفجر والتفجير) كـ(الفتح والتفتيح) لفظاً ومعنى. ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾؛ أي: شيئاً من العيون، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، أو (الْعُيُونِ) و(مِنْ) مزيدة عند الأخفش.

﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ ثمر ما ذُكِر؛ وهو الجنات، وقيل: الضمير لله على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر بخلقه. وقرأ حمزة

«حسرةً» مفرد، فكيف نصب؟ فأجاب: بأنه مطول؛ أي: شبيه بالمضاف **[والجملة]**؛ أي: الجملة الكبرى **[خبر آية أو صفة لها]**؛ أي: للأرض **[إذ لم يرد بها]**؛ أي: الأرض **[وهي]**؛ أي: الأرض **[الخبر]**؛ أي: الآية **[أو]** هي **[المبتدأ والآية خبرها]** مقدم عليها **[أو استئناف]** عطف على خبر «الأرض».

[أو العيون] عطف على «شيئاً» **[وقيل: الضمير]**؛ أي: في منه **[لله على طريقة الالتفات]**؛

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

والكسائي بضمتين وهو لغة فيه. أو جمع: (ثمار). وقرئ بضمة وسكون. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطف على (الثمر) والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما. وقيل: (مَا) نافية، والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم. ويؤيد الأول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء؛ فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أمر بالشكر من حيث أنه إنكار لتركه. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ الأنواع والأصناف. ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من النبات والشجر. ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الذكر والأنثى. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأزواجاً مما لم يطلعهم الله عليه، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ نزيله ونكشفه عن مكانه، مستعار من سلخ الجلد؛ والكلام في إعرابه ما سبق. ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام. ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ لحد معين ينتهي إليه دورها، فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، أو لكبد السماء؛ فإن حركتها فيه يوجد فيها بطء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال: (وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بِالجَوِّ تَدْوِيمُ) أو لاستقرار لها على نهج مخصوص، أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب؛ فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً، تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب؛ ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل، أو لمنقطع جريها عند خراب العالم. وقرئ:

أي: من التكلم إلى الغيبية[1] [مستعار من سلخ الجلد]؛ أي: استعار لإزالة الضوء «السلخ»، وهي استعارة تبعية مصرحة، والجامع ما يعقل من ترتّب أحدهما على الأخر [ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل] هذا بالنظر إلى مجموع العام، وإلّا

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/ ١١٤].

۞ ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

(لا مُسْتَقَرَّ لها)؛ أي: لا سكون؛ فإنها متحركة دائماً و(لا مستقر) على أن (لا) بمعنى: (ليس). ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ المحيط علمه بكل معلوم.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ قدرنا مسيره. ﴿مَنَازِلَ﴾ أو سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون: السرطان، البطين، الثريا، الدَّبْرَان، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، ....

فبالنظر إلى نصفه، فهي تعود في كل نصف عودة [ولا مُسْتَقرٍّ لها]؛ أي: وقرئ بذلك [وهي ثمانية وعشرون الشرطين] في نسخة: «الشرطان»، سميا بذلك؛ لأنهما كالعلامتين؛ أي: سقوطهما علامة ابتداء المطر، وقيل: أنهما قرنا الحمل[1].

[البُطَيْن] سمي به؛ لأنه بطن الحمل [الثريا] ويسمى: النجم والنظم، وهو تصغير «ثروا» من الكثرة [الدَّبَران] سمي به؛ لأنه «دُبُرَ الثريا»؛ أي: صار خلفها. ويسمى: المجرح[2] [الهَقْعَة] سميت به تشبيهاً بـ«هقعة» الدابة، وهي دائرة تكون عند رجل الفارس في جنب الدابة، وهي ثلاثة كواكب تسمى رأس الجوزي [الهَنْعَة] وهي سبعة كواكب سميت به من قولهم: «هنعت الشيء»: عطفت وثنيت بعضه على بعض، وكأن كل واحد منها منعطف على صاحبه [الذراع] ذراع الأسد، وله ذراعان: مقبوضة، ومبسوطة [النَّثْرَة] سميت به؛ لأنها مخطة مخطها الأسد فكأنها قطعة سحاب.

[الطَّرْف] كوكبان سميت به؛ لأنها عينا الأسد. يقال: طَرَفَ فلان؛ أي: رفع طرفه [الجبهة] جبهة الأسد [الزُّبْرَة] زبرة الأسد؛ أي: «كاهله» [الصرفة] سميت به؛

---

(١) انظر: شرح أدب الكاتب، الجواليقي [ص٦٩].

(٢) في نسخة [ز]: (المخرج).

العواء، السماك، العقر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشاء، وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها

لأن البرد ينصرف بسقوطها[1] **[العواء]** بالمد والقصر، وهو أجود سميت به؛ للانعطاف الذي فيها **[السّماك]** سمي به؛ لأنه سمك؛ أي: ارتفع ولهم سماكان يسمى هذا: «الأعزل»، والآخر: «الرامح» لكوكب يتقدمه كأنه رمحه **[العقر]** وهي: ثلاثة كواكب سميت به؛ لأنها من العقرة، وهي: الشَّعر الذي في طرف الأسد **[الزبانا]** ويسمى زباني العقرب، وهما: قرناها كوكبان مأخوذ من الزبن، وهو الدفع إذ كل واحد مدفع عن صاحبه[2] **[الإكليل]** وهي: ثلاثة كواكب مصطفة على رأس العقرب، ولذلك سميت به كأنه من التكلل، وهو الإحاطة.

[القلب] كوكب أحمر نير سميت به؛ لأنه في قلب العقرب، وقلب الأسد، وقلب الثور وهو الدبران، وقلب الحوت **[الشولة]** سميت به؛ لأنها كذنب وذنبها شائل أبداً **[النعائم]** ثمانية كواكب، أربعة منها في المجرة وتسمى: «الواردة»؛ لأنها شرعت في المجرة كأنها تشرب، وأربعة خارجة تسمى: الصادرة، وسميت: «نعائم»، تشبيهاً بالخشبات التي تكون على البئر **[البلدة]** فرجة بين النعائم وسعد الذابح سميت به؛ تشبيهاً بالفرجة التي تكون بين الحاجبين غير مقرونين[3].

[سعد الذابح] سمي به لكوكب بين يديه يقال: هو شاته التي تذبح **[سعد بلع]** سمي به؛ لأن الذابح معه كوكب بمنزلة شاته، وهذا لا كواكب معه، فكأنه قد بلع شاته **[سعد السعود]** سمي به؛ لأن في وقت طلوعه ابتداء ما به يعيشون وتعيش مواشيهم **[سعد الأخبية]** سمي به لكوكب فيه على صورة الخباء[4].

[فرغ الدلو المقدم] ويقال: الأعلى سمي به؛ لأن في وقته تأتي الأمطار كثيراً، فكأنه مفرغ دلو، وهو مصب الماء **[فرغ الدلو المؤخر]** ويقال: الأسفل **[الرشا]** هو

---

(١) الأزمنة والأمكنة، المرزوقي [ص١٢٩].
(٢) انظر: المواعظ والاعتبار، المقريزي [١/ ٩].
(٣) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي [٢/ ٤٤٧].
(٤) انظر: الأزمنة والأمكنة، المرزوقي [ص٧٩].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، فإذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دقَّ واستقوس. وقرأ الكوفيون وابن عامر: (وَالْقَمَرَ) بنصب الراء. ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾ كالشمراخ المعوج، (فعلون) من: (الانعراج) وهو الاعوجاج، وقرئ: (كالعِرْجُون) وهما لغتان كـ(البُزْيُون والبِزْيُون). ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ العتيق. وقيل: ما مرَّ عليه حول فصاعداً. ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾ يصح لها ويتسهل. ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره؛ فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيُّش الحيوان، أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله، أو سلطانه فتطمس نوره، وإيلاء حرف النفي الشَّمْسُ للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها إلا ما أريد بها. ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه، وقيل: المراد بهما آيتاهما وهما النيِّران، وبـ(السبق): سبق القمر إلى سلطان الشمس؛ فيكون عكساً للأول، وتبديل الإدراك بالسبق؛ لأنه الملائم لسرعة سيره. ﴿وَكُلٌّ﴾ وكلهم. والتنوين عوض عن المضاف إليه، والضمير للشموس والأقمار؛ فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات، أو للكواكب فإن ذكرهما مشعر بهما. ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون فيه بانبساط.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم؛ فإن الذرية تقع عليهن

السمكة ويقال: بطن السمكة، وقلب الحوت [قبيل الاجتماع]؛ أي: بالشمس(١) [كالبُزْيُونُ] بالضم «السندس»؛ قاله الجوهري(٢) [فيكون عكساً للأول]؛ أي: وهو قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]؛ [لأنه الملائم لسرعة سيره]؛

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٥/ ٢٣٢]. (٢) الصحاح، الجوهري [٥/ ٧٩].

۞ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

لأنهن مزارعها. وتخصيصهم لأن استقرارهم في السفن أشق، وتماسكهم فيها أعجب، وقرأ نافع وابن عامر: (ذرياتهم). ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء، وقيل: المراد فلك نوح ﷺ، وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذرياتهم. وتخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان، وأدخل في التعجب مع الإيجاز. ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل الفلك. ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل؛ فإنها سفائن البر أو من السفن والزوارق.

﴿٤٣﴾ ـ ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق، أو فلا إغاثة كقولهم: أتاهم الصريخ. ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ ينجون من الموت به. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾ إلا لرحمة ولتمتيع بالحياة. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ زمان قدر لآجالهم بالغرق.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الوقائع التي خلت أو العذاب المعدّ في الآخرة، أو نوازل السماء ونوائب الأرض كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩] أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه، أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله، وجواب (إذا) محذوف دل عليه قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ كأنه

لأنه يقطع فلكه في شهر، والشمس إنما تقطع فلكها في سنة [في التعجيب] في نسخة: «في التعجب». [أو من السفن] عطف على «من الإبل».

[ينجون من الموت به]؛ أي: من الغرق.

۞ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

قال: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا العذاب أعرضوا لأنهم اعتادوه وتمرنوا عليه.

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ على محاويجكم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالصانع؛ يعني: مُعَطِّلة كانوا بمكة. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ تهكماً بهم من إقرارهم به وتعليقهم الأمور بمشيئته. ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ على زعمكم، وقيل: قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين؛ إيهاماً بأن الله لما كان قادراً أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك! وهذا من فرط جهالتهم؛ فإن الله يطعم بأسباب منها حثُّ الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له. ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ حيث أمرتمونا ما يخالف مشيئة الله، ويجوز أن يكون جواباً من الله لهم، أو حكاية لجواب المؤمنين لهم.

﴿٤٨﴾ - ﴿٥٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنون وعد البعث. ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون. ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها كقوله: ﴿فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين، وقرأ أبو بكر بكسر الياء للاتباع، وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على إلقاء حركة التاء إليه، وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والإسكان والتشديد وكأنه جوّز الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني مدغماً، وقرأ حمزة: (يَخْصِمُونَ) من: (خصمه) إذا جادله. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ في شيء من أمورهم. ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة.

۞ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: مرة ثانية. وقد سبق تفسيره في سورة (المؤمنين). ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ يسرعون وقرئ بالضم. ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾ وقرئ: (يا ويلتنا) ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ وقرئ: (مَنْ أَهَبَّنَا) من: (هبَّ) من نومه إذا انتبه، ومن: (هبنا) بمعنى: أهبنا، وفيه ترشيح ورمز، وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً، و﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ و(مَنْ هَبَّنا) على (من) الجارة والمصدر. وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في سائر القراءات حسن ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مبتدأ وخبر و(ما) مصدرية، أو موصولة محذوفة الراجع، أو (هذا) صفة لـ(مَرْقَدِنا) و(ما وَعَدَ) خبر محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، أو ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم، وقيل: جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم، معدول عن سننه تذكيراً لكفرهم وتقريعاً لهم عليه وتنبيهاً بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا: بعثكم الرحمٰن الذي وعدكم البعث وأرسل إليكم الرسل فصدقوكم وليس الأمر كما تظنون، فإنه ليس يبعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وإنما هو البعث الأكبر ذو الأهوال.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ﴿إِن كَانَتْ﴾ ما كانت الفعلة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي

[ومن بعثنا]؛ أي: وقرئ بذلك [عن سننه]؛ أي: سنن الجواب، كأن[1] يقال: بعثكم الله [ما كانت الفعلة]؛ أي: أو النفخة بقرينة قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾

(١) في نسخة [ز]: (كما).

۞ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾.

النفخة الأخيرة. وقرئت بالرفع على (كان) التامة. ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرد تلك الصيحة، وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر، واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه. ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويراً للموعود، وتمكيناً له في النفوس وكذا قوله:

﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ متلذذون في النعمة من الفكاهة. وفي تنكير (شُغُلٍ) وإبهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ، وتنبيه على أنه أعلى ما يحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (فِي شُغْلٍ) بالسكون، ويعقوب في رواية: (فَكِهُون) للمبالغة، وهما خبران لـ(إِنَّ)، ويجوز أن يكون (فِي شُغُلٍ) صلة لـ(فاكِهُونَ)، وقرئ: (فَكُهُون) بالضم وهو لغة كـ(نِطس ونُطس)، (وفَكِهِين)، (وفَاكِهِين) على الحال من المستكن في الظرف، و(شَغَلٍ) بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات. ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع: (ظل) كـ(شعاب) أو (ظلة) كـ(قباب) ويؤيده قراءة حمزة والكسائي: (في ظُلَلٍ). ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على السرر المزينة. ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ و(هُمْ) مبتدأ خبره فِي (ظِلالٍ)، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جملة مستأنفة، أو خبر ثان. أو (مُتَّكِؤُن) والجاران صلتان له، أو تأكيد للضمير في (شغل) ....

[يس: ٥١]. [كـ«نطس»][(١)] هو العالم[(٢)] [أو متكئون] عطف على ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ [يس: ٥٦] [والجاران] هما «في» و«على» [صلتان له]؛ أي: لمتكئون [أو تأكيد] عطف على

---

(١) في نسخة [ز]: (كنطر) وفي نسخة [ج]: (كنثر) وفي نسخة [ب]: (كتطس).

(٢) النَّطْسُ: ومنه التَنَطُّس وهو التقزز. والنِّطاسيُ والنِّطِّيسُ: العالِمُ بالطبِّ، وهو بالرُّومية النِّسطاسُ، وما أنطَسَه. العين، الفراهيدي [٣/ ٣٧٥].

۞ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾.

أو في (فاكهون)، و(على الأرائك متكئون) خبر آخر لـ(إن). و(أزواجهم) عطف على (هُمْ) للمشاركة في الأحكام الثلاثة، و(فِي ظِلالٍ) حال من المعطوف والمعطوف عليه.

(٥٧) ـ (٥٨) ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ ما يدعون به لأنفسهم؛ (يفتعلون) من الدعاء كـ(اشتوى) و(اجتمل) إذا شوى وجمل لنفسه. أو ما يتداعونه كقولك: (ارتموه) بمعنى: (تراموه). أو يتمنون من قولهم: ادّعِ عليَّ ما شئت! بمعنى: تمنّهُ عليَّ، أو ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها، و(ما) موصولة، أو موصوفة مرتفعة بالابتداء، و﴿لَهُمْ﴾ خبرها وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدل منها أو صفة أُخْرَى، ويجوز أن يكون خبرها، أو خبرها محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: ولهم سلام، وقرئ بالنصب على المصدر أو الحال؛ أي: لهم مرادهم خالصاً. ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾؛ أي: يقول الله أو يقال لهم قولاً كائناً من جهته، والمعنى: أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم؛ وذلك مطلوبهم ومتمناهم، ويحتمل نصبه على الاختصاص.

(٥٩) ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وانفردوا عن المؤمنين، وذلك حين

مبتدأ [أو فاكهون]؛ أي: أو في فاكهون [يفتعلون من الدعاء]؛ أي: أصل ﴿يَدَّعُونَ﴾ [الطور: ١٣] «يدّعيون» بوزن «يفتعلون» فأسكنت الياء بعد نقل حركتها إلى ما قبلها، وحُذفت لسكونها، وسكون الواو بعدها.

[وجمل لنفسه] بالجيم، يقال: جملت الشحم أجمله جملاً واجتملته إذا أذبته؛ قاله الجوهري[1] [أو الحال]؛ أي: من «ما» أو من «الهاء» المحذوفة.

(١) الصحاح، الجوهري [١/ ١٠٢].

۞ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يسار بهم إلى الجنة كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]. وقيل: اعتزلوا من كل خير، أو تفرقوا في النار؛ فإن لكل كافر بيتاً ينفرد به لا يَرَى ولا يُرَى.

﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ من جملة ما يقال لهم تقريعاً وإلزاماً للحجة، وعهده إليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية، الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره، وجعلها عبادة الشيطان؛ لأنه الآمر بها والمزين لها، وقرئ: (اِعْهَدْ) بكسر حرف المضارعة و(أَحْهَد) و(أَحَّد) على لغة «بني تميم». ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه. ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ﴾ عطف على (أَنْ لَّا تَعْبُدُوا). ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته؛ فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه أو بالشق الآخر، والتنكير للمبالغة والتعظيم، أو للتبعيض؛ فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم.

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته، ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي، و(الجِبِلّ): الخلق، وقرأ يعقوب بضمتين، وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف (اللام)، وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع

[وأحمد]؛ أي: بحاء مهملة بإبدال العين حاء [وأحد]؛ أي: بإبدال العين حاء، فلما أدغم قُلب الثاني للأول.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾
وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن
نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

التخفيف؛ والكل لغات، وقرئ: (جِبَلاً) جمع: (جِبْلَة) كـ(خلقة وخلق)، و(جيلاً) واحد الأجيال. ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ ذوقوا حرّها اليوم بكفركم في الدنيا.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿٦٦﴾ ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ نمنعها عن الكلام. ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها، أو إنطاق الله تعالى إياها وفي الحديث: «**إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم**». ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة. ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه؛ وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار، أو جعل المسبوق إليه مسبوقاً على الاتساع أو بالظرف. ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ مكانهم بحيث يجمدون فيه، وقرأ أبو بكر: (مكاناتهم). ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا﴾ ذهاباً. ﴿وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾ ولا رجوعاً؛ فوضع الفعل موضعه للفواصل، وقيل: لَا يَرْجِعُونَ عن تكذيبهم، وقرئ: (مِضِيّاً) بإتباع

[وجيلاً واحد الأجيال]؛ أي: صنفاً من أصناف الناس [**وفي الحديث**: «**إنهم يجحدون ويخاصمون..**»] إلى آخره، رواه مسلم[1] [**أو بالظرف**] عطف على «بنزع الخافض».

(١) صحيح مسلم [٤/٢٢٧٩/ برقم: ٢٩٦٨].

۞ ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعِتِيّ والعُتِيّ و(مَضِيًا) كـ(صَبِيّ)، والمعنى: أنهم بكفرهم ونقضهم ما عهد إليهم أحقاء بأن يفعل بهم ذلك، لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة إمهالهم. ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ ومن نطل عمره. ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره، وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على أصله وقرأ عاصم وحمزة: (نُنَكِّسْهُ) من: (التنكيس) وهو أبلغ، و(النكس) أشهر. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ؛ فإنه مشتمل عليهما وزيادة؛ غير أنه على تدرج. وقرأ نافع ابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله.

﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن محمداً شاعر! أي: ما علمناه الشعر بتعليم القرآن؛ فإنه لا يماثله لفظاً ولا معنى؛ لأنه غير مقفى ولا موزون، وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها. ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه على ما خبرتم طبعه نحواً من أربعين سنة، وقوله عليه الصلاة والسلام:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

وقوله:

«هَلْ أنتَ إلا إِصبعٌ دَمِيْتِ وفي سَبِيلِ الله مَا لقيْتْ»

[«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»] رواه الشيخان(١) [«هَلْ أنتَ إلا إِصبعٌ دَمِيْتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لقيْتْ..»] رواه الشيخان(٢).

---

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٠٥٤/ برقم: ٢٧١٩]، صحيح مسلم [٣/ ١٤٠٠/ برقم: ١٧٧٦].
(٢) صحيح البخاري [٣/ ١٠٣١/ برقم: ٢٦٤٨]، صحيح مسلم [٣/ ١٤٢١/ برقم: ١٧٩٦].

۞ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ۝٧١﴾.

اتفاقيٌّ من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك، وقد يقع مثله كثيراً في تضاعيف المنثورات؛ على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعراً. هذا وقد روي أنه حرك الباءين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية. وقيل: الضمير للـ(قُرْآنٌ)؛ أي: وما يصح للقرآن أن يكون شعراً. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة وإرشاد من الله تعالى. ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ وكتاب سماوي يتلى في المعابد، ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرآن أو الرسول ﷺ، ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء. ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً فَهِماً فإن الغافل كالميت، أو مؤمناً في علم الله تعالى فإن الحياة الأبدية بالإيمان، وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به. ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ المصرّين على الكفر، وجعلهم في مقابلة من كان حيّاً؛ إشعاراً بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أمواتٌ في الحقيقة.

٧١ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا. وذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص، والتفرد بالإحداث.

﴿أَنْعَـٰمًا﴾ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع. ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ متملكون لها بتمليكنا إياها، أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها لهم قال:

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلا ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[حرك الباءين] في قوله: «**أنا النبي لا كذب..**» إلى آخره [وكسر التاء الأولى بلا إشباع، وسكن الثانية]؛ أي: في قوله: «**هل أنت إلا أصبع..**» إلى آخره [وقيل: الضمير]؛ أي: في قوله:

[أَصْبَحْتُ لاَ أحْمِلُ السلاحَ ولا ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا]

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَـٰرِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾ ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ وصيرناها منقادة لهم. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم، وقرئ: (رَكُوبَتُهم)، وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة، وقيل: جمعه وركوبهم؛ أي: ذو ركوبهم، أو فمن منافعها رُكُوبُهُمْ. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: ما يأكلون لحمه. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من الجلود والأصواف والأوبار. ﴿وَمَشَـٰرِبُ﴾ من اللبن جمع: (مشرب) بمعنى: الموضع، أو المصدر. وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله في ذلك؛ إذ لولا خلقه لها، وتذليله إياها كيف أمكن التوسل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة؟!

﴿٧٤﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ أشركوها به في العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة، وعلموا أنه المتفرد بها. ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور، والأمر بالعكس لأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾ لآلهتهم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ معدّون لحفظهم والذب عنهم، أو مُحْضَرُونَ إِثْرَهم في النار. ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ فلا يهمك. وقرئ بضم الياء من: (أحزن). ﴿قَوْلُهُمْ﴾ في الله بالإلحاد والشرك، أو فيك بالتكذيب والتهجين. ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم عليه، وكفى ذلك أن تتسلى به، وهو تعليل للنهي على الاستئناف؛ ولذلك لو قرئ: (أنَّا) بالفتح على حذف لام التعليل جاز.

أي: لا أضبطه وبعده:

والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ وحدي وأخشى الرياح والمَطَرا(١)

[وقرئ بضم الياء] قرأ به نافع.

---

(١) البيت للشاعر: الربيع بن ضبع الفزاري. الكتاب، سيبويه [١/ ١٨].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿٧٧﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر، وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بيِّناً، ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه، ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها؛ وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه، شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب. روي: أن أُبَي بن خلف أتى النبي ﷺ بعظم بَالٍ يفتَتُّه بيده وقال: أترى الله يحيي هذا بعد ما رمَّ؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم ويبعثك ويدخلك النار**»، فنزلت. وقيل معنى: ﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً؛ مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على إحياء الموتى، أو تشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه. ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ خلقنا إياه. ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ منكراً إياه مستبعداً له، و(الرميم) ما بلي من العظام؛ ولعله (فعيل) بمعنى (فاعل) من: رمَّ الشيء، صار اسماً بالغلبة ولذلك لم يؤنث، أو بمعنى مفعول من: (رممته). وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الأعضاء.

[تسلية ثانية..] إلى آخره، يريد كما قال الطيبي: إن قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [يس: ٧٧] معطوف على: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ [يس: ٧١]، وأسلوبها كأسلوبها في التعكيس؛ يعني: إنا كما تولينا إحداث النعم ليكون ذريعة إلى أن يشكروها، فجعلوها وسيلة إلى الكفران، كذلك خلقناهم من أخس الأشياء وأوهنها؛ ليخضعوا ويتذللوا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [ومنافاة] هو ومقابلة النعمة معطوفان على تقبيح بليغ [روي: «أن أُبي بن خلف أتى النبي ﷺ بعَظْمٍ بَالٍ...»] إلى آخره، رواه البيهقي[1].

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي [٢/ ٧٢٧/ برقم: ٧١٩].

۞ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿٨٠﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإن قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه، والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها، فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها، ومواقعها وطريق تمييزها، وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق، وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها، أو إحداث مثلها. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ كالمرْخ والعَفَار. ﴿نَارًا﴾ بأن يسحق المرخ على العفار؛ وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار. ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ لا تشكُّون في أنها نار خرجت منه، فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر ـ مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها ـ كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضّاً فيبس وبَلِيَ. وقرئ: (من الشجر الخضراء) على المعنى: كقوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦].

[فإن قدرته كما كانت..] إلى آخره، كما كانت خبر «أن»، ولامتناع التغيير تعليل لذلك، وما بعده جملة حالية [كالمَرْخ] بفتح الميم، وسكون الراء، والخاء المعجمه شجر سريع الورى؛ أي: القدح [والعَفار] بفتح المهملة، وفاء ورا بعد ألف الزند، وهو الأعلى(١)، والمرخ الوتدة(٢) وهي الأسفل؛ قاله الجوهري(٣)، لكن عكس الزمخشري ذلك، ويوافقه قول المصنف: [بأن يسحق المرخ..] إلى آخره [كقوله: ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦]] بعد قوله: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾

---

(١) في نسخة [ج]: (الأولى).
(٢) في الصحاح: «الزَنْدَة». الصحاح، الجوهري [٢/ ١٦٥].
(٣) الصحاح، الجوهري [٢/ ١٦٥].

۞ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿٨١﴾ ـ ﴿٨٢﴾ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما. ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما، أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد، وعن يعقوب: (يقدر). ﴿بَلَىٰ﴾ جواب من الله لتقرير ما بعد النفي؛ مشعر بأنه لا جواب سواه. ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ كثير المخلوقات والمعلومات. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ إنَّما شأنه. ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: تكون. ﴿فَيَكُونُ﴾ فهو يكون؛ أي: يحدث، وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور؛ من غير امتناع وتوقف، وافتقار إلى مزاولة عمل، واستعمال آلة، قطعاً لمادة الشبهة، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق. ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على (يَقُولَ).

﴿٨٣﴾ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ تنزيه عما ضربوا له، وتعجيب عما قالوا فيه؛ معللاً بكونه مالكاً للأمر كله، قادراً على كل شيء. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وعد ووعيد للمقرِّين والمنكرين، وقرأ يعقوب بفتح التاء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أعلم ما روي في فضل (يس) كيف خُصَّتْ به؛ فإذا أنه بهذه الآية.

وعنه عليه الصلاة والسلام: «**إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن (يس)**»،

[الواقعة: ٥٢] فأنث الضمير في منها على المعنى. [وعنه عليه السلام: «إن لكل شيء قلباً..»] إلى آخره، موضوع(١).

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/١٦٨/ برقم: ١٠٨١].

«من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له، وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرئ عنده؛ إذا نزل به ملك الموت سورة (يس) نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً، يصلّون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويشيعون جنازته، ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ: (يس) وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة، يشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريّان، ويمكث في قبره وهو ريّان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريّان».



سُورَةُ الصَّافَّاتِ

(٣٧) مكية، وآيها مائة واثنتان وثمانون آية

۞ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ ـ ۝٣ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب؛ باعتبارها يفيض عليهم الأنوار الإلٰهية، منتظرين لأمر الله، الزاجرين الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها، أو الناس عن المعاصي بإلهام الخير، أو الشياطين عن التعرض لهم، التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأولياءه، أو بطوائف الأجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والأرواح المدبرة لها، والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] أو بنفوس العلماء الصافين في العبادات، الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح، التالين آيات الله وشرائعه. أو بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل أو العَدُوّ، التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مباراة العدو. والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات. و(الفاء) لترتيب الوجود كقوله:

يا لهف زَيَّابَة للحارثِ الص ... ابِحِ فالغانِم فالآيِب

فإن الصف كمال، والزجر تكميل بالمنع عن الشرّ، أو الإشاقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضته، أو الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام: ....

قوله: [أو الناس] هو مع الشياطين عطف على «الأجرام» [أو بطوائف الأجرام] هو مع تاليه عطف على «بالملائكة» [مباراة العدو]؛ أي: معارضته [أو الرتبة] عطف

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾.

«**رحم الله المحلقين فالمقصرين**» غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس. وأدغم أبو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها؛ لتقاربها فإنها من طرف اللسان وأصول الثنايا.

﴿٤﴾ - ﴿٥﴾ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جواب للقسم، والفائدة فيه تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم، وأما تحقيقه فبقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ فإن وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل، مع إمكان غيره؛ دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مرَّ غير مرَّة، وَ(رَبُّ) بدل من (واحد) أو خبر ثان، أو خبر محذوف، وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على أنها من خلقه. و(الْمَشارِقِ): مشارق الكواكب، أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً، تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب؛ ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة، وما قيل: إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال.

﴿٦﴾ - ﴿٧﴾ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى منكم. ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بزينة هي الْكَواكِبِ والإضافة للبيان، ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين: (زينةٍ) وجرّ (الْكَواكِبِ) على إبدالها منه، أو بزينة هي لها كأضوائها

على «الوجود» [«**رحم الله المحلقين فالمقصرين**»] لم أره بهذا اللفظ[١] [**إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال**] أو أن قائله إنما قاله: بالنسبة إلى نصف السنة لا إليها نفسها [**أو بزينة هي لها**] هو مع تاليه عطف على ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾.

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/ ٩٥٤/ برقم: ٨٤٠].

۞ ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾.

وأوضاعها، أو بأن زيَّنَّا الْكَواكِبِ فيها؛ على إضافة المصدر إلى المفعول فإنها كما جاءت اسماً كالليقة جاءت مصدراً كالنسبة، ويؤيده قراءة أبي بكر بالتنوين، والنصب على الأصل، أو بأن زينتها الْكَواكِبُ؛ على إضافته إلى الفاعل، وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا إن تحقق لم يقدح في ذلك، فإن أهل الأرض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق بأشكال مختلفة. ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بإضمار فعله، أو العطف على (زينة) باعتبار المعنى كأنه قال: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظاً. ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة برمي الشهب.

۝٨ ـ ۝١٠ ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء منهم، ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان؛ فإنه يقتضي أن يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون، ولا علة للحفظ على حذف (اللام) كما في: جئتك أن تكرمني، ثم حذف (أن) وأهدرها كقوله: (أَلا أَيُّهذا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الوَغَى) فإن اجتماع ذلك منكر، والضمير لـ(كُلِّ) باعتبار المعنى، وتعدية السماع بـ(إلى) لتضمنه معنى الإصغاء مبالغة لنفيه وتهويلاً لما يمنعهم عنه، ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من: (التسمع) وهو طلب السماع. و(الْمَلَإِ الْأَعْلى) الملائكة وأشرافهم. ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ ويُرْمَون. ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده. ﴿دُحُورًا﴾ علة؛ أي: للدحور وهو الطرد، أو مصدر؛ لأنه و(القذف)

[كالليقة] هي ما يلاق به الدواة [فإن اجتماع ذلك]؛ أي: ما ذكر من الحذفين [وهو]؛ أي: ﴿دُحُورًا﴾ [الصافات: ٩] على قراءة الفتح.

متقاربان، أو حال بمعنى: مدحورين، أو منزوع عنه الباء جمع: (دحر): وهو ما يطرد به؛ ويقويه القراءة بالفتح، وهو يحتمل أيضاً أن يكون مصدراً كالقبول أو صفة له؛ أي: قذفاً دحوراً. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: عذاب آخر. ﴿وَاصِبٌ﴾ دائم، أو شديد وهو عذاب الآخرة. ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ استثناء من واو (يَسَّمَّعُونَ) ومن بدل منه، و(الخطف): الاختلاس، والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة؛ ولذلك عرف الخطفة، وقرئ: (خَطِّفَ) بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلها: (اختطف). ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ (أتبع) بمعنى: (تبع)، و(الشهاب): ما يرى كأن كوكباً انقض، وما قيل: إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمينٌ! إن صحّ لم يناف ذلك؛ إذ ليس فيه ما يدل على أنه ينقض من الفلك، ولا في قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] فإن كل نيّر يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض، وزينة للسماء من حيث إنه يرى كأنه على سطحه، ولا يبعد أن يصير الحادث كما ذكر في بعض الأوقات رجماً للشياطين، تتصعد إلى قرب الفلك للتسمع، وما روي: أن ذلك حدث بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام؛ إن صحَّ فلعل المراد كثرة وقوعه، أو مصيره دُحُوراً. واختلف في أن المرجوم يتأذى به فيرجع، أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرّة، وقد لا يصيب! كالموج لراكب السفينة؛ ولذلك لا

[**أو صفة له**]؛ يعني: للقذف المقدر [**كأن كوكباً**]؛ أي: كأنه كوكب انقض [**إلى الأثير**] بمثلثة كرة النار.

[**فتخمين**] خبر ما قيل: [**إذ ليس فيه**]؛ أي: في ذلك؛ وهو أن الشهاب منقض [**ولا في قوله**] إلى آخره؛ أي: ولا دلالة فيه على أن الشهاب ينقض من الفلك [**من حيث أنه**]؛ أي: النير [**على سطحه**]؛ أي: الجو [**أن يصير الحادث**]؛ أي: وهو البخار[1] [**كثرة وقوعه**]؛ أي: بعد الميلاد.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي [٢٦/ ١١٥].

۞ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾.

يرتدعون عنه رأساً. ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق؛ لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص، مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها. ﴿ثَاقِبٌ﴾ مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه.

﴿١١﴾ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ فاستخبرهم. والضمير لمشركي مكة أو لبني آدم. ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾؛ يعني: ما ذكر من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما، والمشارق والكواكب والشهب الثواقب. و(مَنْ) لتغليب العقلاء، ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك، وقراءة من قرأ: (أم مَنْ عَدَدنا)، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود، وإن المراد إثبات المعاد ورد استحالته، والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء، وتقريره أن استحالة ذلك إما لعدم

[ويدل عليه]؛ أي: على أن المراد بـ﴿مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ [الصافات: ١١]، ما ذكر من الملائكة.. إلى آخره [إطلاقه]؛ أي: إطلاق الخلق عن التقييد ببيان اكتفاء بما تقدمه.

[ومجيئه بعد ذلك] هو وتالياه عطف على «إطلاقه» ووجه دلالة المعطوف الأول: مجيء الخلق مطلقاً بعد البيان، والمطلق محمول على المقيد، ووجه دلالة الثاني: أن التعداد يدل قطعاً على أنه يريد به ما ذكر من خلائقه، ووجه دلالة الثالث: اختصاص خلق بني آدم بكونه ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ فمن عداهم داخل في مقابلهم المطلق(١) [فإنه]؛ أي: خلق بني آدم ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١] [الفارق بينهم وبينها]؛ أي: بين السماء والأرض، ونحوهما مما لم يخلق من ذلك.

[ورد استحالتهم]؛ أي: إحالتهم للمعاد [والأمر فيه]؛ أي: في المعاد.

---

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي [٢٣/٧٦].

۞ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قابلية المادة ومادّتهم الأصلية هي الطين اللازب، الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي، وهما باقيان قابلان للانضمام بعد، وقد علموا أن الإنسان الأول إنما تولّد منه؛ إما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة آدم، وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة، فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك، وإما لعدم قدرة الفاعل، ومن قدر على خلق هذه الأشياء قدر على خلق ما لا يعتد به بالإضافة إليها؛ سيما ومن ذلك بدأهم أولاً، وقدرته ذاتية لا تتغير.

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قدرة الله تعالى وإنكارهم للبعث. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك وتقريرك للبعث، وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء؛ أي: بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي أن تعجبت منها، وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها! أو عجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه. والعجب من الله إما على الفرض والتخييل، أو على معنى الاستعظام اللازم له؛ فإنه روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، وقيل: إنه مقدر بالقول؛ أي: قال: يا محمد بل عجبت! ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به، أو إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم. ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ معجزة تدل على صدق القائل به. ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية ويقولون: إنه سحر، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها.

﴿١٥﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ يعنون ما يرونه. ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر

[بلا توسط مواقعه]؛ أي: مجامعه.

۞ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

سحريته. ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أصله انبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار، وإشعاراً بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكاراً، فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الأولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية. ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ عطف على محل (إنْ) واسمها، أو على الضمير في (مبعوثون) فإنه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم، وسَكَّن نافع برواية قالون وابن عامر (الواو) على معنى الترديد. ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون، وإنما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه، وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه، وقرئ: (قَالَ)؛ أي: الله أو الرسول، وقرأ الكسائي وحده: (نَعِمْ) بالكسر وهو لغة فيه.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢١﴾ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ جواب شرط مقدر؛ أي: إذا كان ذلك فإنما البعثة زَجْرَةٌ؛ أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية، من: (زجر الراعي نَعَمَه) إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كأمر كُنْ في الإبداء؛ ولذلك رتب عليها.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ اليوم الذي نجازى بأعمالنا. وقد تم به كلامهم وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ جواب الملائكة، وقيل: هو أيضاً من كلام بعضهم لبعض، و(الفصل) القضاء، أو الفرق بين المحسن والمسيء.

[لسبق ما يدل على جوازه]؛ أي: البعث، والسابق الدال ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا...﴾ [الصافات: ١١] إلى آخره [عن وقوعه]؛ أي: البعث [نَعِمْ بالكسر]؛ أي: كسر العين

۞ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)﴾.

---

(٢٢) ـ (٢٣) ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أمر الله للملائكة، أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف. وقيل: منه إلى الجحيم. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم، وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم، وهو عام مخصوص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١]، وفيه دليل على أن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم المشركون. ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ فعرفوهم طريقاً ليسلكوها.

(٢٤) ـ (٢٦) ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم في الموقف. ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم. و(الواو) لا توجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعددا. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص؛ وهو توبيخ وتقريع. ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم، وأصل: (الاستسلام): طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضاً ويخذله.

(٢٧) ـ (٢٨) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ يعني: الرؤساء والأتباع، أو الكفرة والقرناء. ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ؛ ولذلك فسر بـ(يتخاصمون). ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن أقوى الوجوه وأيمنها، أو عن الدين، أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا،

[موقفه]؛ أي: السؤال، وفي نسخة: موقفهم؛ أي: المسؤولين.

۞ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

مستعار من يمين الإنسان الذي هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما؛ ولذلك سمي يميناً وتيمن بالسانح، أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال، أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم إنهم على الحق.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أجابهم الرؤساء أولاً بمنع إضلالهم بأنهم كانوا ضالين في أنفسهم، وثانياً بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن لهم عليهم تسلط؛ وإنما جنحوا إليه لأنهم كانوا قوماً مختارين الطغيان. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه، وإن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي؛ لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم؛ إذ لو كان كل غواية لإغواء غاو فمن أغواهم.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٥﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين ﴿يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا مشتركين في الغواية. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل. ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بالمشركين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: عن كلمة التوحيد، أو على من يدعوهم إليها.

[وتيمن بالسانح] هو ما مرَّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به؛ لأنه أمكن للرمي، والصيد البارح ضده(١).

[أو عن الحلف] عطف على «أقوى الوجوه».

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري [٢/ ٣٩].

۞ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون: محمداً عليه الصلاة والسلام. ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ردّ عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون. ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ بالإشراك وتكذيب الرسل. وقرئ بنصب (الْعَذابِ)، على تقرير النون كقوله: (وَلَا ذَاكِرُ الله إِلَّا قَلِيلاً) وهو ضعيف في غير المحلى باللام، وعلى الأصل. ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما عملتم.

﴿٤٠﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في (تُجْزَوْنَ) لجميع المكلفين، فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة؛ فإن ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضاً بهذا الاعتبار. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ خصائصه من الدوام، أو تمحض اللذة؛ ولذلك فسره بقوله: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ فإن الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي، والقوت بالعكس. وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل؛ كانت أرزاقهم فواكه خالصة. ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ في نيله يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا. ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ في جنات ليس فيها إلا النعيم؛ وهو ظرف أو حال من المستكن في (مُكْرَمُون)، أو خبر ثان لـ(أُولئِكَ) وكذلك:

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٧﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ يحتمل الحال أو الخبر فيكون: ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ حالاً من المستكن فيه أو في ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات: ٤٢]، وأن يتعلق

[خصائصه] مرفوع بمعلوم.

بـ﴿مُتَقَبِلِينَ﴾ فيكون حالاً من ضمير ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات: ٤٢]. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾ بإناء فيه خمر، أو خمر كقوله: (وَكَأْسٌ شُرِبَتْ عَلَى لَذَّةٍ). ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين أو نهر معين؛ أي: ظاهر للعيون، أو خارج من العيون وهو صفة للماء، من: (عان الماء) إذا نبع. وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء، أو للإشعار بأن ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة لكمال اللذة، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وهما أيضاً صفتان لـ(كأس)، ووصفها بـ﴿لَذَّةٍ﴾ إما للمبالغة، أو لأنها تأنيث (لذّ) بمعنى: لذيذ كـ(طب)، ووزنه (فعل) قال:

وَلَـذّ كَـطَـعْـم الـصَرخـديّ تَـرَكْـتُـه بِأَرْضِ العِدَا مِنْ خَشْيَةِ الحَدَثَانِ

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلة كما في خمر الدنيا؛ كالخمار من: (غاله يغوله) إذا أفسده، ومنه: (الغول). ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يسكرون، من: (نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف) إذا ذهب عقله، أفرده بالنفي وعطفه على ما يعمه؛ لأنه من عظم فساده كأنه جنس برأسه. وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي، وتابعهما عاصم في (الواقعة) من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه، وأصله للنفاد يقال: نزف المطعون إذا خرج دمه كله، ....

[أو خمر] عطف على «إناء» [كقوله]؛ أي: قول الأعشى:

[وكَـأسٍ شُـربَـتُ عَـلَـى لَـذَّةٍ ....]

تمامه:

.... وأُخْـرَى تـداويـتُ مـنـهـا بـهـا

أي: رب كأس شربت لطلب اللذة، وكأس شربت للتداوي من خمارها، والكأس مؤنثة؛ كما قاله الجوهري(١).

[وَلَـذٍّ كَـطَـعْـمِ الـصَرخـديِّ تـركـتـهُ بأرْضِ العِدَا مِنْ خَشْيةِ الحَدثانِ](٢)

---

(١) الصحاح، الجوهري [٥/ ١١٣].

(٢) البيت للشاعر محمد بن ذؤيب العماني. أساس البلاغة، الزمخشري [٢/ ٣٣١].

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾.

ونزحتُ الرَّكِيّة حتى نزفتها.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن. ﴿عِينٌ﴾ نُجلُ العيون، جمع: (عيناء). ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار، ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة؛ فإنه أحسن ألوان الأبدان.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ معطوف على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ [الصافات: ٤٥]؛ أي: يشربون فيتحادثون على الشراب قال:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إلا أَحَادِيثُ الكِرَامِ عَلَى المُدَامِ

والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه؛ فإنه ألذّ تلك اللذات إلى العقل، وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ في مكالمتهم. ﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ جليس في الدنيا. ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ يوبخني على التصديق بالبعث، وقرئ بتشديد الصاد من: (التصدُّق). ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون، من: (الدِّين) بمعنى: الجزاء.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ﴿قَالَ﴾؛ أي: ذلك القائل. ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين، وقيل: القائل هو الله، أو بعض الملائكة يقول لهم: هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم؟

أي: الليل والنهار، والصرخدي: شراب منسوب إلى صرخد موضع بالشام [ونزحت الركية]؛ أي: البئر [نجل العيون] بضم النون [جمع نجلاء] قال

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿فَٱطَّلَعَ﴾ عليهم. وعن أبي عمرو و(مُطْلِعُونَ، فَأُطْلِعَ) بالتخفيف وكسر النون وضم الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه؛ من حيث أن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به، أو خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله: (هُم الآمِرُونَ الخَيْرَ وَالفَاعِلُونَهُ) أو شبه اسم الفاعل بالمضارع. ﴿فَرَءَاهُ﴾؛ أي: قرينه. ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ وسطه.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٩﴾ ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾ لتهلكني بالإغواء، وقرئ: (لتغوينِ) و(إنْ) هي المخففة و(اللام) هي الفارقة. ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي﴾ بالهداية والعصمة. ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ معك فيها. ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ﴾ عطف على محذوف؛ أي: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين! أي: بمن شأنه الموت وقرئ: (بمائتين). ﴿إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا، وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال؛ ونصبها على المصدر من اسم الفاعل. وقيل: على الاستثناء المنقطع. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كالكفار، وذلك

الجوهري[١]: «النَّجَل»: بالتحريك سعة شق العين، والرَّجَلُ أَنْجَل، والعين نجلاء، والجَمْعُ نُجْل [أو خاطب الملائكة] عطف على «جعل اطلاعهم» [وضع المتصل موضع المنفصل] إذ الأصل: مطلعون إياي، كقوله:

[هم الآمرون الخير والفاعلون ....]

في نسخة موافقه للكشاف: هم الفاعلون الخير والآمرونه، وتمامه:

.... **إذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً**

[وعن أبي عمرو: مُطْلَعُون فـ(أَطْلَع) بالتخفيف] إن صح ذلك عنه فهو شاذ [أو شبه اسم الفاعل بالمضارع] زاد «الكشاف»[٢]: لتآخ بينهما، كأنه قال: تطلعون، وهو

(١) الصحاح، الجوهري [٧/ ١٢٧]. (٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٤٧].

۞ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

تمام كلامه لقرينه تقريعاً له، أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثاً بنعمة الله، أو تبجحاً بها وتعجباً منها، وتعريضاً للقرين بالتوبيخ.

﴿٦٠﴾ ـ ﴿٦١﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم، وأن يكون كلام الله لتقرير قوله، والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب. ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾؛ أي: لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون؛ لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام. وهو أيضاً يحتمل الأمرين.

﴿٦٢﴾ ـ ﴿٦٦﴾ ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ شجرة ثمرها نُزُلُ أهلِ النار، وانتصاب ﴿نُّزُلًا﴾ على التمييز أو الحال، وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل، ولهم وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار، وهو: اسم شجرة صغيرة الورق دَفِرَة مرّة، تكون بتهامة؛ سميت به الشجرة الموصوفة. ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء في الدنيا؛ فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا: كيف ذلك! والنار تحرق الشجر؟! ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها؛ فهو أقدر على خلق

ضعيف لا يقع إلا في الشعر. انتهى. فاقتضى تشبيهه[1] به دخول النون كما دخلت في الآخر [**وهو أيضاً**]؛ أي: قوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ [الصافات: ٦١] إلى آخره [**يحتمل الأمرين**]؛ أي: كونه من كلامهم، أو كلام الله [**دفرة**] بفتح المهملة، وكسر الفاء؛

---

(١) في نسخة [ج ـ ب]: (الشبهه).

۞ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

الشجر في النار وحفظه من الإحراق. ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها. ﴿طَلْعُهَا﴾ حملها، مستعار من: (طلع التمر) لمشاركته إياه في الشكل، أو الطلوع من الشجر. ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك. وقيل: (الشَّياطِين): حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلها سميت بها لذلك. ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾ من الشجرة أو من طلعها. ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لغلبة الجوع، أو الجبر على أكلها.

﴿٦٧﴾ ـ ﴿٦٨﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم، ويجوز أن يكون (ثم) لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة. ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ لشراباً من غساق، أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم. وقرئ بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأول مصدر سمي به. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ مصيرهم. ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ إلى دركاتها أو إلى نفسها؛ فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولهم، وقيل: الحميم خارج عنها لقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٣، ٤٤] يوردون إليه كما تورد الإبل إلى الماء، ثم يردون إلى الجحيم، ويؤيده أنه قرئ: (ثم إنَّ مُنْقَلَبَهم).

﴿٦٩﴾ ـ ﴿٧٤﴾ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال. و(الإهراع): الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارِهِمْ؛ وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك.

۞ ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء أنذروهم من العواقب. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ من الشدة والفظاعة. ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إلا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله. وقرئ بالفتح؛ أي: الذين أخلصهم الله لدينه، والخطاب مع الرسول ﷺ، والمقصود خطاب قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٨﴾ ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ شروع في تفصيل القصص بعد إجمالها؛ أي: ولقد دعانا حين أيس من قومه. ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾؛ أي: فأجبناه أحسن الإجابة. والتقدير: فو الله لنعم المجيبون نحن؛ فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الغرق، أو أذى قومه. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين إلى يوم القيامة؛ إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وأزواجهم. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ من الأمم.

﴿٧٩﴾ - ﴿٨٢﴾ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى: يسلمون عليه تسليماً. وقيل: هو سلام من الله عليه، ومفعول (تَرَكْنا) محذوف مثل الثناء. ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بالجار والمجرور، ومعناه: الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعاً. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بأنه مجازاة له على إحسانه. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليل لإحسانه بالإيمان إظهاراً لجلالة قدره وأصالة أمره. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾؛ يعني: كفار قومه.

أي: منتنة [هذا الكلام جيء به على الحكاية]؛ أي: وإلا فهو منصوب بـ«تركنا».

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿٨٧﴾ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾. ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع أو غالباً، وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما نبيّان هود وصالح صلوات الله عليهم. ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ متعلق بما في (الشيعة) من معنى: (المشايعة)، أو بمحذوف هو (اذكر). ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ من آفات القلوب، أو من العلائق؛ خالص لله أو مخلص له. وقيل: حزين، من: (السليم) بمعنى: اللديغ. ومعنى المجيء به ربه: إخلاصه له كأنه جاء به متحفاً إياه. ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ بدل من الأولى، أو ظرف لـ(جاءَ) أو (سَلِيم). ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؛ أي: تريدون آلهة دون الله إفكاً؛ مقدم المفعول للعناية؛ ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر أنهم على الباطل، ومبنى أمرهم على الإفك. ويجوز أن يكون (إِفْكاً) مفعولاً به، و(آلِهَةً) بدل منه على أنها إفك في نفسها للمبالغة، أو المراد بها عبادتها؛ بحذف المضاف أو حالاً بمعنى: آفكين. ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته، أو أشركتم به غيره، أو أمنتم من عذابه، والمعنى: إنكار ما يوجب ظنّاً فضلاً عن قطع يصد عن عبادته، أو يجوز الإشراك به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام، وهو كالحجة على ما قبله.

[متحفاً إياه] بكسر الحاء [المفعول به]؛ أي: وهو «آلهة» على الفعل [للعناية] به [ثم المفعول له]؛ أي: وهو «إفكاً» على المفعول به[1] [بدل منه] الأولى بدلاً [أو المراد]؛ أي: على أن المراد [أو يجوز الاشراك] هو وما بعده عطف على «يوجب»

---

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي [١٥/ ١١٥].

۞ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾
فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ
﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿٨٨﴾ - ﴿٩٠﴾ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ فرأى مواقعها واتصالاتها، أو في علمها أو في كتابها، ولا منع منه؛ مع أن قصده إيهامهم، وذلك حين سألوه أن يعبد معهم! ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أراهم أنه استدل بها لأنهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه إلى معبدهم؛ فإنه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى، أو أراد إني سقيم القلب لكفركم، أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجاً قل من يخلو منه، أو بصدد الموت، ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، وقول لبيد:

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ هاربين مخافة العدوى.

﴿٩١﴾ - ﴿٩٣﴾ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فذهب إليها في خفية، من: (روغة الثعلب) وأصله: الميل بحيلة. ﴿فَقَالَ﴾؛ أي: للأصنام استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ يعني: الطعام الذي كان عندهم. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ بجوابي ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فمال عليهم مستخفياً، والتعدية بـ(على) للاستعلاء، وإن الميل لمكروه ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ مصدر لـ(راغ عليهم) لأنه في معنى: ضربهم، أو لمضمر تقديره: فراغ عليهم يضربهم؛ وتقييده باليمين للدلالة على قوته؛ فإن قوة الآلة تستدعي قوة الفعل، وقيل: (بِالْيَمِينِ) بسبب الحلف وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

﴿٩٤﴾ - ﴿٩٦﴾ ﴿فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ﴾ إلى إبراهيم بعد ما رجعوا فرأوا أصنامهم

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)﴾.

مكسرة، وبحثوا عن كاسرها! فظنوا أنه هو كما شرحه في قوله: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ الآية [الأنبياء: ٥٩]. ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون، من: (زفيف النعام). وقرأ حمزة على بناء المفعول؛ من: (أزفه)؛ أي: يحملون على الزفيف. و(يَزِفُّونَ)؛ أي: يزف بعضهم بعضاً، و(يَزِفُوْنَ) من: (وَزَفَ يَزِفُ) إذا أسرع و(يَزْفُونَ) من: (زَفَاه) إذا حداه كأن بعضهم يَزْفُو بعضاً لتسارعهم إليه ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ما تنحتونه من الأصنام. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: وما تعملونه فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم؛ ولذلك جعل من أعمالهم فبإقداره إياهم عليه، وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد، أو عملكم بمعنى: (معمولكم) ليطابق (ما تنحتون)، أو إنه بمعنى: (الحدث) فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان معمولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال، ولهم أن يرجحوه على الأولين لما فيهما من حذف أو مجاز.

(٩٧) ـ (٩٨) ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ في النار الشديدة من الجحمة؛ وهي شدة التأجج، و(اللام) بدل الإضافة؛ أي: جحيم ذلك البنيان. ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ فإنه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا

[عن كاسره]؛ أي: ما ذكر من الأصنام، والأولى عن كاسرها [وقرأ حمزة على بناء المفعول] صوابه «على بناء الفاعل» وضم الياء، وعليه يلزم أن يكون هو عين قوله: [وقرئ: «يُزفون»]؛ أي: بضم الياء، والبناء للفاعل مع أن ما سلكه يوهم أن قوله: وقرئ: «يزفون» قراءة شاذة، وليس كذلك [يَزفُون] بفتح الياء، وتخفيف الفاء[1] [ويَزْفُون] بفتح الياء، وإسكان الزاي.

---

(١) انظر: إبراز المعاني، أبو شامة [٢/٣٨٦].

۞ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾.

يظهر للعامة عجزهم. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ الأذلين بإبطال كيدهم، وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه؛ حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً.

﴿٩٩﴾ - ﴿١٠١﴾ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي وهو الشام، أو حيث أتجرد فيه لعبادته. ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي؛ وإنما بتَّ القول لسبق وعده أو لفرط توكله، أو البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قالَ: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] فلذلك ذكر بصيغة التوقع. ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة، ويؤنسني في الغربة؛ يعني: الولد لأن لفظ الهبة غالب فيه، ولقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ بشره بالولد وبأنه ذَكَرٌ يبلغ أوانَ الحلم؛ فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليماً، وأي حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وقيل: ما نعت الله نبيّاً بالحلم لعزّة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام، وحالهما المذكورة بعدُ تشهدُ عليه.

﴿١٠٢﴾ - ﴿١٠٣﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾؛ أي: فلما وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله، و﴿مَعَهُ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ﴿السَّعْيَ﴾ لا به؛ لأن صلة المصدر لا تتقدمه ولا بـ﴿بَلَغَ﴾ فإن بلوغهما لم يكن معاً كأنه لَمَّا قال: فَلَمَّا بَلَغَ السعي، فقيل: مع من؟ فقيل: مَعَهُ. وتخصيصه لأن الأب أكمل

[لأن صلة المصدر لا تتقدمه] يردّ بما مرّ من أنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع

في الرفق والاستصلاح له، فلا يستسعيه قبل أوانه، أو لأنه استوهبه لذلك، وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ﴾ وقرأ حفص بفتح الياء ﴿أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ يحتمل أنه رأى ذلك، وأنه رأى ما هو تعبيره.

وقيل: إنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك! فلما أصبح روى أنه من الله أو من الشيطان، فلما أمسى رأى مثل ذلك! فعرف أنه من الله، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهمَّ بنحره وقال له ذلك؛ ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية، وعرفة، والنحر. والأظهر أن المخاطب إسماعيل عليه السلام لأنه الذي وهب له أثر الهجرة، ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام، ولقوله ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**». فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبد الله؛ فإن جده عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة، فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الإبل؛ ولذلك سنت الدية مائة، ولأن ذلك كان بمكة، وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في أيام ابن الزبير، ولم يكن إسحاق ثمة؛ ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بذبحه مراهقاً، وما روي: أنه ﷺ سئل أي النسب أشرف؟ فقال: «**يوسف صديق الله بن**

في غيره[1] [روّاء] بتشديد الواو، وبالهمز وتركه؛ أي: فكّر [**ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر**] فيه لف ونشر مرتب؛ أي: سميت الأولى بـ«التروية والثانية» بـ«عرفة»؛ لأنه عرف أن ذلك[2] من الله، والثالثة بـ«النحر»[3].

[**حتى احترق**]؛ أي: كل من القرنين، والأولى احترقا، جزع بكسر الزاي من

---

(١) عبارة ([لأن صلة المصدر لا تتقدمه] يرد بما مر من أنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره) من نسخة [ز ـ ج ـ ب] ساقطة من نسخة [الأصل].

(٢) في نسخة [ز]: (ذكر).

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي [٧/ ١٧١].

يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله»! فالصحيح أنه قال: «**يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**» والزوائد من الراوي. وما روي: أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء فيهما ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي، وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلّم، وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله، وقرأ حمزة والكسائي: (مَاذَا تُرِي) بضم التاء وكسر الراء خالصة، والباقون بفتحهما وأبو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين. والباقون بإخلاص فتحها ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ وقرأ ابن عامر بفتح التاء. ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: ما تؤمر به؛ فحذفا دفعة أو على الترتيب، كما عرفت أو أمرك على إرادة المأمور به والإضافة إلى المأمور، أو لعله فهم من كلامه: أنه رأى أنه يذبحه مأموراً به، أو علم أن رؤيا الأنبياء حق، وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر، ولعل الأمر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص؛ وإنما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الذبح أو على قضاء الله، وقرأ نافع بفتح الياء ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ استسلما لأمر الله، أو سلما الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه، وقد قرئ بهما، وأصلها: (سلم هذا لفلان) إذا خلص له؛ فإنه سلم من أن ينازع فيه. ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه على شقه، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة. وقيل: كبّه على وجهه بإشارته لئلا يرى فيه تغيراً يرق له فلا يذبحه، وكان ذلك عند الصخرة بمنىً، أو في الموضع المشرف على مسجده، أو المنحر الذي ينحر فيه اليوم.

الجزع، وهو عدم الصبر [**بالانقياد له**]؛ أي: للبلاء [**فحذفا**]؛ أي: الباء، والهاء [**دفعة، أو على الترتيب**] بأن حذفت الباء ثم الهاء بعد اتصال الفعل بها [**أو أمْرك**] بسكون الميم عطف على «ما تؤمر به»، فـ«ما» مصدرية، وعلى الأول موصولة [**وقد قرىء بهما**]؛ أي: بـ«استسلما» و«سلما» [**وأصلها**]؛ أي: الكلمة في القراءات

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨
سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾.

---

١٠٤ ـ ١٠٦ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بالعزم والإتيان بالمقدمات. وقد روي: أنه أَمَرَّ السكين بقوته على حلقه مراراً فلم تقطع. وجواب (لمّا) محذوف تقديره: كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال، من استبشارهما وشكرهما لله على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله، والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله، وإظهار فضلهما به على العالمين، مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما، واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه؛ فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالذبح لقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢] ولم يحصل. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ الابتلاء البيّن الذي يتميز فيه المخلص من غيره، أو المحنة البينة الصعوبة فإنه لا أصعب منها.

١٠٧ ـ ١١١ ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل. ﴿عَظِيمٖ﴾ عظيم الجثة سمين، أو عظيم القدر؛ لأنه يفدي به الله نبيّاً ابن نبي، وأي نبي من نسله سيد المرسلين. قيل: كان كبشاً من الجنة. وقيل: وعلاً أهبط عليه من «ثبير». وروي: أنه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سُنَّة، والفادي على الحقيقة إبراهيم؛ وإنما قال: وفديناه لأنه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد، واستدل به الحنفية على أن من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة، وليس فيه ما يدل عليه. ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ سبق بيانه في قصة نوح عليه السلام. ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لعله طرح عنه (إنَّا) اكتفاء بذكره مرّة في هذه القصة ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

۞ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿١١٢﴾ - ﴿١١٣﴾ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مقضياً نبوته مقدراً كونه من الصالحين، وبهذا الاعتبار وقعا حالين، ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة؛ فإن وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنى بالحال، فلا حاجة إلى تقدير مضاف يجعل عاملاً فيهما مثلاً ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ﴾ بوجود إسحاق؛ أي: بأن يوجد إسحاق نبيّاً من الصالحين، ومع ذلك لا يصير نظير قوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فإن الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول، وإسحاق لم يكن مقدراً نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد. ومن فسر الذبيح بإسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته، وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه، وإيماء بأنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق. ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم في أولاده. ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب، أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، وقرئ: (وبرَّكْنَا). ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ في عمله أو إلى نفسه بالإيمان والطاعة. ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر ظلمه، وفي ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال، وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب.

﴿١١٤﴾ - ﴿١١٨﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾

۞ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

من تغلب فرعون أو الغرق. ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير لهما مع القوم. ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على فرعون وقومه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة. ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الطريق الموصل إلى الحق والصواب.

﴿١١٩﴾ ـ ﴿١٢٢﴾ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سبق مثل ذلك.

﴿١٢٣﴾ ـ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هو «إلياس بن ياسين» سبط هارون أخي موسى بعث بعده. وقيل: إدريس لأنه قرئ: (إدريس وإدراس) مكانه، وفي حرف أُبيّ (وإن إيليس) وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة إلياس. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدونه أو أتطلبون الخير منه! وهو اسم صنم كان لأهل «بَكَّ» من الشام، وهو البلد الذي يقال له الآن: «بعلبك» وقيل: (البعل): (الربّ) بلغة اليمن، والمعنى: أتدعون بعض البُعول. ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وتتركون عبادته، وقد أشار فيه إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل.

الثلاث[(١)] [من تعذيب فرعون] في نسخة: من تغلّب فرعون.

[وفي حرف أُبي]؛ أي: قرأته [المعنى بالهمزة]؛ أي: في أَتَدْعُونَ [ثم صرح به]؛ أي: بالمقتضى للإنكار [على البدل]؛ أي: أو البيان، أو المدح.

---

(١) اللباب، ابن عادل [١٦/ ٣٣٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

﴿١٢٧﴾ - ﴿١٢٨﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ أي: في العذاب، وإنما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة، أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفاً. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى.

﴿١٢٩﴾ - ﴿١٣٢﴾ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ لغة في «إلياس» كـ(سيناء وسينين)، وقيل: جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين، لكن فيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه بـ(اللام) أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كـ(الأعجمين) وهو قليل ملبس. وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة (إل) إلى (يَاسِينَ) لأنهما في المصحف مفصولان فيكون (يَاسِينَ) أبا (إِلْيَاسَ)، وقيل: محمد ﷺ أو القرآن أو غيره من كتب الله، والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ الظاهر أن الضمير لـ(إلياس).

﴿١٣٣﴾ - ﴿١٣٨﴾ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ سبق بيانه.

[كالمهَلَّبين]؛ أي: فإنه جمع باعتبار المهلب وقومه[١] **[لكن فيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه]** كما تقول: في جمع زيد الزيدون، وهو مفقود هنا[٢] **[أو للمنسوب إليه]** عطف على «له».

---

(١) كما في نسخة [ز - ج - ب] وفي نسخة [الأصل]: (وقوله).
(٢) انظر: شرح الكافية، الاستراباذي [٣/ ٢٩١].

۞ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة. ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على منازلهم في متاجركم إلى الشام؛ فإن سدوم في طريقه. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح. ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ومساء أو نهاراً وليلاً، ولعلها وقعت قريب منزل يمرّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد لها مساء. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفليس فيكم عقل تعتبرون به؟!

﴿١٣٩﴾ ـ ﴿١٤٤﴾ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقرئ بكسر النون. ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب، وأصله: (الهرب من السيد) لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربِّه حسن إطلاقه عليه. ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ المملوء. ﴿فَسَاهَمَ﴾ فقارع أهله. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة، وأصله المزلق عن مقام الظفر. روي: أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله، فركب السفينة فوقفت! فقالوا: هٰهنا عبد آبق! فاقترعوا، فخرجت القرعة عليه، فقال: أنا الآبق! ورمى بنفسه في الماء. ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ فابتلعه من اللقمة. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة، أو آت بما يلام عليها أو مليم نفسه، وقرئ بالفتح مبنياً من: (لِيْم) كـ(مَشِيْب في مَشُوْب). ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره، أو في بطن الحوت وهو قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: من المصلين. ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ حيّاً، وقيل: ميتاً، وفيه حثٌّ على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه، ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء.

[مبيناً من «ليم»[1]] بالبناء للمفعول، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]، والقياس ملوم

---

(١) في نسخة [ز]: (لييم).

﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝١٤٨﴾.

---

(١٤٥) - (١٤٨) ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ﴾ بأن حملنا الحوت على لفظه. ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت. روي: أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه، يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر فلفظه. واختلف في مدة لبثه فقيل: بعض يوم، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ مما ناله؛ قيل: صار بدنه كبدن الطفل حين يولد. ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: فوقه ﴿شَجَرَةً﴾ مظلة عليه ﴿مِّن يَقْطِينٍ﴾ من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه، (يفعيل) من: (قطن بالمكان) إذا أقام به، والأكثر على أنها كانت الدباء، غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه، ويدل عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ: إنك لتحب القرع! قال: «**أجل هي شجرة أخي يونس**». وقيل: التين، وقيل: الموز تغطى بورقه، ويستظل بأغصانه وأفطر على ثماره. ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل «نينوى»، والمراد به ما سبق من إرساله، أو إرسال ثان إليهم أو إلى غيرهم. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر؛ أي: إذا نظر إليهم، قال: هم مائة ألف أو يزيدون، والمراد الوصف بالكثرة، وقرئ بالواو. ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ فصدقوه أو فجددوا الإيمان به بمحضره. ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى أجلهم المسمى، ولعله إنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص؛ تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولى العزم من الرسل، أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة.

كمقول من القول، لكن بنوه على الفعل المبني للمفعول [على لفظه]؛ أي: طرحه.

۞ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

﴿١٤٩﴾ ـ ﴿١٥٢﴾ ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ معطوف على مثله، في أول السورة أمر رسوله أولاً باستفتاء قريش عن وجه إنكارهم البعث! وساق الكلام في تقريره جاراً لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض، ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم: الملائكة بنات الله؛ وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أُخَر: التجسيم، وتجويز الفناء على الله تعالى؛ فإن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة، وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مراراً، وجعله مما ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، والإنكار ههنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما، أو لأن فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام

[﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩] **معطوف على مثله..**] إلى آخره، لا يستبعد ذلك بكثرة الفاصل بينهما؛ لأنه ليس بأجنبي كما أشار إليه «الكشاف»(١) بقوله: أمر رسوله أولاً بالاستفتاء(٢) قريش.. إلى آخره، والإنكار هنا مقصور على الآخرين [**وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أُخر**]؛ أي: ثلاثة كما صرح بها «الكشاف». فقول المصنف: التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى، واحد منها بجعل عطف «تجويز البنات» على «التجسيم» عطف تفسير بقرينة تعليله، وقوله بعد: «والإنكار هنا مقصور على الآخرين» [**حيث جعل المعادل للاستفهام**]؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٤].

(٢) كما في نسخة [ج ـ ب] وفي نسخة [ز]: (فاسعنا) وفي نسخة [الأصل]: (باستثناء) والصواب ما أثبتناه في المتن.

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝١٥٦ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٥٧﴾.

عن التقسيم. ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك لا تعلم إلا به؛ فإن الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء، والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبتّون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم. ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يتدينون به. وقرئ: (وَلَدُ الله)؛ أي: الملائكة ولده، فعل بمعنى مفعول؛ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

۝١٥٣ - ۝١٥٧ ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ استفهام إنكار واستبعاد، و(الاصطفاء): أخذ صفوة الشيء. وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة (أم) بعدها عليها، أو على الإثبات بإضمار القول؛ أي: لكاذبون في قولهم: (أصطفى)، أو إبداله من (وَلَدَ اللهُ). ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يرتضيه عقل! ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنه منزّه عن ذلك! ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ

أي: وهو: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾ [الصافات: ١٥٠] **[عن استفتهم[(١)]]** متعلق بـ«الاستفهام» [﴿أَمْ خَلَقْنَا﴾] مفعول ثان لـ(جعل) **[لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه]**؛ أي: قالوا: ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ [الصافات: ١٥٢]؛ ﴿مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ [الصافات: ١٥١]، لا من أصل معتبر؛ لعدم ما يقتضي الإفك، ولقيام ما ينفيه من الأدلة الشرعية والعقلية.

[وقرئ: «ولدُ اللهِ»]؛ أي: بضم الدال، وكسر الهاء[(٢)] **[وعن نافع كسر الهمزة]**؛ أي: وقرأ نافع من طريق ورش بذلك، وكذا قرأ به أبو جعفر **[أو على الإثبات]**؛ أي: الإخبار، وهو عطف على قوله: «على حذف حرف الاستفهام»

---

(١) في نسخة [ز - ج]: (عن التقسيم) وفي نسخة [ب]: (عن ألسنتهم).
(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي [٧/٣٦٧].

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾.

﴿مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

﴿١٥٨﴾ ـ ﴿١٦٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾؛ يعني: الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن يبلغوا هذه المرتبة، وقيل: قالوا: إن الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة. وقيل: قالوا: الله والشياطين إخوان! ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ إن الكفرة، أو الإنس والجن؛ إن فسرت بغير الملائكة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذاب. ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والنسب. ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء من (المحضرين) منقطع، أو متصل إن فسر الضمير بما يعمهم. وما بينهما اعتراض أو من (يَصِفُونَ).

﴿١٦١﴾ ـ ﴿١٦٣﴾ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ عود إلى خطابهم. ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿بِفَـٰتِنِينَ﴾ مفسدين الناس بالإغواء. ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلّا من سبق في علمه أنه من أهل النار ويصلاها لا محالة. و(أَنْتُمْ) ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب، ويجوز أن يكون (وَما تَعْبُدُونَ) لما فيه من معنى المقارنة ساداً مسد الخبر؛ أي: إنكم وآلهتكم قرناء لا

[**باسم جنسهم**] وهو الجن [**وضعاً**]؛ أي: حطا [**منهم أن يبلغوا هذه المرتبة**]؛ أي: مرتبة النسب [**ويجوز أن يكون ما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة..**] إلى آخره، إيضاحه قول «الكشاف»[1]: ويجوز أن تكون الواو في «وما تعبدون» بمعنى «مع» مثلها في قولهم: «كل رجل وضيعته»، فلما جاز السكوت على كل رجل وضيعته، وأن كل رجل وضيعته، جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ١٦١]؛

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٦٤].

۞ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

تزالون تعبدونها، ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة إلا ضالاً مستوجباً للنار مثلكم. وقرئ: (صَالُ) بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين، أو تخفيف (صائل) على القلب كـ(شاك في شائك)، أو المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم: ما باليت به بالة؛ فإن أصلها: (بالية) كـ(عافية).

﴿١٦٤﴾ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى: وما منا أحد إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ في المعرفة والعبادة، والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم لا يتجاوزه؛ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه. ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ١٥٩] من كلامهم ليتصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ [الصافات: ١٥٨] كأنه قال: ولقد علمت الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سُبْحانَ اللهِ تنزيهاً له عنه، ثم استثنوا ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٦٠] تبرئة لهم منه، ثم خاطبوا الكفرة بأن الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة، ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها. فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مكانه.

﴿١٦٥﴾ - ﴿١٦٦﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة. ﴿وَإِنَّا

لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ساد مسد الخبر؛ لأن معناه: فإنكم مع ما تعبدون؛ والمعنى: فإنكم مع آلهتكم؛ أي: فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها.

[على القلب]؛ أي: المكاني [وتفاوت مراتبهم فيه] الأولى: «فيها»؛ أي: في العبودية [لا يتجاوزنها]؛ أي: المراتب [فحذف الموصوف]؛ أي: وهو أحد [وأقيمت الصفة مقامه]؛ أي: وهي الآلهة ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة، وهذا في المعارف. وما في (إنَّ) و(اللام) وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص؛ لأنهم المواظبون على ذلك دائماً من غير فترة دون غيرهم. وقيل: هو من كلام النبي ﷺ والمؤمنين؛ والمعنى: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله يوم القيامة، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ له في الصلاة والمنزهون له عن السوء.

﴿١٦٧﴾ ـ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾؛ أي: مشركو قريش. ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كتاباً من الكتب التي نزلت عليهم. ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم. ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: لما جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

﴿١٧١﴾ ـ ﴿١٧٥﴾ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: وعدنا لهم النصر والغلبة وهو قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات؛ وإنما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامهم في معنى واحد. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر، وقيل: يوم الفتح. ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ على ما ينالهم حينئذ، والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدّامه. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة، و(سوف) للوعيد لا للتبعيد.

[في الطاعات] في نسخة: في الطاعة.

۞ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

﴿١٧٦﴾ - ﴿١٧٩﴾ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ روي: أنه لما نزل ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٥] قالوا: متى هذا؟ فنزلت. ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ فإذا نزل العذاب بفنائهم، شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة، وقيل: الرسول، وقرئ: (نُزِّلَ) على إسناده إلى الجار والمجرور، و(نَزَلَ)؛ أي: العذاب. ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم، و(اللام) للجنس، و(الصَّباحُ) مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب، ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر. ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تأكيد إلى تأكيد، وإطلاق بعد تقييد؛ للإشعار بأنه يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة، أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة.

﴿١٨٠﴾ - ﴿١٨٢﴾ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة، وإضافة (الربّ) إلى (العزّة) لاختصاصها به؛ إذ لا عزة إلا له أو لمن أعزه. وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الإشعار بالتوحيد. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة؛ ولذلك أخره عن (التسليم)؛ والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله.

وعن علي رضي الله عنه: من أحبَّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم

[وعن علي رضي الله عنه: من أحب..] إلى آخره، رواه البغوي[1]..

---

(١) معالم التنزيل، البغوي [١/ ٦٥/ برقم: ١٨٢].

القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربك.. إلى آخر السورة.

وعن النبي ﷺ: «**من قرأ (والصافات) أعطي من الأجر عشر حسنات؛ بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين، وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين**».

[«**من قرأ والصافات..**»] إلى آخره، موضوع[١].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ١٨٢/ برقم: ١٠٩٦].



(٣٨) مكية، وآيها ست أو ثمان وثمانون آية

۞ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١ - ۝٢ ﴿صٓۚ﴾ وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين، وقيل: إنه أمر من: (المصاداة)؛ بمعنى: المعارضة، ومنه: (الصدى) فإنه يعارض الصوت الأول؛ أي: عارض القرآن بعملك، وبالفتح لذلك، أو بحذف حرف القسم وإيصال فعله إليه، أو إضماره والفتح في موضع الجر؛ فإنها غير مصروفة لأنها علم السورة، وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب. ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ الواو للقسم إن جعل (ص) اسماً للحرف أو مذكور للتحدي، أو للرمز بكلام مثل: صدق محمد، أو للسورة خبر المحذوف أو لفظ الأمر، وللعطف إن جعل مقسماً به كقولهم: اللهِ لأفعلن؛ بالجر والجواب محذوف دل عليه ما في (ص) من الدلالة على التحدي، أو الأمر بالمعادلة أي: إنه لمعجز أو لواجب العمل به، أو إن محمداً لصادق أو قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾؛ أي: ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا به ﴿فِي عِزَّةٖ﴾؛ أي: استكبار عن الحق. ﴿وَشِقَاقٖ﴾ خلاف لله ورسوله؛ ولذلك كفروا به، وعلى الأولين الإضراب أيضاً من الجواب المقدر؛ ولكن من حيث إشعاره بذلك. والمراد بـ(الذكر) العظة، أو الشرف والشهرة، أو ذكر

قوله: [أو إضماره] سورة «ص»؛ أي: حرف القسم ذكر بعد حذفه، والفرق بين الحذف والإضمار: أن الحذف متروك أصلاً فلا يكون فيما يقوم مقامه أثر منه، والمضمر بخلافه [أو لفظ الأمر] بالجر عطفاً على «الحرف» [أو الأمر] بالجر عطفاً على «الدلالة»، أو «التحدي» [أو] قوله: عطف على ما في «ص».

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾.

ما يحتاج إليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد، والتنكير في (عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) للدلالة على شدتهما، وقرئ: (في غِرَّةٍ)؛ أي: غفلة عما يجب عليهم النظر فيه.

٣ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعيد لهم على كفرهم به استكباراً وشقاقاً. ﴿فَنَادَوا﴾ استغاثة أو توبة أو استغفاراً. ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾؛ أي: ليس الحين حين مناص، و(لا) هي المشبهة بـ(ليس) زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على (رُبَّ) و(ثم)، وخصت بلزوم الأحيان وحذف أحد المعمولين، وقيل: هي النافية للجنس؛ أي: ولا حين مناص لهم، وقيل: للفعل، والنصب بإضماره؛ أي: ولا أرى حين مناص، وقرئ بالرفع على أنه اسم لا، أو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: ليس حين مناص حاصلاً لهم، أو لا حين مناص كائن لهم، وبالكسر كقوله:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أوانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَاتَ حِينَ بَقَاءِ

إما لأن (لات) تجر الأحيان كما أن (لولا) تجر الضمائر في قوله:

[وقيل: للفعل] عطف على «للجنس» [وقرئ بالرفع]؛ أي: برفع ﴿حِينَ﴾ [صَ: ٣] [كقوله]؛ أي: قول أبي زيد الطائي:

[طَلَبُوا صلحَنا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجبنا أَنْ لَاتَ حينَ بَقاءِ][1]

أي: إبقاء، ثم بيَّن وجه الكسر في «حين» و«أوان» بقوله: [أما لأن لات تجر الأحيان..] إلى آخره، ويوضح ذلك قول «الكشاف»: فإن قلت: فما وجه الكسر في «أوان»؟ قلت: شبه بـ«إذ» في قوله: وأنت إذ صحيح في الزمان؛ قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين؛ لأن الأصل: ولات أوان صلح، فإن قلت: فما تقول في «حين مناص» والمضاف إليه قائم؟ قلت: نزل قطع المضاف إليه في «مناص»؛ لأن أصله:

---

(١) الأمالي، الزجاجي [ص١٤١].

(لَوْلَاكَ هَذَا العَامُ لَمْ أَحْجُجِ)، أو لأن (أوان) شبه بـ(إذ) لأنه مقطوع عن الإضافة إذ أصله: أوان صلح، ثم حمل عليه (مَناصٍ) تنزيلاً لما أضيف إليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد، إذ أصله: يَحِنْ مناصهم، ثم بني (الحين) لإضافته إلى غير متمكن (وَلاتِ) بالكسر كـ(جير)، وتقف الكوفية عليها بـ(الهاء) كالأسماء، والبصرية بـ(التاء) كالأفعال. وقيل: إن (التاء) مزيدة على (حين) لاتصالها به في الإمام، ولا يرد عليه: أن خط المصحف خارج عن القياس؛ إذ مثله لم يعهد فيه، والأصل اعتباره إلا فيما خصه الدليل ولقوله:

العَاطِفُونَ تَحِينَ لَا مِنْ عَاطِف وَالمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ

و(المناص) المنجى من: (ناصه ينوصه) إذا فاته.

«حين مناصهم» منزلة قطعة من «حين»، لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف، ثم بنى «الحين» لكونه مضافاً إلى غير متمكن[(١)]. انتهى. وضمير لكونه «للمناص» لا «للحين» ضرورة كون «المناص» مضافاً إلى غير المتمكن دون «الحين»، أو «للحين» بجعل قطع المضاف إليه كقطع المضاف، وإضافته إلى المبني كإضافته إليه، والثاني منهما أوفق بكلام المصنف مع ما في ذلك من القلاقة.

[**وتقف الكوفية..**] إلى آخره، تقييده بالكوفية والبصرية تجوز إذ الأول: خاص بالكسائي، والثاني: لا يختص بالبصرية[(٢)] [**ولا يرد عليه لأن خط المصحف**] كذا في نسخ، وفي نسخة وهي الصواب: «حذف اللام»؛ لأنه يريد الردّ على الزمخشري[(٣)] في قوله واستشهاده: بأن التاء ملتزقة بحين في الأمام لا متشبث به، فرده المصنف: بأن ذلك لا يرد على القائل بما ذكر، وعلله بقوله: [**إذ مثله..**] إلى آخره [**ولقوله: والعاطفون..**] إلى آخره، عطف على «لاتصالها».

---

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٣].
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي [١٥/ ١٤٦].
(٣) الكشاف، الزمخشري [٤/ ٧٣].

۞ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾.

۝٤ ـ ۝٥ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ بشر مثلهم، أو أُمِّيٌّ من عدادهم. ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضباً عليهم وذماً لهم، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول. ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾ فِيمَا يظهره معجزة. ﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يقوله على الله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ بأن جعل الألوهية التي كانت لهم لواحد. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ بليغ في العجب؛ فإنه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا، وما نشاهده من أن الواحد لا يفي علمه وقدرته بالأشياء الكثيرة، وقرئ مشدداً وهو أبلغ كـ(كُرَام وكُرَّام). وروي أنه لما أسلم عمر ﷺ شق ذلك على قريش! فأتوا أبا طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا! وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء! وإنا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك؛ فاستحضر رسول الله ﷺ وقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم! فقال ﷺ: «**ماذا يسألونني**»، فقالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلٰهك! فقال: «**أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم! أَمُعْطِيَّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟**»، فقالوا: نعم وعشراً، فقال: «**قولوا: لا إلٰه إلا الله**»، فقاموا وقالوا ذلك.

۝٦ ـ ۝٧ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ. ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ قائلين بعضهم لبعض:

[روي: «**أنه لما أسلم عمر شقَّ ذلك على قريش..**»] إلى آخره، رواه بمعناه الترمذي والنسائي وغيرهما(١).

---

(١) انظر: الفتح السماوي، المناوي [٣/٦٥٩/ برقم: ٨٤٧].

۞ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾.

امْشُوا ﴿وَٱصْبِرُوا۟﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ﴾ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته، و(أَن) هي المفسرة؛ لأن الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول. وقيل: المراد بالانطلاق الاندفاع في القول، و(امْشُوا) من: (مشت المرأة) إذا كثرت ولادتها، ومنه الماشية؛ أي: اجتمعوا، وقرئ بغير (أَن)، وقرئ: (يمشون أن اصبروا). ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ إن هذا الأمر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مردَّ له، أو إن هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرئاسة، والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى أو يريده كل أحد، أو إن دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ بالذي يقوله ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، أو في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فإن النصارى يُثَلِّثُون. ويجوز أن يكون حالاً من (هذا)؛ أي: ما سمعنا مِنْ أَهْلِ الكتاب وَلَا الكهان بالتوحيد كائناً في الملة المترقبة. ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ كذب اختلقه.

﴿٨﴾ - ﴿٩﴾ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرئاسة كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي. ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ﴾ من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل، وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم: (هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ)، (إِنْ هذا إِلَّا

[فلا مرد له]؛ أي: فلا ينفعنا إلا الصبر [وكذلك ابن كثير وأبو عمرو وإسماعيل]؛ أي: وورش [إلا أنهم بقصرها]؛ أي: يقرؤون بقصرها وهو أحد وجهي أبي عمرو، والوجه الآخر بمدها كقالون.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾.

اخْتِلاقٌ). ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ بل لم يذوقوا عذابي بعد فإذا ذاقوه زال شكهم، والمعنى: أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ بل أعندهم خزائن رحمته، وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا؛ فيتخير للنبوة بعض صناديدهم، والمعنى: أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على مَن يَشَاء مِنْ عباده لا مانع له؛ فإنه العزيز؛ أي: الغالب الذي لا يغلب، الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء، ثم رشح ذلك فقال:

﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأن ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها، أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه؛ فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها؟ ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ جواب شرط محذوف أي: إن كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم، فينزلوا الوحي إلى من يستصوبون. وهو غاية التهكم بهم، والسبب في الأصل هو الوصلة، وقيل: المراد بالأسباب السمٰوات لأنها أسباب الحوادث السفلية. ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أي: هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مَهْزُومٌ مكسور عما قريب؛ فمن أين لهم التدابير الإلٰهية والتصرف في الأمور الربانية؟ أو فلا تكترث بما يقولون و(ما) مزيدة للتقليل كقولك: أكلت شيئاً ما، وقيل: للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده، وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول.

۞ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله:

وَلَقَدْ غَنوا فِيْهَا بِأَنْعَمِ عِيْشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده، أو ذو الجموع الكثيرة؛ سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء. وقيل: نصبَ أربعَ سَوَارٍ وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها، ويضرب عليها أوتاداً ويتركه حتى يموت. ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ﴾ وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (لَيْكَةَ) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾؛ يعني: المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم. ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ بيان لما أسند إليهم من التكذيب على الإبهام مشتمل على أنواع من التأكيد؛ ليكون تسجيلاً على استحقاقهم للعذاب، ولذلك رتب عليه: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ وهو إما مقابلة الجمع بالجمع، أو جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم.

﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وما ينتظر قومك أو الأحزاب؛ فإنهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر، أو حضورهم في علم الله تعالى: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى. ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ من توقف مقدار فواق؛ وهو ما بين الحلبتين، أو رجوع وترداد؛ فإنه فيه يرجع اللبن إلى الضرع، وقرأ حمزة والكسائي بالضم، وهما لغتان. ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ قسطنا

[كقوله]؛ أي: قول الأسود: [ولقد عتوا]؛ أي: أقاموا [أربع سوار] جمع

۞ ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا
الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾.

من العذاب الذي توعدنا به، أو الجنة التي تعدها للمؤمنين؛ وهو من: (قطه) إذا قطعه، وقيل لصحيفة الجائزة: قِطّ؛ لأنها قطعة من القرطاس، وقد فسر بها؛ أي: عجّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها. ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ استعجلوا ذلك استهزاء.

﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ واذكر لهم قصته تعظيماً للمعصية في أعينهم، فإنه ـ مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات ـ لما أتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن؛ فاستغفر ربه وأناب، فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان، أو تذكر قصته وصُن نفسك أن تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على إهمال عنان نفسه أدنى إهمال. ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة؛ يقال: فلان أيد، وذو أيد، وآد، وأياد بمعنى. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى مرضاة الله، وهو تعليل للْأَيْدِ، ودليل على أن المراد به القوة في الدين، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ قد مرَّ تفسيره، و(يُسَبِّحْنَ) حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال. ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ووقت الإشراق، وهو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء ويصفو شعاعها؛ وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها، يقال: شرقت الشمس ولما تشرق. وعن أم هانئ: أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال: **«هذه صلاة الإشراق»**. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية).

سارية [أو تذكر] في نسخة: أو اذكر.

۞ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُۥ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ إليه من كل جانب، وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين؛ لأن الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجاً، وقرئ: (والطيرُ مَحْشُورَةٌ) بالمبتدأ والخبر. ﴿كُلٌّ لَهُۥ أَوَّابٌ﴾ كل واحد من الجبال والطير؛ لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح، والفرق بينه وبين ما قبله؛ أنه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها، أو كل منهما ومن داود عليه السلام مرجِّع لله التسبيح. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود، وقرئ بالتشديد للمبالغة. قيل: إن رجلاً ادّعى بقرة على آخر وعجز عن البيان، فأوحى إليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال: صدقت إني قتلت أباه وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة أو كمال العلم واتقان العمل. ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل، أو الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل، والعطف والاستئناف، والإضمار والإظهار، والحذف والتكرار، ونحوها؛ وإنما سمي به: (أما بعد) لأنه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة، وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل، كما جاء في وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام: «**فصل لا نزر ولا هذر**».

﴿٢١﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ استفهام معناه: التعجيب

[بين الحالين]؛ أي: «يُسَبِّحْنَ» و«مَحْشُورَةً».

والتشويق إلى استماعه، و(الخصم) في الأصل مصدر؛ ولذلك أطلق على الجمع. ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ إذ تصعدوا سور الغرفة، (تفعل) من: (السور) كـ(تسنم من السنام)، و(إذ) متعلق بمحذوف؛ أي: نبأ تحاكم الخصم إِذْ تَسَوَّرُوا، أو بـ(النبأ) على أن المراد به الواقع في عهد داود، وأن إسناد (أتى) إليه على حذف مضاف؛ أي: قصة نبأ الخصم، أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا بـ(أتى) لأن إتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذٍ و(إِذْ) في ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدل من الأولى أو ظرف لـ(تَسَوَّرُوا). ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للوعظ، ويوماً للاشتغال بخاصته، فتسور عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلوة. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً. ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهو على الفرض وقصد التعريض إن كانوا ملائكة؛ وهو المشهور. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ ولا تَجُرْ في الحكومة، وقرئ: (وَلَا تَشْطُطْ)؛ أي: ولا تبعد عن الحق ولا (تُشَطِّط) و(لا تشاط)، والكل من معنى: (الشطط) وهو مجاوزة الحد. ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ إلى وسطه وهو العدل. ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ بالدين أو بالصحبة. ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ هي الأنثى من الضأن، وقد يكنى بها عن المرأة، والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ في المقصود، وقرئ: (تَسْعٌ وَتَسْعُونَ) بفتح التاء و(نِعجة) بكسر النون، وقرأ حفص بفتح ياء (لِيَ). ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ ملِّكْنيها؛ وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي، وقيل: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي. ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ وغلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده، أو في مغالبته إياي في الخطبة، يقال: خطبت

۞ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾.

المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً حيث زوجها دوني، وقرئ: (وعازني)؛ أي: غالبني (وعَزَنِي) على تخفيف غريب.

(٢٤) ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه، وتهجين طمعه، ولعله قال ذلك بعد اعترافه، أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بـ(إلى) لتضمنه معنى الإضافة. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم؛ جمع: (خليط) ﴿لَيَبْغِي﴾ ليتعدى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ . وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله: (اضربَ عنكَ الهمومَ طارِقَها). وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾؛ أي: وهم قليل، و(ما) مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم. ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه بالذنب أو امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها. ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذنبه. ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ ساجداً على تسمية السجود ركوعاً لأنه مبدؤه، أو خَرَّ للسجود راكعاً؛ أي: مصلياً؛ كأنه أحرم بركعتي الاستغفار. ﴿وَأَنَابَ﴾ ورجع إلى الله بالتوبة، وأقصى ما في هذه القضية الإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ودَّ أن يكون له ما لغيره، وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه.

وما روي: أن بصره وقع على امرأة فعشقها، وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان؛ إن صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته، وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى.

[حيث زوجها] بالبناء للمفعول هو ضمير غيري مقدراً.

۞ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ
خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

وما قيل: ـ إنه أرسل (أوريا) إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يُقَدَّم حتى قُتِلَ فتزوجها! ـ هزء وافتراء، ولذلك قال علي رضي الله عنه: (من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين). وقيل: إن قوماً قصدوا أن يقتلوه فتسوروا المحراب، ودخلوا عليه، فوجدوا عنده أقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم، وأراد أن ينتقم منهم، فظن أن ذلك ابتلاء من الله له فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ مما هَمَّ به وَأَنابَ.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما استغفر عنه. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لقربة بعد المغفرة. ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ مرجع في الجنة. ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استخلفناك على الملك فيها، أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ بحكم الله. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ ما تهوى النفس، وهو يؤيد ما قيل: إن ذَنْبَهُ المبادرة إلى تصديق المدّعي، وتظليم الآخر قبل مسألته! ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دلائله التي نصبها على الحق. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل، فإن تذكره يوم الحساب تقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ خلقاً باطلاً لا حكمة فيه، أو ذوي باطل بمعنى: مبطلين عابثين كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨] أو للباطل الذي هو متابعة الهوى؛ بل

۞ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾.

للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] على وضعه موضع المصدر مثل: هنيئاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الإشارة إلى خلقها باطلاً؛ والظن بمعنى: المظنون. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ بسبب هذا الظن. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (أَمْ) منقطعة، والاستفهام فيها لإنكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلاً ليدل على نفيه، وكذا التي في قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ كأنه أنكر التسوية أولاً بين المؤمنين والكافرين، ثم بيَّن المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم، ويجوز أن يكون تكريراً للإنكار الأوّل باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم، والآية تدل على صحة القول بالحشر، فإن التفاضل بينهما إما أن يكون في الدنيا ـ والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة ـ أو في غيرها؛ وذلك يستدعي أن يكون لهم حال أُخرَى يجازون فيها. ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ نفاع، وقرئ بالنصب على الحال. ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ ليتفكروا فيها؛ فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة. وقرئ: (ليتدبروا) على الأصل و(لِتَدَبَّروا)؛ أي: أنت وعلماء أمتك. ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتعظ به ذوو العقول السليمة، أو ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل؛ فإن الكتب الإلٰهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع، وإرشاد إلى ما يستقل به العقل، ولعل (التدبر) للمعلوم الأول، و(التذكر) الثاني.

﴿٣٠﴾ ـ ﴿٣١﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾؛ أي: نعم العبد سليمان؛

[ولعل التدبر للأول]؛ أي: لما لا يعرف إلا من الشرع [والتذكر للثاني]؛

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾.

إذ ما بعده تعليل للمدح، وهو من حاله. ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله بالتوبة، أو إلى التسبيح مرجع له. ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ﴾ ظرف لـ(أَوَّابٌ) أو لـ(نِعْمَ)، والضمير لـ(سُلَيْمانَ) عند الجمهور ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ بعد الظهر ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الصافن من الخيل: الذي يقوم على طرف سَنْبَكِ يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة في الخيل الذي لا يكاد يكون إلا في العراب الخلص. ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ جمع جواد أو جود، وهو الذي يسرع في جريه وقيل: الذي يجود بالركض، وقيل: جمع جيد. روي: أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة، فورثها منه فاستعرضها، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر، أو عن ورد كان له؛ فاغتم لما فاته؛ فاستردّها، فعقرها تقرباً لله تعالى.

٣٢ ـ ٣٣ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أصل (أَحْبَبْتُ) أن يعدّى بـ(على) لأنه بمعنى: (آثرت) لكن لما أنيب مناب (أنبت) عُدّي تعديته، وقيل: هو بمعنى: (تقاعدت) من قوله: (مِثْلُ بَعِيرِ السُّوءِ إِذَا أَحَبَّا)؛ أي: برك، و(حُبَّ الْخَيْرِ) مفعول له، و(الخير): المال الكثير، والمراد به: الخيل التي شغلته، ويحتمل أنه سماها (خيراً) لتعلق الخير بها. قال ﷺ: «**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**». وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء. ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾؛ أي: غربت الشمس. شبه غروبها

أي: ما[1] لا يستقل به العقل.

[«**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة..**»] رواه الشيخان[2].

---

(١) في نسخة [ز ـ ج ـ ب]: (لما).

(٢) صحيح البخاري [٣/١٠٤٧/برقم: ٢٦٩٤]، صحيح مسلم [٣/١٤٩٣/برقم: ١٨٧٢].

۞ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

بتواري المخبأة بحجابها، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها. ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الضمير لـ(الصَّافِناتُ). ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ فأخذ بمسح السيف مسحاً. ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾؛ أي: بسوقها وأعناقها يقطعها، من قولهم: (مسح علاوته) إذا ضرب عنقه، وقيل: جعل يمسح بيده أعناقها، و(سوقها): حبالها، وعن ابن كثير (بالسؤق) على همز الواو لضمة ما قبلها كـ(مؤقن)، وعن أبي عمرو (بالسؤوق) وقرئ: (بالساق) اكتفاء بالواحد عن الجمع؛ لأمن الإلباس.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ وأظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعاً أنه قال: «**لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ـ ولم يقل: إن شاء الله ـ فطاف عليهن؛ فلم تحمل إلا امرأة جاءت بِشِقِّ رجل، فو الذي نفس محمد بيده لو قال: ـ إن شاء الله ـ لجاهدوا فرساناً**». وقيل: ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك، فكان يغذوه في السحاب، فما شعر به إلا أن ألقي على كرسيه ميتاً؛ فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله! وقيل: إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها، وأصاب ابنته جرادة، فأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته، فكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها؛ يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبره آصف رضي الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكياً متضرعاً، وكانت له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان ملكه فيه، فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر، وأخذ الخاتم وتختم به، وجلس

[وعن ابن كثير بالسؤوق..] إلى آخره، هو أحد وجهي قنبل عنه، والآخر بسكون الهمزة، هو ما حكاه عن: أبي عمرو شاذاً [قال: «لأطوفن..»] إلى آخره،

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه، وغيّر سليمان عن هيئته، فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوماً عدد ما عبدت الصورة في بيته! فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة، فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم، فتختم به وخر ساجداً وعاد إليه الملك. فعلى هذا الجسد صخر سمي به؛ وهو جسم لا روح فيه؛ لأنه كان متمثلاً بما لم يكن كذلك، والخطيئة تغافله عن حال أهله؛ لأن اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ، وسجود الصورة بغير علمه لا يضره!

﴿٣٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي، أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبة، أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته، كقولك: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال! على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله؛ فيكون منافسة. وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين، ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة. وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿٣٨﴾ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ فذللناها لطاعته إجابة لدعوته وقرئ: (الرياح) ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لينة من الرخاوة لا تزعزع، أو لا تخالف إرادته

رواه الشيخان[(١)] [وقرأ نافع وأبو عمرو]؛ أي: وأبو جعفر [بفتح الياء]؛ أي: في

(١) صحيح البخاري [٣/ ١٢٦٠/ برقم: ٣٢٤٢]، صحيح مسلم [٣/ ١٢٧٥/ برقم: ١٦٥٤].

۞ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾.

كالمأمور المنقاد. ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ أراد؛ من قولهم: أصاب الصواب فأخطأ الجواب. ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على (الرِّيحَ). ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ بدل منه. ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ عطف على (كُلَّ) كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص، ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر، ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها؛ هذا والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالإقران في الصَّفَد وهو القيد، وسمي به العطاء؛ لأنه يرتبط به المنعم عليه. وفرقوا بين فعليهما فقالوا: (صفده): (قيّده)، و(أصفده): (أعطاه)، عكس (وعد) و(أوعد)؛ وفي ذلك نكتة.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: هذا الذي أعطيناك - من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك - عطاؤنا. ﴿فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ فاعط من شئت وامنع من شئت. ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ حال من المستكن في الأمر؛ أي: غير محاسب على منّه وإمساكه؛ لتفويض التصرف فيه إليك، أو من العطاء، أو صلة له وما بينهما اعتراض. والمعنى: أنه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره، وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين، والمراد بالمن والإمساك: إطلاقهم وإبقاءهم في القيد. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا. ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ هو الجنة.

﴿٤١﴾ ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ هو ابن عيص بن إسحاق عليه السلام، وامرأته ليا بنت يعقوب. ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدل من (عَبۡدَنا) و(أَيُّوبَ) عطف بيان له.

بَعدِيَ [وفرقوا بين فعليهما]؛ أي: فعل «الصفد» بمعنى: «القيد»، وفعله بمعنى: العطاء [عكس (وعد)، و(أوعد)]؛ أي: في الخير، والشر [وفي ذلك نكته]؛ أي:

۞ ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿أَنِّى مَسَّنِىَ﴾ بأني مَسَّنِي، وقرأ حمزة بإسكان الياء وإسقاطها في الوصل. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ بتعب. ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم؛ وهي حكاية لكلامه الذي ناداه فيه؛ ولولا هي لقال إنه مسه، والإسناد إلى (الشَّيْطانُ) إما لأن الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته؛ كما قيل: إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه، أو لسؤاله امتحاناً لصبره فيكون اعترافاً بالذنب أو مراعاة للأدب، أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم، أو لأن المراد بـ(النصب والعذاب) ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء، والقنوط من الرحمة، ويغريه على الجزع. وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر، وقرئ بفتحتين وهو لغة كـ(الرَّشَد) و(الرُّشْد) وبضمتين للتثقيل.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿٤٣﴾ ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكاية لما أجيب به؛ أي: اضرب برجلك الأرض. ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾؛ أي: فضربها فنبعت عين! فقيل: هذا مغتسل! أي: ماء تغتسل به وتشرب منه؛ فيبرأ باطنك وظاهرك. وقيل: نبعت عينان حارة وباردة؛ فاغتسل من الحارَّة وشرب من الأُخْرَى. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم، وقيل: وهبنا له مثلهم. ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ حتى كان له ضعف ما كان. ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ لرحمتنا عليه ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وتذكيراً لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحيق بهم.

﴿٤٤﴾ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ عطف على (اركض) و(الضِّغْث): الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه. ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ روي أن زوجته ليا بنت

۞ ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

يعقوب عليه السلام، وقيل: رحمة بنت افراثيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت! فحلف: إن برىء ضربها مائة ضربة، فحلل الله يمينه بذلك؛ وهي رخصة باقية في الحدود. ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال، ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان؛ فإنه لا يسمى جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء؛ مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين. ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب. ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ مقبل بشراشره على الله تعالى.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وقرأ ابن كثير (عَبْدَنَا) وضع الجنس موضع الجمع، أو على أن (إِبْراهِيمَ) وحده لمزيد شرفه عطف بيان له، وَ(إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ) عطف عليه. ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين، أو: أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة، فعبّر بالأيدي عن الأعمال؛ لأن أكثرها بمباشرتها، وبالأبصار عن المعارف؛ لأنها أقوى مباديها. وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزّمنى والعماة. ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ تذكرهم الدار الآخرة دائماً فإن خلوصهم في الطاعة بسببها، وذلك لأن مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله، والفوز بلقائه وذلك في الآخرة، وإطلاق (الدَّارِ) للإشعار بأنها الدار الحقيقة

وهي أن القيد ضيق فناسبه تقليل(١) حروف فعله، والعطاء واسع فناسبه تكثير حروف فعله، والوعد خير، وهو خفيف، فناسبه تقليل(٢) حروفه، والإبعاد شر، وهو ثقيل، فناسبه تكثير حروفه.

[أفرايم] في نسخة: «أفراميم».

---

(١) في نسخة [ز ـ ب]: (تعليل).
(٢) في نسخة [ز ـ ب]: (تعليل).

۞ ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾﴾.

والدنيا معبر. وأضاف نافع وهشام (بِخالِصَةٍ) إلى (ذِكْرَى) للبيان، أو لأنه مصدر بمعنى: الخلوص، فأضيف إلى فاعله. ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير، جمع: (خير) كـ(شرّ) و(أشرار). وقيل: جمع (خيّر) أو (خيْر) على تخفيفه كـ(أموات) في جمع (ميّت) أو (مَيْت).

﴿٤٨﴾ ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ هو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ، و(اللام) فيه كما في قوله: (رَأَيْتُ الوَلِيْدَ بْنَ اليَزِيدَ مُبَارَكاً). وقرأ حمزة والكسائي (واللَّيْسَع) تشبيهاً بالمنقول من (لَيْسَع) من: (اللسع). ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ ابن عم يسع، أو بشر بن أيوب. واختلف في نبوته ولقبه؛ فقيل: فرّ إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فأواهم وكفلهم، وقيل: كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة ﴿وَكُلّٞ﴾؛ أي: وكُلُّهم. ﴿مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ .

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥١﴾ ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما تقدم من أمورهم. ﴿ذِكۡرٞۚ﴾ شرف لهم، أو نوع من الذكر وهو القرآن. ثم شرع في بيان ما أعد لهم ولأمثالهم فقال: ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ مرجع. ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ عطف بيان لـ(حُسْنَ مَآبٍ) وهو من الأعلام الغالبة لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [مريم: ٦١] وانتصب عنها. ﴿مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ على الحال، والعامل

[﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ [ص: ٥٠] **عطف بيان لـ«حسن مئاب»، وهو من الأعلام الغالبة**] تبع فيه الزمخشري[1] على عادته فيه، ورد بأنه لو صح أنها علم لتعينت البدلية، إذ

(١) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١٠٢].

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾.

فيها ما في (المتقين) من معنى الفعل، وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر، أو أنهما خبران لمحذوف. ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ حالان متعاقبان، أو متداخلان من الضمير في (لَهُمْ) لا من (المتقين) للفصل، والأظهر أنَّ (يدعون) استئناف لبيان حالهم فيها و(متكئين) حال من ضميره، والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ، فإن التغذي للتحلل؛ ولا تحلل ثمة.

(٥٢) ـ (٥٤) ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ لا ينظرون إلى غير أزواجهن. ﴿أَتْرَابٌ﴾ لذات لهم؛ فإن التحاب بين الأقران أثبت، أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية، واشتقاقه من: (التراب)؛ فإنه يمسهن في وقت واحد. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لأجله؛ فإن (الحساب) علة الوصول إلى الجزاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ليوافق ما قبله. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ انقطاع.

(٥٥) ـ (٥٧) ﴿هَٰذَا﴾ هذا أي: الأمر هذا، أو هذا كما ذكر، أو خذ هذا. ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ﴾ إعرابه ما سبق. ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال من (جهنم). ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المهد والمفترش، مستعار من: فراش النائم، والمخصوص بالذم محذوف وهو (جَهَنَّمَ) لقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾؛ أي: ليذوقوا هذا فليذوقوه، أو العذاب هذا

لا تُبيِّن النكرة بالمعرفة [لذات]؛ أي: متقاربات في الولادة، كما يشير إليه قوله [لأن التحاب..] إلى آخره [إعرابه ما سبق]؛ أي: في ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ من أنها عطف بيان وفيه ما سبق، ثم بل أولى؛ لأن هذا علم بالوضع، وذاك بالغلبة.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ۝٦١﴾.

فليذوقوه، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ وهو على الأولين خبر محذوف؛ أي: هو حَمِيمٌ، و(الغساق): ما يغسق من صديد أهل النار من: (غسقت العين) إذا سال دمعها، وقرأ حفص وحمزة والكسائي: (غَسَّاقٌ) بتشديد السين.

﴿وَءَاخَرُ﴾؛ أي: مذوق، أو عذاب آخر، وقرأ البصريان: (وأُخْرَى)؛ أي: ومذوقات، أو أنواع عذاب أخر. ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ من مثل هذا المذوق، أو العذاب في الشدة، وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أو للشراب الشامل للحميم والغساق، أو للغساق. وقرئ بالكسر وهو لغة. ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أجناس خبر لـ(آخَرُ) أو صفة له أو للثلاثة، أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل: (لهم).

۝٥٩ ـ ۝٦١ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال، و(الاقتحام): ركوب الشدة والدخول فيها. ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ دعاء من المتبوعين على أتباعهم، أو صفة لـ(فَوْجٌ)، أو حال؛ أي: مقولاً فيهم لا مرحباً؛ أي: ما أتوا بهم رحباً وسعة. ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ داخلون النار بأعمالهم مثلنا. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الأتباع للرؤساء. ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ بل أنتم أحق بما قلتم، أو قيل: لنا لضلالكم وإضلالكم كما قالوا: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ قدمتم العذاب أو الصلي لنا؛ بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والأعمال القبيحة. ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ فبئس المقر جهنم. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: الأتباع

[على إنه لما ذكر]؛ أي: على تقدير أنه راجع لما ذكر.

۞ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

أيضاً. ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ مضاعفاً؛ أي: ذا ضعف، وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين؛ كقوله: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

﴿٦٢﴾ ـ ﴿٦٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: الطاغوت. ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم. ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ صفة أُخْرَى لـ(رِجالاً)، وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه إنكار على أنفسهم، وتأنيب لها في الاستسخار منهم، وقرأ نافع وحمزة والكسائي (سُخْرِيّاً) بالضم وقد سبق مثله في (المؤمنين). ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت. ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فلا نراهم و(أَمْ) معادلة لـ(مَا لَنَا لَا نَرى) على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا: أليسوا ها هنا أم زاغت عنهم أبصارنا، أو لـ(اتخذناهم) على القراءة الثانية بمعنى؛ أي: الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم تحقيرهم، فإن زيغ الأبصار كناية عنه على معنى إنكارهما على أنفسهم، أو منقطعة، والمراد الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالهم. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكيناه عنهم. ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بد أن يتكلموا به، ثم بيَّن ما هو فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وهو بدل من (لَحَقّ) أو خبر محذوف، وقرئ بالنصب على البدل من ذلك.

[أو لاتخذناهم] عطف على لـ«مَا لَنَا» [أو منقطعة] عطف على «معادلة».
[وقرئ بالنصب على البدل من ذلك] عدل عن قول «الكشاف»[1]: على أنه صفة لذلك، قاصداً الرد عليه: بأن اسم الإشارة لا يوصف إلا بما فيه (أل).

---

(١) الكشاف، الزمخشري [١٠٣/٤].

۞ ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٧٠﴾.

---

٦٥ ـ ٦٦ ﴿قُلۡ﴾ يا محمد للمشركين. ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ أنذركم عذاب الله. ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته. ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ لكل شيء يريد قهره. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ منه خلقها وإليه أمرها. ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب إذا عاقب. ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء، وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد، ووعد ووعيد للموحدين والمشركين، وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه؛ لأن المدعو به هو الإنذار.

٦٧ ـ ٧٠ ﴿قُلۡ هُوَ﴾؛ أي: ما أنبأتكم به من أني نذير من عقوبة من هذه صفته، وأنه واحد في ألوهيته. وقيل: ما بعده من نبأ آدم عليه السلام. ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ﴾ لتمادي غفلتكم فإن العاقل لا يعرض عن مثله؛ كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة، أما على التوحيد فما مرَّ، وأما على النبوة فقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ فإن إخباره عن تقاول الملائكة، وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة؛ من غير سماع ومطالعة كتاب؛ لا يتصوّر إلا بالوحي، و(إِذْ) متعلق بـ(عِلْم) أو بمحذوف؛ إذ التقدير: من علم بكلام الملأ الأعلى. ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾؛ أي: (لأنما) كأنه لما جوّز أن الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقاً لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ [ص: ٦٥] ويجوز أن يرتفع بإسناد يوحى إليه، وقرئ: (إِنَّمَا) بالكسر على الحكاية.

[وتثنية ما يشعر بالوعيد]؛ أي: وهو ﴿ٱلۡقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]؛ أي: ذكره ثانياً؛ لأنه ثاني الأوصاف [وتقديمه]؛ أي: على باقيها.

۞ ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿٧١﴾ - ﴿٧٤﴾ ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ بدل من (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) مبين له؛ فإن القصة التي دخلت (إذ) عليها مشتملة على تقاول الملائكة وإبليس في خلق آدم عليه السلام، واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مرّ في (البقرة)، غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك، واقتصاراً على ما هو المقصود منها؛ وهو إنذار المشركين على استكبارهم على النبي ﷺ بمثل ما حاق بإبليس على استكباره على آدم عليه السلام. هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله تعالى إياهم بواسطة ملك، وأن يفسر (الملأ الأعلى) بما يعم الله تعالى والملائكة. ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ عدلت خلقته. ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه، وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته. ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾ فَخِرُّوا له. ﴿سَٰجِدِينَ﴾ تكرمة وتبجيلاً له؛ وقد مرّ الكلام فيه في (البقرة). ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾ تعظّم. ﴿وَكَانَ﴾ وصار ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن الطاعة، أو كان منهم في علم الله تعالى.

﴿٧٥﴾ - ﴿٧٦﴾ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم. والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل، وقرئ على التوحيد وترتيب الإنكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم، أو بأنه الذي تشبث به في تركه سجوده، وهو لا يصلح مانعاً؛ إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص. ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ تكبرت من غير استحقاق، أو كنت ممن علا واستحق التفوق، وقيل: استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين،

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ
فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١)
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ
أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾.

وقرئ: (اسْتَكْبَرْتَ) بحذف الهمزة لدلالة (أَمْ) عليها، أو بمعنى الإخبار. ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إبداء للمانع وقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ دليل عليه وقد سبق الكلام فيه.

(٧٧) ـ (٨١) ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء، أو من الصورة الملائكية. ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ مرَّ بيانه في (الحِجْر).

(٨٢) ـ (٨٥) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ فبسلطانك وقهرك. ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة، أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين. ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾؛ أي: فأُحِقُّ الحقَّ وأقولُه، وقيل: (الحق) الأول اسم الله نصبه بحذف حرف القسم ....

[وقرئ «استكبرت» بحذف الهمزة]؛ أي: همزة الاستفهام بأن قرئ بهمزة الوصل، فيحتمل أن يكون الاستفهام مراداً، فيوافق المشهور، وأن يكون خبراً محضاً[1] [﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٨٧]] قيل: اللعنة عليه مستمرة، فكيف جعلت مغياة بيوم الدين؟ وأجيب أنه يوم القيامة يشاهد عذاباً ينسيه اللعنة، فكأنها انقطعت.

---

(١) اتحاف فضلاء البشر، الدمياطي [ص٦٨٦].

كقوله: (إِنَّ عَلَيْكَ الله أَنْ تُبَايِعَا). وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الأول جواب محذوف، والجملة تفسير لـ(الْحَقَّ) المقول، وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي: (الحق يميني أو قسمي)، أو الخبر؛ أي: (أنا الْحَقَّ)، وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله:

قَدْ أصبَحَتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعِي عليَّ ذَنْباً كُلُّهُ لم أصنَعِ

[وهو]؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ [ص: ٨٥] إلى آخره [على الأول]؛ أي: وهو نصب الحق بأحق مقدراً [كقوله:

إنَّ علَيكَ اللَّهِ أنْ تُبَايِعا ....]

تمامه:

.... تُؤخَذَ كَرْهاً أو تُرَدَّ طَائِعا[1]

قال الطيبي: كان شخص أخذ قهراً بأن يبايع والياً، وقيل له: إن عليك أن تبايع أخذت كرهاً؛ لأجل ذلك، ثم بعد المبايعة ترد طوعاً، وتؤخذ بدل من تبايع.

[وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من «أقول»]؛ أي: ضمير النصب، والأصل: أقوله وعبارة «الكشاف»[2]: وقرئا مرفوعين على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر، كقوله: لعمرك؛ أي: فالحق قسمي لأملأن، «والحق أقول»؛ أي: أقوله.

[كقوله]؛ أي: قول أبي النجم:

[كُلُّهُ لَم أصْنَعِ].

صدره:

قَدْ أصْبَحتْ أُمُّ الخِيارِ تَدّعي عَلَيّ ذَنْباً[3] ....

ولم ينصب «كله» إذ لو نصبه لكان ذلك إقراراً منه بأنه قد صنع بعضه، ورفعه، ليؤذن بأنه لم يصنع منه شيئاً قط، ففي النصب سلب العموم وفي الرفع عموم السلب.

---

(١) الكتاب، سيبويه [١/١٥٦].
(٢) الكشاف، الزمخشري [٤/ ١١٠].
(٣) البيت لأبي النجم العِجْلي. الكتاب، سيبويه [١/ ٨٥].

۞ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

ومجرورين على إضمار حرف القسَم في الأول، وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتأكيد، وهو سائغ فيه إذا شارك الأول، وبرفع الأول وجره، ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرناه. والضمير في (منهم) للناس إذ الكلام فيهم، والمراد بـ(منك) من جنسك ليتناول الشياطين، وقيل: للثقلين، و(أجمعين) تأكيد له أو للضميرين.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿٨٨﴾ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: على القرآن أو تبليغ الوحي. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتصنعين بما ليست من أهله على ما عرفتم من حالي فأنتحل النبوة، وأتقول القرآن. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة. ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ للثقلين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ وهو ما فيه من الوعد والوعيد، أو صدقه بإتيان ذلك. ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ بعد الموت، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وفيه تهديد.

وعن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة (ص) كان له بوزن كل جبل سَخَّرَه الله لداود عشر حسنات، وعصمه الله أن يُصِرَّ على ذنب صغير أو كبير**».

[وقيل: للثقلين] عطف على «للناس».

[أو للضميرين]؛ أي: ضمير ﴿مِنكَ﴾ وضمير ﴿مِنْهُمْ﴾.

[«من قرأ سورة «ص»] إلى آخره، موضوع[1].



(١) تخريج أحاديث الكشاف، الزيلعي [٣/ ١٩٥/ برقم: ١١١٠].

الفهرس الموضوعات